

ولقد علّمنا الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في (الصحيفة السجادية) الأسلوب الأمثل في ذلك ولكن قليل منّا من يقرأ هذه الصحيفة ويفهمها ويتعلّم منها، يقول عليه السلام ((اللهم وارزقني التحفّظ من الخطايا)) وهو هنا يعطينا المفهوم والخط في العلاقات وأصالة إسلام المسلم وإيمانه ((والاحتراس من الزلل في حال الرضا والغضب)) أي أن يكون غضبي ورضاي على حدّ سواء ((حتى أكون بما يرد عليّ منهما بمنزلة سواء عاملاً بطاعتك مؤثراً لرضائك على ما سواهما في الأولياء والاعداء حتى يأمن عدوّي من ظلمي وجوري وبيأس صديقي من ميلي وانحطاط هواي))^(٧). بحيث إذا ذكرتُ عند عدوي فإنّه يقول بأنّ فلاناً لم يظلمني لأنّه مسلم، وإذا ذكرت عند صديقي فإنّه يقول بأنّ فلاناً لن يحابيني ولن يميل إليّ ضد الحقّ لأنّه مسلم، فمن منّا إذا عادى ينصف عدوّه؟ وإذا صادق يبقى على العدل مع صديقه؟

إنّ المشكلة عند الدول هي مشكلة القطع النادر، والمشكلة عند المسلمين هي مشكلة القطع الأخلاقي النادر، فعندما تذكر خصمك في إيجابياته، فلا يعني أنّك أضعفت موقعك، بل هذا يعني أنّك قوي لدرجة أنّك لا تخاف من إيجابيات خصمك أمام سلبياته.

الإمساك عن النزاع:

((وأمسكنا عن منازعتهم)) وهذا المقطع يجيب على سؤال: لماذا لم يندفع علي عليه السلام ليقترح الساحة وقد جاء أبو سفيان ليقول له في مبايعته اثناء اجتماع القوم على مبايعة غيره ((فألاً ما لأتّهم عليهم خيلاً ورجلاً)) ولكنّ علياً عليه السلام كان المسؤول عن الإسلام خارج الخلافة كما كان مسؤولاً عنها في موقع الخلافة، لأنّه هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله في تأكيد الإسلام ونشره وامتداده وتأسيسه، كما هو خليفته في إدارته، لذلك كان علي عليه السلام يمارس المسؤولية الإسلامية مع خصومه كما

(٧) الصحيفة السجادية. ط المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق - ص ٦٩، ٢٢ د. دعاؤه عند الشدة، ص ٢-٧.

كان يمارسها عندما كان في الخلافة، لأننا ذكرنا مراراً أن علياً عليه السلام وحده المؤهل لأن يكون خليفة الرسول ﷺ لسبب واحد وهو أن خلافة رسول الله ﷺ ليست خلافة الإدارة فقط بل هي خلافة الرسالة وليس في المسلمين من عاش الرسالة في عقله كله وقلبه كله وشعوره وجهاده كما عاشها علي عليه السلام.

((وأمسكنا عن منازعتهم مخافة أن يجد المنافقون والأحزاب في ذلك مغمراً يتمثلونه به، أو يكون لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من إفساده)).. وفي ذلك يقول علي عليه السلام ((فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجاً)).. ويقول ((فخشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم هذه))^(٨).

نقد معاوية:

((فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر من لست من أهله)) أي كيف توثبت على علي عليه السلام؟ فمتى أسلمت يا معاوية؟ ومتى أسلم أبوك؟ فالإمام يطلقها هنا في صرخة التعجب ((لا بفضل في الدين)) أي ما هي سابقتك في الإسلام؟ وما هو جهادك؟ وما هي ثقافتك الإسلامية؟ ((ولا أثر في الإسلام محمود وأنت ابن حزب من الأحزاب)) التي كانت تحارب رسول الله ﷺ فلم يقل له يا ابن أبي سفيان لأن هذا كان يمثل قيادة الحزب القرشي الذي عطّل مشروع رسول الله ﷺ واشغله بحروب دامية، ومعاوية ابن هذا الحزب الذي تربى على أخلاقه ((وابن اعدى قریش لرسول الله ﷺ ولكتابه الكريم، والله حسيبك فسترد)) غداً على الله ((وتعلم لمن عقبى الدار)) فنحن الآن نكلمك وتكلمنا وتحاول أن تأتي بالكلام من هنا وهناك لكن غداً هو يوم الفصل. ((وبالله لتلقين عن قليل ربك، ثم ليجزينك بما قدمت يداك))^(٩) لأنك عطّلت مشروع علي بن أبي طالب عليه السلام الذي لو أنه انطلق به وأكملته لانفتح الإسلام على العالم وعيا وفكراً

(٨) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٦، ب ٦٧، ص ٩٥.

(٩) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٦، ب ٣٨، ص ٣٤.

وجهاداً وحركة.

((إنّ علياً لما مضى لسبيله - رحمة الله عليه - يوم قبض ويوم من الله عليه بالإسلام ويوم يبعث حياً ولأني المسلمون الأمر من بعده)) فإذا كان الكلام في الشورى فإنّ الشورى قد اجتمع رأيها عليّ فأنا الخليفة الشرعي.

((فأسأل الله أن لا يؤتينا في هذه الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا في الآخرة بما عنده من كرامة)) وهذا هو تواضع الأئمة ﷺ لله سبحانه وتعالى. ((وإنّ ما حملني على الكتابة اليك الاعذار فيما بيني وبين الله عز وجل في أمرك)) حتى يعذرني الله في إقامة الحجّة عليك بيّنت لك من الحقائق ودعوتك إلى الصراط المستقيم. ((ولك في ذلك إن فعلته الحظّ الجسيم والصالح للمسلمين)) أي فيما إذا دخلت فيما دخل فيه المسلمون وسرت معي في الخط الذي يمثّل الشرعية الإسلامية ((فدع التماذي في الباطل)) بادّعاء الخلافة لنفسك ((وادل في ما دخل فيه الناس من بيعتي فإنك تعلم أنّي أحقّ بهذا الأمر منك عند الله)).. لأنّ رسول الله ﷺ قال: ((الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة))^(١٠). ((الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا))^(١١).

((وعند كلّ أواب)) إلى الله ((حفيظ)) على العهد والإيمان ((ومن له قلب منيب)) راجع إلى الله ((واتق الله ودع البغي واحقن دماء المسلمين وادخل في السلم والطاعة ولا تنازع الأمر أهله ومن هو أحقّ به منك ليطفئ الله النائرة ويجمع الكلمة ويصلح ذات البين)) لأنّ الأساس في إصلاح ذات البين هو أن يعطي الناس الشرعية لمن له الشرعية الحقيقية، لا أن يكونوا في خطّ الانحراف ((وإنّ أنت أبيت إلا التماذي في غيبي سررت إليك بالمسلمين فحاكمتك)) على أساس الواقع الميداني، وأنّ اواجهك بالمسلمين ((حتى يحكم الله وهو خير

(١٠) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٥، ب ٢٨، ص ٢٧٨.

(١١) بحار الأنوار، ج ٣٣، ب ٢٦، ص ٣٣، ح ٢١٠.

الحاكمين))^(١٢).

الظافة عند آل البيت ؑ:

هذه هي الرسالة التي بعثها الإمام الحسن ؑ إلى معاوية وهي كلها رسالة وكلها حجة ونصيحة للمسلمين ورغبة في أن يصلح الله أمرهم ويحقق دماءهم، لأن الأئمة من أهل البيت ؑ ولا سيما سيدهم علي ؑ لم يطلبوا الخلافة لطموح شخصي أو لطمع ذاتي أو لأي شيء مما يدخل في حاجات النفس الأمارة بالسوء. وقد عبّر عن ذلك علي ؑ ليقدم حسابه لله ((اللهم انك تعلم)). وعلي يرتفع ويرتفع ويرتفع عندما يتضع الناس من حوله، وللأسف فإن أفق علي ؑ ما زال بعيداً عنا. ((انه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك، اللهم اني أول من سمع وأجاب لم يسبقني إلا رسول الله للصلاة)). فقد كنت في البداية مع رسولك بين يديك، وأنا الآن بين يديك - يا رب - أعمل من أجل دينك والمظلومين من عبادك. وقال ؑ ((لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلاً على غاربها وتسقيت آخرها بكأس أولها، ولأضيتم دنياكم هذه أهون عندي من عطفة عنز))^(١٣).

هذا هو علي ؑ وهذا هو ابن علي الحسن ؑ وهذا ابن علي الحسين ؑ وهؤلاء هم الأئمة ؑ أئمة الهدى ومصابيح الدجى، فتعالوا - أيها الأحبة - لنسير معهم فكراً وروحاً وروحانية وجهاداً وسمواً وحباً لله ولرسوله وحباً للناس ووقوفاً مع العدل كله ضد الظلم كله، وبذلك نكون شيعتهم وشيعة الإسلام وشيعة رسول

(١٢) ملاحظة: نص رسالة الإمام الحسن ؑ مأخوذ عن كتاب (سيرة الأئمة الاثني عشر) لهاشم معروف الحسيني / القسم الأول ط٦ / دار التعارف. ص ٥٠٥-٥٠٦.

(١٣) شرح نهج البلاغة. ج ١٢. ب. ٣٥. ص ١٥٨.

اللَّهُ ﷻ، وبذلك نكون أولياء الله ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^(١٤). وسلام الله على الحسن ﷺ وأخيه الحسين ﷺ وأمه وجده وأبيه، سلام الله عليهم جميعاً، والحمد لله رب العالمين.

شروط الانتماء إلى الإسلام

○ الإسلام ليس كلمة نقولها،
وليس طقوساً نمارسها، بل هو
النهج الذي أراد الله سبحانه
وتعالى للإنسان أن ينهجه في
فهمه لنفسه، وتركيزه على
معالجة نقاط الضعف فيها
ليعيش إنسانيته في معنى
إسلامه ○

- الانتماء إلى الإسلام.
- نفي الانتماء.
- الانتماء محاسبة.
- الانتماء ضبط النفس عند الغضب.
- الانتماء صفة حسنة.
- الانتماء أخلاق.
- الانتماء مرافقة وجوار.
- الانتماء مسؤولية اجتماعية.



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

الانتماء إلى الإسلام:

عندما نتحدث عن الانتماء إلى الإسلام، أو إلى الإيمان، أو إلى رسول
الله ﷺ وهو نبي الإسلام، أو إلى الأئمة من أهل البيت ﷺ وهم أئمة الإسلام، فإنّ
هناك خطين لهذا الانتماء:

الخط الأول: هو خط السطح وهو أن تشهد الشهادتين، وأن تقوم بالعبادات
وأن تحب رسول الله ﷺ وأن تحب الأئمة من أهل البيت ﷺ وتنتهي المسألة عند
هذا الحد لتكون مسلماً.

والخط الثاني: هو أن يكون الانتماء عميقاً بحيث ينفذ إلى طريقتك في
وعى الإسلام، ووعي نفسك فيما تختزنه من فكر الإسلام ومنهجه، ومن قيم
الإسلام وأخلاقياته، بحيث أنّك من خلال هذا الخطّ قد تكون مسلماً في
السطح، ولكنك لن تكون مسلماً في العمق، لأنّ الإسلام ليس كلمة تقولها وليس
طقوساً تمارسها، بل هو النهج الذي أراد الله سبحانه وتعالى للإنسان أن ينهجه
في فهمه لنفسه وتركيزه على معالجة نقاط الضعف فيها ليعيش إنسانيته في
معنى إسلامه، وذلك هو قوله تعالى في التفريق بين (السطح) وبين (العمق)
﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي
قُلُوبِكُمْ﴾^(١).

نفي الانتماء:

ويمكن بهذا اللحاظ أن يُنفى الإسلام في معناه العميق عن بعض المسلمين الذين ليس لهم من الإسلام إلا شكله، وقد وردت في ذلك عدة كلمات عن رسول الله ﷺ وعن الأئمة من أهل البيت ؑ تنفي الانتماء عمّن لم يتصف بهذه الصفة أو تلك مما يعبر عن العناصر الحيوية لعلاقة الإنسان في العمق مع نفسه، وعلاقته في العمق والامتداد مع الناس من حوله. وفي ضوء ذلك أيضاً لا بدّ أن ننفتح على هذه الخطوط النبوية والإمامية المستمدّة من الخطّ النبويّ لنبدأ بدراسة جديدة الانتماء فيما نحسبه انتماء وننسب أنفسنا إليه صدقاً أو زوراً.

ولابدّ من التأكيد على أن الأحاديث التي أسقطت صفة الإسلام عن بعض المسلمين يراد منها إلفات النظر إلى الأمور التي تمثل حقيقة الإسلام.

الانتماء محاسبة:

يقول الإمام علي ؑ وهو يؤكّد على علاقة الإنسان مع نفسه في كلّ ما يصدر عنه بشكل يومي في سلبياته وإيجابياته، وفي نقاط ضعفه وفي نقاط قوّته، إنّ عليك أن تحدّق بنفسك لتعرف ما أنت؟ ومن أنت؟ ولتكتشف حقيقتها في كلّ ما تفكّر فيه في حركة الداخل في نفسك، أو فيما تتحرك فيه من حركة الخارج في ذاتك.

((ليس منا من لم يحاسب نفسه كلّ يوم))^(٢). فعندما تبدأ يومك ويمتدّ يومك معك، وتمتد مع الحياة في هذا اليوم فيما تتكلمه، وفيما تعمله، وفيما تنشئه من علاقات، وفيما تقفه من مواقف، وفيما تتحرك به من عواطف، وفيما تحكم به من أحكام.. حاسب نفسك .. أجلس مع نفسك وابسط بين يديها الإسلام كلّ، وابسط نفسك بين يديك عندما تتجرد منها لتكون شخصاً ناقداً ومحاسباً وحاكماً لتدخل في مقارنة بين ما فعلته وبين ما قالته وبين ما قاله الله

ورسوله وما أراد الله ورسوله لك أن تفعله.

((فإن عمل خيراً حمد الله واستزاده وإن عمل شراً استغفر منه))^(٣). وبذلك

يكون الإنسان في يقظة متحركة دائمة بحيث لا يغيب عنه شيء من نفسه بفعل سيطرة البيئة المحيطة عليه، أو بفعل ضغط الظروف الموضوعية المحيطة به، بل يعمل على أن يتجرد من ذلك كله ليقف أمام نفسه ليحاسبها - كما ورد في بعض الأحاديث عن علي عليه السلام نفسه - أشد من محاسبة الشريك شريكه.

الانتماء ضبط النفس عند الغضب:

ويقول الإمام الصادق عليه السلام في كلمة أطلقها في مجتمع جماهيري احتشد في بيته، بحيث اجتمع لديه أكثر من شخص من بلدان مختلفة، ف((عن أبي الربيع الشامي، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام والبيت غاص بأهله: الخراساني والشامي ومن أهل الآفاق، فلم أجد موضعاً أقعد فيه، فجلس أبو عبد الله عليه السلام وكان متكئاً وقال: يا شيعة آل محمد)) ونستوحي من هذا أن الأئمة من أهل البيت عليه السلام ولاسيما الإمام جعفر الصادق عليه السلام الذي انفتحت له الساحة من خلال الظروف السياسية التي ملك فيها حرية الدعوة، أنهم كانوا يعيشون مع الناس وهم يتحسسون المسؤولية في أن لا يجلس إليهم أحد إلا ويبادرونه بالموعظة والنصيحة ولا ينتظرون أن يسألهم الناس بل كانوا يبدؤونهم، وذلك هو شأن رسول الله عليه السلام وشأن علي عليه السلام وشأن الأئمة عليه السلام من قبل الصادق وبعده، فلقد كانوا يتحسسون المسؤولية في أن يفتحوا على الناس مغاليق غفلتهم لينقذوهم منها، وكانوا يشعرون بأن العلم الذي وهبهم الله لا بد من أن يغني كل مجتمعهم بطريقة وبأخرى، لأن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى في عهد الرسالة وعهد الإمامة كانت منفتحة على الناس كلهم، فالسيرة النبوية الشريفة تحدثنا عن أن النبي عليه السلام كما يوصف من قبل صحابته ومعاصريه ((كان فينا كأحدنا)) فلم يميز نفسه عن الناس، فكان يلتقيهم ويحدثهم ويبتدرهم ويجيب على أسئلتهم.

وعندما ندرس علياً عليه السلام فإننا نراه يتألم لأن هناك مجتمعاً لا يستمع إليه، وكان يقول ((إنّ ها هنا لعلماء جماً لو وجدت له حملة))^(٤). كان يبحث عمّن يسأله، وعمّن يسمعه، ولذلك فإننا عندما نقرأ تراثه فإننا نجد أكثر ما صدر عنه عليه السلام كان ابتداءً منه، فلقد كان الخليفة الذي يريد أن يتقّف الناس بالإسلام لأنّه كان يرى أنّ الناس كلّما تتقفوا بالإسلام أكثر وعوا أكثر، وانفتحوا على الحياة أكثر، وأخذوا بأسباب التقدّم أكثر، وتطوّرت حركتهم أكثر، فلم تكن العلاقة بين النبي ﷺ أو الإمام عليه السلام وبين الناس علاقة رسمية بحيث يحتاجون عندما يأتون إلى الشخصية الدينية إلى الكثير من التحفّظات وحالات الهيبة فلا يأخذون حريتهم في المناقشة وفي السؤال، لأنّ عصور التخلف جعلت من هذه الوجودات أقرب إلى الوجودات الرسمية التي تضع الحواجز بين المسؤول وبين الناس حتى ليخاف هؤلاء من طرح أسئلتهم.

ولكن الأئمة عليه السلام لم يكونوا كذلك، فتصوّروا مثلاً أنّ هؤلاء جاءوا ليسلموا على الإمام الصادق عليه السلام وكانوا من شيعته، وكان يرى أنّ التشيع ليس شيئاً غير الإسلام، وليس شيئاً زائداً عن الإسلام ((من كان ولياً لله فهو لنا ولي ومن كان عدواً لله فهو لنا عدو)). هذا هو خط التشيع، بأنّ تكون مسلماً كما هو الإسلام في كلّ معناه وامتداداته.

وأحبّ أن انقل في هذا المجال قصة للعلامة الكبير المرحوم السيد محسن الأمين صاحب كتاب (أعيان الشيعة) والذي كان يقطن في دمشق، وكان عالماً جليلاً، فلقد جاءه شخص سنّي وقال له: إنني أريد أن أكون شيعياً، فقال له وهو يدرس الجوّ الاجتماعي والديني كلّهُ، ليس هناك فرق بين الشيعة والسنة، فالسنة مسلمون والشيعة مسلمون فأصرّ الرجل على طلبه، فقال له السيد الأمين عليه السلام: هل تريد أن تصبح شيعياً؟ قال الرجل: بلى، فقال له: قل أشهد أن لا إله الا الله، فقال ذلك، فقال له: قل أشهد أنّ محمداً رسول الله، فنطق بهذه الشهادة أيضاً،

فقال له: لقد صرت شيعياً!!

فالولاية حينما تبحث فإنّها تبحث من خلال كتاب الله وسنّة رسوله، فهي ليست شيئاً زائداً على الشهادة لله بالوحدانية والشهادة للرسول بالرسالة، لا بل إن كلّ ما جاء به الرسول ﷺ هو الذي يركّز لنا خط الولاية إذا اثبتناها وهي ثابتة لدينا، وهو الذي يركّز لنا الخطوط الأخرى إذا أثبتنا أصولها وهي كذلك ثابتة لدينا. وهذا الموقف يؤكّد الوعي الذي يحمله العلماء الكبار في أنّ يفتحوا للناس خطّ أهل البيت ﷺ من باب الإسلام، ولا يتحدثون إليهم عن شيء زائد عن الإسلام، بل هو الإسلام الأصيل. وقد قال الإمام زين العابدين ﷺ ((أحبونا حبّ الإسلام)). لا تحبّونا حبّاً ذاتياً بل أحبّونا على أساس ما نمثّل من إمامة الإسلام وخطّه فهذا الحبّ هو الذي يربطكم بالإسلام الذي قد نرحل ذات يوم ويبقى.

لذلك فإنّ الإمام جعفر الصادق ﷺ كان قد لاحظ أنّ هؤلاء قد يفهمون التشيع نبضة قلب وخفقة إحساس ومحبة ساذجة، فأراد أن يبيّن لهم أنّ التشيع الذي يمثل الانتماء إلى أهل البيت ﷺ لا بدّ فيه من أن يكون انتماءً إلى منهج الإسلام في أخلاقيته، ولا بدّ أن يكون منفتحاً على واقع المجتمع بحيث يكون الإنسان المنتمي إلى خطّ أهل البيت ﷺ إنساناً يعيش إنسانيته في إنسانية الآخر، ولا يكون منغلqاً على الآخر، ولا يكون الإنسان الانعزالي أو الأناني أو الذي يفتح على الناس من خلال مطامعه أو شهواته.

استمعوا إليه ﷺ يقول: ((إعلموا أنّه ليس مناً)) وهذا يعني أن الشخص الذي يريد أن يصفه الإمام ﷺ لا ينتمي لمدرستهم، لأنّ الانتماء إليهم ليس انتماءً لأشخاص ولكنه انتماءً إلى الإسلام وإلى المنهج الذي طرحناه للناس ((من لم يملك نفسه عند غضبه)) فالإنفعاليون الذين اذا غضبوا ابتعدوا عن خط الاستقامة في الحق وعن خط العدالة مع الناس، ليسوا من مدرسة أهل البيت ﷺ في شيء لأنّ الخط الإسلامي هو «وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ

يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ^(٥). وهذا هو خط التقوى.

فليس منهم من لم يملك نفسه عند غضبه، سواء كان غضبه في البيت مع زوجته وأولاده، أو كان غضبه في المجتمع وساحات الصراع، أو كان غضبه في عمله، أو في المواقع السياسية أو غيرها، فإذا كنت في خط أهل البيت ﷺ فلا بدّ أن يكون صدرك واسعاً سعة الحياة كلّها بحيث يمتصّ كلّ حالات الانفعال، ولا بدّ أن يكون عقلك موضوعياً يبقى في دراسة الأمور بشكل هادئ عاقل طبيعي جداً، والّا فإن الغاضب الانفعالي الذي لا يضبط نفسه ولا يملك زمامها عند الغضب يخرج عن التشيع.

الانتماء صحبة حسنة:

((ومن لم يحسن صحبة من صحبه)) فإذا صحبت إنساناً في سفر أو في حضر فإنّ للصاحب عليك حقاً، فعليك أن تحسن صحبتته بأن ترعاه إذا كان بحاجة إلى الرعاية، وأن تكشف غمّه وهمّه وكربه إذا كان بحاجة إلى ذلك، وأن تساعد في صحبتك له، ونحن نروي عن علي ﷺ أنه سار ذات يوم مع يهودي في طريق ووصلا إلى مفترق الطرق واليهودي يعرف أن طريق علي ﷺ في السير يختلف عن طريقه منذ البداية، وحانت منه التفاتة فإذا بعليّ يسير في الطريق التي يسير فيها اليهودي، فوقف اليهودي وقال لعلي ﷺ: يا أبا الحسن إن طريقك من هنا، فقال ﷺ: صحيح ما تقول ولكن رسول الله ﷺ علّمنا أننا إذا صحبتنا شخصاً في الطريق كان له علينا حقّ الصحبة فلا بدّ لنا أن نشيّع خطوات في اتجاهه تدليلاً على احترامنا لهذه الصحبة، فقال اليهودي: هل هذا هو كلام رسولكم؟ فقال علي ﷺ: بلى، فقال: مدّ يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله.

ولنا أن نسأل لو أن الإمام علي عليه السلام جلس مع هذا اليهودي من الصباح حتى المساء ليقنعه بالإسلام بطرح الأفكار المجردة فقد يقتنع وقد لا يقتنع، ولكن هذه اللفتة الأخلاقية الرائعة اقتحمت إنسانية هذا اليهودي فكانت بمثابة الصدمة التي هزّت مشاعره كلّها وفتحت الإسلام أمامه.

الانتماء اطلاق:

((ومخالقة من خالقه)) أي عندما يكون الآخرون متخلّقين بأخلاق الإسلام فعليك أن تمارس أخلاقية الإسلام معهم ((عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به)). لتكن الإنسان الذي يكون ردّ فعله إزاء أخلاقية الناس معه هو أن يقدم لهم أخلاقية مماثلة أو أحسن منها، وهذا مما ينبغي للإنسان المؤمن أن يسير عليه لأنّ خط الإسلام الأخلاقي هو هذا، فيما نرى أنّ بعض الناس يعتقدون أنّ من واجب الآخرين أن يتصرفوا معهم بأخلاق عالية، وليس من واجبهم أن يتصرفوا مع الآخرين بأخلاق عالية لأنّهم أعظم وأكبر قدرا كما يتصورون، وكما يقول بعضهم إنّ على الناس أن يحترموني وليس عليّ أن احترمهم، وهذا يدلّ على التكبر الذي يعني أن الإنسان يعاني من عقدة نقص يحاول التنفيس عنها بتكبره.

وانقل لكم في هذا المجال حديثاً للإمام الباقر عليه السلام حتى تعرفوا كيف أنّ الأئمة عليهم السلام كانوا ينفذون إلى عمق النفس الإنسانية ليحلّلوها ويقدموا لنا دراسة عنها ((ما من امرئ يتيه)). أي يمشي بخيلاء وتكبر وغرور ((إلاّ لذّة يجدها في نفسه))^(٦) فهو ذو عقدة نقص يحاول تغطيتها باستعراض عضلاته.

الانتماء مرافقة وجوار:

((ومرافقة من رافقه)) فإن عليك أن تحسن مرافقة من ترافقه فلا تسيء إليه ولا تعنف معه، بل تفتح عليه بكلّ إنسانيتك حتى يفتح عليك بكلّ إنسانيته.

((ومجاورة من جاوره)) بأن تكون ممن يحسن الجوار مع جارك، وقد ورد عن رسول الله ﷺ ((ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه))^(٧). وجاء في وصية علي ﷺ ((ما زال رسول الله ﷺ يوصينا بالجار حتى ظننا أنه سيورثه)). وقد ورد عن النبي ﷺ ((ليس منا من لم يأمن جاره بوائقه))^(٨). والبوائق الأذى والاساءة، فالجار الذي يعاني جيرانه من عنته وبذاته أو سوء خلقه ليس من رسول الله والإسلام في شيء.

((وممالحة من مالحه)) وقد تعني الممالحة: الطعام باعتبار أن الملح كناية عن الزاد، فإذا أطعمك أطعمه، وقد تكون الممالحة كناية عن الممازحة والدعابة بأن تسره كما يسرك، وأن تكون هشاً معه كما تريد أن يكون هشاً معك. ((يا شيعة آل محمد اتقوا الله ما استطعتم)) فإن التشيع لابد أن يتحرك من عمق خط التقوى، و((التقوى هي أن لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك)).

((ولا حول ولا قوة الا بالله))^(٩).

الانتماء مسؤولية اجتماعية:

وهناك كلمة لرسول الله ﷺ كررناها كثيراً ونكررهما من أجل أن نعمّقها في نفوسنا وأن نكون الأمة التي لا تحصر نفسها في دائرة ضيقة من أطر العائلية والحزبية والطبقية والقومية والإقليمية، فأن أكون منفتحاً على المسلمين كلّهم لابد أن أتابع قضاياهم كلّها سواء فيما يواجهون من مشاكل أو فيما يحصلون عليه من انتصارات، وذلك بان تتفاعل مع المسلمين جميعاً، وأن يكون همّهم همّك ولا تحصر نفسك في دائرة ضيقة، حتى ولو كانت إسلامية، بحيث تكون كلّ شيء عندك، بل تذكر أن الإسلام أراد للدوائر الإنسانية أن تكون منفتحة على بعضها

(٧) اصول الكافي. ج ٣. ص ٢٣. ح ٣.

(٨) شرح نهج البلاغة. ج ١٧. ص ٤٨٦. ح ٨.

(٩) اصول الكافي. ج ٢. ص ٣٦٧. ح ٢.

البعض، فدائرة العائلة تنفتح على المحلّة، ودائرة المحلّة تنفتح على المدينة، ودائرة المدينة تنفتح على الوطن، ودائرة الوطن تنفتح على الأمّة كلّها، والأمّة تنفتح على الإنسان كلّ، وهذا ما نفهمه من كلام الله المجيد الذي لم يبلغ خصوصياتنا ولكنه أراد لهذه الخصوصيات أن تنفتح على الخطّ العام ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١٠). حتى ينفتح كلّ شعب على الشعب الآخر في تجاربه وخبراته وحاجاته وموارده ومصادره حتى يكون التعارف على أساس أن كلّ شعب يمنح الشعب الآخر بعض خصوصياته ويأخذ منه بعض خصوصياته.

ولذلك فليس في الإسلام مناطق مغلقة بأن تعيش في دائرة قطرك ولا شغل لك بالأقطار الأخرى، أو أن تعيش في داخل قوميتك ولا شغل لك بالقوميات الأخرى، أو في داخل أمتك ولا شغل لك بالأمم الأخرى، فالعالم يعيش نوعاً من التداخل والتشابك في مصالحه لاسيما في هذا العصر، فلا بدّ للإنسان أن يعيش هذا الانفتاح، ولعلّ من أعظم الذين ركّزوا هذه القاعدة هو علي عليه السلام في عهده إلى مالك الأشتر عندما يقول ((فإنّ الناس صنفاً إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق))^(١١). أي انفتح على الناس كلّهم.

يقول رسول الله ﷺ ((من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم)) فهذا الحديث يريد أن ينفي المسألة الطائفية والمذهبية والإقليمية والقومية التي جعلت كلّ فريق ينغلق على الفريق الآخر، فالآن المسلمون يعانون أشدّ المعاناة في فلسطين في مواجهة الصهيونية، وبعض العرب يقولون ما دخلنا نحن فلنا مشاكلنا المحلية أو الإقليمية أو الدولية، وقد يقول البعض إن الفلسطينيين سنّة ونحن شيعة، كما كان يقال - أثناء الحرب العراقية الإيرانية - عن العراقيين أنهم سنّة وأن الإيرانيين شيعة، وما إلى ذلك من اللغة المتداولة في عالم العصبية المذهبية

(١٠) الحجرات: ١٣.

(١١) شرح نهج البلاغة، ج ١٧، ب ٥٣، ص ٣٢.

والطائفية والعرقية.

فقد تصلّي وتصوم ولكن لا تتحرك نبضات قلبك لما يحصل للمسلمين هنا وهناك، لأنّ الأمة الإسلامية واحدة، ولأنّ ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمّى والسهر))^(١٢). وهذا يعني أن صلاتك وصومك لم تنطلق بك إلى الآفاق الأرحب لتعيش هموم المسلمين وقضاياهم من خلال هذه الصلاة وهذا الصوم.

((ومن سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين)) يستغيث بهم ليعينوه ويساعدوه وأن يقفوا معه ((فلم يجبه فليس بمسلم))^(١٣) وهذا يعني أنّ على المسلم أن يتفاعل مع الواقع الإسلاميّ كلّ في آلامه كلّها ومشاكله كلّها، حتى يمكننا أن نأخذ من هذه القاعدة النبوية أنّ على المسلم أن يكون له الوعي السياسي لقضايا المسلمين كلّها، فإنّ عليك أن تتابع الاذاعات والتلفازات والصحف لتراقب واقع المسلمين في العالم، ليكون لك من خلال وعي قضاياهم موقف المشاركة في حلّ مشاكلهم.

وسنواصل الحديث في هذا المجال في الأسبوع القادم إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

(١٢) أصول الكافي. ج ٣. ص ١١٩. ب ٢١. ح ٣.

(١٣) أصول الكافي. ج ٢. ص ١٦٤. ح ٥.

المفهوم الأصيل للإيمان

○ الإيمان ليس مجرد كلمة

طائرة في الهواء، وليس مجرد

ممارسات لا روح فيها - ولكنه كلمة

وعقيدة وموقف وسلوك ○

➤ تنمة البحث.

➤ الإسلام باللسان.

➤ إحصاء العثرات.

➤ خيانة الأمانة.

➤ الغش.

➤ التفتير على العيال.

➤ الجلا الجائع.

➤ الإضرار بالآخرين.

➤ الدعوة إلى عصبية.

➤ الوقعة بين الزوجين.



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

نقمة البحث:

كنا نتحدث حول ما إذا كان الانتماء إلى الإسلام يمثل النطق بالشهادتين وممارسة العبادات، أو أنه أعمق من ذلك بحيث يفتح على أصالة الإنسان في فهمه لنفسه ولخطئه ولعمله، وفي علاقته بالآخرين، وفي اهتمامه بالواقع الإسلامي كله وبالمسلمين جميعاً. وهذا ما تحدثنا عن جانب منه في أحاديث النبي ﷺ والأئمة من أهل البيت ﷺ الذين يمثلون رسول الله ﷺ في كل ما حدثوا به وساروا عليه، ولذلك فإننا نحاول أن نستكمل هذا الحديث بملاحقة الكلمات النورانية التي جاءت عن رسول الله ﷺ وعن الأئمة من أهل البيت ﷺ.

الإسلام باللسان:

ففي الحديث عن الإمام الباقر ﷺ: ((قال، قال رسول الله ﷺ: يا معشر من أسلم بلسانه ولم يسلم بقلبه)). فلقد كان يخاطب الناس الذين كان الإسلام عندهم كلمة ولم يكن فكراً وعقلاً وعمقاً في الوعي ((لا تتبعوا عثرات المسلمين فإنه من تتبع عثرات المسلمين تتبع الله عثرته ومن تتبع الله عثرته يفضحه))^(١) إنه يريد أن يقول إن من يتبع عثرات المسلمين بحيث يحصي عليهم أخطاءهم وزلاتهم وعيوبهم ليلاحقهم بها وليوبخهم وليغيرهم وليبتزهم بذلك، فهو لا يمثل الإنسان المسلم الذي يعيش معنى الإسلام في عقله وفي قلبه، ولذلك خاطبهم بالقول ((يا معشر من أسلم بلسانه ولم يسلم بقلبه)) فكأنه يقول لهم إنني أحذركم مما أنتم فيه من تتبع عثرات المسلمين فإن الله سبحانه وتعالى قد

يجازيكم بمثل ما فعلتم تجاه المؤمنين في الدنيا قبل الآخرة، فإذا أردتم من تتبع عثرات المؤمنين أن تفضحوهم فإن الله الذي يعلم السرّ وأخفى، وهو المهيمن على كلّ شيء، سوف يفتح النافذة للناس على عثراتكم ليفضحكم بها، وهو القادر على ذلك كلّهُ.

ولعلّ النبي ﷺ عندما تحدث بهذا الحديث في زمنه كان يشير إلى ظاهرة بدأت تفرض نفسها على الواقع الإسلامي مما كان فيه بعض المسلمين يعيشون بعض أخلاق الجاهلية، وهؤلاء الذين سمّاهم القرآن بالمسلمين ولم يسمّهم بالمؤمنين «قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا» أي دخلنا في الإسلام سلماً لنحصل على امتيازات الإسلام وعلى مكاسبه، ولنتفادي كلّ ما قد يحصل لغير المسلم في مسائل الحرب والسلام «وَلَمَّا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ»^(٢).

وأظنّ أنّ هذه الظاهرة منتشرة بين المؤمنين من المذاهب كلّها، فالمسلمون الذين لا يعيشون الإيمان مسؤولية في عقولهم وفي سلوكهم فانهم يعيشون مثل هذه الظاهرة، ولذلك أصبحنا في عصر لا يأمن فيه الإنسان في المجتمع المسلم على نفسه ممن يتجسسون عليه لحساب عقدهم النفسية، أو لحساب فضولهم الشخصي، أو لحساب مصالحهم الخاصّة في ابتزاز هذا وذاك، فهم لا يتجسسون لصالح جهاز مخابرات هنا وجهاز آخر هناك، ولذلك فإنّ النبي ﷺ يحذّر من أمثال هؤلاء سواء ممن كانوا في الماضي أو في الحاضر أو ممن يعيشون في المستقبل.

إحصاء العثرات:

وهناك حديث قريب إلى هذا الحديث وهو أخطر منه، أي أنه ينطلق في أجواء الحديث السابق ولكنّ خطورته على الإنسان المسلم أكثر، ففي الحديث عن الإمامين الباقر والصادق ﷺ قالوا: ((أقرب ما يكون العبد إلى الكفر)) أي أن

الفاصل بينه وبين الكفر يتمثل من خلال أخلاقية الكفر في أخلاقه ((أن يؤاخي الرجل على الدين)) فقد يصادق إنسان مسلم إنساناً آخر على أساس أنه مسلم، وذلك يصلي وهذا يصلي ((فيحصى عليه عثراته وزلاته)) أي يحاول أن يستغل هذه الصداقة والمؤاخاة التي ينكشف بها الإنسان على صديقه وأخيه في الإيمان بحيث يفشي له أسرارهِ ويطلعه على عيوبه وأخطائه وعثراته، أو أنّ وحدة الحال بينهما تجعله يطلع على ما يستره الإنسان عادة على الناس ((ليعنّفه بها يوماً ما)). فإذا جاء الوقت الذي تنفصم فيه عرى هذه العلاقة فإنّه يحاول أن يعنّفه ويعيّرهِ ويفضحهُ بها . فلماذا كانت هذه الصفة أقرب إلى الكفر؟

لأنّ الإيمان يجعلك أخاً للمؤمن «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ»^(٣) . والاخوة بحسب طبيعتها عندما تكون في النسب وتمتد إلى الإيمان فإنّها تمثّل علاقة عميقة بين الشخصين بحيث تكون كرامة هذا الأخ كرامته، ويكون شأنه شأنه، وهذا ما ورد عندنا في أكثر من حديث ربط بين الإيمان وبين انفتاح الإنسان على أخيه كما في الحديث النبوي الشريف ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره ما يكره لها))^(٤) . ومن الطبيعي أن تحب من أخيك أن يحفظ سرّك، وأن يستر عيوبك، وأن لا يفضحك ولا يعيّرَكَ أو يعنّفَكَ بما يطلع عليه من حالكَ، وطالما أنك تكره لنفسك أن يعاملك بهذا، فعليك أن تحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لها .

وفي العلاقة بين المؤمن والمؤمن نقرأ الحديث النبوي الشريف الآخر الذي يقول: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى))^(٥) . ولذلك فإنّ الإنسان الذي يعامل أخاه بروح عدوانية هو إنسان لا يعيش معنى الإيمان في علاقته به، لأنّ

(٣) الحجرات: ١٠ .

(٤) أصول الكافي، ج ٦، ص ٥٦، ح ٢٣ .

(٥) بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ١١٩، ب ٢١٩، ح ٣ .

المفروض أن يعيش المؤمن مع أخيه بروح رحمانية تفتح في لقائهما على أساس العلاقة بالله، لأنّ علاقة الاخوة في الإيمان أعمق من علاقة الأخوة في النسب، لأنّ علاقة الاخوة في النسب هي علاقة ترتبط بوحدة الدم، بينما علاقة الاخوة في الإيمان فترتبط بالله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ وبكلّ هذه السلسلة المباركة من أولياء الله. ولذلك فإنّ انتماءك للإسلام يفرض عليك أن تعيش مسؤوليتك تجاه أخيك المؤمن في أن تحفظه وتصوره وتستتر عليه ما تعرف من زلّاته، وأن لا تكون مشاعرك معه على أساس أن تتبّع عثراته لتعنّفه بها يوماً ما، فهذا ممّا يدخل في عمق الانتماء الإسلامي.

خيانة الأمانة:

وهناك أيضاً حديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال، قال رسول الله ﷺ ((ليس منّا من أخلف بالأمانة))^(٦). وفي حديث آخر أيضاً ((ليس منّا من يحقر الأمانة حتى يستهلكها إذا استودعها))^(٧) وهو ذاك الذي لا يحترم الأمانة إذا أودعت عنه بحيث يستهلكها ويتلفها ويضيّعها.

وفي حديث آخر ((ليس منّا من خان مسلماً في أهله وماله))^(٨). فهذه ثلاثة أحاديث تسير كلّها في اتجاه واحد. وهناك حديث رابع مشهور أيضاً ((لا دين لمن لا أمانة له وإن صام وصلى))^(٩). وهذا أمر تفرضه طبيعة الالتزام بالخط الإسلامي لأنّ مسألة الأمانة هي مسألة تتصل أولاً بالقيمة الإنسانية في احترامك لنفسك، وبالقيمة الاجتماعية الروحية في احترامك للآخرين ولا سيما للمجتمع المسلم من حولك، أمّا القيمة الإنسانية في احترامك لنفسك فلأنّ الإنسان إذا قبل الأمانة والتزم بها فإنّ معنى ذلك أنّه يعطي كلمته وعهده والتزامه بأنّه سيحفظها.

(٦) أصول الكافي. ج ٥. ص ١٣٣. ح ٧.

(٧) بحار الأنوار. ج ١٧. ص ١٥٦. ب ٧٩. ح ٤.

(٨) بحار الأنوار. ج ١٩. ص ١٨٧. ب ١٢. ح ٦.

(٩) بحار الأنوار. ج ١٠. ص ٢٧٥. ح ٢.

فالإنسان الذي يعيش احترام إنسانيته هو الذي يعيش احترام كلمته، لأنّ الإنسان هو كلمة، بمعنى أنّ الكلمة موقف وليست مجرد لقلقة لسان، فكلمتك تعني أنّك جعلت كيالك كلّ ونبضات مشاعرك وأحاسيسك في قلب هذه الكلمة التي أعطيتها، فكلمتك هي أنت فإذا أهدرت كلمتك فكأنّك أهدرت إنسانيتك وذاتك، أي أنّك لم تحترم نفسك. أمّا ما تمثله الأمانة من القيمة الاجتماعية، فلائلك عندما تتحسس وجودك كجزء من المجتمع ترى أنّ كلّ واحد منّا هو فرد في حياته الخاصّة أي في أكله وشربه وملذاته ونومه ويقضته، ولذلك فهذه هي مظاهر فرديتك، ولكّلك جزء من عائلة وجزء من محلّة وجزء من وطن وجزء من أمة، فكونك من قلب هذا المجتمع، حيث ولدت من الخلية الاجتماعية الأولى التي هي أبوك وأمك، ثم تحركت في الخلية الثانية وهم إخوانك وأخواتك، ثم انفتحت على الخلية الثالثة وهي زوجتك وأولادك، ثم انتقلت إلى المجتمع من خلية صغرى إلى خلية كبرى، فأنت جزء من المجتمع كما أنّ يدك جزء من جسديك، وإذا كنت جزءاً من المجتمع فمن الطبيعي أن يتحمّل الجزء مسؤولية الكلّ فيحفظ الكلّ بقدر ما يتصل الأمر بالطاقة التي يملكها الجزء، ولعلّ من الطريف أن بعض الأحاديث تقول إنّ ((اللسان يشرف في كلّ يوم على بقية الأعضاء ويقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون: نحن بخير ما تركتنا)). أي وفّر علينا ما يقطع رجلاً أو يداً أو يجرّ مصيبة.

وكذلك اليد إذا سرقت فإنّها قد تودع الجسد كلّ في السجن، فأنت من خلال كونك جزءاً من المجتمع عندما تلتزم، ولو بلحاظ بعض أفراد، بأن تقي بما ائتمنتك عليه من مال أو أهل أو إدارة أو سرّ، فلا بدّ أن تحفظ هذا المجتمع في بعض أفراد أو في كلّ أفراد خصوصاً إذا كانت الأمانة أمانة الأمة كلّها، لأنّ الخيانة هنا قد تؤدي إلى الكثير من العقوبات والسلبيات في حياة الأفراد في المجتمع، لذلك كانت الخيانة من الأمور التي حذّرت كلّ الديانات منها، وقد ورد في الآية الكريمة «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ^(١٠). «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا»^(١١). وهي إن كانت في ظهورها الأولي تتصل بأمانة المال ولكنها تتسع لتشمل كل مسؤوليات الإنسان، وهذا ما عبّرت عنه الآية الكريمة «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا»^(١٢). وفُسّرت كلمة الأمانة هنا بالمسؤولية، فكأنَّ الله سبحانه وتعالى أراد أن يبيّن - ولو على نحو الكناية - ثقل المسؤولية من خلال عرضها على هذه الكائنات الضخمة التي رفضتها قاطبة وقبلها الإنسان.

فليس من الإسلام والمسلمين من خان أمانة المال الذي يؤتمن عليه، وأمانة الأهل والعرض والإدارة والمسؤولية في القضايا الاجتماعية، وأمانة السياسة والحكم، فكلّ من خان الأمانة فيما أوتمن عليه فليس من المسلمين بالمعنى القيمي العميق للإسلام.

الغش:

وفي الحديث أيضاً ((ليس منا من غش مسلماً)). وهو الغش بالمال، كمن يحاول أن يخلط الجيد بالرديء ويبيعه على أساس أنه جيد، أو يغش على أساس أنّ ما يقدمه إليهم من صناعة بلاد معينة وهو من صناعة محلّية بحيث يضع علامة البلد الذي يدّعي أنّه هو الذي صنّع تلك البضاعة، وما إلى ذلك مما يتعامل به الناس.

أو يغشّ الناس في رأيه، فقد يطلب منه صاحبه النصيحة فيغشّه، وقد ورد في الحديث ((من استشاره أخوه المؤمن فلم يحضه النصيحة سلبه الله رأيه))^(١٣). وتمتد المسألة إلى الغش في الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي بحيث لا يكون هذا الإنسان ناصحاً للمجتمع.

(١٠) الأنفال: ٢٧.

(١١) النساء: ٥٨.

(١٢) الأحزاب: ٧٢.

(١٣) بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٩٣، ح ٤، ب ٦.

وقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ قال ((الدين النصيحة، قيل لمن؟ قال لله ورسوله ولأئمة المسلمين))، وفي بعض الأحاديث ((وللمسلمين))^(١٤).

وفي الجانب الأخلاقي الاجتماعي في اختلاف العلاقة بين الجيل القديم والجيل الجديد وعلاقة هذا بذاك، ورد عن النبي ﷺ أنه قال: ((ليس منا من لم يبجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعاننا))^(١٥). فالشخص الذي يحترم الكبير من خلال سنّه وتجربته ومعرفته، ويرحم الصغير بحيث يقدر قلة تجربته وصغر عقله وظروفه النفسية، ويعرف علم العالم هو إنسان مسلم يستحق معنى الانتماء للإسلام، فهذه من العناصر الإنسانية التي تستدعي احترام الكبير في ضعفه وفي تجربته التي خاضها في سنيّ حياته الطويلة.

وعلى الكبير أن لا يعامل الصغير كما يعامل الكبار ولا يحملّه المسؤولية كما يحملّها الكبار بل يدرس تركيبة ذهنيته ومستوى عقله وحاجته إلى الرحمة والحنان والعطف، ولا بدّ للكبار دائماً أن يتذكّروا كيف كانوا صغاراً، وكيف كانوا يعيشون المشاعر المؤلمة عندما كان آباؤهم يعاملونهم بقسوة ولا يرحمونهم ليتعاملوا مع أولادهم على هذا الأساس.

وقد ورد عن النبي ﷺ ((من كان عنده صبيّ فليتصاب له))^(١٦). أي لا بدّ أن تتقمّص شخصية الطفل فتخاطبه كما لو كنت طفلاً يخاطب طفلاً، وتلعب معه كما يلعب الطفل مع الطفل، وتدرس حاجاته النفسية تماماً كما هو الطفل عندما يتحرّك مع حاجات زميله الطفل الآخر، لكن مشكلة بعض الآباء أنّه يريد لطفله أن لا يلعب ولا يتكلم ويعتبر ذلك من الآداب، وربما إذا لعب ضربه أو عنفه، ولهذا فقد ينشأ بعض الأطفال معقّدين لأنّ الآباء لم يسمحوا لهم بأن يحققوا حاجاتهم إلى اللهو واللعب لأنّهم كبّتوا مشاعرهم وحاجاتهم الطبيعية نتيجة القسوة البيئية،

(١٤) أصول الكافي، ج. ٨، ص ٤٥٤. ح ٥٥٥. ب. ٦٠.

(١٥) التهذيب، ج. ٦، ص ١٠٨. ح ٧٢٢. ب. ٢٢٠.

(١٦) الفقيه، ج. ٣، ص ٤٨٣. ح ٤٧٠٧. ب. ٢٠.

فاللعب هو جزء من غذاء الطفل، ونحن نعامل الأطفال كما لو كانوا كباراً، وقد نقل أحد المفكرين هذه الحالة وهو يتكلّم على لسان طفل حين يقول: مشكلتنا مع الكبار أنهم يحملوننا مسؤولياتهم ولا يعطوننا امتيازاتهم!!

التقدير على العيال:

وهناك حديث آخر يتصل بمسؤولية الإنسان عن عائلته، وهذا هو نموذج للإنسان الذي يرزقه الله مالاً ولكنّه يقتّر على عياله، في حين أن عيالك هم أمانة الله عندك على أن تُهيّأ لهم الحياة الكريمة في حاجاتهم الطبيعية والنفسية والتربوية والكمالية في مرحلة إعالتك لهم وذلك عندما لا يكونون قادرين على الاستقلال بأنفسهم في رعاية أمورهم، فعليك أن تفهم أنّ الله عندما يرزقك فإنّ الرزق ليس فقط من أجل سواد عيونك، ولكنّ الله ينزّل المعونة بقدر المؤونة. فكما أنّ بعض الدول تقدم مساعدات اجتماعية للأب بمقدار ولأم بمقدار وللطفل بمقدار، فالله عندما تتزوج ويكون لك أولاد يفرض لك ولزوجتك ولأولادك مالاً يغطي حاجاتكم جميعاً، فعندما تبخل على زوجتك وأولادك بما رزقك الله من مال فأنت تسرقهم مما رزقهم الله على يديك، وهذا مما يجب أن يفهمه أرباب الأسر والعوائل، فعندما يكون لديك مال وتلعب به قماراً تذكر أن المال هو من الله حتى تعيل به نفسك وعيالك فليس لك حقّ التصرف المطلق به أو تبذيره على ملذاتك الذاتية، ولذا يقول تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾^(١٧). فالرزق الذي ينزله الله هو للأسرة جميعاً فلولدك حصّة في رزقك ولزوجتك حصّة في رزقك، ولا نقول حصّة بالمعنى القانوني ولكنها حصّة من منطلق المسؤولية والرعاية الاجتماعية باعتبار أن الله حمّلك مسؤولية إعالتهم.

فالنبي ﷺ يقول ((ليس منّا من وسّع عليه ثم قتر على عياله)). وفي الاتجاه نفسه يقول ﷺ وهو موجّه لكلّ الذين يضيّقون على عيالهم بحيث يصرفون أموالهم في الخمر والقمار واللغو والعبث فيما عيالهم يتضوّرون جوعاً ((ملعون

ملعون من ضيع من يعول))^(١٨). واللعنة حينما تأتي من رسول الله ﷺ فهي عن الله لأنه «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ»^(١٩).

الجار الجائع:

وهناك أيضاً حديث يتحرّك في جوّ التكافل الاجتماعي، فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ ((ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع، وما آمن أهل قرية يبيت فيهم جائع ينظر الله اليهم يوم القيامة))^(٢٠) فإذا كان هناك تكافل اجتماعي فإنّ أهل المحلّة والقرية يتعاونون فيما بينهم حتى لا يبقى جائع فيهم، وإذا لم يتمكن الفرد من إعالة الجائع فإن بإمكان القرية أن تعيله وتطعمه.

الإضرار بالآخرين:

وفي حديث آخر ((ليس منّا من غش مسلماً أو ضره)). بأن يتصرّف معه بما يضرّه في ماله أو نفسه أو في عرضه أو في جاهه ((أو ماكره))^(٢١). ومعنى المكر هو أن يخطط الخطط التي تؤدي إلى نتائج سلبية في حياة الإنسان الذي يكر به.

الدعوة إلى عصبية:

وفي الحديث عن النبي ﷺ ((ليس منّا من دعا إلى عصبية))^(٢٢) وما أكثر العصبية عندنا.. فنحن مجتمع العصبية: العصبية الشخصية، والعصبية الحزبية، والعصبية الطائفية والمذهبية والقومية والاجتماعية، وفي كلّ يوم نستحدث عصبية جديدة.

فلا بدّ للمسلم أن لا يتعصّب، وقد ذكرنا أكثر من مرة أنّ هناك فرقاً بين الالتزام وبين التعصّب، فمن حقّ الإنسان أن يلتزم ما يؤمن به، أو يلتزم بمن يؤمن

(١٨) أصول الكافي. ج. ٤. ص ١٢. ح. ٩.

(١٩) النجم: ٣-٤.

(٢٠) أصول الكافي. ج. ٢. ص ٦٦٨. ح. ١٤.

(٢١) الفقيه. ج. ٣. ص ٢٨٣. ح. ٣٩٨٦. ب. ٢.

(٢٢) بحار الأنوار. ج. ٧٣. ص ٢٨٣. ح. ١٣٣. ب. ١٣٣.

من هم المؤمنون؟

○ المضمون لا الشكل هو الذي

يحوّل الذات المؤمنة إلى تجسيد

حيّ للإيمان ○

- ١. تعظيم الله.
- ٢. التوحيد في الحب.
- ٣. الإيمان والتوكل.
- ٤. الإيمان والصلاة.
- ٥. الإيمان والإنفاق.
- ٦. الإيمان والصدق.
- ٧. الإيمان والعلاقة بالآخرين.



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

لا نزال مع المفهوم الأصيل للإيمان الذي يؤكد على أن الإيمان ليس كلمة ولا مجرد شكل، ولكنه المضمون الذي يحول الذات المؤمنة إلى تجسيد حي للإيمان، بحيث إنك تتمثل الإيمان عندما ترصدها وتعيش معها.. فالمضمون، لا الشكل فقط، هو الأساس. وقد سبق أن تحدثنا عن ذلك في الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ وعن الأئمة من أهل البيت ﷺ.

تعظيم الله:

وفي السير نحو هذا المضمون الأصيل للإيمان في شخصية المؤمن مع القرآن الكريم، نرى أن هناك عدة آيات تحصر المؤمن في نموذج خاص، نفهم منه أن الذين لا ينطبق عليهم هذا النموذج خارجون عن مصطلح الإيمان في أصالته ونقائه.

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ وكلمة ﴿إِنَّمَا﴾ تفيد الحصر، أي أن المؤمنين هم هؤلاء لا غيرهم ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(١). أي هم الذين تجسدت عظمة الله في عقولهم وفي قلوبهم وفي مشاعرهم حتى أضحوا يعيشون حضور الله كما لو كان ماثلاً - بكل أسرار عظمتة - أمامهم. ومن الطبيعي أن هذا النوع من الإحساس بحضور الله في مواقع عظمتة في النفس لابد أن ينتهي إلى هذه النتيجة، حيث يشعر الإنسان بوجل القلب، وأن عقله يعيش هذه الهيبة وهذا التعظيم لله سبحانه وتعالى، بحيث يخاف أن تتحرف مسؤوليته أمام الله عن الخط.

وهذا هو الذي درج القرآن عليه في تربية عظمة الله سبحانه وتعالى في نفس الإنسان المؤمن. فنحن نلاحظ الآيات التي تتحدث عن أسرار عظمة الله في الكون فتدعو الإنسان إلى أن يفكر ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾^(٢).

وهكذا يستعرض لنا القرآن نعم الله بحيث يحس الإنسان إحساساً مباشراً - في حجم اللحظة - أن حياته مرتبطة بالله ارتباطاً عضوياً - إن صح التعبير - ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾^(٣). ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٤). وهو أن تستحضر كل شيء يتصل بوجودك لتجد أن الله وحده الذي أعطاك إياه وهو الذي يهيمن عليه.

التوحيد في الحب:

ونجد أيضاً أن القرآن الكريم يتحرك ليحدثك عن الله سبحانه وتعالى في صفاته وأسمائه الحسنی التي تستوحي من كل واحد منها هذا النوع من صفات الحمد، فتشعر بأن الله وحده في الكون، وما عداه فهو ظلّ له من خلال الجانب المعنوي لا الجانب المادي، حتى أن القرآن تحدث عن الخوف تارة وعن الحب أخرى بحيث أنه وجه الإنسان إلى أن لا يحب أحداً في مستوى الله، فكما تكون موحداً في العقيدة وفي العبادة وفي الطاعة فإن عليك أن تكون موحداً في الحب أيضاً ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^(٥). حتى أنه أراد للإنسان عندما يتوجه إلى الله أن لا يتوجه لغيره في الكون مهما عظم ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾^(٦). وحتى أننا في التشهد عندما نذكر رسول الله ﷺ نقول: ((أشهد أن محمداً عبده ورسوله)). لئلا تفرض

(٢) آل عمران: ١٩١.

(٣) النحل: ٥٣.

(٤) النحل: ١٨.

(٥) البقرة: ١٦٥.

(٦) الجن: ١٨.

شخصية رسول الله ﷺ في مواقع عظمتها نفسها علينا بالنحو الذي يجعلنا نرتفع به إلى ما يقرب من الله، ولذلك فإنَّ أيَّ نوع من إعطاء المخلوق شيئاً من صفات الخالق بحيث يقترب من الخالق هو أمر على خلاف القرآن.

وكلّ ذلك من أجل أن تتربّى عظمة الله في نفس الإنسان المؤمن، لماذا؟ لأنّ الدين لا يتحرك مع الإنسان من خلال القوة المادية، فهو لا يفرض عليك إيمانك وامتداداته كلّها من خلال قوة تسيطر عليك، بل إنّه يريد لك أن تكون المؤمن بعفويتك وبساطتك وفطرتك وإنسانيّتك، وأن يقودك إيمانك في عقلك وقلبك لتتحرك كما هو النبع عندما يجري ويمتدّ في الأرض، لذلك فالإسلام ينطلق من قاعدة واحدة وهي الله سبحانه وتعالى، وهذا ما عبّرت عنه الآية الكريمة «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا»^(٧). فالإسلام يتلخّص في قوله تعالى ((رَبُّنَا اللَّهُ)). وعليك أن تستقيم عليه، أي أن تكون حياتك كلّها سائرة في خطّ ((رَبُّنَا اللَّهُ)) وعندما تفكّر، وعندما تتعاطف، وعندما تمارس حياتك، وعندما تؤيّد وترفض، وعندما توالي وتعاود.. فكلّ شيء لا بدّ أن يمرّ عن طريق الله، فلا تفسح المجال لأيّ شخص أن يدخل عقلك ليهيمن عليه، وأن يدخل قلبك ليهيمن عليه، أو ليدخل إلى حياتك ليهيمن عليها إذا لم يدخل عن طريق الله سبحانه وتعالى، ولذلك فإننا ندخل الأنبياء ﷺ في عقولنا لأنّهم أنبياء الله ورسله، وندخل الأولياء في عقولنا لأنّهم أولياء الله، فليس هناك أحد يمكن أن تفتح عليه بشكل مستقل أمام الله عزّ وجل، أي ينبغي أن تؤدّي كل الطرق إليه وإلا زاغ الإنسان وضلّ وهوى.

ومن أساليب القرآن أنّه يحدثنا عن عظمة الله مقارناً بكلّ الذين يراهم الناس مظهرًا للعظمة حتى يصغر هؤلاء كلّهم ويبقى الله هو الكبير المتعال، وهذا هو الذي عبّر عنه الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في وصفه للمتقين ((عظم الخالق

في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم))^(٨) وهو ما عبّر عنه الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في دعاء يوم الفطر والجمعة ((كُلَّ جَلِيلٍ عِنْدَكَ صَغِيرٌ وَكُلَّ شَرِيفٍ فِي جَنْبِ شَرْفِكَ حَقِيرٌ))^(٩).

فالْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ هو الذي عاش الله في قلبه بحيث إذا ذكر الله تجلّت عظمة الله له فوجل قلبه «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ»^(١٠). ارتجفت .. خشيت .. خافت .. اهتزت تماما كما يهتز القلب أمام أي عظيم، ولقد ذكرنا مراراً أنّ القلب في القرآن يعبر عن المنطقة الداخلية من العقل والقلب والإحساس والشعور.

الإيمان والتوكل:

«وَإِذَا تَلَيْتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^(١١). وهؤلاء الذين انفتحت عقولهم على آيات القرآن التي تتحدث عن الله في وحدانيته وعظمته بحيث إنّ الإنسان المؤمن عندما يقرأ القرآن. أو عندما يستمع إليه، فإنّه يستمع إليه استماع من يريد للقرآن أن يفتح عقله كلّه ليقويّ إيمان عقله ويفتح مسامع قلبه كلّها ليقويّ إيمان قلبه، فهو لا يمرّ على القرآن مرور الكرام ولكنّه يعتبره مدرسة ثقافية للإيمان بحيث يتثقف إيمانياً من خلال القرآن، لأنّ الإنسان عندما يفتح ثقافياً على المضمون القرآني فإنّه يفتح على الثقافة التوحيدية التي لا تحريف فيها، ذلك لأنّ القرآن هو كتاب الله الذي «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ»^(١٢). بينما تواجه مشكلة الوضع في الأحاديث، فلا يصحّ الحديث إلا بعد عرضه على كتاب الله فإن وافقه أخذنا به وإن خالفه ضربنا به عرض الجدار.

(٨) شرح نهج البلاغة. ج ١٠. ب ١٨٦. ص ١٣٣.

(٩) الصحيفة السجادية: ص ١٨٢. د ٤٦٥ دعاؤه للعبيد والجمعة. س ٤-٥.

(١٠) الأنفال: ٢.

(١١) الأنفال: ٢.

(١٢) فصلت: ٤٢.

فكلّما قرأوا القرآن أو استمعوا إليه ازداد إيمانهم «وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». فهؤلاء الذين يتوكلون على الله بحيث يضعون حياتهم كلّها بين يديه سبحانه وتعالى لا توكل الإنسان الذي يريد من الله أن يقوم نيابة عنه بمسؤولياته، ولكنّه التوكل النابع من الاعتقاد أنّ الله هو الذي يهيمن على الأمر كلّ، وأنّه مسبب الأسباب ومقتنّ القوانين الكونية، ولذلك فإنّه عندما يأخذ بالأسباب التي جعلها الله بين يديه في سننه وفي حركة الإنسان في الحياة، فإنّه في تحريكه لهذه الأسباب يعيش التوكل في عمق حركية الاستخلاف، وتبقى حركته في الخط الذي رسمه الله بحيث تؤدّي إلى النتائج المطلوبة.

وعندما تكفّ الأسباب عن أن تصل إلى النتائج الحاسمة لأنّ هناك مستقبلاً يحوطه الضباب، ولأنّ هناك شيئاً خارج قدرات الإنسان، فعند ذلك يتوكل على الله فلا يلتفت يمنة ولا يسرة، وإنّما يتجه إلى الله سبحانه وتعالى وحده في صراط مستقيم لا تتفرّق به السبل.

الإيمان والصلاة:

«الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ»^(١٣). لأنّ الصلاة تمثل هذا الأسلوب التعبيري العميق عن الإيمان، ولهذا جعل الإسلام الصلاة أساساً للإيمان لأنّها هي التي تجعلك، من خلال الحضور بين يدي الله، تستحضر إيمانك كلّ، فلماذا لم يجعل الله الصلاة صلاة واحدة؟ لماذا هذه الصلوات الخمس بالإضافة إلى النوافل والمستحبات؟ لعلّ السبب في ذلك هو أن الصلاة لا بدّ أن ترافق مفردات الحياة كلّها، بأن ترافق صباحك وظهرك وعصرك ومغربك وعشائك، وإذا أضفت إليها صلاة الليل فإن معنى ذلك أنك تعيش من خلال الصلاة في انسجام روحيّ يجذبك إلى الله عندما يحاول الشيطان أن يجذبك إليه، وهذا يعني أن تعيش صلاتك في يومك كلّ وأن تعيش يومك في صلاتك كلّها.

ولقد اختار الله سبحانه وتعالى للمسلمين صلاة فيها كلّ وسائل التعبير عن

العبودية له - جلّ شأنه - ، فالأذان والإقامة يدخلانك في مناخ الصلاة من خلال تكبير الله وتوحيده، وشهادتك بالرسالة ودعوتك نفسك أن تقبل على الصلاة، ثم تبدأ صلاتك بالتكبير وتشرع بالفاتحة وسورة من بعدها لتعيش أجواء القرآن بكلّ القواعد الفكرية الإسلامية التي تشتمل عليها آيات القرآن بحيث تكون الصلاة مدرسة ثقافية تستحضر فيها مفاهيم القرآن، ثم هذا الإسبال في الصلاة الذي هو مظهر من مظاهر التسليم لله، ثم الركوع الذي يمثل حالة من الانحناء والسجود الذي يمثل انحناء تامة تعبّر عن غاية الخضوع للخالق العظيم، ولذلك جعل الله الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر لما فيها من هذا التسليم التام لله والذكر الكبير له والمفاهيم الإسلامية الأساسية. ولذلك جاء في الحديث ((من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد عن الله إلا بعداً))^(١٤). أو الحديث الآخر ((الصلاة عمود الدين ان قبلت قبل ما سواها وإن ردت ردّ ما سواها))^(١٥).

الإيمان والإنفاق:

ويقول تعالى في وصف المؤمنين أيضاً «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ»^(١٦). فالمؤمن هو الذي لا يعيش حالة البخل واليد المغلولة إلى العنق، بل يرى أن الله رزقه المال من أجل أن يلبي حاجاته وأن ينفق على عياله وفي مجالات الخير والبرّ الواسعة. وقوله تعالى «وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» توحى بأن الإنسان عندما ينفق فإنه لا ينفق من ماله وإنما ينفق من مال الله، وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم بشكل صريح «وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ»^(١٧). «وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ»^(١٨). ولذلك فإن الإنسان المؤمن هو الذي يعيش روحية العطاء بحسب البرنامج الذي وضعه الله له.

(١٤) أصول الكافي، ج. ٢، ص ٤٩٥، ح ١٩.

(١٥) التهذيب، ج. ٢، ص ٣٣٧، ح ١٢٦.

(١٦) الأنفال: ٣.

(١٧) الحديد: ٧.

(١٨) التور: ٣٣.

﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ فهؤلاء الذين تتمثل فيهم هذه الصفات هم الذين يمكن أن نصفهم بالمؤمنين ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(١٩).

الإيمان والصدق:

ويحدثنا الله عن أن المؤمنين لا يكذبون وإنما الذين يكذبون هم غير المؤمنين: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾^(٢٠). لأن الإنسان المؤمن هو الذي يلتزم بالحق لأن الله هو الحق، ولذا ورد في بعض الأحاديث ((لا يكذب الكاذب وهو مؤمن))، أي عندما يكذب المؤمن فإنه يخرج من معنى الإيمان في نفسه.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾. فالله يتحدث عن هذه الفئة من الصحابة الأبرار الذين انطلق بعضهم في خطّ الجهاد، أو الذين آووا المهاجرين ورسول الله ﷺ ونصروا الإسلام بكل ما يملكون من طاقة ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(٢١).

الإيمان والعلاقة بالآخرين:

وفي آية أخرى يربط الله سبحانه وتعالى بين صدق الإيمان وبين طبيعة العلاقة مع الذين حادوا الله ورسوله، أي الذين كفروا بالله وأشركوا به، بأن لا تعيش المودة لهم، وإلا فكيف يجتمع رفضك للكفر كله مع المودة التي تمثل عمق الإخلاص والمحبة في قلبك، للذين يكفرون بالله ورسوله ويضادون الله ورسوله؟، فالإمام علي عليه السلام يقول في هذا المجال: ((أصدقاؤك ثلاثة: صديقك وصديق صديقك وعدو عدوك، وأعداؤك ثلاثة: عدوك وصديق عدوك وعدو صديقك)) فإذا كان صديق عدو صديقي فكيف بعدو الله؟ وهل هناك صداقة أعظم من صداقتنا لله؟ فكيف نوالي أو نواد من عاداه؟ يقول الإمام علي بن الحسين عليه السلام في

(١٩) الأنفال: ٤.

(٢٠) النحل: ١٠٥.

(٢١) الأنفال: ٧٤.

دعاء استقبال شهر رمضان: ((وَأَنْ نَسْأَلَكَ مِنْ عَادَانَا حَاشَا مِنْ عَوْدِي فِيكَ وَلَكَ، فَإِنَّهُ الْعَدُوُّ الَّذِي لَا نَوَالِيَهُ وَالْحَزْبُ الَّذِي لَا نَصَافِيَهُ))^(٢٢).

وقد يقول قائل إزاء ذلك: هل نبتعد عن إنسانيتنا وعن الانفتاح عمن نختلف معهم في العقيدة؟ هل ننزل عن الناس وعن المجتمعات غير الإسلامية؟ إنَّ الإسلام هنا يتحدث عن المودة، أي أن تكون عاطفة قلبك مع هؤلاء، لا عن المعاشرة والمشاركة والمواصلة التي تركز عليها المصالح العليا للإسلام والمسلمين، فأن تتفتح على عنصر الإنسانية في الإنسان فلا يعني المودة.

الآية تقول «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ» يتمتعون عن المودة لمن حادَّ الله ورسوله. «وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ» لأنهم عاشوا هذه الروحية التي ارتفعت إلى المستوى الذي تجعل فيه علاقتها بكلِّ الوجود من خلال علاقتها بالله. والإمام الباقر عليه السلام يقول في ذلك ((من كان ولياً لله فهو لنا ولي ومن كان عدواً لله فهو لنا عدو))^(٢٣). وهذه هي المعادلة لأنَّ القلب لا يحتمل أن تحبَّ الله وتحبَّ الشيطان «مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ»^(٢٤). الله ولي الذين آمنوا «وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ»^(٢٥) والله يريد لك أن تكون جاداً في إيمانك بحيث يكون الله في نفسك ولا شيء فيها يبعدك عنه.

«وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ». لأنه اطلع عليهم فرأى صدق الإيمان في قلوبهم «وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^(٢٦). أي الذين يتحرّيون عقلياً

(٢٢) الصحيفة السجادية. ص ١٦٧. ٤٤٥. دعاؤه لدخول شهر رمضان. س ١٤-١٦.

(٢٣) الاستبصار. ج ٤. ص ٢٦٣. ح ٤. ب ١٥٣.

(٢٤) الأحزاب: ٤.

(٢٥) البقرة: ٢٥٧.

(٢٦) المجادلة: ٢٢.

وشعورياً وعملياً لله فلا يتحزبون لغيره، بل حتى أعضاء الأحزاب الإسلامية إنما يتقربون إلى الله من خلال انتمائهم لهذه الأحزاب التي يتخذونها وسائل للوصول إلى مرضاته وتحقيق حكمه وشريعته، ولذلك تتساوى القيادة والقاعدة في هذه الأحزاب من حيث الطاعة لله والامتثال لشريعته، فالحزب الإسلامي ليس شيئاً قبال الله، وطاعته ليست في عرض طاعة الله، وإلا خرج عن كونه وسيلة، فهو تحزب لله وللإسلام وللرسالة.

فنسأل الله أن يجعلنا من هؤلاء حتى نحصل على رضوانه فيرضى عنا ونرضى عنه بأن نكون من حزبه كما في دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في يوم الثلاثاء ((اللهم اجعلني من جنديك فإن جنديك هم الغالبون، واجعلني من حزبك فإن حزبك هم المفلحون، واجعلني من أوليائك فإن أوليائك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)). والحمد لله رب العالمين.

عناصر الإيمان في شخصية المؤمن

○ ان تكون مؤمناً .. ان تلتزم

الإسلام كله .. لا ان تأخذ جانباً

وتترك جانباً آخر ○

- الالتزام بأوامر القيادة الشرعية.
- الصبر على الأذى.
- المنافقون كطابور خامس.
- الإيمان التزام كله.
- طاعة الرسول ﷺ
- الاحتكام إلى الرسول ﷺ في المتلعات.
- الإيمان والحرية.



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

ونبقى مع كتاب الله نستنطقه ونستلهمه ونستوحيه في العناصر التي تمثل
الشخصية الحقيقية للإنسان المؤمن، لأننا ذكرنا أن هناك عناصر أساسية لا بدّ
للمؤمن أن يتصف بها ليتمكن أن تصدق عليه هذه الصفة وإلا فإنها تنتفي، وهذا
ما أكدّه القرآن الكريم كما أكّده السنّة.

الالتزام بأوامر القيادة الشرعية:

ونقرأ قوله تعالى مخاطباً النبي ﷺ حول علاقة المسلمين بقيادتهم في أي
أمر من الأمور العامّة، حيث تكون هناك قيادة إسلامية شرعية في مستوى النبي
أو الإمام، أو في مستويات قيادية أخرى كالعلماء مثلاً، فهل يملك المسلمون أن
يتصرّفوا بحرية في القضايا العامّة؟ أم لا بدّ لهم أن يستأذنوا القيادة في ذلك
حتى يصدق عليهم أنهم المؤمنون؟

فالخطاب في الآية التالية موجّه إلى النبي ﷺ في علاقة المؤمنين به «إِنَّمَا
الْمُؤْمِنُونَ». وكلمة (إنّما) دالّة على الحصر في اللغة العربية «الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ». يتصل بالحياة العامّة للمسلمين «لَمْ
يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ» فقد يحتاج القائد أحدهم في تنفيذ هذا الأمر أو في
المشاركة فيه، وعليهم أن يضعوا أنفسهم تحت تصرّفه ورهن إشارته، فإذا كانوا
معه فعليهم أن ينتظروا أوامره، وإذا كان هناك ما يدفعهم إلى أن يذهبوا فعليهم
أن لا يذهبوا إلا بعد الاستئذان «لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ»، من حربٍ أو سلم أو
مهمّة، وما إلى ذلك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾. أما الذين يذهبون دون أن يستأذِنوك، وقد تكون بحاجة إليهم فإنهم لا يتحركون في خطأ الانقياد للقيادة، ولذلك فإنهم لا يمثلون شخصية المؤمن الحقيقي، لأن الإيمان بالله ورسوله لا يمثل مجرد كلمة أو مبايعة أو التزام شكلي بل يمثل التسليم والانقياد الذي يجعل حركتهم كلها صدى لما يريد الله ورسوله من حركة.

﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ﴾. وهنا يتوجه الأمر إلى النبي ﷺ، بصفته القائد الأعلى، أن عليه أن يراعي ظروف المسلمين والناس في حاجاتهم وأمورهم الخاصة فلا يضيق عليهم بالمطلق، بل يدرس طبيعة القضية التي يستأذِنونه فيها ليرى إمكانية الإذن فيها وعدمه. ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾. فعندما تدرس ظروفهم وترى أنهم فعلاً في حاجة إلى أن تأذن لهم فأذن لهم ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ﴾، لأن الاستغفار يوحى بالمحبة وبالرعاية والرضا ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

فهذه الآية تؤكد على أن صفة الإيمان في معناها العميق في علاقة القاعدة بالقيادة هي أن تضع القاعدة نفسها في تصرف القيادة، فلا تتحرك بعيداً عنها، حتى في شؤونها الخاصة، إلا بعد استئذان القيادة، لأنها قد تكون في حاجة إلى هذا أو ذاك.

الصبر على الأذى:

وهناك آية أخرى تتحدث عن هذه المسألة، وعن الذين يقولون: (أَمْنَا بِاللَّهِ)، فبعض الناس أنا مؤمن وقد يتحرك بإيمانه في مواقع التحدي، ولكن كم هي قدرته على الصبر والتحمل؟ فأن تكون مؤمناً في ساحات الصراع فإن عليك ضريبة أن ينالك الأذى من القوى المضادة، وعندما تطلق كلمة الحق فإن كل الذين يسировون في خطأ الباطل يندفعون ليشتموك أو ليتهموك أو ليؤذوك في بعض شؤون حياتك. ففي هذه الحالة، كيف يكون شعورك؟ هل تشعر بالقوة؟ هل

تصبر؟ هل تصمد؟ هل تحسّ بالرضا النفسي لأنك تتحمّل الأذى في جنب الله وفي سبيله؟ أو أنك تشعر بالجزع وبالسقوط وتعتبر أنّ هذه المشكلة إنما نجمت من خلال إيمانك فتتحسس أن إيمانك قد أدّى إلى ضررك وخسارتك فيضعف التزامك بإيمانك بقدر ما يتوجه إليك من الضرر والأذى، كالكثير من الناس الذين إذا أودوا في الله حملوا الله ((جميلاً)) في ذلك ومنّوا عليه فيه.

والقرآن يعالج هذه المسألة في قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾. بحيث يوصل المسألة في مشاعره وأحاسيسه، فيما يلاقي من أذى الناس، إلى ما يعبر عنه القرآن بالفتنة باعتبار أنّه يهزّ شخصية الإنسان وقد يؤدّي بها إلى السقوط، بحيث يتعاضم شعوره بالأذى الصادر إليه من الناس لقاء إيمانه، تماماً كما هو عذاب جهنم، فيساوي بين العذابين في الجزع لدرجة الامتتان على المسلمين بذلك أو السقوط أمامه.

﴿وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ﴾. فإذا ما انتصر المسلمون وجاء الفتح ﴿ثَيَقُولُوا إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾. ففي حالة الأذى الذي يصيبه من خلال إعلانه الإيمان فإنّه يواجه المسلمين كما لو كانوا هم الذين أوقعوه في ذلك، وكما يعبر القرآن انه يجعل فتنة الناس كعذاب الله، أمّا إذا جاء النصر فإنّه يحاول أن يأخذ مكاسبه وثماره من خلال زعمه أنّه كان مع المسلمين ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾^(٢). أي: إلا يعرف هذا المنافق بأنّ الله مطلع على ما في داخله، وأنّ إيمانه مجرد إيمان سطحي ظاهري لم ينفذ إلى أعماق قلبه، والله مطلع عليه في حال النصر أو في حال الأذى والهزيمة.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾^(٣). فيعلم أنّ هذا النموذج من الناس هو من نماذج المنافقين وليس من نماذج المؤمنين، لأنّ المؤمن إذا أودى

(٢) العنكبوت/١٠.

(٣) العنكبوت/١١.

في الله فإنه يصبر ويصمد ويثبت ويشكر الله على ما لاقاه في سبيله، ولعلّ القمّة في ذلك هي الكلمة الرائدة لرسول الله ﷺ حينما لاحقه مشركو الطائف وضربوه بالحجارة حتى دميت رجلاه فاستند إلى حائط وناجى ربّه وكانت كلمته الصادرة من أعماق إيمانه: ((إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي))^(٤). ومثلها الكلمة الرائدة التي تمثّل سرّ الإمام الحسين ﷺ في فرجه الروحي في قلب المأساة عندما تناول بيده دم ولده الرضيع، حيث قال: ((هون ما نزل بي أنّه بعين الله)). لأنّ ألمه كان في الله ومن أجل الله، وهذا هو شأن المؤمن عندما يؤذى في الله.

المنافقون كطابور خامس:

وهناك نماذج أخرى من الناس يتحدّث عنها القرآن، فيقول الله تعالى ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾. وهذا يعبر - كما في المصطلح المعاصر - عن الطابور الخامس، وهم المنافقون الذين كانوا يحاولون إعاقة المسيرة وأن يخذلوا المسلمين أمام الزلزال الذي حدث بفعل الحصار الذي أخذ به المسلمون من قبل الأحزاب ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾. أي سيروا مع فريقنا ولا تذهبوا مع رسول الله ﷺ ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٥). والبأس هنا كناية عن الحرب، فهم ليسوا مستعدين للمشاركة في الحرب ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾، بخلاء، لا يعطونكم ما تحتاجونه ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ﴾^(٦). أي في ظل الحرب النفسية التي تزرع الخوف في القلوب والتي عبر عنها القرآن في آية أخرى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونُ﴾^(٧).

(٤) الكافي ج ٨، ص ١٣٨، ب ٣، ح ١٠٠.

(٥) الأحزاب/ ١٨.

(٦) الأحزاب/ ١٩.

(٧) الأحزاب/ ١٠.

فإذا جاء الخوف «سَلَقُوكُمْ بِأُتْسِنَةٍ حِدَادٍ». أي شعروا أنكم في موقع الهزيمة فأظهروا ما في نفوسهم ضد المؤمنين والمسلمين فتحدثوا بالكلمات الحادة التي تمثل الإهانة للمسلمين «أَشِحَّةَ عَلَى الْخَيْرِ». فهم ليسوا مستعدين أن يعطوا من نفوسهم الخير «أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا». وهذا هو محل الشاهد، فهؤلاء الذين يتحركون في حال الحرب بطريقة التخذيل والتعويق للمسيرة والتكلم بشكل سلبي ضد المسلمين ولا يعطونهم شيئاً مما يحتاجونه، لم يؤمنوا، فالمؤمن هو الذي يعيش مع المؤمنين بكل معنى المشاركة في الحرب والسلم، وفي كل أوضاعهم وحاجاتهم التي يحتاجونها في ساحة التحديات «فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا»^(٨) لأنهم لم ينطلقوا من قاعدة، فإنما حبطت أعمالهم لأنهم أبطنوا الكفر وأظهروا الإيمان، ومن الطبيعي أن الكفر يحبط عمل الإنسان.

الإيمان التزام كله:

وهناك نقطة مهمة جداً عالجه القرآن الكريم في أكثر من آية وهي أنك إنما تكون مؤمناً عندما تلتزم الإسلام كله فلا تحاول أن تأخذ من الإسلام جانباً لتترك جانباً آخر، فإن تلتزم الإسلام في مواقع العبادة ولا تلتزم به في مواقع السياسة فإنك عندئذ تتحرك في الخط السياسي على قاعدة غير إسلامية. وأن تتحرك في الخط العبادي على أساس الإسلام يعني أن يكون شرع الله هو المرجعية التي ترجع إليها في كل ما تختلف فيه من قضاياك مع الناس بحيث لا تتحاكم إلا إلى شرع الله، وإلا إلى القائمين على شرع الله المؤمنين عليه. وإذا اختلفت أيضاً مع الآخرين في بعض المفاهيم سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو حياتية بشكل عام فعليك أن ترجع إلى القاعدة الإسلامية التي تحدّد لك هذه المفاهيم وتوصلها. أن تلتزم بالإسلام يعني أيضاً أن تفقد - بإرادتك - حريتك في الانفتاح على التيارات الأخرى انفتاح التلقّي والتأثر، بل لابد من أن يكون الإسلام كل شيء في حياتك.. أن تكون مسلماً في نفسك. وفكرك

وعاطفتك وحركة طاقاتك.. أن تكون مسلماً في حياتك العائلية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وفي أوضاعك القضائية، فإذا لم تكن كذلك فلست مؤمناً بما يحمله الإيمان من مضمون^(٩)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٩). يعلنون الإسلام وأنهم يؤمنون بالله وبرسوله وبرسالته، لأن الرسالة الإسلامية انطلقت من خلال احتوائها على كلِّ الرسالات في عناصرها الأصلية ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾^(١٠) و﴿مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾^(١١). ولذلك فإن هذه الآية قد جمعت الحديث عن شخصية المؤمنين لأنهم آمنوا بالله وبما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، فالإسلام يؤمن بالكتاب كله، وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم في الفرق بين أهل الكتاب وبين المسلمين ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾^(١٢). بينما هم لا يؤمنون بالكتاب كله.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾^(١٣). والطاغوت هو كلّ خطّ في حكم أو قضاء أو سياسة تتحرّك على خلاف دين الله، وقد فرّق الله بين المؤمنين والكافرين بالولاية له أو الولاية للطاغوت ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾^(١٤). فالطاغوت إذاً هو كلّ شخص أو كلّ كيان أو كلّ خط يواجه الله بما تعنيه ولاية الله من العبادة والدين والشرعية.

(٩) النساء/٦٠.

(١٠) البقرة/٢٨٥.

(١١) الأنعام/٩٢.

(١٢) آل عمران/١١٩.

(١٣) النساء/٦٠.

(١٤) البقرة/٢٥٧.

﴿وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾. لَأَنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ فِي قَلْبِ إِنْسَانٍ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْإِيمَانُ بِالطَّاغُوتِ ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾. أَيُّ أَنْ يَصُدَّهُمْ عَنِ اللَّهِ وَيُدْخِلَهُمْ فِي الْمَتَاهَاتِ الَّتِي لَا تُوَدِّي بِهِمْ إِلَى أَيِّ مَوْقِعٍ مِنْ مَوَاقِعِ الْهُدَى. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ لَأَنَّكُمْ أَعْلَنْتُمْ الْإِيمَانَ، وَمَنْ يَعْلَنُ الْإِيمَانَ لَا يَبْدَأُ أَنْ يَلْتَزِمَ بِهِ، وَالْإِلْتِزَامُ بِالْإِيمَانِ هُوَ التَّزَامُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَى الْإِيمَانِ.

فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى اللَّهِ فِي كِتَابِهِ وَإِلَى الرَّسُولِ فِي سُنَّتِهِ وَمَوْقِعِ الْوَلَايَةِ لَهُ ﴿رَأَيْتَ الْمُنافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾. يَعْرِضُونَ عَنْكَ وَلَا يَقْبَلُونَ عَلَيْكَ ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾. وَيَقَعُ مِنَ الْبَلَاءِ ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾. فِي وَقْتِ الشَّدَةِ ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾. لَأَنَّهُمْ مَشَوْا بِحَاجَتِهِمْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي أَنْ يَرْضَى عَنْهُمْ وَيَحْضَنَهُمْ وَأَنْ يَمْنَحَهُمْ مَا يَرِيدُونَ وَأَنْ يَخْرِجَهُمْ مِنَ الْمُصِيبَةِ الَّتِي هُمْ فِيهَا ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾. أَيُّ يَدْعُونَ أَنَّهُمْ مَا أَرَادُوا إِلَّا الْخَيْرَ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾، فَلَا تَحَاسِبُهُمْ، وَلَا تَدْخُلْ فِي جَدَلٍ مَعَهُمْ، وَلَكِنْ قَبْلَ أَنْ يَذْهَبُوا عَظَمَهُمْ وَذَكَرَهُمْ وَأَخْرَجَ لَهُمْ مَا يَخْفَوْنَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ وَبَصَرَهُمْ بِأَنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي بِهِمْ إِلَى الْهَلَاكِ ﴿وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾^(١٥). أَيُّ حَاوَلَ أَنْ تَعْرِفَهُمْ أَنَّكَ تَعْلَمُ مَا يَخْفَوْنَهُ فِي دَخِيلَةِ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الضَّلَالِ.

طاعة الرسول ﷺ

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُعْطِي الْقَاعِدَةَ لِلْمُسْلِمِينَ آنَذَاكَ، وَلِلْمُسْلِمِينَ فِي امْتِدَادِ الزَّمَنِ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١٦). فَإِنَّ مَعْنَى أَنْ تَلْتَزِمَ بِالرَّسُولِ هُوَ أَنْ تَطِيعَهُ وَقَدْ قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ

(١٥) النساء/٦٠-٦٣.

(١٦) النساء/٦٤.

وَمَنْ^(١٧) حتى أن الله سبحانه وتعالى جعل الصدق في حب الناس له - عندما يدعون المحبة - هو إطاعة الرسول، وهذا ما جاءت به الآية «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ»^(١٨)، والإقبال عليه ليس مجرد شهادة ولا كلمة وإنما هي عملية اتباع «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» بالنفاق أو العصيان «جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ» فقد فتح الله لهم باب التوبة «وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ». عندما يرى منهم صدق الاستغفار «تَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَحِيمًا»^(١٩).

الالتزام إلى الرسول ﷺ في المنازعات:

كما أن الله يركّز الإيمان في صفته العميقة بالالتزام بأحكامه. قال تعالى «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ». فلا يمتلكون صفة الإيمان إلا إذا جعلوك الحكم في كل ما اختلفوا فيه، وأن يجعلوا الرسول ﷺ حكماً هو أن يجعلوا شريعته هي الحكم بحيث تكون هي المرجعية في خلافاتهم كلّها سواء في القضايا الفكرية أو العملية «ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ». فلو كان الحكم ضد ما رأوه فإنهم لا يشعرون بالحرَج والمشقة والرفض النفسي «وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»^(٢٠) وهذا ما ورد من أن الإسلام هو التسليم وهو ما حكاه الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام «إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»^(٢١).

الإيمان والحرية:

وتؤكد آية أخرى في (سورة الأحزاب) هذا المعنى حيث تقول للمؤمن: إن التزامك بالإيمان يفقدك حريتك في أن تختار أي خطأ أو أي حكم مضاد للإيمان، لأنك لا يمكن أن تؤمن بالشئ وضده، وليس هذا اضطهاداً لك، وقد

(١٧) النساء/ ٨٠.

(١٨) آل عمران/ ٣١.

(١٩) النساء/ ٦٤.

(٢٠) النساء/ ٦٥.

(٢١) البقرة/ ١٣١.

يقول البعض من الناس إن هذا يناقض حرية الإنسان التي أكدها القرآن الكريم نفسه حيث قال: «وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ»^(٢٢). ولكننا نقول: نعم، إن الله سبحانه وتعالى جعل الإنسان حرّ التفكير حيث يمكن أن يلتزم الإيمان أو يلتزم الكفر، ولكن عليه أن يتحمّل مسؤولية نتائج الإيمان هناك ونتائج الكفر هنا. فإذا التزمت الإيمان بإرادتك واختيارك فمن الطبيعي أن تستقيم على الإيمان في هذا المجال. فحريتك تبقى ما دمت غير ملتزم، فإذا التزمت فقد حرّكت حريتك من خلال إرادتك في الخطّ الذي اخترته، وهذا مما ينبغي أن يلتفت الناس إليه لأنهم يحركون مفهوم الحرية في كلّ مجال، فعندما تقول أنا مؤمن فإن ذلك يعني أنّك تمارس حريتك في اختيار الخط، واختيارك للخطّ هو عملية لممارسة الحرية، فعندما تمارس حريتك في اتجاه معيّن فلا معنى لأن تنفتح على اتجاه آخر انفتاح الاتباع، إلا إذا تراجعت عما اخترته من هذا الفكر أو هذا الاتجاه.

«وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ». فليست لك حرية أمام الله، فانت حرّ أمام العالم ولكنك عبد أمام الله وحده وهذا هو معنى التوحيد، فمعنى ((لا إله إلا الله)) أنّك تنفي كلّ الآلهة وتمارس حريتك أمام كلّ من يدّعون الألوهية وتبقى عبداً لله وحده «وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا»^(٢٣).

ويحدّثنا الله عن بعض هذه النماذج التي تعلن الإيمان ولكنها لا تلتزم بالتزاماته، «وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ». فهم يعربون عن الانسجام في خط الإيمان وفي الالتزام بلوازمه وأحكامه ولكن، «وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ»^(٢٤). فالإيمان يعني أمرين: أن تقول الكلمة التي

(٢٢) الكهف/٢٩.

(٢٣) الأحزاب/٣٦.

(٢٤) النور/٤٧.

تعبّر عن إيمانك، وأن تستقيم في خط سيرك الفكري والعملية في اتجاه هذه الكلمة.

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾^(٢٥). لا يقبلون ذلك ﴿وَأِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾^(٢٦). فعندما يختلفون يأتي أحدهم ليسأل: لمن الحق؟ فإذا قيل له معك، فيقول: أنا مع الحق ومع الشرع، ولكن إذا عرف أن الحكم سوف لن يكون في صالحه فإنه يتمرد ويطالب بأحكام أخرى غير حكم الشرع والقرآن يتساءل: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾. أي هل في قلوبهم مرض النفاق؟ ﴿أَمْ ارْتَابُوا﴾. أم دخل الشك في إيمانهم؟ ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ﴾. فلماذا لم يرجعوا إلى أحكام الله في كتابه وسنة رسوله؟ لأنهم يخافون أن يجور الله عليهم ويظلمهم والله سبحانه وتعالى لا يظلم من عباده أحداً ((وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف وقد تعاليت يا إلهي عن ذلك علواً كبيراً))^(٢٧) والرسول ﷺ لا يبتعد عن خط الله في شرعه.

﴿بَلْ أَوْلَتْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢٨). الذين ظلموا ربهم بالمعصية، وظلموا أنفسهم بالنفاق وبالانحراف عن خط الله فالخط الإيماني هو: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢٩) الذين يسمعون نداء الله ويطيعونه ويتحركون في خطه.

هذه هي بعض الآيات، وهي في هذا المجال كثيرة، التي تجسد لنا عناصر الإيمان العميقة في شخصية الإنسان المؤمن التي بها يكون الإنسان مؤمناً، فعلى أن نعمل على أن نعمق الإيمان في عقولنا، وفي قلوبنا، وفي حركتنا في الحياة، لأننا نخشى أن نكون مصداقاً لقول الله تعالى ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً

(٢٥) النور/٤٨.

(٢٦) النور/٤٩.

(٢٧) الصحيفة السجادية. ٤٨ دعاؤه للأضحية والجمعة. ص ٢٠٧. س ١٢-١٣.

(٢٨) النور/٥٠.

(٢٩) النور/٥١.

❖ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا^(٣٠)..
«أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا^(٣١)». والحمد لله رب العالمين.

(٣٠) الكهف/١٠٣-١٠٤.

(٣١) فاطر/٨.

في ذكرى مولد الرسول ﷺ عليه السلام يعرف بالنبي ﷺ

○ لم يعيش غير علي عليه السلام مع
رسول الله ﷺ كما عاش هو معه
في عمق ذاته، وفي حركة حياته،
وفي كل امتدادات شخصيته ○

- ✧ تجربة الطفولة الأولى.
- ✧ الرسول ﷺ قبل البعثة.
- ✧ من معجزات النبي ﷺ.
- ✧ في بعثة النبي ﷺ.
- ✧ الداعية الدائب الحركة.
- ✧ الصلاة على النبي ﷺ.
- ✧ زهد النبي ﷺ.
- ✧ أصحاب الرسول ﷺ.
- ✧ مثل آل محمد ﷺ.
- ✧ علي عليه السلام المؤهل للخلافة.



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

في ذكرى مولد الرسول عليه وعلى آله الصلاة والسلام لا بدّ لنا من أن نعيش آفاقه كلّها في حياته كلّها قبل أن يبعثه الله بالرسالة وبعد أن بعثه الله بها، وذلك من خلال شاهد ليس هناك شاهد مثله في عظمته بعد رسول الله ﷺ من حيث عناصر الشخصية ما عدا النبوة .. فلم يعيش غير علي ﷺ مع رسول الله ﷺ كما عاش هو معه في عمق ذاته، وفي حركة حياته، وفي كلّ امتدادات شخصيته. فمن أولى بأن يتحدث عن رسول الله ﷺ من علي ﷺ؟! ولذلك فنحن نحاول أن نلتقط من كلمات علي ﷺ في (نهج البلاغة) بعض ما تحدث به عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه وعن أهل بيته ﷺ.

تجربة الطفولة الاولى:

فها هو أولاً يتحدث عن تجربته مع رسول الله ﷺ في طفولته حيث كان وهو يعيش بين أحضانه ﷺ فيقول ﷺ: ((أنا وضعت)) في الصغر ((بكلّ كل العرب)) و(كلّ كل العرب) يعني الذين لهم الصدارة من أكابر العرب ((وكسرت نواجم قرون ربّيعه ومضر)) و(نواجم القرون) يعني القرون الظاهرة الرفيعة، وهي كناية عن أشراف القبائل ((وقد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ بالقرابة القريبة)) فهو ابن عمه، وأخوه في الروح، وصهره في السبب ((والمنزلة الخصيصة)) حيث قال رسول الله ﷺ بحقه ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))^(١)

وقال أيضاً: ((أنا مدينة العلم وعلي بابها))^(٢) وقال كذلك: ((علي مع الحق والحق مع علي))^(٣).

((وضعتني في حجره وأنا وليد)) والإمام آنذاك في بداية الطفولة ((يضمّني إلى صدره)) كما تضمّ الأم ولدها، بحيث كان رسول الله ﷺ يختزن في شخصيته مع علي ؑ حنان الأم وعطف الأب في حياة أمه وأبيه، فهو عندما كان يحتضنه فإنّه كان يريد أن يعطيه كما تعطي الأم لولدها والأب لولده، لأنّه كان يعيش معه ولم يعيش في أحضان أمّه وأبيه فكان بحق ربيب رسول الله ﷺ وتلميذه منذ نعومة أظفاره.

((ويكنّني في فراشه)) أي ينام معه. ((ويمسني جسده)) لأنه كان يحتضنه وينام إلى جانبه ((ويشمني عرفه)) و(العرف) هي الرائحة الذكية التي تضح من رسول الله ﷺ ((وكان يعضغ الشيء ثم يلقميه)) لأنه ربما لم تكن بعد قد نبتت أسنان علي ؑ ولذلك كان يعضغ اللقمة حتى ترق ثم يلقمها له. ونستوحي من هذه الفقرات أن النبي ﷺ كان يحمل في روحيته حنان الأبوة والأمومة الذي يختزنه في شخصيته في الوقت الذي لم يكن قد عاش ذلك في حياته، فقد عاش كل الإحساس الروحي حتى كأنه في حضن أمه وأبيه.

((وما وجد لي كذبة في قول)) فقد عشت معه منذ طفولتي وتعلّمت الصدق منه، ومن خلال لطف الله بي أنه لم يجد لي كذبة في أي قول من أقوالي. ((ولا خطلة في فعل)) و(الخطلة) هي الخطأ الذي ينشأ من عدم الرؤية والروية، وهذه الكلمة تعطي فكرة عن أنّ علياً ؑ كان معصوماً في كلامه وفي فعله منذ طفولته الأولى.

وهذه التجربة الشخصية مع رسول الله ﷺ توحى لنا بتدفق ينابيع العاطفة التي كانت تتفجر من قلب رسول الله ﷺ وتتساب في كلّ كيان وشخصية علي ؑ

(٢) بحار الأنوار، ج ١٢، ص ١٢٣، ب ١٣، ح ٩٠.

(٣) بحار الأنوار، ج ١٣، ص ١٥٣، ب ١٧، ح ٢٠.

بحيث كانت ينابيع روحانية الرسول وأخلاقه وكل حركيته تتفجر في شخصية علي عليه السلام فعقله ينساب في عقل علي، وقلبه ينبض في قلب علي، وحركته تتطلق في حركة علي عليه السلام.

الرسول عليه السلام قبل البعثة:

ثم يحدثنا عن لطف الله برسوله عليه السلام قبل أن يبعثه بالرسالة، فيقول: ((ولقد قرن الله به عليه السلام من لدن كان فطيماً)) فكما أن علياً عليه السلام منذ أن كان فطيماً، أو بعد الفطام بقليل، اختصه رسول الله عليه السلام بحضانه ورعايته، فكذلك الرسول عليه السلام منذ أن كان فطيماً أعطاه الله رعايته بشكل غير مألوف ((أعظم ملك من ملائكته)) ولم يشر إلى شخصية الملك، هل هو جبرائيل أم غير جبرائيل؟ ولكن عندما يقول إنه قرن به أعظم ملك فمعنى ذلك أن هذا الملك الذي أراد الله له أن يرعى رسول الله عليه السلام بعين الله بلغ من كل الصفات ما لم يقترب إليها ملك، لأن أعظم الأنبياء يحتاج إلى أعظم الملائكة، فالمعادلة تفرض ذلك. ((يسلك به طريق المكارم)) ليدلّه على كل المكارم الإنسانية بكل عناصرها الروحية ((ومحاسن أخلاق العالم)) بحيث يجمع له أفضل أو كل المحاسن التي يتميز بها العالم بأسره بحيث تتمثل في أخلاقه كل الأخلاق التي يتمثل بها العالم فيما يتمثلون به من محاسن الأخلاق ليكون النموذج الأكمل الذي إذا تمثله العالم كله رأى فيه النموذج الذي يقتدي به .. ((ليله ونهاره)) بحيث كان هذا الملك لا يفارقه في الليل والنهار.

((ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه)) فكما أن ولد الناقة يتبع أمه عندما تمشي، فكل خطوة من خطواتها تتحول إلى خطوة من خطواته، كذلك كان علي عليه السلام مع رسول الله عليه السلام. ومن هنا نعرف كيف أن الإمام عليه السلام كان - وهو في تلك السن، (ما قبل العاشرة)، يعيش صورة رسول الله عليه السلام في أخلاقه كلها وفي كمالاته كلها.

((يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالافتداء به)) أي أنه يقول لي: اعمل كذا واعمل كذا، وسر في هذا الطريق، وتكلم بهذه الطريقة، مما يعني

أنَّ النبي ﷺ كان يعدّه ليكون أخاه ونفسه ووزيره، وأنه كان يحمل مسؤولية تربيته الأخلاقية والروحية وبما يعمّق ذلك في عقله ووجدانه، كما يحمل مسؤولية تنشئته الجسدية، وهذا هو الدرس الذي لا بدّ أن يتعلّمه كلّ الذين يتولون عملية تربية الأطفال وحضانتهم في اهتماماتهم بالتربية الأخلاقية ((ولقد كان يجاور بكلّ سنة بحراء (غار حراء) فأراه ولا يراه غيري)) لأن النبي ﷺ عندما كان يجاور بحراء كان لا يسمح لأحد أن يزوره ولا يلتقي أحداً هناك، بل كان يستغرق في عزلته التأملية التي يناجي فيها ربّه ويعيش فيها كلّ روحانيته وعبادته مع الله. ((ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام)) عندما بعث النبي ﷺ بالإسلام ((غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثهما)) بحيث كان علي ﷺ عندما أتى النبي ﷺ بالرسالة يعيش في البيت الإسلامي الأول الذي كان يضمّ رسول الله ﷺ وخديجة (رض) وهو الثالث. ((أرى نور الوحي والرسالة)) عندما يشرق على رسول الله ﷺ ((واشمّ ريح النبوة)) ريحها المعنوي والروح والأخلاق وكلّ ما يتميز به رسول الله ﷺ من نفحات النبوة وعطر الرسالة.

ثم يعبر عن التجربة التي لم يعيشها مسلم منذ كان الإسلام وإلى أن قبض رسول الله ﷺ إلى رحاب ربه. ((ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ﷺ)) فهو ينقل لنا كيف عاش الشيطان في حالة طوارئ، والرنة هنا كناية عن الصرخة ((فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنّك لست بنبي ولكنك وزير وإنك لعلّى خير)).

إنّ هذا النصّ العلويّ الذي هو النصّ المعصوم الذي لا يقترب الباطل إليه يدلنا على أنّ النبي ﷺ كان يعدّ علياً ﷺ للوزارة التي هي الوصاية والخلافة منذ كان علي ﷺ في بداية شبابه. فقد أراد له أن يعيش أجواء حركية الرسالة فيما يشبه أجواء الغيب الذي لا يشعر به الناس كما يعيش مضمون الرسالة في القرآن وفي السنّة.

من معجزات النبي ﷺ:

((ولقد كنت معه)). وهنا يعطينا التجربة كيف أن قريشاً كانت تطالب رسول الله ﷺ أن يقدم لهم المعجزة. وهذا نص يمكن أن تختلف الأخبار وبعض الروايات بشأنه، ولكننا نعتدّ بوثاقته لأنّ علياً ؑ هو الشاهد الناقل للمعجزة على أساس وثاقة (نهج البلاغة): ((ولقد كنت معه - صلى الله عليه وآله - لما أتاه الملائكة من قريش، فقالوا له يا محمد أنك قد ادّعت عظيمًا لم يدعه أبؤك ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمراً إن أنت أجبتنا إليه وأريتناه علمنا أنك نبي ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب)) تحاول أن تسحر عيون الناس بسحرك ((فقال - صلى الله عليه وآله - وما تسألون؟)) أي ما هو طلبكم؟ ((قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك، فقال ﷺ: إن الله على كل شيء قدير))، فليست قدرتي التي تقتلع الشجرة وإنما هي قدرة الله ((فإن فعل الله لكم ذلك أتؤمنون وتشهدون بالحق؟ قالوا: نعم، قال: فإني سأريكم ما تطلبون وأني لأعلم أنكم لا تفيئون إلى خير)) فهذا هو التحدي ولكنني سأكون في مستوى التحدي بإذن الله ((وإن فيكم من يطرح في القليب (في معركة بدر) ومن يحزب الأحزاب)) لقد عرفني الله من آبائكم الذين كانوا يحرضون على القتال ضدي وضد الإسلام ((ثم قال ﷺ يا أيها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر)) طبعاً الإيمان بوجودها لا الإيمان بعقلها باعتبار أن كل موجود يتجسد فيه الإيمان من خلال طبيعة ما ركب الله فيه من أسرار الخلق ((إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أني رسول الله فأنقلعي بعروقي حتى تقضي بين يدي بإذن الله)). ثم ينقل الإمام ﷺ ما شاهده، فيقول: ((فوالذي بعثه بالحق لا نقلعت بعروقها وجاءت ولها دوي شديد وقصف كقصف أجنحة الطير حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ مرفرفة، وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله ﷺ وبيعض أغصانها على منكبي وكنت عن يمينه ﷺ فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا علواً واستكباراً.. فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها، فأمرها بذلك فأقبل إليه

نصفها كأعجب إقبال وأشدّه دويّاً، فكادت تلتف برسول الله ﷺ، فقالوا: كضراً وعتواً، فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان فأمره فرجع، فقلت أنا: لا الله إلا الله، إني أول مؤمن بك يا رسول الله، وأول من آمن بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقاً بنبوتك وإجلالاً لكلمتك، فقال القوم كلهم بل ساحر كذاب عجيب السحر خفيف فيه، وهل يصدقك في أمرك إلا مثل هذا؟ (يعنونني).

ثم يقول ((وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم)) أهل البيت (عليهم السلام) سيماهم سيما الصديقين وكلامهم كلام الإبرار عمّار الليل ومنار النهار، متمسكون بحبل القرآن، يحيون سنن الله وسنن رسوله لا يستكبرون ولا يعلنون ((ولا يغفلون)) لا يحقدون ((ولا يفسدون، قلوبهم في الجنان وأجسادهم في العمل))^(٤).

هذه هي إحدى الكلمات التي تحدّث بها علي عليه السلام عن حياته الأولى مع رسول الله ﷺ وعن بعض التجارب التي عاشها معه.

في بعثة النبي ﷺ:

ونحاول بعد ذلك أن نلتقط بعض كلماته عن بعثة النبي ﷺ حيث يقول: ((بعثه والناس ضلال في حيرة))، وقد قال تعالى في كتابه ﴿وَأَن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٥). ((وحاطبون في فتنة)) فهو يصوّر الفتنة كما لو أن الناس

(٤) نهج البلاغة. الخطبة ٢٣٤ القاصعة. ص ٣٠٠-٣٠٢: ط المستشارية الثقافية الجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق.

جاء في (مصادر نهج البلاغة وأسانيده): ((وأما أمر الشجرة التي دعاها رسول الله ﷺ فالحديث الوارد فيها كثير يستفيض قد ذكره المحدثون في كتبهم، وذكره المتكلمون في معجزات الرسول ﷺ والأكثرين رواوا الخبر فيها على الوضع الذي جاء في خطبة أمير المؤمنين، ومنهم من يروي ذلك مختصراً، أنه دعا شجرة فأقبلت تحذ إليه الأرض خدّاً، وقد ذكر البيهقي في كتاب (دلائل النبوة) حديث الشجرة، ورواه أيضاً محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب (السيرة والمغازي) على وجه آخر، وأشار إليها البوصيري في البردة بقوله:

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة تمشي إليه بلا ساق على قدم))^(٥)

(*) مصادر نهج البلاغة وأسانيده: السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب. ج ٣. ص ٤٧. ط دار الزهراء.

(٥) آل عمران: ١٦٤.

يأخذون الحطب الكثير ليشعلوا به النار أو ليلقوه على النار ((قد استهوتهم الأهواء)) وعاشوا مع أهوائهم التي لا تركز على أية قاعدة، أو أساس ((واستزلتهم الكبرياء)) مما كانوا يأخذون به من الكبر انطلاقاً من شعورهم بضخامة شخصيتهم ((واستخفّتهم الجاهلية الجهلاء)) أي جعلتهم خفافاً في عقولهم ومواقفهم ((حيارى)) لانهم لا يبصرون طريق الهدى ((في زلزال من الأمر)) لأن الإنسان الذي لا يركز على قاعدة يبقى في زلزال من أمره قلقاً، مذبذباً، لا يستقر على حال. ((وبلاء من الجهل)) وهل جهل أنكى وأشد من جهل الجاهلية الجهلاء؟ ((فبالغ صلى الله عليه وآله في النصيحة)) حيث أعطى كلَّ جهده والقى كلَّ كلماته، وحرك كلَّ طاقاته من أجل أن ينصحهم بما أعطاه الله من حكمة وبما أنزل عليه من وحي ((ومضى على الطريقة)) التي خطتها الله له ((ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة))^(٦) إتباعاً لقوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٧).

الداعية الدائب الحركة:

ثم يصوّر لنا كيف كان رسول الله ﷺ يتحرّك في المجتمع فلا يجمد في بيته بحيث ينتظر الناس ليأتوا إليه كما يفعل الكثيرون من الذين لا يعتبرون أنفسهم مسؤولين عن أن يتحركوا مع الناس بل أن يبقوا في بيوتهم ليقصدهم الناس، فإذا سألوهم أجابوا، وإذا لم يسألوهم رأوا أنفسهم في حلّ. ((طبيب دوار بطبّه)) فلا يجلس في العيادة في انتظار مرضاه، فعندما ينتشر الوباء فإن الأطباء بمسكون مفارق الطرق كلُّ يقف بمفرق الطريق لمداواة القادمين والخارجين حتى يمنعوا من تفشيه، ولكن رسول الله ﷺ طبيب العقول والقلوب لا طبيب الأبدان، فانظروا كيف يصوّر الإمام ﷺ المسألة: ((قد أحكم مراهمه)) لجرّحى العقول والقلوب، وجرّحى الأخلاق والآداب، وجرّحى القيم والمثل، وجرّحى الجهل والتخلف. فالمرهم يوضع

(٦) نهج البلاغة. الخطبة ٩٤. ص ١٠٥. المصدر السابق.

(٧) النحل: ١٢٥.

على الجراح ليدملها ((وأحمى مواسمه)) والمواسم هنا جمع ميسم وهو المكواة باعتبار ((أن آخر الدواء الكي)) فقد لا ينفع المرهم الذي يمثل الدواء فلا يكون أمام الطبيب من علاج سوى الكي ((يضع من ذلك حيث الحاجة إليه)) يضع المرهم لعلاج مرض هنا ويكوي مرضاً هناك ((من قلوب عمي)) يعالجها حتى تنفتح ((وأذان صم)) يعالجها حتى تستمع بعد وقر ((والأسنة بكم)) يدوايها حتى تنطق بعد خرس ((متتبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة)) فهو يتحرك ليهدي الناس الغافلين الذين لم ينفتحوا على أفق الوعي، بل كانوا في ظلمة الغفلة يتقلبون، ليعيدهم إلى وعيهم ورشدهم، فهو كما الطبيب الذي يتتبع مواقع المرض الموجودة هنا وهناك، ويحاول أن يدرس كل مظاهر المرض، وكل أوضاع المرضى حتى يتمكن من القضاء على المرض ((لم يستضيئوا بأضواء الحكمة ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة)) ومعنى أن يقدح الزناد أن يخرج النور من خلاله، وكأن الإنسان عندما ينفتح على العلم فإنه يضيء له النور الذي يبدد ظلام الجهل ((فهم في ذلك كالأنعام السائمة والصخور القاسية))^(٨).

الصلاة على النبي ﷺ:

وهناك نص آخر يدعو فيه الإمام علي عليه السلام الله تعالى بالصلاة على رسول الله ﷺ يقول فيه ((اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك، الخاتم لما سبق)) من الرسائل ((والفاتح لما انغلق)) لكل مواقع الوعي والبصيرة ((والملعن الحق بالحق)) الذي كان الحق عنده يمثل الأسلوب والغاية معا بحيث عندما يدعو إلى الحق فإنه يدعو بوسائل الحق ولا يدعو إلى الحق بالباطل. ((والدافع جيشان الأباطيل)) فعندما تجيش الأباطيل في المجتمع بحيث يتحرك الباطل من خلال ما يزرعه هنا وهناك من فتن وإحن في العقل وفي القلب وأوضاع الناس ومواقعهم فإن الرسول ﷺ وكل أتباع الرسالة الذين يتأسسون به لا بد من أن يندفعوا لدحر جيش الأباطيل. ((والدامغ صولات الأضاليل كما

حُمِّلَ)). أي يدمغها بالقوة فإذا هي زاهقة ((فاضطلع قائماً بأمرك مستوفزاً في مرضاتك)) فهو يتحرك بكل ما لديه من طاقة ليؤدي المهام التي اضطلع بها على خير وجه ابتغاء مرضاة الله. ((غير ناكِر عن قدم)) أي أنه يتحرك في كل المواقع التي يُدعى إليها ((ولا واهن في عزم)) بل كانت عزماته، إن في جبهات الصراع وإن في محاربة المنكر، قوية ((واعياً لوحيك، حافظاً لعهدك)) فالنبي ﷺ ليس مجرد ناقل للكلمة فقط بل هو واع لها، ولذلك فإنه عندما يطلقها فإنما يطلقها من خلال وعيه بكل معاني الكلمة، وهذا ما عبّر عنه الله سبحانه وتعالى بقوله «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ»^(٩) فالنبي ﷺ كان المعلم ولم يكن مجرد ناقل، فهو يتلو أولاً ويزكي ثانياً ويعلم الكتاب والحكمة ثالثاً.

((حافظاً لعهدك، ماضياً على نفاذ أمرك)) حتى ينفذه إلى الناس أجمعين ((حتى أوري قبس القابس)) والقابس هو طالب النار، لأنّ الناس يومذاك كانوا يلاحقون النار وبأيديهم أعواد يشعلونها بها ليرجعوا إلى أهلهم ليوروا بها حطبهم وهذا ما عبّر عنه القرآن في قصة موسى ﷺ «سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَشِيرٍ بِشَهَابٍ قَبَسَ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ»^(١٠). ((وأضاء الطريق للخابط)) الذي يتخبط في الظلماء من غير مصباح، وكانت العرب تعبّر عن ذلك بالقول: يخبط خبط عشواء.

((وهديت به القلوب بعد خوضات الفتن والألام وأقام موضحات الأعلام ونيرت الأحكام فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك)) الذي يشهد على الناس ((يوم الدين، ويعيثك بالحق ورسولك)) لأنك أنت الذي بعثته بالحق. ((اللهم افسح له مفسحاً في ظلك واجزه مضاعفات الخير من فضلك))^(١١) جزاء ما دعا وبلغ وهدى. وهذا هو الأدب الإسلامي في الدعاء

(٩) الجمعة: ٢.

(١٠) النمل: ٧.

(١١) نهج البلاغة الخطبة ١٠٥، ص ١١٧.

لِلرَّسُولِ ﷺ مِنْ خِلالِ الْإِحْسَاسِ بِقِيَمَةِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ فِي الدَّعْوَةِ وَالتَّوْبَةِ وَالتَّزْكِيَةِ وَالْهِدَايَةِ لِيَعِيشَ الْمُسْلِمُونَ فِي وَجْدَانِهِمُ الرُّوحِيَّ الشُّعُورَ بِالْجَمِيلِ فِيمَا قَدَّمَهُ إِلَيْهِمْ مِنْ وَسَائِلِ الْهِدَايَةِ، وَلِيَشْهَدُوا اللَّهَ عَلَى الْارْتِبَاطِ بِهِ فِي خُطِّ رِسَالَتِهِ طَالِبِينَ مِنْهُ أَنْ يَرْفَعَ دَرَجَتَهُ وَأَنْ يَجْزِيَهُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ الْجَزَاءِ..

زهد النبي ﷺ:

وَيَتَحَدَّثُ عَلِيٌّ ﷺ فِي شَهَادَةِ أُخْرَى عَنْ زُهْدِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ﷺ فَيَقُولُ: ((قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا)) فَلَمْ يَنْفَتِحْ عَلَيْهَا انْفِتَاحَ الْإِنْسَانِ الَّذِي تَبَطَّرَهُ زُخَارِفُهَا وَتَصَرَّعَ أَحْجَامُهَا وَتَجَرَّهَ شَهَوَاتُهَا وَأَهْوَائُهَا إِلَى نَفْسِهَا، ذَلِكَ لِأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ هِمَّةً وَلَا مَبْلَغَ اهْتِمَامٍ، وَلِأَنَّ الدُّنْيَا عِنْدَهُ مَجْرَدُ مَوْقِعٍ لِرِسَالَتِهِ يَنْفَتِحُ مِنْ خِلَالِهَا عَلَى اللَّهِ وَلَيْسَ لَهَا قِيَمَةٌ ذَاتِيَّةٌ فِي كُلِّ طَيِّبَاتِهَا وَمَتَاعِهَا، وَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَحْرُمُ مِلْذَاتِ الدُّنْيَا، بَلْ يَنْظُرُ إِلَيْهَا بِحُجْمِهَا مِنْ خِلَالِ حَرَكَةِ الرِّسَالَتَيْنِ فِي نَظَرْتِهِمْ إِلَى الدُّنْيَا الْمَادِيَّةِ لِيَرْتَفِعُوا مِنْ خِلَالِ هَذِهِ النُّظُرَةِ إِلَى آفَاقِهَا الرُّوحِيَّةِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ تَلْمِيذُهُ وَأَخُوهُ وَابْنُ عَمِّهِ وَصْهَرُهُ عَلِيٌّ ﷺ عِنْدَمَا تَحَدَّثَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَوْلِهِ: ((مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَتَهُ)) أَيُّ أَنْ مَنْ جَعَلَ الدُّنْيَا عَيْنًا يَبْصُرُ بِهَا حَقِيقَتَهَا بِصَرَّتَهُ وَعَرَفَّتَهُ وَكَشَفَتْ لَهُ أَنَّهَا إِلَى زَوَالٍ، وَأَنْ نَعِيمَهَا غَيْرُ دَائِمٍ وَلَا مَقِيمٍ وَلَا يَمِثُلُ طُمُوحِ الْإِنْسَانِ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْحَيَاةِ، أَيُّ دَارُ الْإِقَامَةِ وَالْحَيَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ الَّتِي لَا فَنَاءَ بَعْدَهَا. ((وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا)) أَيُّ مَنْ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا بِبَصَرِهِ ((أَعْمَتَهُ)) مِنْ خِلَالِ بَهَارِجِهَا وَزُخَارِفِهَا، وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الدُّنْيَا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا عَيْنًا نَبْصُرُ بِهَا حَقِيقَتَهَا وَلَيْسَتْ مَنْظَرًا نُوَجِّهُ إِلَيْهِ أَبْصَارَنَا الْمُنْبَهَرَةَ بِصُورِهِ الْحَائِلَةِ الزَّائِلَةِ.

((وأهون بها وهونها وعلم أن الله زواها عنه اختياراً)) فلقد كان النبي ﷺ الفقير واليتيم «أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ❖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ❖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى»^(١٢) فلقد كان يربط حجر المجاعة على بطنه كما تروي سيرته في أثناء حفر الخندق. ((وبسطها لغيره احتقاراً)) لأنها لا تمثل عند الله كرامة لأوليائه. وهذا ما عبر عنه الله سبحانه وتعالى في (سورة الفجر) «فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي ❖ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ» فلا ذاك إكرام ولا هذا إهانة، وإنما هي حكمة الله الذي «يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ»^(١٣).

((فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها عن نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه كي لا يتخذ منها ريشاً، أو يرجو فيها مقاماً، بلغ عن ربه معذراً)) حتى يعذر إلى الله في تبليغ رسالته ((ونصح لأمته منذراً)) ينذرهم عذاب الله وسخطه ((ودعا إلى الجنة مبشراً)) ليبشرهم برحمة من الله ورضوان ونعيم مقيم ((فتأس بنبيك الأطيب الأطهر ﷺ فإن فيه أسوة لمن تأسى وعزاء لمن تعزى)). لمن قدر عليه رزقه، ولمن حرم من بعض ما في الدنيا من نعيم ولمن واجه العنت والجحود من قومه.

((وأحب العباد إلى الله المتأسي بنبيه والمقتص لأثره)) أي السائر على أثره والمتتبع لخطواته، وكأن الإمام ﷺ يشير إلى قوله تعالى «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا»^(١٤).

((قضم الدنيا قضمًا ولم يعرها طرفاً)) أي أكلها أكلًا سريعاً ولم يتلذذ بها تلذذ المتمهل في طعامه، ولم يتوقف عند ملذاتها طويلاً بحيث تستغرق نظره وهواه ((أهضم أهل الدنيا كشحاً)) والهضم هو خمص البطن ومعناه خلوها،

(١٢) الضحى: ٦-٨.

(١٣) الرعد: ٢٦.

(١٤) الأحزاب: ٢١.

والكشع هو ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي ((وأخمصهم من الدنيا بطناً))
فالنبي ﷺ كانت بطنه خالية ولم يكن يأكل كثيراً، ((عرضت عليه الدنيا فأبى أن
يقبلها)) فلقد قيل له: خذ الدنيا كلها ولا ينقص من أجرك شيء، ولكنه قال ﴿وَمَا
عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^(١٥).

((وعلم أن الله سبحانه أبغض شيئاً فأبغضه)) فهو يبغض ما يبغضه الله
في كل شيء ((وحقر شيئاً فحقّره)) فكان يحقر ما حقّره الله ((وصغر شيئاً
فصغّره)) أي لا يعطي الأشياء أحجاماً مبالغاً فيها، فهو يعطيها حجمها الذي
أعطاه الله لها. ((ولو لم يكن فينا)) أي أنّ المشكلة هي فينا نحن الذين جئنا
بعده، ولا يتحدث علي عليه السلام هنا عن نفسه ولكنه يتحدث عن المجتمع لأنّ علياً عليه السلام
كان يحبّ الله ورسوله وكان الله ورسوله يحبّانه، ولأنّ علياً عليه السلام طلق الدنيا ثلاثاً
فلقد كان يعيش مثال رسول الله ﷺ في كل معانيه وأفاقه. ((إلا حبنا ما أبغض
الله وتعظيمنا ما صغر الله)) فنحن نحبّ الأشياء التي يبغضها الله لأننا لم نعش
معنى حبّ الله وحبّ ما أحبه الله، والله صغر الكثير من الجبابرة والمستكبرين
ولكننا نعظمهم ((لكفى به شقاقاً لله ومحادة عن أمر الله)) أي تحدياً لأوامره،
والحيد هو الزيع والميل عن الطريق وهذا هو الدرس النقدي الذي أراد لنا الإمام
علي عليه السلام أن نتعلمه من رسول الله ﷺ في دراستنا لواقعنا الذي نعيشه، فإن الاقتداء
بالرسول ﷺ والتأسي به يفرض علينا أن نكون مثله نحب ما أحبه الله، ونبغض ما
أبغضه، ونصغر ما صغّره ونكبر ما كبرّه. ولكننا لم نفعل ذلك، بل فعلنا العكس
منه وهو ما ينبغي لنا أن نرفضه من سلوكنا لتغيير على صورة رسول الله ﷺ.

ثم يقول في وصف آخر لرسول الله ﷺ: ((مستقره غير مستقر)) لأنّه كان
في مكة ثم انتقل إلى المدينة، أو لعلّه أراد أنه لم يتخذ الدنيا مستقراً بل اعتبرها
دار ممر، لأنّ مستقره الجنّة ((ومنبته أشرف منبت)) فهو من هاشم بالمكان
الأعلى وهو المصنوع على عين الله بما وكل به من ملك يسلك به طريق المكارم.

((في معادن الكرامة ومعاهد السلامة، قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار)) فتوجهت اليه لتهواه وتطيع أوامره وتلبّي دعوته ((وثنيت إليه أزيمة الأنصار)) الذين عرفوا رسالته وعظمته ((دفن الله به الضعائين)) لأنه عندما انطلق في رسالته ألقى المحبة في قلوب الناس لتكون الجسر الذي يربط بعضهم ببعض ((واخرج الحق من نفوسهم)) والله تعالى يقول ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِينَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾^(١٦). من خلال كلماته ورعايته لها. ((وأطفأ به النوائير)) نيران الأحقاد والفتن ((ألف به إخوانا وفرّق به أقراناً)) ألف الذين آمنوا به وقد كانوا أعداء، وهو ما تحدّث الله سبحانه وتعالى عنه ﴿واعتصموا بحبلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾^(١٧). ((أعزّبه الذلّة)) فأصبح الذين كانوا بالأمس أذلاء أعزاء بالإيمان ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾^(١٨) ((وأذلّ العزة)) فأصبح المشركون الذين يمتلكون ظواهر العزة أذلاء بكفرهم. ((كلامه بيان)) لأنه يشرح لهم فيه كلّ الرسالة مما أراد أن يعلمهم إياه، ويزكّيهم، ويسلك بهم سبل الوعي والهداية. ((وصمته لسان)) لأنّ صمته يتحرّك في مواقع الفكر.

أصحاب الرسول ﷺ:

ويحدّثنا عليّ ؓ عن أصحاب رسول الله ﷺ وهو منهم وأولهم: ((لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى أحداً منكم ليشبههم)) فلقد كان عليّ ؓ معهم وكان يعرف العناصر الطيبة والمجاهدة منهم، وعليّنا أن نعيش مع هؤلاء الأصحاب كظاهرة عامّة ولا نطلق السلبيات، بل نحاول أن نعيش إيجابياتهم لأنّ الله تحدّث

(١٦) الأنفال: ٦٣.

(١٧) آل عمران: ١٠٣.

(١٨) آل عمران: ١٢٣.

عن هؤلاء بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾^(١٩). وتحدث عنهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(٢٠). وتحدث عن المهاجرين، وعن النماذج الإيجابية التي انتصر الإسلام بها، وهذا ما يدفعنا إلى التركيز على الصحابة الذين هم مهملون في أحاديثنا، يصفهم علي عليه السلام بقوله:

((لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً)) في عالم العبادة والجهاد والإخلاص لله. ((وقد باتوا سجدًا وقيامًا)) كما تحدث الله عنهم في القرآن ((يراوحوون بين جباههم وخدودهم)) أي يعفرونها بالتراب في أثناء السجود والشكر لله ((ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم)) فكانوا إذا ذكروا الآخرة فكأن النار تلهب في أجسادهم كما لو كانوا يسيرون على الجمر إحساساً بخطورة ما قد يقبلون عليه إذا انحرفوا عن طريق الله سبحانه وتعالى.

((كان بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم)) بحيث ترى أثر ذلك واضحاً بين أعينهم ﴿سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾^(٢١) ((إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبتل جيوبهم)). ﴿إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(٢٢) وإذا وجلت القلوب سخت الدمعة ((ومادوا كما يמיד الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاء للثواب))^(٢٣) وهذا وصف للشفافية الإيمانية التي كانوا عليها.

ويقول عليه السلام في خطبة أخرى وهو يتحدث عن مجتمع الانصار والمهاجرين ليصف لنا كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يتصرفون مع قائدهم ونبِيِّهم ﷺ:

(١٩) الفتح: ٢٩.

(٢٠) الحشر: ٩.

(٢١) الفتح: ٢٩.

(٢٢) الانفال: ٢.

(٢٣) نهج البلاغة: الخطبة ٩٦.

((ولقد كنّا مع رسول الله ﷺ نقتل آبائنا وأبنائنا وإخواننا وأعمامنا ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً)) فلا قرابة والقضية هي قضية الله، ولا نسب والقضية هي قضية الإسلام ((ومضياً على اللقم)) وهو الطريق الواضح ((وصبراً على مضض الألم، وجداً في جهاد العدو، ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما)) أي ينتهز كل الفرصة من الآخر حتى يقتله ((أيهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرة لنا ومرة لعدونا، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر)) لأنه ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٢٤) ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(٢٥). ((حتى استقر الإسلام ملقياً جراحه)) والجراح هو مقدم عنق البعير فعندما يذبح البعير يقع ويلقي عنقه على الأرض، ومعنى ألقى الإسلام جراحه أي ثبت على الأرض واستتب له الأمر، ((ومتبوّناً أوطانه، ولعمري لو كنّا نأتي ما أتيتم)) من الخلافات والنزاعات والعصبية والأحقاد والضغائن وعدم الانفتاح على الله وعلى رسوله والسعي وراء شهواتكم وملذاتكم ((ما قام للدين عمود ولا اخضر للإيمان عود، وأيم الله لتحتلبنها دماً)) من خلال الواقع السلبي الذي تعيشونه بالشكل البعيد عما يريده الله ((ولتتبعنّها ندماً)).

مثل آل محمد ﷺ:

وفي نهاية المطاف يتحدث الإمام علي عليه السلام عن آل محمد ﷺ في حديث طويل يقول فيه: ((ألا ان مثل آل محمد ﷺ كمثل نجوم السماء إذا خوى نجم)) أي مال إلى المغيب ((طلع نجم، فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع وأراكم ما كنتم تأملون))^(٢٦) فلقد منّ الله عليكم بما لم يمنّ به على الأمم من قبلكم.

(٢٤) الحج: ٤٠.

(٢٥) محمد: ٧.

(٢٦) نهج البلاغة الخطبة ١٩٢ القاصعة.

علي ؑ المؤهل للظافة:

هذا هو بعض حديث علي ؑ عن رسول الله ﷺ ولم نأخذ منه الا القليل. وقد ذكرنا في البداية أنّ عليا ؑ عاش رسول الله ﷺ بكّله، وكان يقضي ليله ونهاره معه، فلقد كان في بيته قبل أن يتزوج ابنته الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء ؑ وكان رسول الله ﷺ في بيت علي ؑ بعد أن تزوّج ابنته، ولذلك لم يفترق رسول الله ﷺ عن علي ؑ ولم يفترق ؑ عن رسول الله ﷺ في حياته، وكان علي ؑ يتطلّع الى عيني رسول الله ﷺ ليرى كيف تلمعان ليعرف ما يريد أن يقوله الرسول قبل أن يقول كلمته. وكان يفتح على كلّ خطواته ليعرف خطّ السير. ومن هنا كان علي ؑ وحده، ولا أحد غيره، المؤهل لأن يكون الوليّ بعد رسول الله ﷺ مهما كان للآخرين، مما يتحدث به الآخرون، من فضل. فعلي ؑ الأفضل في كلّ شئ، وكما قال الخليل بن احمد الفراهيدي عندما سئل: لم فضّلت عليا ؑ على غيره؟ قال: ((احتياج الكلّ اليه واستغناؤه عن الكلّ دليل على انه امام الكل)) لأنّه كان الإسلام كلّّه، ولذلك كانت إمارة المسلمين حقّه من خلال عقله وقلبه وطاقاته وعلمه وجهاده، ولذلك فنحن عندما نذكر رسول الله ﷺ فإننا لا نملك إلا أن نذكر عليا ؑ معه، ولا نذكر عليا ؑ إلا ونذكر رسول الله ﷺ معه. من كان مع رسول الله ﷺ فلا بدّ أن يكون مع علي ؑ ومن كان مع علي ؑ فلا بدّ أن يخشع لرسول الله ﷺ رسالة وسيرة. والحمد لله ربّ العالمين.

في مدرسة الإمام علي (عليه السلام) مسؤولية الحفاظ على التوازن الاجتماعي

○ اعتبر الإسلام العهد

مسؤولية ترقى إلى أن تكون عهداً

بين الإنسان وبين الله بشكل غير

مباشر ○

- حفظ التوازن الاجتماعي.
- الغدر في الأحاديث الشريفة.
- الوفاء بالعهد.
- لا يجوز الغدر حتى بغير المسلمين.
- إفساء السر غدر.
- علي (عليه السلام) وكراهة الغدر.
- الغدر في موضعه وفاء.
- إجتنب الغدر في الحياة الاجتماعية.



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

حفظ التوازن الاجتماعي:

ما الذي يحفظ التوازن الاجتماعي في علاقات الناس بعضهم ببعض سواء
كانت هذه العلاقات شخصية كالعلاقات الزوجية أو كالمعاملات العقدية بين
الناس، أو علاقات الحرب والسلم، أو العلاقات بين الدول؟
إن الإسلام طرح مسألة العهد وأراد للناس الوفاء به، واعتبره مسؤولية
ترقى إلى أن تكون عهداً بين الإنسان وبين الله بشكل غير مباشر، وقد أكد القرآن
ذلك في أكثر من آية، ففي الالتزامات العقدية ورد قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(١). وفي مطلق المعاهدات الخاصة والعامة ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ
الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾^(٢). وتحدث عن النماذج الطيبة والمخلصة والقريبة من الله في
قوله تعالى ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾^(٣). وقوله تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا
عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾^(٤).

ولقد اعتبر الله سبحانه وتعالى العلاقة بينه وبين عباده علاقة متبادلة
﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾^(٥). ومن الطبيعي أن مثل هذه الالتزامات التي تمثلها
كلمة (العهد) تارة و(العقد) أخرى و(المعاهدة) و(الميثاق) هي التي تقيم للمجتمع
روابطه التي تمثل ارتباط المسؤولية بالمسؤولية، وهذا هو الذي يحفظ للمجتمع

(١) المائدة: ١.

(٢) الإسراء: ٣٤.

(٣) البقرة: ١٧٧.

(٤) النحل: ٩١.

(٥) البقرة: ٤٠.

نظامه لأن المجتمع إذا كفّ عن الوفاء بهذه الالتزامات فمعنى ذلك أن العلاقات تتقطع وأن الفردية تحكم المجتمع، وأن نقض هذه الالتزامات يمثل مؤشراً خطيراً على انهيار المجتمع.

وقد أعطت السنّة النبوية الشريفة وسنّة أهل البيت ﷺ التي هي في عمقها منطلقة من السنّة النبوية الشريفة لأنّ أحاديث الأئمة من أهل البيت ﷺ هي أحاديث رسول الله ﷺ كما عبّر عن ذلك الإمام جعفر الصادق ﷺ في قوله ((حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي - إلى أن يقول - وحديث جدي حديث رسول الله وحديث رسول الله عن جبرئيل عن الله))^(٦). بحيث اعتبروا الإخلال بهذه الالتزامات غدرًا ونقضاً للعهد وتحللاً من الالتزام من دون سبب شرعيّ.

الغدر في الأحاديث الشريفة:

وفي هذا اللقاء نحاول أن نستعرض ما جاء من الأحاديث في هذه المسألة (مسألة الغدر). ففي رواية الإمام علي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له فيما عهد إليه: ((وإياك والغدر بعهد الله والإخفار لذمته)) و(الإخفار) هنا تعبير آخر عن نقض العهد^(٧)، ((فإن الله جعل عهده وذمته أماناً أمضاه بين العباد برحمته، والصبر على ضيق ترجو انفراجه خير من غدر تخاف أوزاره وتبعاته وسوء عاقبته)) فكأن الرسول ﷺ يريد أن يؤكّد أن مسألة العبودية لله سبحانه وتعالى والإخلاص له تفرض على الإنسان أن يحافظ على ما عاهد عليه الله في أموره كلّها، وعلى ما لله في ذمته، وأن لا يغدر بعهد الله، ولا ينحرف عن ذمته في أيّ شأن من شؤونه، وكأن النبي ﷺ يقول بأنّ هذا هو الأمان الذي يمثل الخطّ الذي يأمن فيه الناس بعضهم بعضاً، لأنّهم إذا التزموا عهد الله سبحانه وتعالى وذمته في كلّ ما أراد لهم أن يلتزموه سلباً أم إيجاباً، فإنّ معنى ذلك أنّ ما يحكم علاقة الناس ببعضهم

(٦) بحار الأنوار، ج ٣، ص ٢٥، ب ٣٣، ح ٩.

(٧) في لسان العرب: أخفّره نقض عهده وخاس به وغدره، وأخفر ذمته: لم يف بها.

هي المسؤولية أمام الله عزّ وجل، فإذا كان كلّ إنسان يفي بعهد الله في عباده فإنّ معنى ذلك أنّه يعطي الأمان لعباد الله بقدر ما يختصّ الأمر به.

ثم يحاول الحديث أن يبيّن للإنسان أنّه قد يضيق بالعهد الذي عاهده لأنّ الإنسان بطبعه يضيق بمسؤولياته، ولكنّه عندما يعيش هذه الحالة النفسية عليه أن يوازن بين ما يحصل عليه من نتائج ومكاسب من خلال هذا الضيق الذي يرجو انفراجه وبين ما يخسره مما يكون نتيجة الغدر الذي عليه أن يخاف من أوزاره وتبعاته وعاقبته. وكأنّه يقول بأنّ وفاءك للعهد هو أفضل من غدرك، أو لا يقاس بما تحصل عليه جرّاء الغدر من ضيق وتعب وجهد ومشقة لما تواجهه من النتائج السلبية.

وفي (الغرر والدرر) مما روي عن علي عليه السلام من كلمات يبيّن فيها طبيعة الإنسان الغادر، وما هي الصفة التي يستحقّها، حيث يقول: ((الغدر شيمة اللئام)) لأنّ اللئيم هو الذي لا يحترم كلمته في عهده ولا يراعي القيمة الإنسانية في علاقته بالآخر فيدفعه ذلك إلى الغدر به، ويقول: ((الغدر يضاعف السيئات)) لأنّ النتائج التي تترتب عليه ربما تخلق للمغدر أكثر من مشكلة، وتوقعه في أكثر من خطيئة، لا في جانب الغدر فقط بل بمجانبة القرآن الذي أكدّ على الوفاء بالعهد وبذلك فإنّ الوفاء بالعهد، يختزن رفض الغدر.

يقول عليه السلام: ((إياك والغدر إنّه أقبح الخيانة)) لأنّ الإنسان الذي عاهدته والتزمت بما التزمت به إزاءه أعطاك ثقته ورّتب أموره في الحياة على أساس التزاماتك، وبهذا فإنّك عندما تغدر به وتتقضّ عهده فإنّك تترك كلّ حياته في هذا المجال، وأيّة خيانة أعظم من الخيانة التي تترك حياة الناس في كثير من أمورهم، وربما تؤدّي إلى بعض الأخطار التي تهدّد حياتهم تبعاً لخطورة الشيء الذي أعطيت العهد من نفسك في الالتزام به.

ويروى عن علي عليه السلام قوله: ((أسرع الأشياء عقوبة رجل عاهدته على أمر وكان من نيتك الوفاء له ومن نيّته الغدر بك)). فإذا ما تعاهد اثنان وكان أحدهما

مخلصاً في عهده والآخر ينوي الغدر ويبيِّته، فإن هذا مما يعتبره علي عليه السلام من الأشياء التي يعجل الله به العقوبة.

ويتحدث علي عليه السلام عن الغدر في كتابه إلى (مالك الأشتر) وهو الكتاب الذي يمثل الوثيقة الإدارية الأولى التي ركَّزها أمير المؤمنين عليه السلام بما ينظِّم لآلية سلطة مسؤولية كلِّ ما تواجهه من مسؤوليات على صعيد العلاقة بالناس في رعاية أمورهم وتنظيم حياتهم ونشر العدل فيهم وما إلى ذلك.

الوفاء بالعهد:

يقول الإمام علي عليه السلام في كتابه إلى (مالك الأشتر) (رض) ((وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة، أو ألبسته منك ذمّة)) بحيث جعلت ذمّتك لباساً يلبسه ((فحط عهدك بالوفاء)) أي حاول أن تحيطه بالوفاء لهذا الشخص وإن كان عدوًّا لك ((وارع ذمّتك بالأمانة)) أي كن الإنسان الأمين الذي إذا عاهد فإنّه يفي بكلّ الالتزامات التي في ذمّته.

((واجعل نفسك جنّة دونما أعطيت)) والجنّة هي الدرع الذي يمنع من الاختراق، والمراد به الحماية ((فإنّه ليس من فرائض الله شيء أشدّ عليه اجتماعاً مع تفرّق أهوائهم وتشتت آرائهم)) فهذا الشيء الذي يجتمع الناس ويلتقون عليه مع تفرّق الأهواء وتشتت الآراء من تعظيم الوفاء بالعهود، وهذا هو الشيء الذي يحفظ للمجتمع توازنه، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين ((لما أستوبلوا من عواقب الغدر)) أي استثقلوه فلماذا التزم المشركون الوفاء بالعهد؟ لقد كانوا إذا دخلوا في أي عهد أو عقد أو حلف أو التزام فإنّهم كانوا يفون بذلك ولا ينقضونه لأنّهم درسوا النتائج السلبية التي تترتب على عدم الالتزام بالعهد فرأوا أنّها تؤثر على حياتهم كلّها، وتثقل أوضاعهم، ولهذا فبالرغم من تشتت آرائهم وتفرّق أهوائهم لكنّهم اجتمعوا على هذا، فلقد وجدوا الغدر وببلاً أي ثقيلاً.

((فلا تغدرنْ بذمتك)) فإذا التزمت بشيء أمام خصمك أو عدوك أو أمام أي إنسان آخر فلا تغدر به بنقض ذمتك وفكّها بحيث تتحلل من التزامك أمامه ((ولا تخيسنْ بعهدك)) لا تنقضنه أي لا تغدرنْ ((ولا تختلنْ عهودك)) أي لا تمكر بأحد لأنّ عهدك هو الذي أعطاه الأمان والثقة والمعنى الإنساني المتمثل بك وبما تمثّله من الإسلام ((فإنّه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي)) أي أنّ الاجترأ على العهد ونقضه يمثل اجترأً على الله سبحانه وتعالى. ((وقد جعل الله عهده وذمته أمناً)) باعتبار أنّ الناس يأمنون بذلك ويشعرون بوجود عروة وثقى يتمسكون بها في أمورهم كلّها فيما دخلوا فيه من عهد الله.

((أفضاء بين العباد برحمته)) أي جعله مشتركاً بين العباد برحمته والمنفعة بالتحريك - ما تمتع به من القوة ((وحريماً يسكنون إلى منعته)) أي جعلوا العهد كما الحرم الآمن الذي يحمي الناس من غوائل الأعداء. يفرعون إليه بسرعة ((ويستفيضون إلى جواره)) أي ينتشرون في طلب حاجاتهم في ظل الطمأنينة والسكينة التي يوفرها لهم ((فلا إدغال)) أي لا إفساد ((ولا مدالسة)) أي لا خديعة فيه.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ من طرق العامة، رواه البخاري عن أبي هريرة، قال الله تعالى: ((ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر)) وأعطى بي يعني أعطى العهد بي ((ورجل باع حراً فأكل ثمنه)) ولا يجوز بيع الحرّ ((ورجلاً استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يوفّه أجره)) أي تركه يعمل وبعد أن أنجز عمله لم يوفّه الأجر.

لا يجوز الغدر حتى بغير المسلمين:

وعن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله ﷺ قال: ((سألت عن قريتين من أهل الحرب)) أي ليسوا من المسلمين ((لكل واحدة منهم ملك على حدة اقتتلوا ثم اصطلحوا)) على أساس معاهدة فيما بينهم ((ثم إن أحد الملكين غدر بصاحبه فجاء به إلى المسلمين فصالحهم على أن يغزوا تلك المدينة)) أي أنّه أراد أن

يستغلّ عداوة المسلمين للملك الآخر ليفدر به ((فقال أبو عبد الله ﷺ لا ينبغي للمسلمين أن يغدروا، ولا يأمرؤا بالغدر، ولا يقاتلوا مع الذين غدروا)) فمع أن كلاّ منهما حربيّ أي أن هذا محارب للمسلمين والآخر كذلك ولكن لا يجوز للمسلمين أن يغدروا بأيّ منهما في موقف المساعدة للآخر. نعم إذا شنّ المسلمون الحرب فالخدعة في الحرب وسيلة من وسائل الدفاع وهي مباحة في هذا المضمار، أمّا أن يكونوا عوناً في الغدر لفئة على فئة فلا يجوز لهم ذلك ((ولكنهم يقاتلون المشركين حيث وجدوهم، ولا يجوز عليهم ما عاهد عليه الكفّار)).

ولاحظوا هنا الدقّة التي يؤكدّها الإسلام في أنّ على الإنسان المسلم أن لا يغدر هو نفسه ولا يساعد الغادر في غدره، ولو تأملنا في بعض الحالات الاجتماعية لرأينا أن بعض الأشخاص لو كان بينه وبين إنسان آخر اتفاق ومعاملة مالية، أو كما في العلاقة الزوجية، ويحاول أحد المتعاملين، كما في المثال الأول، أو أحد الزوجين، كما في المثال الثاني، أن ينقضّ اتفاقه مع شريكه في العمل أو في الحياة الروحية فلا يعطي زوجته مهرها، وأن لا يقوم بشؤونها، أو كما لو باع إنسان شيئاً لآخر، أو تعاقد معه على شيء وأراد أحدهما أن يغدر بصاحبه، والغادر هو أحد أقربائك أو صديقك أو ابن دينك أو طائفتك وأراد منك أن تساعد في تنفيذ غدره بالطرف الآخر، فلا يجوز لك ذلك حتى لو كان الغادر مسلماً، وكان من توجهّه إليه الغدر كافراً لأنّ الله سبحانه وتعالى لا يحبّ الغادرين. وورد عن عليّ ﷺ ((الغدر بكلّ أحد قبيح، وهو بذئ القدرة والسلطان أقبح)). أي الذي يستعمل قوته في الغدر ذلك لأنّ الخلق الإسلامي يتمثل في العفو عند المقدرة، لا أن تتخذ السطوة والسلطة كسلاح للغدر والبطش والفتك بمن لا يملك قوة ولا ناصراً.

إفشاء السر غدر:

وفي الحديث عنه ﷺ أيضاً، وهو مما نبتلى به كثيراً ((اقبح الغدر إذاعة السر)). أي عندما يودعك أحد سرّاً، ويريد منك أن تكتمه، فإنّ هذا هو عهد

بينك وبينه على كتمان السرّ، فأنت عندما تضيع سرّ فقد غدرت به لأنك نقضت التزامك له في فضح سره والمجالس - كما هو معروف - بالأمانات فلا ينبغي لك أن تفشي سرّ من أودعك سرّ لأنك بذلك تغدره.

وقد ورد في الحديث عن علي عليه السلام تعليقاً على بعض الناس الذين يعتبرون من يتقن اللعبة الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية ذكياً، فيخطط من أجل خداع الناس، فيمنحهم الالتزامات التي توحى لهم بالثقة به فيرتبون أمورهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على هذا الأساس، ثم يضرب ذلك عرض الجدار فيغدر بمن عاهدهم حتى يسقط أوضاعهم كيما يحصل على النتائج الإيجابية لمصلحته من خلال ذلك.

إنّ هذا المخادع الذي يصفه المأثور الشعبي بأنّه يأخذك إلى النهر ويرجعك عطشاً، أو أنّه يجيد اللعب على كلّ الحبال، أو أنّه يعرف من أين تؤكل الكتف، يحذر الإمام عليه السلام من اعتباره كذلك، فهو يعلّق على الانحراف الأخلاقي في تقويم الأشخاص من الغادرين فيقول في (نهج البلاغة) ((أيها الناس، إنّ الوفاء توأم الصدق)). أي أنّهما أخوان، لماذا لأنّ الوفاء يمثّل الصدق في العهد والصدق في الموقف والصدق في الالتزام، فكلّ وفيّ هو صادق، فإذا كنت غير وفيّ فأنت لست صادقاً. ((ولا أعلم جنّة أوفى منه)) أي درعاً أشد وقاية منه، فلا شيء هناك يقي المجتمع من المخاطر والمشاكل والنتائج السلبية كما هو الوفاء. ((ولا يغدر من علم كيف المرجع)) فالإنسان ينبغي أن يفكر بالآخرة وبما يقبل عليه من خلال خسارته لرضوان الله تعالى وتعرضه لسخطه بما يؤدي إليه غدرة من عواقب وخيمة يوم يقوم الناس لله تعالى ويحكم بينهم، فإنّ الغدر ربما يعطي للإنسان بعض الأرباح في الدنيا ولكنه يعطي الخسارة - كلّ الخسارة - في الآخرة، وأيّة خسارة أفدح من هذه، لأنّه يخسر نفسه ومصيره.

علي عليه السلام وكراهة الغدر:

((ولقد أصبحنا في زمان)) وهو زمانه عليه السلام فكيف يا ترى بزماننا الذي انقلبت فيه الموازين؟ ((قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيساً)) والكيس من الكياسة وهي الذكاء والفتنة ((ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة)).

ثم أنه عليه السلام يتحدث عن نفسه، ويردّ بذلك على من يقولون إنّ علياً عليه السلام لا يعرف السياسة، وأنه لا يعرف كيف يدير الأمور التي يستطيع بها أن يربح النتائج ((ما لهم قاتلهم الله قد يرى الحول القلب)) والحول القلب هو الشخص المجرب الذي يقلّب الأمور على وجوهها، ويقدرّ عواقبها، ويعرف نتائجها الإيجابية والسلبية، فأنا، أي علي عليه السلام، أعرف كيف يُنقض العهد، وكيف تُتخذ الحيلة ولكن ثمة ما يمنعني من هذا وذاك ((ودونها مانع من أمر الله ونهيه)) فإذا قال الله تعالى لي قف هنا ولا تتقدم في تيار هذه الحيلة فإنني أقف حيث أراد الله لأنّ الحيلة لا تتسجم مع البرنامج الشرعي الذي وضعه سبحانه وتعالى في تنظيم علاقات الناس العامة والخاصة ((فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها، وينتهرز فرصتها من لا حريجة له في الدين)) أي من لا تقوى له.

وتلك هي مشكلة الإمام علي عليه السلام مع مجتمعه، فلقد ملك الفكر كلّهُ، وعرف كيف يعمّقه في كلّ دقائق الأمور وخفاياها، وهو الإنسان الذي فهم الحياة كما لم يفهمها أحد في عهده، وهو الذي عاش التجربة في أدقّ مراحلها، والإنسان الذي ارتفعت به المعرفة حتى قال: ((لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً)). وعاش المعرفة كلّها حتى قال: ((فإنّي بطرق السماء أعرف منّي بطرق الأرض))^(٨) ولكنّ علياً عليه السلام هذا الصلب العنيد كان ضعيفاً أمام الله سبحانه وتعالى حتى أنّه كان يقول ((وأنا عبدك الضعيف الذليل الحقير المسكين المستكين)) كان القوي أمام العالم كلّهُ الضعيف أمام الله عزّ وجل، فإذا قال له تبارك وتعالى شيئاً أحنى رأسه وخضع حتى قال: ((كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً وكفى بي فخراً أن تكون

(٨) بحار الأنوار، ج ٩٤، ص ٩٨، ح ١٣، ب ٣٢.

لي رباً أنت كما أحبّ فأجعلني كما تحبّ))^(٩).

فنحن نقرأ في سيرة الإمام عليه السلام في مسألة الشورى التي تحدّث عنها بقوله: ((فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر)). أنّ عبد الرحمن بن عوف جاءه وكان عمر بن الخطاب هو الذي جعل الشورى فيمن يخلفه، فقال لعلي عليه السلام: تبايعني (أي أبايعك) على كتاب الله وسنة نبيه وسيرة الشيخين؟ فقال علي عليه السلام له: ((أما كتاب الله وسنة نبيه فنعم، وأما سيرة الشيخين فلا))^(١٠) فإذا كانا يسيران على كتاب الله وسنة نبيه فما الحاجة إلى سيرتهما؟!، وأما إذا كانت سيرتهما تعني اجتهدهما فلي اجتهدا وليهما اجتهدهما، فلم لا أعمل باجتهدا أنا أيضاً؟! وبهذا صرف عبد الرحمن بن عوف الخلافة عن علي عليه السلام وأعطاهما لعثمان وأعطاه عثمان العهد في ذلك ولم يلتزم به وماتا وهما متباغضان.

وفي واقعة صفين تغلّب جماعة معاوية على الماء فمنعوا أصحاب علي عليه السلام من أن يأخذوا الماء من النهر، فهجم أصحاب الإمام عليه السلام وتغلّبوا عليهم وقالوا لعلي عليه السلام فلنمنعهم كما منعونا فرفض ذلك باعتبار أنّ الله جعل الماء مشاعاً ومباحاً لكلّ الناس فإذا منعونا منه فإنّهم يخالفون إنسانيّتهم وهيئات أن نفعل ما يفعلون.

فعلي عليه السلام كان يتحرك من خلال منهج رسالي وروح منفتحة لا من خلال حقد أعمى، وهذا ما قرأناه في (نهج البلاغة) عندما سمع جماعة من أهل العراق يسبّون أهل الشام فوقف فيهم خطيباً وقال لهم: ((إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين ولكن لو وصفتم أفعالهم وذكرتم حالهم لكان أصوب في القول وأبلغ في الغدر، وقلتم مكان سبّكم إياهم: ربّنا أحقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم واهداهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي

(٩) بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ٤٠٢، ح ٢٣، ب ١٥، مناجاة علي.

(١٠) بحار الأنوار، ج ١٦، ص ١١٥، ب ٣٠، ح ٧.

والعدوان من لهج به))^(١١).

وقد عبّر عن روحيته هذه بأكثر من كلمة حيث قال: ((والله ما معاوية بأدهى مني)) وما زال البعض حتى يومنا هذا يقولون إن علياً عليه السلام ليس سياسياً وأن معاوية هو السياسي، فهذا حافظ على ملكه وعلي عليه السلام لم يستطع أن يحافظ على ملكه وقد عالج الإمام عليه السلام ذلك بهذا القول ((ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدره فجرة، وكل فجرة كفر، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة))^(١٢). فالمؤمن لا يمكن أن يغدر بل هو يلتزم بعهد الله ((والله ما أستغفل بالمكيدة، ولا أستغمر بالشديدة)) فلا أحد يستطيع أن يستغفلي بمكائده، ولا أحد يستطيع أن ينتقص من شأني وموقعي وقوتي بما يوجهه إلي من الشدائد.

وعن الأصبع بن نباتة قال: ((قال أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم وهو يخطب على المنبر بالكوفة: أيها الناس لولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس ألا إن لكل غدره فجرة، ولكل فجرة كفر، ألا إن الغدر والفجور والخيانة في النار)).

الغدر في موضعه وفاء:

يقول عليه السلام: ((الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله)) فالإمام عليه السلام لا يطلب منا أن نغدر بلا مناسبة بل يركّز على أن أهل الغدر - وهم الذين يخططون للغدر بالمسلمين يجب الحذر منهم فلا يفي المسلمون لهم، لأن الغادر يبتعد عن التزاماته بنقضه عهده، ولذا فإن من حقه أن تنقض عهده معه، وهذا المفهوم ينطلق من الآية الكريمة «وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ»^(١٣). وقد نزلت في يهود بني قينقاع الذين أعطوا النبي عليه السلام عهداً وعزموا على نقضه وأخبره الله تعالى بذلك وأمره

(١١) شرح نهج البلاغة. ج ٦. ب ١٥. ح ٩.

(١٢) شرح نهج البلاغة. ج ٧. ب ١٥. ح ٣.

(١٣) الأنفال: ٥٨.

بحربهم، ومن هنا فإنّ الوفاء لهم غدر.

وورد عن رسول الله ﷺ ((إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء فقيل هذا غدره فلان بن فلان))^(١٤).

اجتناب الغدر في الحياة الاجتماعية:

وعلى هذا الأساس فإنّ علينا أن ننطلق في حياتنا الخاصة والعامة من خلال هذا البرنامج، فالالتزامات الخاصة بين الناس هي هذه المعاهدة بين الرجل وبين المرأة في عملية الزواج، فعلى الرجل أن يفي لزوجته بحقوقها، وعلى الزوجة أن تفي لزوجها بحقوقه، فلا يجوز لأحدهما أن يغدر بالآخر بأن ينقض عهده ويتحلل من التزاماته، وقد عبّر الله سبحانه وتعالى عن الذين يأخذون مهر زوجاتهم بقوله «اتَّخَذُوهُنَّ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا» وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا^(١٥). وهكذا بالنسبة للالتزامات في الدين والبيع والشراء والإجارة والمضاربة والشركة، فكلّ هذا فيه عهد يمثل عهد الله ولا يجوز للإنسان أن ينقضه، فنقض العهد يمثل حالة غدر.

كما نعيش في واقعنا السياسي مسألة الوفاء لأهل الغدر والغدر بأهل الغدر في المعاهدات التي تحصل بين شعوب العالم الثالث وبين المستكبرين، حيث يعمل القوي على أن يتحلل من التزاماته إزاء الضعيف على أساس لعبة سياسية أو اقتصادية، وعلى الضعيف أن يراقب ذلك ويكون حذراً، فإذا تحلّل القوي من بعض التزاماته بالمكر والحيلة والخداع فعلى الضعيف أن يواجهه بالتحلل من التزاماته حتى لا يمكنه من الغدر به بلحاظ غفلته وأخلاقه.

فلقد قلنا في بعض التصريحات أننا لا نمكّن الاستكبار العالمي من أن يقيدنا بأخلاقنا فهي تتسع للكثير من الخطوط التي تجعلنا نتحرك أخلاقياً من دون أن نسيء إلى مبادئنا، ولكننا نواجه المستكبر باستكباره بالحيلة وبالخداع

(١٤) أحاديث وروايات المحاضرة عن كتاب (ميزان الحكمة) باب (الغدر).

(١٥) النساء: ٢٠-٢١.

وبالمكر إذا أراد أن يخدعنا ويمكر بنا، وهذا ما نواجهه الآن مما يعقد من التزامات بين الفلسطينيين وبين الإسرائيليين، خاصة الالتزامات التي وقّع عليها الفلسطينيون، ونقضها العدو فلم يف بالتزاماته، بل حاول أن يلعب لعبة الإيحاء بأنّ الفلسطينيين هم الذين لم يلتزموا باتفاقاتهم. ونحن نراقب الاتفاق الذي عقد أخيراً بين الصهاينة وبين الفلسطينيين بإشراف رئيس المخابرات الأميركية فنجد أنهم وقّعوا على اتفاق إطلاق النار، ولكن الصهاينة خطّطوا لنقض هذا الاتفاق فلم يرفعوا الحصار وما زالوا يعتدون. وقد عرف الفلسطينيون طبيعة اللعبة، لهذا ولد الاتفاق شبه ميت، إذا لم يكن ميتاً.

إنّ علينا أن نفسي بالتزاماتنا مع الآخرين ولكن علينا أن نكون الواعين اليقطين الحذرين الذين لا نستغفل بالمكيدة ولا نستغمر بالشديدة، بل نعرف كيف نفسي في مواقع الوفاء، وكيف ننبد إلى الذين نخاف منهم الخيانة في مواقعها.

وإن على المؤمن أن يكون الواعي لما حوله ولمن حوله، وأن يكون إنسان الأخلاق الذي يركّز منهجه الأخلاقي مع عدوه ومع صديقه ليفي بالتزاماته ولكن عليه أن لا يكون الإنسان المغفل الذي يقيد الآخرين بأخلاقه في الوقت الذي ينقضون فيه كلّ مبادئ الأخلاق. والحمد لله رب العالمين.

في مدرسة الإمام علي (ع) كتابه إلى الحارث الهمداني - الفصل الأول -

(١) كان علي (ع) يتحسس

مسؤوليته عن توعية الناس، فلم

تكن علاقته بأصحابه أو بولاته

في فترة حكمه علاقة رسمية، بل

كانت علاقة رسالية (٢)

➤ حاذر من الأعمال المخجلة.

➤ صن عِرْضَكَ.

➤ لا تحدّث بكلّ ما تسمع.

➤ تكذيب كلّ المسموعات جهل.

➤ كظم الغيظ.

➤ التجاوز عند المقدرة.

➤ الحلم عند الغضب.

➤ الصفح من موقع السلطة.

➤ استصلاح النعم.

➤ مسؤولية علي (ع)

➤ كتاب علي (ع) إلى الحارث

الهمداني.

➤ التمسك بالقرآن.

➤ التصديق بالحق.

➤ الاعتبار بالماضي.

➤ تعظيم لفظ الجلالة.

➤ الإكثار من ذكر الموت.

➤ إجلل نفسك مِرْاثاً.



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

مسؤولية علي عليه السلام:

ونبقى مع علي عليه السلام نستنطقه ونسأله وننتفض على آفاقه التي هي آفاق
الإسلام في صفاته ونقائه وسعة أفقه، لأنّ علياً عليه السلام كان إسلاماً بكلّه فلم يكن فيه
شيء لغير الإسلام. فهو قد عاش الإسلام بمعناه التوحيدي قبل أن يولد رسالة
في عقل رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أعده الله إعداداً في عقله وقلبه وحياته ليكون
الإنسان الذي تتجسّد فيه الرسالة.

وقد كان علي عليه السلام يتحسّس مسؤوليته عن توعية الناس، فلم تكن علاقته
بأصحابه أو بولاته في فترة حكمه علاقة رسمية، بل كانت علاقة رسالية، ولهذا
فإننا نجده عندما يعيش مع جمهوره يغتم كلّ فرصة ليخطب فيهم، وليتناول كلّ
القضايا التي تتحرك بشكل ضبابي في المجتمع ليعالجها بوحى من مسؤوليته
الرسالية، وليحلّها عندما تتحوّل إلى مشكلة. وكان يكتب إلى ولاته وإلى أصحابه
ليرفدهم في كلّ ما يمارسونه من ولايتهم عنه في حكم الناس لينقد انحرافاتهم
إذا انحرفوا ولبيلور لهم الفكرة عندما تشتبه عليهم الأمور، وليتابعهم في
قضاياهم كلّها ليخطّط لنظام إداري هنا، أو لخطوط حركية هناك حتى يكونوا
صورة عنه في الرفق بالأمة، وبالعدل فيما يحكمون.

ولذلك فنحن بحاجة - أيّها الأحبة - إلى أن ندرس علياً عليه السلام بكلّه .. ندرسه
في خطبه التي نستطيع أن نعرّف من خلالها ما هي الأحداث؟ وما هي القضايا؟
وما هي التعقيدات التي كانت تتحرك في المجتمع في عهده؟ لأنّ خطبه كانت
تمثل الركائز التي يخطّط من خلالها لقضايا المجتمع كلّها. وعلياً أن ندرسه في

كتبه ورسائله التي كان يرسلها إلى الذين عارضوه وحاربوه، لنرى كيف كان يخاطبهم؟ وكيف كان يحاورهم؟ وكيف كان يقيم الحجّة عليهم؟
وندرسه في كلماته القصار التي تمثل كلّ كلمة فيها عالماً من فكر أو حكمة أو موعظة. ولعلّ مشكلة علي عليه السلام مع الذين ينتسبون إليه أنّهم لم يفتحوا عليه الانفتاح الواعي في حياته، كما لم يفتحوا عليه الانفتاح الواعي في مدى الزمن، بعد انتقاله إلى رحاب الله.

ولو قمنا بإجراء إحصائية في المجتمعات التي تنتسب إليه بالاسم أو تتشيع له، فكم نجد من هؤلاء الناس، حتى الذين يحملون صفة رسمية دينية، من يفهم علياً عليه السلام في منطلقاته وفي كلماته؟!

كتاب علي عليه السلام إلى الحارث الهمداني:

وفي هذا اللقاء - أيّها الأحبّة - نريد أن نتابع علياً عليه السلام في كتابه إلى (الحارث الهمداني) وهو من أصحابه المقربين إليه، ولم ينقل (الشريف الرضي) عليه السلام في (نهج البلاغة) الكتاب كلّ كعادته في اقتطاع بعض كلمات الإمام عليه السلام مما يتوافر على شرط بلاغي، ولذلك فقد أهمل الكثير من كلمات الإمام عليه السلام في اختياراته التي لم تقع تحت الشرط المذكور فأضاع علينا الكثير من الجانب الفكري. ونحن نتصور أنّ كلمات علي عليه السلام كلّها في مستوى البلاغة لأنّه لم ينحطّ في كلمة ليرتفع في كلمة أخرى، بل كانت كلماته فيما نقرأه منها يشبه بعضها بعضاً في المستوى البلاغيّ الأرفع.

التمسك بالقرآن:

يقول عليه السلام مخاطباً الحارث: ((وتمسك بحبل القرآن)) كما يتمسك كلّ إنسان بالحبل عندما يريد أن يثبت نفسه في مواقع السقوط والاهتزاز، وقد عبّر رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين عن القرآن بقوله: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل

بيتي)). فالقرآن حبل ممدود من السماء إلى الأرض لأنه وحي الله من السماء التي تمثل موقع العلو، وإلا فالله تبارك وتعالى لا تحويه سماء ولا أرض لأنه فوق الزمان والمكان.

فالإمام عليه السلام يوصي الحارث بأن يتخذ القرآن القاعدة التي يرتكز عليها، فيقول له انفتح عليه وليكن تمسكك بالقرآن بأن يمثل لديك القاعدة الفكرية التي يمكنك أن تنفذ إلى كل جذورها وأسسها من أجل أن تصنع لنفسك الفكر الذي يفتح عليه عقلك، لأن الله أودع في هذا القرآن قاعدة الفكر للإنسان بحيث يتحرك من خلاله إلى كلها تفرعاته.

((وانتصحه)) فإذا عشت مشكلة فافتح القرآن وأنظر كيف ينصحك في حركة الحل لهذه المشكلة، وعندما تريد أن تدخل في مشروع أو تسلك طريقاً أو تؤيد شخصاً أو جهة أو ترفضهما، وعندما تطلب النصيحة فيما يطلبه الناس من الناصحين، فالقرآن خير ناصح فاستنصحه في آياته كلها ففيه كل النصيحة بشرط أن تعيه القرآن وعي تدبر وتعمق لا وعي استهلاك سطحي كما يفعل الذين يستهلكون القراءة القرآنية «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا»^(١).

((وأحلّ حلاله وحرم حرامه)) فالقرآن هو كلمة الله، وهو شريعته، ولذلك فإن عليك أن تلتزم القانون القرآني بأن تحلّ ما أحله وأن تحرم ما حرّمه، وأن لا تلجأ إلى شريعة أخرى غير القرآن «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ»^(٢).

التصديق بالحق:

((وصدق بما سلف من الحق)). لأن الله سبحانه وتعالى إنما أكد الحق في رسالته لأن الحق هو الثبات الذي يمثل الرسالات كلها، فهي - أي الرسالات - لا تختلف في الحق الذي يجمعها إن في حق التوحيد أو في حق اليوم الآخر أو في

(١) محمد: ٢٤.

(٢) الأحزاب: ٣٦.

حق المفاهيم التي توصل للإنسان إنسانيته وتفتح له الطريق إلى الله سبحانه وتعالى، ولكن الفرق بين رسالة ورسالة هو فرع هنا وفرع هناك ﴿وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي هُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾^(٣). كما جاء على لسان عيسى عليه السلام. و﴿إِنَّمَا بَعَثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ﴾. كما جاء على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم. ولذلك فإن القرآن ﴿مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾^(٤) و﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾^(٥). لأن كل رسول جاء بالحق.

الإعتبار بالماضي:

((واعتبر بما مضى من الدنيا ما بقي منها)) فإذا أردت أن تفهم الدنيا فيما تستقبل فانظر إليها فيما مضى عنك لأن السنن التاريخية التي أودعها الله في حركة المجتمعات من هزيمة وانتصار ونجاح وفشل وحياة وموت هي السنن الثابتة فيما أقام الله عليه الدنيا، ولذلك فقد يختلف المستقبل عن الماضي في بعض التفاصيل ولكنهما ينطلقان من قاعدة واحدة وسنة واحدة في القواعد العامة التي تحكم حركة الإنسان في الزمن ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(٦). ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾^(٧).

((فإن بعضها يشبه بعضاً، وآخرها لاحق بأولها)). وهكذا نرى كيف تنطلق المسيرة الإنسانية .. جيل يمضي وجيل يأتي وما يجري على الجيل الآتي فيه الكثير مما جرى على الجيل الماضي.

((وكلها حائل مفارق)) أي أن كل ما في الدنيا زائل وهو مفارق الناس الذين يعيشون فيه.

(٣) آل عمران: ٥٠.

(٤) الأنعام: ٩٢.

(٥) البقرة: ٢٨٥.

(٦) الأحزاب: ٦٢.

(٧) فاطر: ٤٣.

تعظيم لفظ الجلالة:

((وعظم اسم الله أن تذكره إلا على حق)). فلا تبدلوا اسم الله، ولا تجعلوا اسم الله عرضة لأيمانكم، فإنَّ الحلف بالله يمثل عنواناً من أخطر العناوين، لماذا؟ لأنَّ معنى أن تحلف بالله على خبر تتقله، أو تحلف به على شيء تفعله هو أنَّك تجعل الله شاهداً على ما تخبر به، فإذا كان ما تخبر به زوراً وباطلاً فإنَّك تأتي بالله شاهد زور، وإذا كنت لا تقبل أن يؤتى بك كشاهد زور لأنَّ ذلك يمثل انتهاكاً لحرمتك وإسقاطاً لموقعك فكيف بك وأنت تأتي بالله شاهد زور سواء كنت تخبر عن شيء في غير حالة الشهادة، أو كنت تخبر عن شيء في موقع الشهادة. وقد ورد في الحديث ((إنَّ اليمين الكاذبة تضع الديار بلاقع)). أي قفراء، فيما تنتجه هذه الشهادة من نتائج سلبية على الإنسان وعلى الآخرين، وكأنَّك فيما تحلف بالله تغري الآخر أن يثق بك باسم الله، وكأنَّك تقول بأنَّ الله يشهد عليَّ أنني سأفعل ذلك، فإذا كنت عازماً أن لا تفعل فكيف تأتي بالله لتوثق التزامك بعهدك ووعيك باسم الله؟ إنَّ ذلك يمثل نوعاً من عدم التعظيم لله سبحانه وتعالى، حتى أنَّ بعض الآثار الدينية تقول: ((لا تحلف بالله صادقاً ولا كاذباً)).. وينقل عن إمامنا الإمام زين العابدين علي بن الحسين ؑ أنَّ امرأة من نسائه طلقها ولم تكن في مستوى المسؤولية فادَّعت عليه مالاً ولم تكن لديها بيّنة وقدمته إلى القاضي واقتضت الدعوى أن يحلف الإمام ؑ على نفي ما طلبته وهو مئتا دينار، فقال لولده الإمام محمد الباقر ؑ: يا بني أعطها مائتي دينار، فقال: يا أبتاه أأست صادقاً في نفي ذلك؟ فقال: بلى، ولكنِّي ((أجللت الله أن أحلف به يمين صدق)). أي لا أريد أن أقحم الله سبحانه وتعالى في نفي ما تدعيه هذه المرأة وإن كان ذلك يوجب خسارتي، فإنني أريد أن أشهد الله بأنَّني أكرم إسمه فلا أقحمه في هذه الدعوى.

الإكثار من ذكر الموت:

((وأكثر ذكر الموت وما بعد الموت)). فهل يريدنا الإمام عليه السلام في هذه النصيحة أن نموت قبل أن نموت؟ وهل يريد منا أن يضع كل واحد منا قبره وأجله أمامه ليعيش حالة اليأس من الحياة أو الإحساس بأنه سوف يموت اليوم أو غداً فيمنعه ذلك من الانفتاح على الحياة في قضاياها وصراعاتها ومشاريعها؟

إن الإمام عليه السلام فيما نفهمه من كلامه لا يريد ذلك لأنه يعرف - وهو الذي علّمنا مما علّمه الله ورسوله - بأن الحياة مسؤوليتنا، وأن علينا أن نندفع إلى الحياة في نطاق المسؤولية لبنينها على ما أراد الله سبحانه وتعالى الذي جعل الإنسان خليفته في الأرض من أجل أن يحقق هذا الهدف، والإمام عليه السلام يقول: ((اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً وأعمل لآخرتك كأنك تموت غداً)). أي اعمل لدنياك كما لو لم يكن هناك موت أبداً، وخطّط لمشاريعك على أساس الاستمرار من دون انقطاع، ووازن بين المسؤولية وبين الحركية، بأن تكن حركيتك منفتحة على الزمن كلّ في التخطيط لنجاح مشروعك، وفي نطاق إحساسك بالمسؤولية في كلّ خطوة تخطوها، فالإمام علي عليه السلام يريد من الإكثار من ذكر الموت أن نعيش المسؤولية في حياتنا، لأن الإنسان عندما يعيش طول الأمل وينسى الموت فإنه يفقد إحساسه بالمسؤولية في الحياة، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله ((إن أخوف ما أخاف عليكم اثنان: الهوى وطول الأمل، أما الهوى فيصدّ عن الحقّ وأما طول الأمل فينسي الآخرة)).

ويقول في حديث آخر: ((إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد، قالوا: يا رسول الله وما جلاؤها، قال: قراءة القرآن وذكر الموت)) كلّ ذلك من أجل أن يستعدّ الإنسان لما بعد الموت وهو لا يزال على قيد الحياة.

ويمضي الإمام عليه السلام قائلاً: ((ولا تتمن الموت إلا بشرط وثيق)) فلا تتمن الموت عندما تضغط عليك الحياة، ولا تتمناه عندما تزحف إليك عناصر الفشل والإحباط، إلا إذا كنت تملك الحجة لنفسك أمام الله في يوم القيامة، فإذا عرفت

بأن كتابك مليء بالحسنات، وأن السيئات لا تمثّل شيئاً كبيراً في كتابك عندما يقول لك ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾^(٨). وعندما تقف أمام الله لتقدّم حسابك ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾^(٩). عند ذلك يمكن أن يرحّب الإنسان بالأجل، ولذلك فقد تحدّى الله اليهود في سورة (الجمعة) لأنهم كانوا يعتبرون أنفسهم أولياءه وأحبّاءه، فقال لهم ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾^(١٠). وقد ورد في دعاء (مكارم الأخلاق) عن الإمام زين العابدين عليه السلام ((وعمرني ما كان عمري بذلة في طاعتك، فإذا كان عمري مرتعاً للشيطان فاقبضني إليك قبل أن يسبق مقتك إليّ، أو يستحكم غضبك عليّ))^(١١). ويقول عليه السلام في دعاء (يوم الثلاثاء): ((واجعل الحياة زيادة لي في كل خير والوفاة راحة لي من كل شر)). ويقول الشاعر:

ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حيٍّ
ولكنّا إذا متنا بعثنا ونسأل بعده عن كل شيء

اجعل نفسك ميزاناً:

((واحذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه ويكرهه لعامة المسلمين)). فربما يرضى بعض الناس لأنفسهم أعمالاً معينة لأنّها تعطيهم فرصاً للحياة ومكسباً وربحاً ولكنّه لا يريد لعامة المسلمين أن يحصلوا على ذلك، وهذه هي الأنانية التي تجعل الإنسان يعيش في سجن ذاته ويفصل نفسه عن المسلمين في تمنياته وأحلامه وتطلّعاته وكلّ ما يخطّط له، وهذا ليس من شأن المسلم. ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها)). ويقول علي عليه السلام في وصيته لولده الحسن عليه السلام: ((يا بني اجعل نفسك ميزاناً بينك وبين غيرك فأحب لغيرك ما تحب لنفسك، وكره له ما تكره لها)).

(٨) الإسراء: ١٤.

(٩) النحل: ١١١.

(١٠) الجمعة: ٧-٦.

(١١) الصحيفة السجادية. ص ٨٢، ٢٠ د. دعاؤه في مكارم الأخلاق. ص ٦-٨.

حاذر من الأعمال المخفلة:

((واحذر كلَّ عملٍ يُعمل به في السرِّ ويُستحي منه في العلانية)). والإنسان غالباً ما يلجأ إلى الأعمال السرية القبيحة والمنحرفة فيما يخجل من القيام به في العلانية، ولا يملك أن يقدم عذراً ولا حجة عليه، لذلك يقول الإمام عليه السلام لا تعمل الأعمال القبيحة التي لو ظهرت إلى الناس لخجل صاحبها منها، ولتكن علانيتك وسرك في العمل الذي تعمله بمنزلة سواء.

((واحذر كلَّ عملٍ إذا سئل عنه صاحبه أنكره واعتذر منه)). فلا تعمل الأعمال التي يعتذر منها لأنك بذلك تضع نفسك في مواقع الذلِّ. وقد ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام ((إنَّ الله فوّض إلى المؤمن أموره كلّها، ولم يفوّض له أن يذل نفسه. قالوا: وكيف يذل نفسه؟ قال: يدخل فيما يعتذر منه)). لأنَّ موقف المعتذر وهو موقف الندم يمثل موقف الذلِّ أمام الآخرين، وقد ورد في الحديث في الفرق بين المنافق وبين المؤمن ((إنَّ المنافق يسيء ويعتذر وأنَّ المؤمن لا يسيء ولا يعتذر)). لذلك كلّ جاء النهي في الحديث عما يعتذر منه ((إياك وما يعتذر منه)).

صنّ عرضك:

((ولا تجعل عرضك غرضاً لنبال القوم)) فالعرض يمثل كرامة الإنسان وسلوكيته وكلّ معنى الكرامة في حياته، فلا تعمل الأعمال السيئة التي تجعلك هدفاً لسهام ونبال الناس باعتبار أنَّها الأعمال التي تغري الآخرين بالنقد والانتقاص منك، أي أن ذلك كناية عن جعل النفس في موقع العمل الذي لا يملك أحد أن ينقده بلحاظ العناصر السلبية الموجودة فيه.

لا تحدّث بكلّ ما تسمع:

((ولا تحدّث الناس بكلّ ما سمعت فكفى بذلك كذباً)) فالإنسان يسمع في كلّ يوم، من الناس أو الإذاعات، كلاماً كثيراً، ولكن ليس كلّ ما يسمعه هنا وهناك صدقاً، فقد يحدثك الناس بالكذب، وقد تحدثك الأجهزة الإعلامية بالكذب،

فحاول أن تغربل ما سمعته وتحدث الناس بما ثبت لك صدقه ولا تحدثهم بكل ما سمعت لأن بعض ما سمعت قد يكون كذباً، وبذلك يكون حديثك حديث الكذب ولو ببعض مفرداته.

تكذيب كل المسموعات جمل:

((ولا ترد على الناس كل ما حدثوك به فكفى بذلك جهلاً)). فقد يحدثك الناس بالكثير من أمور السياسة والاجتماع والاقتصاد والأمن وغيرها، وربما يبادر البعض من الناس إلى تكذيب كل ما يسمعه وهذا جهل، فليس من الضروري أن كل ما يحدثك به الناس كذب كله، فقد يكون فيه بعض الصدق، فلا بد لك أن تدقق في أحاديثهم فقد ترى فيها بعض الصدق وربما ترى فيها بعض الكذب، لتصدقهم فيما ثبت لك صدقه ولتكذبهم فيما لم يثبت لك صدقه، فقبل أن تحكم على ما سمعت دقق فيه لتمييز الصادق من الكاذب ولا تشمل في التكذيب كل ما حدثك الناس به فلعلى فيه بعض الصدق.. كن الدقيق في حكمك ولا تتطلق في أحكامك من موقع انفعالاتك أو هواجسك، ولا تكن الإنسان الذي يصدق كل شيء يسمعه، أو يكذب كل شيء يسمعه.

كظم الغيظ:

((واكظم الغيظ)) لأن ذلك يمثل قوة الإرادة على ضبط انفعالاتك، فالغيظ عندما يفور في نفسك ويتفجر فقد يقودك إلى ما لا تحمد عقباه، وقد يجعلك تتحرك من موقع غريزتك لا من موقع عقلك، لأن الإنسان إذا ثار غيظه سكت عقله ذلك لأن الغيظ يمنع العقل من الانفتاح، وقد جعل الله كظم الغيظ من صفات أهل الجنة ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١٢).

التجاوز عند المقدرة:

((وتجاوز عند القدرة)) فلا تجعل نفسك تتعقد بالغيظ بل حاول أن تعفو، فالتجاوز عند المقدرة يمثل قوة الموقف، فعندما تعفو من موقع القدرة فإن الآخر لا يعتبر عفوك ضعفاً بل يعتبره حلماً.

الطم عند الغضب:

((واحلم عند الغضب)) فإذا غضبت فليتسع صدرك وكن حليماً تنفتح على القضية من موقع التفكير الهادئ الذي يتلقى الأمور بصدر رحب ليعالجها بحكمة وروية.

الصفح من موقع السلطة:

((واصفح مع الدولة)) والدولة كناية عن السلطة والقوة، فإذا كنت صاحب سلطة فحاول أن تصفح عندما يمثل الصفح الخط الأخلاقي الذي ينسجم مع مصلحة المجتمع، ((تكن لك العاقبة)) الحسنة، فالذين يعفون ويصفحون لا بد أن ينالوا النتائج الطيبة عند الله وعند الناس.

استصلاح النعم:

((واستصلح كل نعمة أنعمها الله عليك)) فإذا أنعم الله عليك بأي شيء سواء كان مالاً أو جاهاً أو علماً أو عافية، فحاول أن تحافظ على هذه النعمة ولا تهملها، بل حاول أن تستصلحها وتمنيها وأن تعمل على تقوية عناصرها كلها.

((ولا تضيعن نعمة من نعم الله عندك)) بل حافظ عليها لأنها تمثل كرامة من الله لك، وعليك أن لا تضيع كرامة الله، وعليك أن تعمل على تحريكها فيما يريد الله ولا سيما أن هناك نقطة تجدر ملاحظتها وهي أن كل نعمة وضع الله إلى جانبها المسؤولية، وكل نعمة ينعم الله بها على الفرد تكون أمانة عنده للجماعة لأن الجماعة ليست شيئاً مستقلاً، فالمجتمع ليس شيئاً معلقاً في الفضاء، فهو أنا وأنت والآخرون، والأمة هي أنا وأنت والآخرون، فقوة الأمة هي

في قوة أفرادها كلهم، وطاقة المجتمع في طاقات أفرادها، فعليك أن لا تعتبر أن ما أعطاك الله من مال أو عمل أو قوة هي ملكك الذي تتصرف به كما تشاء، بل هي ملكك وملك المجتمع الذي أنت جزء منه، فلست حراً أن تحبس علمك عن المجتمع، ولا أن تحبس ما فضل من مالك «وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ»^(١٣). «وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ»^(١٤). «وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ»^(١٥). فعلمك لك وللأمة، وطاقتك لك وللأمة وجاهك كذلك. ((وليرُ عليك أثرُ ما أنعم الله به عليك))^(١٦) فالله يحب لك أن تحدث بنعمه «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ»^(١٧). لتظهر نعمة الله عليك دون خيلاء ودون تكبر ودون استعراض يقهر الآخرين في نفسياتهم كما فعل قارون مع قومه حينما خرج عليهم بزينته فتمنى بعضهم أن يكون لهم مثل ما لقارون من مال. والحمد لله رب العالمين.

(١٣) الذاريات: ١٩.

(١٤) النور: ٣٣.

(١٥) الحديد: ٧.

(١٦) الكتاب - موضوع المحاضرة - من (نهج البلاغة) إصدار (رابطة أهل البيت ﷺ الإسلامية العالمية (وابل). ص ١٢٩ (من كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمداني).

(١٧) الضحى: ١١.

في مدرسة الإمام علي عليه السلام (٣) كتابه إلى الحارث الهمداني - الفصل الثاني -

○ عندما نجلس مع رسول

الله ﷺ ومع علي عليه السلام فإننا نفتح

على الله بكنه ○

- الفصل الثاني من كتابه إلى الهمداني.
- العناية بالأهل.
- تقديم المال.
- إعرفوا أهل البيت عليهم السلام.
- مواصفات الصحبة الصالحة.
- أي المساكن أفضل؟
- لا تتدخل في شؤون الآخرين.
- التحذير من الجلوس في الأسواق.
- انظر إلى من فضّلت عليه.
- اشهد الجمعة.
- طاعة الله في كل شيء.
- المخادعة في العبادة.
- النهي عن مصاحبة الفسّاق.
- احذر الغضب.



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

ونبقى نسير مع علي ؑ فالسير معه هو سير مع رسول الله ﷺ لأنّ علياً ؑ ينطق عن رسول الله ﷺ في كلماته كلّها، ويتحرك مع رسول الله ﷺ في خطواته كلّها، ويفتح في آفاقه كلّها على آفاق رسول الله ﷺ لأنّه نفسه عقلاً وقلباً وروحاً وحركة حياة.

وعندما نجلس مع علي ؑ ومع رسول الله ﷺ فإننا نفتح على الله بكّله لأنّ محمداً ؑ هو رسوله، ولأنّ علياً ؑ هو خليفة رسوله وهو وليّه، لذلك فنحن هنا - أيّها الأحبّة - مع الله سبحانه وتعالى في وحي كتابه وسنّة رسوله، ومع رسول الله ﷺ في تعاليمه كلّها، ومع علي ؑ في كلّ ما تعلّمه من رسول الله ﷺ وفيما ألهمه الله عزّ وجلّ.

الفصل الثاني من كتابه إلى الهمداني:

ونتابع كتابه إلى (الحارث الهمداني) الذي هو كتاب إلى الأمة كافّة لأنّه ليس فيه أية خصوصية تتصل بالشخص، بل هو يفتح على الأمة كلّها في القضايا التي يؤكدها الإسلام في السلوك العملي في كلّ ما تمثّله انتماءات الإنسان المسلم، وفي كلّ ما يتحرّك به في نفسه وفي علاقاته مع الآخرين ومع الحياة كلّها.

وسترون - كما رأينا في الفصل السابق من الكتاب - أنّ علياً ؑ يحدثنا كما لو كان حاضراً معنا. يقول ؑ : ((واعلم أنّ أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمة من نفسه وأهله وماله)). إنّ الإمام ؑ يريد أن يؤكّد لنا من هو الأفضل؟ فهو يرى أن

الأفضلية في الجانب الذي يتجاوز فيه الإنسان نفسه إلى غيره، فأنت الأفضل بمقدار ما تكون الأفضل للناس، وأنت نفسك، ونفسك هي عقلك وقلبك وطاقتك المودعة في ذاتك، فكيف تقدّم نفسك للناس للتحرك في اتجاه خيرهم؟

فإذا كان لك عقل يتحرك في مواقع الفكر كلّها مما يحتاجه الناس من فكرك فعليك أن تقدّم فكرك من خلال عقلك للناس.. لا تبخل به.. ولا تكن أنانياً في علمك، لأنّ فكرك شركة بينك وبين كلّ فرد من أفراد الأمة من خلال شركة الجزء مع الكلّ، وعلمك كذلك، ولهذا أطلق الله اللعنة على الذين يكتمون ما أنزله ﴿مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾^(١). فأن تحبس علمك بأن تكون لك أنانية العلم، بحيث تقول: علمي لي وليس من واجبي أن أقدمه للناس الذين يحتاجونه مع حاجة الناس إليه، فإن ذلك يجعلك من الملعونين عند الله وعند خلقه. وقد أكّد رسول الله ﷺ هذه المسألة بما روي عنه ((إذا ظهرت البدع)) وانتشرت الشبهات والانحرافات والضلالات، وتحرك الكفر ليحاصر الإسلام في عقيدته وشريعته ((فعلى العالم أن يظهر علمه)). وأن يبادر إلى ذلك، لا كما يتصور بعض الناس أن إظهار العلم يعني كشفه لمن يطلبه، بل أن تشعر أنّ البدع راحت تآكل الإسلام وعليك أن تمارس دور الأطباء حينما ينتشر الوباء حيث يقفون في مفارق الطرق ليحبسوا كلّ إنسان على التلقيح ضد الوباء. ((ومن لم يفعل فعليه لعنة الله)). فالله تعالى يبعد الذي يحبس علمه عن رحمته لأنّه لم يؤدّ أمانة العلم إلى من يحتاج إليه، وقد رزقك الله العلم ليكون أمانة عندك لأنّه ((ما أخذ الله على الجّاهل أن يتعلّموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا))^(٢).

وإذا كان الناس بحاجة إلى نبضات قلبك، وإلى المحبة تبذلها لهم، لتحرك فيهم عناصر الحب ولتطرد عناصر الحقد والعداوة والبغضاء.. ففجّر الحب في

(١) البقرة: ١٥٩.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٢، ص ١٣٢، ب ٢٣٣، ح ١٢٤.

قلبك حتى يتفجّر في قلوب الناس من حولك، وقد قالها علي عليه السلام: ((احصد الشرّ من صدر غيرك بقلعه من صدرك))^(٣). انزع العداوة والبغضاء والحقّد من الآخرين بأن تبادر إلى نزعهم من صدرك أنت.. كن المبادر ولا تنتظر أن يبادر الآخرون.

وعندما تملك طاقة قوة والضعفاء يحتاجون إليها، وعندما تملك طاقة جاه أو سلطة والناس بحاجة إليها، فقدّم ذلك كلّ على طبق من حبّ الخير للناس.. كن الإنسان الذي يفكّر بحاجات الآخرين من خلال ما يملكه من تلبية لهذه الحاجات .. لتكون الأفضل فيما تقدم من نفسك من خلال مسؤوليتك أمام الله، ولذا قيل ((اليد العليا خير من اليد السفلى)). والعليا هي التي تعطي وتقدّم فيما السفلى التي تأخذ فقط.

العناية بالاهل:

و((أفضلهم تقدمة في أهله)). أي أن تجعل من أهلك الخلية الاجتماعية التي تنفع الناس .. ربّهم على الخير والعلم والوعي والتقوى والعطاء والصلاح كلّ، فإنّ ذلك يمثل أفضل ما تقدمه من خلال نعمة الأهل التي وهبك الله إيّاها، لأنّك مسؤول عن أن تهيا من أهلك للمجتمع ما يحميه وينفعه، فإذا أهملت ذلك فقد تقدّم للمجتمع مجرماً، وذلك عندما يتطوّر إهمالك لأهلك إلى أن يصل إلى مستوى التحرك في طريق الإجرام، وقد تقدّم للمجتمع كافراً أو ضالاً أو منحرفاً، وقد ورد في الحديث ((إن ابن دم إذا مات انقطع الأ من ثلاث: صدقة جارية وورقة علم ينتفع بها وولد صالح))^(٤). وربّما تتسع كلمة الصلاح هنا إلى الأخ الصالح والقريب الصالح والزوج الصالح، والزوجة الصالحة، لأنّ الله أراد لنا أن نصلح الخلية العائلية في كلّ مفرداتها، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ

(٣) شرح نهج البلاغة. ج. ٦. ص ٢٣. ح ١٣.

(٤) أصول الكافي. ج. ٢. ص ١٥٦. ب ٢٣. ح ٩.

نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ»^(٥). وقال تعالى «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا»^(٦). وقال لنا إذا أصلحتم أهلکم: الأب والزوجة والولد فإنه سوف يجمعنا غداً في دار قدسه «جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾»^(٧).

وقد ورد في الحديث ((عن الصادق عن آبائه ؑ قال: قال رسول الله ﷺ: مر عيسى بن مريم ؑ بقبر يعذب صاحبه ثم مر به من قابل فإذا هو ليس يعذب، فقال: يا رب مررت بهذا القبر عام أول فكان صاحبه يعذب ثم مررت به العام، فإذا هو ليس يعذب)) يا رب هذا لم يعمل عملاً صالحاً فإذا كان يستحق العذاب فكيف رفع عنه؟ وإذا كان لا يستحقه فكيف عذب؟ ((فاوحى الله عز وجل إليه يا روح الله إنه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً وأوى يتيماً فغضرت له بما عمل ابنه))^(٨) فإن تقدّم من أهلك أن تجعلهم عناصر خير للمجتمع.

تقديم المال:

وأما أن تقدّم من مالك فإن تنفق ما يفضل منه على من يحتاج إليه مما جعله الله حقّاً لازماً، أو مما جعله الله حقّاً مستحبّاً «وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ»^(٩). «وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ»^(١٠). ولذلك فإن الإمام ؑ يجمع المسؤولية للإنسان الذي يريد أن يرتفع إلى الأعالي فيقول له إن الارتفاع إلى الدرجات العليا ينطلق من إحساسك بالناس في كلّ قضاياهم، وأن لا تعيش في زنانة نفسك لتتصوّر أنّ ذاتك تختصر العالم كلّ، ولكن عش مع الناس وفكر

(٥) التحريم: ٦.

(٦) طه: ٣٢.

(٧) الرعد: ٢٣-٢٤.

(٨) بحار الأنوار، ج ٦، ص ٢٢٠، ح ١٥٠، ب ٨.

(٩) الذاريات: ١٩.

(١٠) النور: ٣٣.

كيف تستطيع أن تجعل من حياتك حركة تنفّس عن همومهم وتقضي حاجاتهم؟
وهناك حديث كنت أكرّره دائماً في هذه الندوة وهو للإمام علي بن موسى
الرضا عليه السلام حيث سألته شخص: ((من أحسن الناس معاشاً؟)) ولو طرح هذا
السؤال علينا لأجبنا أنّه ذاك الذي يملك بيتاً وزوجة وأولاداً ووظيفة وسيارة
وصحّة وعافية، فالتفكير ينصبّ على المسائل المادية والحاجات الذاتية، ولكن
الإمام عليه السلام ككلّ أئمة أهل البيت عليهم السلام وكما هو رسول الله صلى الله عليه وآله وكما هو القرآن في
تعاليمه كلّها يقول: ((من حسن معاش غيره في معاشه)) فأحسن الناس معاشاً
هو من إذا عاش مع الناس ازدادوا علماً من علمه، ومالاً من ماله، وحركة من
حركته، وحرية من حريته، وجهاداً من جهاده، بحيث يكون واقع الأمة قبل دخوله
الحياة على صورة ما، وبعد أن يدخلها تتبدل إلى ما هو أرفع وأعظم. ((قال: ومن
أسوأ الناس معاشاً؟ قال: من لم يعيش غيره في معاشه)). أي ذاك الأناني الذي
يعيش لنفسه ولا يعيش للآخرين.

إعرفوا أهل البيت عليهم السلام:

وثمة تعلّيقة على الهامش، فإذا أردتم أن تعرفوا أئمة أهل البيت عليهم السلام في
آفاقهم كلّها وإنسانيّتهم المفتحة على الإنسان كلّ.. إعرفوهم من خلال هذه
الكلمات، حتى ورد عن الإمام الرضا عليه السلام نفسه قوله: ((أحيوا أمرنا رحم الله من
أحيا أمرنا، قيل وكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلّم علومنا ثم يعلمها للناس، فإن
الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا))^(١١). وعندما تزورونهم لا تقفوا فقط
عند حدود الزيارة المكتوبة بل عليكم أن تزورهم بكلّ ما تحفظونه من كلماتهم،
وأن تقفوا أمام أضرحتهم لتسترجعوا سيرتهم وحياتهم ووصاياهم، وبذلك تكون
الزيارة زيارة ثقافية وفكرية وروحية وعملية لا أن تخرج من الزيارة كما دخلت أي
مجرد أن تطلب الحسنات من دون أن يدخل في عقلك وقلبك شيء من نور
عظمتهم.

فعندما نزور السيدة زينب ؑ التي رزقنا الله جوارها وزيارتها فعلينا أن نتصور بطولتها الروحية والسياسية والفكرية حتى يمتلأ عقل الزائر بالسيدة زينب ؑ لا أن يقرأ زيارة مفجعة ليبكي قليلاً، وإن كان للبكاء معناه، ولكن البكاء ينبغي أن يكون على واقعك وعلى نفسك لا على الذين عاشوا المأساة في الماضي، فلقد عاشوا المأساة من أجل أن يجنّبوك الانحراف الذي عاشه أولئك الذين قال عنهم الفرزدق ((قلوبهم معك وسيوفهم عليك))^(١٢).

فإذا كنت تقدّم عطائك من نفسك وأهلك ومالك فأنت الأفضل في الدرجة الإيمانية عند الله ((فإنك ما تقدّم من خير يبق لك ذخره)) وذلك قوله تعالى ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾^(١٣). ويقول عز وجل ﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(١٤).

((وما تؤخر)) أي ما تبخل به من مالك عمن أراد الله أن تعطيه من هذا المال، أو تبخل في علمك على من أراد الله أن تعطيه من علمك، وهكذا في طاقتك التي كان يمكن أن تجعلها قوة للآخرين، فإذا بخلت بذلك كلّ وبقي علمك في داخل ذاتك فقد يتحوّل إلى تراب حينما تغادر هذه الحياة الدنيا ولم تتفع به أحداً، وأما مالك فللوارثين الغنم منه وعليك الغرم فيه. ((وما تؤخر يكن لغيرك خيره)).

مواصفات الصعبة الصالحة:

ثم ينطلق الإمام ؑ ليحدّثنا عن منّ نصاب ((واحذر مصاحبة من يفيل رأيه)) أي يضعف رأيه، فعندما تريد أن تصاحب فانظر إلى من يملك قوة الرأي وعمق الفكر لأنّ الصاحب يتأثر بصاحبه، فعندما يكون أصحابك سطحيين فإنّ السطحية سوف ترحف إلى عقلك من خلالهم، وعندما يعيشون ضعف الرأي فإنّ

(١٢) بحار الأنوار. ج ٥. ص ١٥٣. ح ١٢. ب ٦.

(١٣) الكهف: ٤٦.

(١٤) البقرة: ١١٠.

ذلك سوف يترك تأثيره عليك في ضعف رأيك لأنك عندما تصاحب صديقك ويصاحبك، وتحادثه ويحادثك فإنه ينقل لك ما يفكر فيه ليدخل في عقلك فيربكه تماماً كدخول الطعام غير الناضج في داخل جسمك الذي يريك معدتك، ((وينكر عمله)) باعتبار أنه يتحرك في عمله في خطّ الفكر الذي أراد الله للناس أن يتركوه ((فإن الصاحب معتبر بصاحبه)) قل لي من تصاحب أقل لك من أنت، وكما قال ذلك الشاعر:

صاحب أخا ثقة تحظى بصحبته فالطبع مكتسبٌ من كلِّ مصحوبٍ
والريح أخذةٌ مما تمرّ به نتنًا من النتن أو طيباً من الطيب

أي المساكن أفضل؟

وهناك سؤال يمكن أن نطرحه على الإمام ﷺ وهو: أين نسكن يا أمير المؤمنين؟ فقد يفضل بعضنا السكن في القرى المغلقة والمجتمعات المتخلّفة التي قد تتمظهر في لون واحد، والعدوى بين الناس منتشرة فالجاهل يبيع جهله للآخرين، والمتخلّف ينقل تخلّفه للآخرين، ولكنّ علياً ﷺ يقول في الجواب على سؤالنا: ((واسكن الأمصار العظام)). والأمصار العظام هي المدن الكبيرة لما فيها من مزايا، ولكن ذلك يتبع ظروف الإنسان. ((فإنها جماع المسلمين)). أي أنّ هذه المدن - وهي في البلدان الإسلامية تحديداً، مراكز لتجمّع المسلمين، وعندما يجتمع المسلمون في تنوعاتهم في العلم والتقوى والخبرة وكلّ الصفات التي يختلف الناس فيها فإنك تملك حرية الاختيار، فعندما تتنوّع الساحة في نماذجها كلّها الخير منها وغير الخير فعند ذاك تستطيع أن تتخيّر المجتمع الذي يبني لك عقلك وقلبك وروحك وتقواك بينما لا تستطيع ذلك في مواقع أخرى يعيش الناس فيها لونهاً واحداً ودائرة مغلقة.

((واحذر منازل الغفلة)) عن الله سبحانه وتعالى ((والجفاء وقلة الأعوان على طاعة الله)) سواء في المدينة أو في القرية أو في الصحراء، فلا تنزل منزلاً تسيطر عليك فيه الغفلة عن الله، ولا تسكن المنازل التي يعيش فيها الناس الجفاء

والقسوة والغلظة فلا ينفثون في إنسانيتهم على إنسانية الإنسان الآخر، وعليك أيضاً أن لا تسكن في المواطن التي يقل فيها الأعوان على طاعة الله لأنك بذلك تفقد الحيوية التي يحتاجها الإنسان في التشجيع على أعمال الخير من الداخل ومن الخارج لأن الإنسان يتأثر بمجتمعه.

لا تتدخل في شؤون الآخرين:

((واقصر رأيك على ما يعنيك)) فأنت إنسان تعيش حياتك ولك اهتماماتك التي تتصل بعقيدتك فيما تعتقده، وبشريعتك فيما تلتزمه، وبطلعاتك في الحياة فيما توجه فيه حياتك، وبكل القضايا التي ترتبط بأهدافك وبمسؤولياتك، فحاول أن توجه رأيك سواء من خلال تفكيرك الذاتي أو من خلال الشورى التي تشاور فيها أرباب الآراء والعقول. فليس من الضروري أن تتدخل في شؤون الآخرين إذا لم يكونوا مسؤوليتك، وليس من الضروري أيضاً أن تطلق رأيك في القضايا التي لا علاقة لها بكل ما تؤمن به وتعيشه وتتحرك فيه كال كثير من الناس الذين يتناقشون ويتجادلون ويتحاقدون في عناوين لا دخل لها في عقيدة ولا شريعة ولا حياة، بل هي مجرد أفكار آمن بها الإنسان أو لم يؤمن بها فإنه يبقى في الخط المستقيم. وهذا ما تعيشه مرحلتنا سواء في الحوزات أو في غيرها، حيث يثير الكثير من الناس عناوين يتحاقدون من خلالها، ويكفرون بعضهم بعضاً، ويضللون بعضهم بعضاً، من دون أن يكون لذلك أية مدخلية فيما يسأله الملكان في قبرك أو فيما تقف فيه مسؤولاً أمام ربك.

ولذلك يقول الإمام (عليه السلام) إن لك مسؤوليات في نفسك تتصل بحياتك وبمصيرك وبموقفك أمام ربك، فعليك أن تقصر رأيك، عندما تتضجّه وتتجه وتفتح من خلاله، على ما يعنيك، فلا تتحرك بما لا يعنيك فتلقى ما لا يرضيك.

التحذير من الجوس في الاسواق:

((واياك ومقاعد الأسواق)) فالأسواق أماكن العمل، وبعض الناس قد يكون لديه صديق تاجر أو صاحب محل، وترى التاجر مشغولاً بشغله في حين أن هذا الصديق لا عمل لديه فيأتي ليجلس عنده، والإمام عليه السلام يقول إن الذين يجلسون تلك المجالس يعيشون الكثير من المشاكل والنزاعات والخلافات، فقد تجد شخصاً يسبّ آخر أو شخصاً يغتاب آخر، وقد تجد الكثيرين ممن يتاجرون بأعراضهم أو بما لا يرضي الله، فإذا حضرت هذه المحاضر السيئة فربما تتأثر بذلك. ((فإنها محاضر الشيطان ومعاريض الفتن)) فالشيطان يحضر في كل موقع من المواقع التي تختزن في داخلها المشاكل، وينفذ من الأبواب العريضة للفتن التي تعتبر هذه الأماكن تربتها الخصبة.

انظر إلى من فضّلت عليه:

((وأكثر أن تنظر إلى من فضّلت عليه فإن ذلك من أبواب الشكر)) فلا تنظر إلى من فوقك ولكن انظر إلى من تحتك من أجل أن تتجسّس نعمة الله عليك، لأنك إذا نظرت إلى من فوقك فعند ذلك تستهين بنعمة الله عليك، فقد ترى من يقول إن الله أعطى فلاناً ولم يعطني شيئاً وبذا فهو يستهين بنعمة الله عليه ويكفر بها، وقد يتحوّل إلى حسد لمن أنعم الله عليه، بينما إذا نظرت إلى من فضّلت عليه فإنك تحمد الله عندما تدخل في مقارنة بينك وبينه، وترى أن الله أعطاك ما لم يعطه وبذلك تشعر بنعمة الله عليك، ولذلك فإن من آداب الإسلام أنك إذا نظرت إلى شخص مبتلى بعقله أو في جسده أو في بعض أوضاعه الاجتماعية، فقل ((الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به غيري ولو شاء لفعل)). وبذلك تشعر بنعمة الله عليك فيما أعطاك مما منعه عن هذا الإنسان أو ذاك بحكمته.

اشهد الجمعة:

((ولا تسافر في يوم الجمعة)) أي في صباحها ((حتى تشهد الصلاة)) فإنَّ الله أراد للمسلمين في يوم الجمعة أن يحضروا الصلاة، ولم يهتم بصلاة كما اهتمَّ بصلاة الجمعة التي تركناها من خلال شبّهات فقهية وحرمانا من بركاتها العظيمة حتى أن بعض الناس الآن قد ينهون عن صلاة الجمعة. ((إلا فاصلاً في سبيل الله)) أي إلا إذا أردت أن تسافر إلى الجهاد وكان وقت الجهاد في يوم الجمعة، أو في أمر تعذر به فإن الله يعذرك عند ذلك.

طاعة الله في كل شيء:

((وأطع الله في جميع أمورك فإن طاعة الله فاضلة على ما سواها)) ولتكن طاعة الله هي طابع شخصيتك بحيث لا تفرّق بين صغير من الطاعات أو كبير لأنَّ الله أرادنا أن لا نحقر الذنوب ولا نحقر الطاعات.. فلا تستصغرن معصية فلربما أدخلتك النار، ولا تستصغرن طاعة فلربما أدخلتك الجنة، فأَيّ موضع من مواضع طاعة الله عليك أن تفعله ولو كان صغيراً، وأي موقع من مواقع معصية الله عليك أن تتركه ولو كان صغيراً لأنَّ الله أخفى رضاه في طاعته وأخفى سخطه في معصيته.

المخادعة في العبادة:

((وخادع نفسك في العبادة)) أي لا تقهر نفسك على ما تريده من العبادات المستحبة بل حاول أن تخادعها في أوقات التعب والارهاق، فإننا إذا صلينا هذه الصلاة المستحبة فإننا سنحصل على الثواب عند الله.. تكلم مع نفسك كلام المخادع الذي يريد أن يأخذ عفوها ونشاطها من حيث لا تشعر لأنها فرص الاستزادة من التقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

((وارفق بها ولا تقهرها، وخذ عفوها ونشاطها)) أي استغل أوقات فراغها وارتياحها إلى العبادة. وقد تحدّث الإمام علي عليه السلام في بعض كلماته عن ذلك،

فقال: ((إنَّ للقلوب اقبالاً وادباراً فإذا أقبلت فاحملوها على النواقل وإذا أدبرت فاقتصروا بها على الفرائض)). وفي الحديث عن النبي ﷺ ((إنَّ هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق)). فالدخول في الشيء الصلب ينبغي أن يكون برفق وإلا انكسر ((ولا تكرهوا عبادة الله إلى عباد الله)) بالالاحاح عليها وقهرها وإجبارها على ما لا تريد من المستحبات ((فتكونوا كالراكب المنبت الذي لا سفراً قطع وظهراً أبقي)) أي ذاك الذي يواصل سيره بلا انقطاع بحيث يهلك دابته ولا يصل إلى مبتغاه. ويروي الإمام الصادق ﷺ عن عبادته في شبابه: ((اجتهدت في العبادة وأنا شاب، فقال لي أبي: يا بني دون ما أراك تصنع فإن الله عز وجل إذا أحب عبداً رضي منه باليسير)). واستشهد بالحديث المذكور. وفي حديث آخر ((ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله)).

((الا ما كان مكتوباً عليك من الفريضة فإنه لا بد من قضائها وتعاهاها عند محلها)) فهي الفريضة الواجبة التي لا يجوز التفريط بها أو التهاون في أدائها عند أوقاتها المعلومة.

((واياك أن ينزل بك الموت وأنت أبق من ربك في طلب الدنيا)). والعبد الآبق هو الذي يهرب من مولاه، والإمام ﷺ يقول عندما يأتيك الموت فعليك أن تكون في مواضع طاعة الله ورضاه ولا يراك مبتعداً عنه في طلب الدنيا، وهذا هو الذي عبّر عنه الإمام زين العابدين ﷺ بقوله: ((وعمرني ما كان عمري بذلة في طاعتك فإذا كان عمري مرتعاً للشيطان فاقبضني إليك قبل أن يسبق مقتك إلي أو يستحكم غضبك علي)).

النهي عن مصاحبة الفساق:

((واياك ومصاحبة الفساق فإن الشر بالشر ملحق)). وكما حذر ﷺ هناك من صاحب ضعيف الرأي يحذر هنا من صاحب الفاسق الذي لا يطيع الله في أموره، وهو الذي لا يصلي ولا يصوم ويزني ويلعب القمار ويشرب الخمر ويظلم الناس ويرتكب الموبقات، والفاسق يجسد الشر في أخلاقه وسلوكه فإذا صاحبتَه

فإنَّكَ ستلحق به وسيزحف شرُّه إليك فتصبح إنسان الشرِّ كما هو إنسان الشرِّ، ولذا قيل إنَّ الطبع يسرق من الطبع.

((ووقر الله)) أي عظَّمه في لسانك وفي مواقع طاعته ورضاه.

((وأحبب أحماءه)) لأنَّ إخلاصك لله يفرض عليك أن تخلص وأن تحبَّ

أحماءه، كما ورد عن الإمام علي عليه السلام: ((أصدقاؤك ثلاثة، وأعداؤك ثلاثة، فأما أصدقاؤك: فصديقك وصديق صديقك وعدو عدوك، وأمام أعداؤك: فعدوك وصديق عدوك وعدو صديقك)).

إحذر الغضب:

((واحذر الغضب فإنَّه جند عظيم من جنود إبليس)). لأنَّ الغضب كالسيل الجارف يكتسح كلَّ شيء في طريقه، فإذا انطلق فقد الإنسان عقله وانفتحت غريزته وكلَّ رواسب الشرِّ في نفسه وبذلك فإنَّه يتحرَّك بدون قاعدة، فالغضب حسب تعبير الإمام جندي كبير بل ضابط من ضباط الشيطان، فكيف تسلَّطه عليك؟ فقد ورد في الحديث ((من لم يملك غضبه لم يملك عقله)). وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام ((أي شيء أشدَّ من الغضب إن المرء ليغضب فيقتل النفس المحترمة)). فحينما ندرس جرائم القتل نرى أنَّها غالباً ما تأتي في حالات الغضب المستشيط، ولقد قال الشاعر وهو يصوِّر كيف أن الغضب يفضح أسرار الإنسان:

إغضب صديقك تستطلع سريره للسرَّنافذتان السكر والغضب

ما صرَّح الحوض عمَّا في قراراته من راسب الطين إلا وهو مضطرب

فما دام مزاجك هادئاً فإنَّكَ تتكلم بكلام موزون وتحافظ على أسرارك، لكن إذا جاء الغضب وخبط عقلك وغريزتك وكلَّ شيء فيك فعند ذلك سوف تفضح نفسك، ولذلك كانت وصية النبي صلى الله عليه وآله لمن استوصاه هي: ((لا تغضب)) قال: زدني يا رسول الله، قال: لا أزيدك، أي أنك لو اكتفيت بهذه النصيحة لكفتك.

((وإسلام))^(١٥). والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والحمد لله رب

العالمين.

(١٥) الكتاب - موضوع المحاضرة - من (نهج البلاغة) إصدار (رابطة هل البيت ﷺ الإسلامية العالمية) (وابل).
(من كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمداني).

في مدرسة الإمام علي عليه السلام (٤) الموقف من المعارضة

○ إذا اختلفت مع فئة أو

شخص من الناس سواء كنت

حاكما أو حزيا أو مرجعا أو مثقفا

فإن عليك أن لا تسقط إنسانيته

ولا تعيش عقدة الذات في

خصوصتك معه ○

➤ في مدرسة علي عليه السلام

➤ التجربة الصعبة.

➤ موقف المعارضة.

➤ موقف علي عليه السلام من الخوارج.

➤ الاحتجاج على من شهد صفين.



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

في مدرسة علي ؑ:

ونبقى مع امتداد الزمن كله، في مدرسة علي ؑ لأنه كان النموذج الأمثل بعد رسول الله ﷺ فقد صنع مدرسة الإسلام في فكره الذي ما زال الإنسان يستمد منه في كل موقع إبداعاً، وفي تجربته التي امتدت في أعماق الحياة وآفاقها، وتعمقت في معنى الإنسان ومعاناته، وهو يجاهد في سبيل الله بسيفه وبحركته، وبكل الوسائل الحضارية في حل المشاكل التي واجهته بالحوار حتى مع أعدائه.

ومن مميزاته ؑ أنه لم يكن يحمل في قلبه حقداً على أحد، وكان كل الذين خاصموه يعيشون في قلبه لا لأنه يشرع خصامهم فعلي ؑ صاحب فكرة الحق التي لا تتعدد، ولكنه كان يجمع الناس في قلبه ليضيء لهذا عقله، وليفتح لذاك قلبه، وليخطط لهذا أو لذلك حياته، ولذلك كان علي ؑ كرسول الله ﷺ في شغل دائم بالإنسان كله لأنه كان في شغل دائم مع الله ب كله.

التجربة الصعبة:

وقد عاش علي ؑ التجربة الصعبة عندما كان خارج موقعه الطبيعي الذي جعله الله له وهو خلافة المسلمين، لأنه كان، وهو المظلوم في حقّه كله، يبتسم للإسلام وللمسلمين، فكانت كلمته الخالدة ((لأسلمن)) مهما انطلقت الفتن، ومهما واجهته الصعوبات، ومهما اضطهدني المضطهدون، ومهما جار عليّ الجائرون، لأسلمن لهؤلاء أو لأولئك، فلن أدخل حرباً هنا ولن أدخل حرباً هناك

((ما سلمت أمور المسلمين)) لأنني أتحمّل مسؤوليتهم خارج الخلافة بنفس القوة التي أتحمّل فيها مسؤوليتهم داخل الخلافة، لأنّ علياً عليه السلام كان يرى نفسه مسؤولاً عن الساحة الإسلامية كلّها، فالخلافة لم تكن طموح علي عليه السلام وإنّما كانت رسالته ومسؤوليته، وكان يشير إلى نعله ليقول ((إنّها أعظم من إمرتكم هذه إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً)).

وعندما استلم الخلافة عاش أزمة أكثر صعوبة في مفرداتها من تلك الأزمة، فلقد كانت الأزمة قبل ذلك في خطّ واحد، وكان علي عليه السلام يعالج حركة ذلك الخط، ولكنّها تتوّعت وتعمّدت فيما بعد ((فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون، كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين»^(١)). بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زيرجها)).^(٢)

ثم يقول وهو يؤكّد خط السير وضخامة المسؤولية ((لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصروما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم)) عنفه ووحشيته وظلمه ((وسغب مظلوم لألقيت حبلاً على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها ولأفقيتم دنياكم هذه أهون عندي من عطفة عنز))^(٣). فالدنيا عند علي عليه السلام رسالة ولا شيء غيرها ((ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه، إلا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد))^(٤) وكان يقول ((لا تزيدني كثرة الناس حولي عزّة ولا تفرّقهم عني وحشة))^(٥). ويقول كذلك ((ما ترك لي الحق من صديق))^(٦).

(١) القصص: ٨٣.

(٢) شرح نهج البلاغة. ج ٢. ص ١٢٥. ب ١٣.

(٣) شرح نهج البلاغة. ج ٣. ص ١٥٤. ج ٩.

(٤) شرح نهج البلاغة. ج ٣. ص ٢٤٥. ج ٥.

(٥) شرح نهج البلاغة. ج ٥. ص ١٩٩. ج ٧.

(٦) شرح نهج البلاغة. ج ٢. ص ٥٩. ج ٣.

موقف المعارضة:

فعندما نهض بالأمر، كانت المشكلة التي تواجهه تتنوع من قبل الذين عارضوه، وكانت الأرض مزروعة بالألغام، فلو أنه تسلّم الخلافة بعد رسول الله ﷺ حيث كانت الأرض مفروشة بالإسلام الذي زرعه رسول الله ﷺ وأينع في عهده، لحملهم على المحجة البيضاء لأنّ المحجة التي انطلقت في خطّ رسول الله ﷺ هي التي راحت تنطلق في خطّ علي ﷺ لأنّه نفس رسول الله ﷺ لكنهم لم يتركوا له الفرصة من خلال خلافات هنا وتعقيدات هناك، وعصبيات هنا ومشاكل هناك، وجاء إلى الخلافة والأرض مزروعة بالألغام، والطامحون أخذوا ممن سبقهم بعض ما يرتفع بطموحاتهم ((فجعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم، فيأله وللشورى متى اعترض الريب فيّ مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر؟))^(٧).

فالمشكلة كانت تتحرك في دائرتين: الدائرة الأولى: وهي دائرة الطامحين للخلافة والذين حاولوا أن يسلكوا إليها في أسلوبين: أسلوب (طلحة والزبير) اللذين كانا يريدان لعلي ﷺ أن يشاركهما الخلافة، وأسلوب معاوية بن أبي سفيان الذي كان يريد لعلي ﷺ أن يطلق يده في مصر والشام ليحكمهما من دون ضوابط كما كان سابقاً، وإلاّ فإنّه سيطالب بدم عثمان. وكانت مشكلة علي ﷺ مع هذه الفئة وتلك هي مشكلة الذين يريدون أن يحدثوا الخلل في نظام الأمة.

والدائرة الثانية: وهي دائرة الخوارج الذين لم تكن مشكلته معهم كمشكلاته مع الطامحين للخلافة مشاركة أو استقلالاً، بل كانت مشكلة فكرية حيث كانوا يفهمون الإسلام بطريقة متخلّفة ويعتبرون تخلفهم مقدساً ولذلك كانوا يكفّرون كلّ من لا يلتقي بهذا التخلف. فكيف عالج علي ﷺ هاتين المشكلتين؟

كان الخط البيانيّ العريض في كلّ هذه المشاكل التي أحاطت بعلي ﷺ من طلحة والزبير ومعهما أم المؤمنين عائشة ومعاوية والخوارج. هو الخط الإسلامي

الذي آمن به، والذي انفتح القرآن به على الناس، هو أن لا يجمع في البداية أية معارضة سواء كانت معارضة سياسية أو فكرية ولا سيما في الساحة الإسلامية، وكانت المسألة عند علي عليه السلام هي أن يفتح قلوب هؤلاء على الحقيقة، وأن يقيم الحجة عليهم ما دامت القضية قضية معارضة في الخطأ أو في الفكر.

فلو درسنا كتب الإمام عليه السلام في (نهج البلاغة) إلى طلحة والزبير، أو في حديثه المباشر معهما، وفي كتبه إلى معاوية، وفي حوار مع الخوارج، لرأينا علياً عليه السلام ذلك الإنسان الذي يحرك الفكرة مع خصومه بكل إنسانيته وكل روحية القائد الداعية الذي يريد للآخر أن يفتح على الحق، ولم نجد في أي كتاب من كتبه أو أي حوار من حواراته عنفاً إلا إذا كان العنف هو الوسيلة التي يرد بها عنف الآخر، فكان لا يبدأ بعنف في الكلمة فلقد كانت كلمته رقيقة، وكان يتواضع لمحاورة حتى لتحار كيف أن علياً عليه السلام ذلك البطل العظيم الذي جاهد من أجل الإسلام وكان شديداً على الكفار والمشركين، يخاطب الناس الذين عارضوه بهذه الطريقة؟! ولذلك فإنه أعطانا نهج مدرسته التي هي مدرسة الإسلام، وهي أنك إذا اختلفت مع فئة من الناس سواء كنت حاكماً أو حزباً أو مرجعاً أو مثقفاً، فإن عليك أن لا تسقط إنسانيته بل أن تحترمها، وأن لا تعيش عقدة الذات في خصوصيتك معه، فعندما يطرح فكراً أطرح فكرك في مواجهته وأقنعه أو أقم الحجة عليه، وعندما يحرك خطأ أرسم خطأ في مقابله، فالفكرة تحاور الفكرة، والعقل يحاور العقل، والقلب يفتح على القلب، والساحة تتسع للجميع حتى إذا وصلت المسألة إلى نقطة اللارجوع كان للحديث مجال آخر. وقد علمنا الله سبحانه وتعالى مما لم نتعلمه في واقعنا الإسلامي، حيث يقول ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وهي الكلمة الطيبة والأسلوب الطيب والمناخ الطيب والروح الطيبة ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾. لأن الظالم ليس إنسان الحوار بل يريد أن يقمعك ويصرعك ويصادرك. وعلمنا مما لم نأخذ به ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ

إِنِّيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ^(٨). أي تعالوا إلى مواطن اللقاء، وقولوا لي: مَنْ مِنَ السُّنَّةِ وَالشَّيْعَةِ يَتَحَدَّثُ بِلُغَةِ مَوَاقِعِ اللَّقَاءِ؟ فَحَتَّى فِي دَاخِلِ السُّنَّةِ أَنْفُسُهُمْ وَدَاخِلِ الشَّيْعَةِ أَنْفُسُهُمْ عِنْدَمَا يَخْتَلِفُونَ فَلَيْسَ هُنَاكَ مَنْطِقٌ إِسْلَامِيٌّ يَحْكُمُ خِلَافَهُمْ بَلْ هُوَ مَنْطِقُ الْعَصْبِيَّةِ. وَلِذَا فَلَمْ نَتَعَلَّمْ مِنَ الْقُرْآنِ، وَلَمْ نَتَعَلَّمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ نَتَعَلَّمْ مِنْ عَلِيٍّ ﷺ.

موقف عليٍّ ﷺ من الخوارج:

كَانَ عَلِيٌّ ﷺ هُوَ صَاحِبُ الْحَقِّ، فَلْنَدْرُسْ كَيْفَ مَارَسَ الْأَسْلُوبَ الْحَكِيمَ فِي الدِّفَاعِ عَنْ حَقِّهِ؟ وَكَيْفَ أَدَارَ الْحَوَارِ فِي مَوَاقِعِ الصَّرَاعِ؟ وَتَعَالَوْ نَدْرُسْ مَوْقِفَ عَلِيٍّ ﷺ مِنَ الْخَوَارِجِ لِأَنَّ قَضِيَّتَهُمْ تَتَّصِلُ بِالْمَوْقِفِ الْإِسْلَامِيِّ فِي خَطِّ عَلِيٍّ ﷺ فِي الْجَانِبِ الْفِكْرِيِّ، فَكَيْفَ يَنْظُرُ عَلِيٌّ ﷺ إِلَى الَّذِينَ يَخْتَلِفُونَ مَعَهُ فِي الْفِكْرِ حَتَّى الَّذِينَ يَكْفُرُونَهُ، وَكَيْفَ حَاوَرَهُمْ؟ وَمَاذَا قَاتَلَهُمْ؟ هَلْ قَاتَلَهُمْ لِأَنَّهُمْ رَفَضُوهُ؟ هَلْ قَاتَلَهُمْ لِأَنَّهُمْ كَفَرُوهُ؟ أَمْ قَاتَلَهُمْ لِأَنَّهُمْ عَاثُوا فِي الْأَرْضِ فُسَاداً وَقَتَلُوا الْأَبْرِيَاءَ؟

وَنَحَاوِلْ هُنَا أَنْ نَدْرُسَ بَعْضَ النُّصُوصِ الَّتِي جَاءَتْ فِي (نَهْجِ الْبَلَاغَةِ) فِي حَدِيثِ عَلِيٍّ ﷺ مَعَ هَؤُلَاءِ. فَكَيْفَ بَدَأَتْ قِصَّةَ الْخَوَارِجِ؟ فَنَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّ عَلِيّاً ﷺ قَدْ خَاضَ الْحَرْبَ مَعَ مَعَاوِيَةَ فِي صَفَيْنَ وَكَانَتْ حَرْباً مِنْ أَعْنَفِ الْحُرُوبِ وَقَدْ امْتَدَّتْ وَقْتاً طَوِيلاً، وَفِي نَهَايَتِهَا كَانَ عَلِيٌّ ﷺ يَشَارِفُ عَلَى الْإِنْتِصَارِ، وَكَانَ (مَالِكُ الْأَشْطَرِ) قَائِدَ الْحَرْبِ آنَ ذَاكَ يَخُوضُ الْجَوْلَةَ الْأَخِيرَةَ، وَقَدْ شَعَرَ مَعَاوِيَةَ وَمُسْتَشَارُهُ (عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ) كَمَا يَقُولُ (الطَّبْرِيُّ)، أَنَّ عَلِيّاً ﷺ سَوْفَ يَرْبِحُ الْحَرْبَ وَسَوْفَ يَسْقُطُ مَلِكُ مَعَاوِيَةَ، فَاسْتَشَارَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ قَائِلاً: مَاذَا نَفْعَلُ؟ قَالَ لَهُ: إِنَّ أَفْضَلَ وَسِيلَةَ هِيَ أَنْ نَطْرَحَ أَمْرًا يَبْقِيَانَا فِي وَحْدَتِنَا وَيَجْعَلُ جَمَاعَةَ عَلِيٍّ تَتَفَرَّقُ.

وَهَذَا هُوَ الَّذِي نَعِيشُهُ الْآنَ مِنْ خِلَالِ نَشَاطِ الْمَخَابِرَاتِ الدَّوْلِيَّةِ عِنْدَمَا تَطْرَحُ أُمُورًا تَبْثُ الْخِلَافَ بَيْنَنَا وَفَرَقَةً تُوَيِّدُ وَفَرَقَةً تَعَارِضُ فِي الْقَضَايَا السِّيَاسِيَّةِ وَالْمَذْهَبِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْأَمْنِيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَيَبْقَى الْمَوْقِفُ الْإِسْتِكْبَارِيُّ وَاحِداً.

اقترح عمرو بن العاص على معاوية رفع المصاحف، وقال نتحدى قائلين: من لثغور العراق غير أهل الشام ومن لثغور الشام غير أهل العراق؟ فتعالوا إلى كتاب الله ليحكم بيننا. وهنا انطلقت السداجة الثقافية والسياسية والعسكرية في بعض جيش الإمام عليه السلام وقالوا له: لقد دعانا القوم إلى كتاب الله ونحن جميعاً مسلمون فعلياً أن نستجيب لكتاب الله، وإلا كيف نقول إننا نؤمن بكتاب الله ونعمل به؟ وقال لهم علي عليه السلام: أنا قاتلت هذين (معاوية وعمرو) على كتاب الله ليؤمننا به، ونحن نقاتلهم الآن على حركية كتاب الله في الواقع، فهما لم يفتحا على القرآن كما يفتح المسلمون عليه، فلقد دخلا في الإسلام رغبة أو رهبة، ولذلك فإن هذه الدعوة ليست دعوة صادرة من إيمان ولكنها دعوة صادرة من لعبة سياسية يراد من خلالها أن تدبّ الفرقة بينكم، وأن يحصلوا على النصر بفرقتكم ما داموا لم يحصلوا على النصر من خلال الحرب.

وهذا هو الذي عشناه - أيها الأحبة - في تأريخ الصراع مع الكيان الصهيوني، فلقد استطاعت المخابرات الدولية والإسرائيلية أن تثير في ساحتنا الإسلامية والعربية الفتن المذهبية بين السنة والشيعة والفتن الطائفية من المسلمين والمسيحيين، والفتن السياسية بين هذا الحزب أو ذاك، وبين هذا الإقليم أو ذاك، وكنا نقاتل بعضنا بعضاً والعدو يتسلح ويتقوى ويخطط ويتوسّع ولا يزال. وقالوا لعلي عليه السلام: إبعث إلى الأشتر لينسحب حتى نعقد الصلح على أساس التحكيم والّا فعلنا بك ما فعلناه مع عثمان، وأرسل علي عليه السلام إلى مالك بالإنسحاب، وصاح الأشتر: اتركني وقتاً قصيراً وسوف أدخل الشام، ولكن القوم ألحوا على إيقاف القتال، فذهب الرسول إلى مالك وقال له: إذا لم تتسحب فقد تريح الحرب ولكن يقتل إمامك.

فالغوغائيون - كما هم عندنا وكما هم في كل مرحلة يضعف فيها الوعي أو يتسطّح - قد سيطروا على الساحة من خلال الشعارات الفضفاضة التي تختزن الباطل في عمقها، وإن كانت تظهر الحق في صورتها، واضطر مالك الأشتر تحت

ضغط هذا الواقع إلى الانسحاب، وبدأت المفاوضات، وطرح موضوع التحكيم واختار علي ؑ عبد الله بن عباس فلم يقبلوا به واختار جماعته أبا موسى الأشعري الإنسان المعقد من علي ؑ والساذج الذي تتطلي عليه اللعب السياسية، واختار معاوية عمرو بن العاص الداهية المعروف، والتقىا وخدع عمرو أبا موسى، وقال له: إن المشكلة هي بين علي وبين معاوية، فقال أبو موسى لنخلع علياً ومعاوية وليختر المسلمون شخصاً آخر وسكت عمرو أو تظاهر بالموافقة، وعندما اجتمعا مع الناس قدّم عمرو أبا موسى ليعلن الاتفاق: فقال: اتفقنا على أن نخلع صاحبينا وها أنذا أخلع صاحبي، فقال عمرو لقد خلع صاحبه وأنا أثبت صاحبي، وتسأباً وانفرط الجمع.

وحدث ما أراده معاوية وعمرو من اختلاف المسلمين، وهنا انطلق المتخلفون ثقافياً والمقدسون عبادياً، فهم أصحاب الثقافات الساذجة، فقالوا لعلي ؑ: كيف حكمت الرجال في دين الله؟ لا حكم إلا لله، فعلق الإمام ؑ بعدة أحاديث. وسنحاول التقاط بعض ذلك في هذا اللقاء على أن نستكمل الحديث في اللقاء القادم بإذن الله. فمن كلام له ؑ قال للخوارج وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة (أي التحكيم) وقالوا له: لقد كفرت يا علي وعليك أن تسلم من جديد لأنك حكمت الرجال في دين الله ولا حكم إلا لله.

الاضجاج على من شهد صفين:

لقد أجاب الإمام ؑ عن ذلك بقوله: ((أكلكم شهد معنا صفين؟ فقالوا: منّا من شهد ومنّا من لم يشهد، قال: فامتازوا فرقتين، فليكن من شهد صفين فرقة ومن لم يشهدا فرقة حتى أكلّم كلّاً منكم بكلامه، ونادى الناس فقال: أمسكوا عن الكلام وأنصتوا لقولي وأقبلوا بأفئدتكم إليّ)). والأفئدة هنا العقول، أي لتكن عقولكم حاضرة حتى تعي ما أقول ((فمن نشدناه شهادة فليقل بعلمه فيها، ثم كلّمهم ؑ بكلام طويل - لم ينقله الشريف الرضي بأجمعه - من جملته أن قال: ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة ومكرأ وخديعة: إخواننا وأهل دعوتنا

استقالونا)) أي طلبوا منّا الإقالة من الحرب ((واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه، فالرأي القبول منهم والتنفيس عنهم، فقلت لكم: هذا أمر ظاهره إيمان وباطنه عدوان)) فالمسألة ليست هي ما يتكلّم به الآخرون، بل هي ما يضمّره الآخرون وما يريدون أن يصلوا إليه، وهذا ما نفهمه من علي عليه السلام وهو أن لا يكفي أن يقول إنسان كلمة حقّ لتتبعه، بل لابدّ أن ندرس خلفياته لنرى ماذا يريد من كلمة الحقّ؟ هل يريد بها الحقّ؟ أو يريد أن يجعلها وسيلة إلى الباطل من خلال بعض المناخات القلقة التي تحيط بالمسألة؟

ثم يعلّق على قرار رفع المصاحف بقوله: ((وأوله رحمة)) وهو كتاب الله فأيّ رحمة أعظم من هذه؟ ((وأخره ندامة)) لأنّ جماعة معاوية يستغلّون كتاب الله من حيث ما يؤلّونه ومن حيث طبيعة الطرح الذي يراد منه شقّ الصف وإثارة الفرقة ((فأقيموا على شأنكم وألزموا طريقتكم وعضوا على الجهاد بنوا جدكم)) أي أنني قلت لكم أكملوا المعركة فالقوم ليسوا بمؤمنين ((ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق إن أجيب أضلّ وإن ترك ذلّ، وقد كانت هذه الفعل، وقد رأيتم أعطيتموها، والله لأنّ أبيتها ما وجبت عليّ فريضتها)) فلو امتنعت عن ذلك ما كنت مسؤولاً ((وما حملني الله ذنبها، والله إن جنتها إنّي للمحق الذي يتبع وإن الكتاب لمعي)) فأنا صاحب القرآن، وأنا الذي أفهمه حقّ الفهم، وأنا الذي قاتلت من أجل أن يكون للقرآن موقعه وامتداده ووعيه ((ما فارقت منذ صحبت، فلقد كنّا مع رسول الله ﷺ وإنّ القتل ليدور على الآباء والأبناء والإخوان والقربات فما نزداد على كلّ مصيبة)) من خلال ما تفرضه الحرب ((وشدة)) من خلال ما نعيشه من شدائد ((إلاّ إيماناً ومضياً على الحق)) فلا نتراجع ((وتسليماً للأمر وصبراً على مضض الجراح)). فالمؤمن في النكبات وقور يسلم أمره إلى الله سبحانه وتعالى.

فالمشكلة هي أن القضية بالأمس كانت واضحة، فلقد كان هناك كفّار ومشركون ((ولكنّا إنّما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيف والاعوجاج)) فالإمام علي عليه السلام لم يخرج هؤلاء عن الإسلام بالرغم من أنّهم

حاربوه وقاتلوه، بل عبّر عنهم بإخواننا في الإسلام لكنّهم زائفون اختاروا طريق الانحراف ((والشبهة والتأويل)) أي دخلت إليهم بعض الشبهات وحملوا الكلام على غير ظاهره ((فإذا طمعنا في خصلة يلمّ الله بها شعنا وندانى بها إلى البقية فيما بيننا رغبتنا فيها وأمسكنا عما سواها)) فطالما طُرح هذا الأمر وأفهمتكم نواياه فلم تفهموا ذلك، كان علينا أن نخضع له.

هذه هي الكلمة الأولى التي أقام الإمام ﷺ الحجّة فيها عليهم، وأنّهم هم الذين رفضوا وضغطوا عليه وبقوا على تخلفهم. ويبقى من كلام علي ﷺ مما يمكننا أن نستفيد منه الكثير الكثير في حركتنا في واقع صراع الذي نعيشه الآن مع الكفر والاستكبار والضلال والتخلف. والحمد لله رب العالمين.

في مدرسة الإمام علي (ع) الحوار مع المعارضة

○ عليك عندما تسمع شعاراً

أن لا تنجذب إليه بل تدرس

خلفياته وحركيته في الواقع حتى

تستطيع أن تتعرف على اتجاه

مضمونه بحسب الواقع ○

➤ الحوار مع الخوارج.

➤ تحكيم القرآن.

➤ الردّ إلى الرسول ﷺ

➤ تأجيل التحكيم.

➤ أفضل الناس.

➤ الاحتجاج على تجلوزات الخوارج.

➤ الموقف من علي (ع)

➤ شكوى علي (ع) المبررة.

➤ مناقشة (لا حكم إلا لله).

➤ وعي الشعر.

➤ الدقّة في التشخيص.



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

الحوار مع الخوارج:

ونبقى مع أمير المؤمنين ؑ في حوارهِ مع الخوارج الذين كانوا يمثلون العقل المغلق الذي لا يحاول أن يفتح على مفاهيم الإسلام من حيث رحابتها وسعة مجالاتها، بل كانوا كالكثيرين ممن لا يزال نعيش معهم، يتجمّدون أمام النصّ بطريقة حرفية، ولا يحاولون أن يفهموا النصوص الدينية من خلال روحها والآفاق الواسعة التي تتحرّك فيها.

ولذلك فنحن نريد أن نواكب أسلوب أمير المؤمنين ؑ لنرى كيف عالج مشكلته معهم؟ وكيف حاول أن يدخل معهم في حوارٍ لعلّه يستطيع أن يفتح عقولهم من خلاله ليجتذبهم إليه وليناقشهم ويناقشوه، ولكنّهم كانوا كالكثيرين من الذين إذا استحكمت في عقولهم فكرة أطبقوا عليها أفكارهم ولم يفسحوا المجال لأية نافذة تفتح على الحقيقة في عملية الحوار.

وهذا أسلوب نحاول أن نفهمه في طريقة الإمام علي ؑ في مواجهة مشكلته مع أصحاب العقول المغلقة. فتعالوا إلى علي ؑ لتتعلّم منه، فلقد كانوا يقولون له، بعد أن نفّذ معاوية ومعه عمرو بن العاص الخطّة التي طرح فيها على أصحاب علي ؑ أن يحكّموا القرآن أن ((لا حكم إلا لله)). واختلف أصحاب علي ؑ وقال لهم - كما ذكرنا في المحاضرة السابقة - إن القوم ليسوا أهل القرآن، وأنني أعرفهم جيداً، ولذا فهي خدعة باسم القرآن، ولكنّ أصحابه الذين كانوا لا يملكون عمق الفكر، ولا معرفة خلفيات الأمور، ضغطوا عليه حتى هددوه

بالقتل إذا لم يستجب لذلك. فبعد أن حدث التحكيم ولم ينجح الحكمان في حلّ المشكلة انقسم أصحاب علي عليه السلام إلى قسمين، وكان الخوارج هم القسم الذي كفر علياً عليه السلام وطلبوا منه أن يسلم من جديد على أساس أنه لا يجوز أن نحكم الرجال في كتاب الله كما هو شعارهم ((لا حكم إلا لله)).

تحكيم القرآن:

استمعوا إلى علي عليه السلام في رحابة أفقه وسعة صدره، قال لهم ((إننا لم نحكم الرجال)) بصفتهم الشخصية، ولم نقل لأبي موسى الأشعري ولعمرو بن العاص، أحكما بما تريانه من خلال اجتهادكما الشخصي، بل قلنا لهما لقد أطلق شعار الرجوع إلى كتاب الله فضعنا هذا الكتاب بين أيديكما، وحاولا أن تطبقا الخطوط العامة فيه على هذا النزاع لتحكما من خلال ذلك: هل الحق مع علي أم مع معاوية؟ فتحن لم نحكم الرجال ((وإنما حكمنا القرآن)) ولكن كيف نحكم القرآن ((وإنما هو خط مسطور بين الدفتين)) فهو كلمات وحروف مكتوبة ((لا ينطق بلسان)) ليحدد لنا بطريقة ناطقة هل الحق لهذا أم لذاك ((ولا بد له من ترجمان)) أي من مفسر يفسره في خطوطه الفكرية العامة وتطبيقاته على الواقع، ((وإنما ينطق عنه الرجال)) الذين يفهمونه ويتدبرونه ويعرفون مصادره وموارده ((ولما دعانا القوم إلى أن نحكم بيننا القرآن، لم نكن الفريق المتولي عن كتاب الله سبحانه وتعالى)) فلسنا الذين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أعرضوا عنه، كما تحدث الله عن ذلك في آية أخرى ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾^(١). فلسنا من هؤلاء، لأننا قاتلنا من أجل تحكيم القرآن في حياة الناس، وفي كل ما يأخذون به من مفاهيمهم وعقائدهم وأحكامهم، ((وقد قال الله تعالى عز من قائل ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^(٢))) وقد خضعنا لذلك، ولكن، ما معنى أن نرد الأمر إلى الله وإلى

(١) النور: ٤٨.

(٢) النساء: ٥٩.

الرسول عندما نتنازع في أي أمر من الأمور؟ ((نردّه إلى الله أن نحكم بكتابه)) وذلك بأن نقرأ كتاب الله ثم نحاول أن نفهمه لنعرف كيف ينطبق ما جاء في هذا الكتاب على ما نتنازع حوله في الواقع؟

الردّ إلى الرسول ﷺ:

((ورده إلى الرسول أن نأخذ بسنته)) بأن نقول: ماذا قال رسول الله ﷺ؟ فإذا عرفنا أنّ الحديث حديثه وليس موضوعاً أو منسوباً إليه فإننا نجعله الحكم في كلماته التي تمثل الشريعة الفقهية والفكرية لتطبيقها على ما نحن فيه ((فإذا حكم بالصدق في كتاب الله)) فإذا فرضنا أن الحكم حكم بما هو الصدق في كتاب الله فنحن أحقّ الناس به لأننا القائمون على كتاب الله ولأننا المسؤولون عن تفسيره وتطبيقه وقيادة الناس من خلاله، لأننا نملك الشرعية من خلال ما جعله الرسول ﷺ في شرعية الخلافة. ((وإن حكم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أحقّ الناس وأولاهم بها)) ومن أحقّ الناس برسول الله ﷺ من أهل بيته ولا سيما من ابن عمه وتلميذه وصهره الذي كانت نفسه نفسه، والذي عاش معه بكله، فكان عقله عقل رسول الله ﷺ، وكان قلبه قلب رسول الله ﷺ وكانت حياته حياة رسول الله ﷺ؟

تأجيل التحكيم:

((وأما قولكم: لم جعلت بينك وبينهم أجلاً في التحكيم؟)) أي لماذا لم تقل لهم: احكموا الآن؟ ولماذا أعطيتهم أجلاً إلى فترة معينة؟ ((فإنما فعلت ذلك ليتبين الجاهل ويتثبت العالم)) حتى نعطي الفرصة للجاهل ليفهم الحقيقة عندما يبحث عنها، وللعالم الذي يحتاج إلى دراسة وتدقيق في الأمور ليتثبت من ذلك. ((ولعلّ الله مصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأمة)) وكأنّه يقول لهم أنا لم أخض الحرب حباً بالحرب وإنّما خضتها من أجل إصلاح أمر المسلمين، ولأجل أن أمارس ضغطاً على هؤلاء المنحرفين لعلّهم يرجعون إلى خط الاستقامة، ولذلك

فإذا كانت هناك فرصة للإصلاح فأنا أول من يأخذ بهذه الفرصة. ((ولا يؤخذ بأكظامها)) أي لا يؤخذ بخناقها بما يؤدي إلى الاختناق ((فتعجل عن تبين الحق، وتنقاد لأول الغي)) فنحن نريد إعطاء الأمة فرصة حتى تستطيع أن تتبين الحق وأن ترتدع عن الغي، ونستوحي من ذلك أن عملية الإصلاح العام للأمة قد تبرر الأخذ بأنصاف الحلول إذا كانت الحلول الحاسمة الكلية غير واقعية في المرحلة التي يختلف فيها المسلمون بفعل الفتنة التي يثيرها المنافقون والمنحرفون في الواقع الإسلامي، فيكون امتداد النزاع خطراً على المصلحة الإسلامية العليا وبهذا نكتشف الشرعية للحلول السياسية القائمة على التسويات في نطاق الظروف الممتدة.

أفضل الناس:

((إن أفضل الناس عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه)) وهو الإنسان الذي يلتزم الحق في فكره وفي قلبه وفي كل حركته بالحياة، سواء كان متصلاً بذاته أو بالآخرين في علاقاته معهم، والإمام هنا يريد أن يطرح قاعدة عامة في من هو الأقرب والأفضل عند الله؟ ((وإن نقصه وكرثه)) وإن كان العمل بالحق يوجب خسارة أو مشكلة شخصية بالنسبة له فإن العمل بالحق يبقى أحب إليَّ ((من الباطل وإن جرّ إليه وزاده)) أي أن الحق أقرب إليه من الباطل حتى لو كان في الباطل ربح وزيادة، لأن مسألة الالتزام بالمبادئ لاسيما إذا كان ذلك في خط الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر والالتزام بشريعته - تفرض على المؤمن أن يعمل على أساس إخضاع حياته وتحريك التجربة في حياة الآخرين لحركة الخط المستقيم للإيمان والالتزام، لأن النتائج الإيجابية في ذلك أعظم من السلبيات الجزئية على الذات والواقع.

((فأين يتاه بكم)) إلى أين أنتم ذاهبون؟ ((ومن أين أتيتم؟)) هل انطلقتم

من قاعدة الحق الذي يمثله فريقكم من موقع قيادة الحق التي عرفتم التزامها بالحق في تاريخها وفي وقتها في الإخلاص لله ورسوله؟ أو أنكم انطلقتم من

موقع الأهواء الضالة والانحرافات المضلّة. إن ذلك كلّه يفرض عليكم التفكير في العواقب التي تقبلون عليها مما يعرضكم إلى سخط الله بفعل إثارتكم الفتنة في الأمة.

ثم يقول لهم بعد أن انتهت الحرب وتبيّنت خيانة القوم الذين رفعوا المصاحف ((استعدّوا السير إلى قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه)) لأن الحرب قد تكون النافذة التي يطل منها الآخرون على الحق من خلال الضغوط التي قد تثيرها في الساحة مما يدفعهم إلى التفكير في الأمر، ويدخلهم في أكثر من تجربة تتيح لهم فهم الأمور بطريقة واضحة. وهذا هو ما تحدث به الإمام عليه السلام في موقف آخر، وذلك في قوله: ((ما دفعت الحرب يوماً إلّا وأنا أرجو أن تهتدي بي فئة فتعشوا إلى ضوئي)) أي إلى جماعة معاوية الذين لا يبصرون الحق، فلنسر إليهم حتى نهديهم ونضيء لهم طريق الحق ((وموزعين بالجور لا يعدلون عنه)) أي ملهمين بالظلم الذي سيطر عليهم فلا يعدلون عنه إلى العدل ((جفاة عن الكتاب)) أي انحرفوا عن الكتاب ((نكب عن الطريق)) أي يعدلون عن الطريق الصحيح إلى غيره.

ثم يعيش الإمام عليه السلام نفثة الصدر من الذين ابتلاه الله بهم ((ما أنتم بوثيقة يعلق بها)) فلستم أنتم الفئة التي يستوثق الإنسان بها عندما يدخل ساحة الصراع ((ولا زوافر عز يعتصم بها)) والزوافر هم العشيرة والأنصار. ((لبئس حشاشة نار الحرب أنتم)) ففي الحرب لن تكونوا الحطب الذي به يشعل نارها، وهذا كناية عن أنهم جبناء مهزومون ((أف لكم لقد لقيت منكم ترحاً، يوماً أناديكم ويوماً أناجيكم فلا أحرار صدق عند النداء، ولا أخوان ثقة عند النجاء)) وهذه هي مصيبة علي عليه السلام في أصحابه.

ونلاحظ رحابة صدره عليه السلام تتسع لأكثر من ذلك في حوارهِ. ونحن إذ نقرأ تجربة علي عليه السلام فإننا نريد أن نتعلّم الدرس، سواء كنّا في موقع الحكّام بالنسبة للمعارضة، أو كنّا في موقع المرجعية بالنسبة لمن نخلف معهم، أو كنّا في موقع

الأحزاب عندما تختلف الأمور فيما بينهم، وفي أي من مواقع المسؤولية، أن نتعلّم أنّ على المسؤول أن يحاور الذين يعارضونه، وأن يدخل معهم في دراسة حول القضايا التي هي محل الخلاف لا أن يضطهدهم لمجرد أنّهم يختلفون معه في الفكر، وأن لا يخرجهم عن الإسلام لأن لهم رأياً يختلف عن رأيه. والاختلاف هنا مع من؟ مع علي عليه السلام الذي هو كلّ الإسلام بعد رسول الله ﷺ ومع ذلك فالملاحظ أنه لم يُخرج الخوارج عن الإسلام حتى عندما كفّروه، بل وتعامل معهم كمسلمين، وستأتي كيفية تعامله معهم.

الاحتجاج على تجاوزات الخوارج:

فلنقرأ هذه الوثيقة الحوارية التي لا أعتقد أن أحداً من المسؤولين، في جميع المستويات، يستطيع أن يتحدث بهذا الأسلوب الحوارى المنفتح، لكنّ علياً عليه السلام يرتفع حيث يتضع الناس. ((فإن أبيتم إلا أن تزعموا أنني أخطأت وضللت)) فأنتم تقولون إنني أخطأت في التحكيم وإنني ضللت عن الخط المستقيم، فإذا لم تسمعوا كلامي ولم تقبلوا عذري وبياني لكم أنني لم أقبل التحكيم وأنني لم أحكم الرجال وإنما حكمت القرآن ولكنّ الحكمين ابتعدا عن القرآن، فلتحاسبوني إذاً أنا شخصياً ولا تعتدوا على المسلمين الذين لا ذنب لهم ((فلم تضللون عامة أمة محمد ﷺ بضلالي)) فالخوارج عندما تحولوا إلى معسكر معارض راحوا يقتلون الرجال والنساء والأطفال ((وتأخذونهم بخطئي، وتكفرونهم بذنوبي)). فإذا كنت أنا المذنب فلم الاعتداء على الآخرين وأخذهم بجريرة غيرهم؟ «ولا تزرّ وازرة وزر أخرى»^(٣) تعالوا اقصدوني دونهم.

((سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسقم)) أي للمذنب وللبريء ((وتخلطون من أذنّب بمن لم يذنّب)) أي أصبح المسلمون عندكم جميعاً بلا استثناء كفاراً، فالخوارج يعتقدون أن مرتكب الكبيرة كافر، ولما كان المسلمون قد قبلوا التحكيم فإنهم ارتكبوا الكبيرة فأصبحوا كفاراً، وربما ينسب إليهم بعض

الباحثين أنهم يرون أن كلَّ من أذنب فهو كافر، فالإمام ﷺ يريد أن يبيِّن لهم أنهم ما زالوا يؤمنون برسول الله ﷺ ويشهدون الشهادتين، فلنر كيف تعامل رسول الله ﷺ مع الذين ارتكبوا الكبائر ككفَّار أم تعامل معهم كمسلمين؟

((وقد علمتم أن رسول الله ﷺ رجم الزاني المحصن ثم صُلِّي عليه وورثه أهله)) أي عامله كمسلم، خاصَّة وأن زنا المحصن كبيرة، ومع ذلك فقد صُلِّي عليه والصلاة لا تجوز على الكافر وإنَّما على المسلم، فهذه المعصية لم تخرج الزاني من الإسلام. والكافر لا يرث المسلم وإنَّما المسلم يرث المسلم، الأمر الذي يعني أن الزاني لم يعامل ككافر. ((وقتل القاتل وورث ميراثه أهله)) فأهل القاتل مسلمون وهم يرثون ابنهم القاتل وهو مسلم فالقتل لم يخرج القاتل عن الإسلام ((وقطع السارق وجلد الزاني غير المحصن، ثم قسم عليهما من الشيء)) أي أعطاهم رواتبهم وأعطياتهم من بيت المال، رغم أن هذه كلُّها كبائر ((ونكح المسلمات)) أي تزوجاً منهن ((فأخذهم رسول الله ﷺ بذنوبهم وأقام حقَّ الله فيهم)) بالحدِّ الذي أجراه عليهم ((ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام)) أي تعامل معهم كمسلمين ودفع إليهم حصصهم من المال ((ولم يخرج أسماءهم من بين أهله)) أي من بين أهل الإسلام.

وبعد أن أقام الحجَّة البالغة عليهم، وقال لهم إنكم مخطئون في فهمكم العقيدي للإسلام، فالكبيرة لا تخرج المسلم من الإسلام بدليل سيرة رسول الله ﷺ فعلى أي أساس تقتلون المسلمين وتكفرونهم؟ يقول ﷺ: ((ثم أنتم شرار الناس)) لأنكم تتحركون بالذهنية العدوانية المتعصِّبة لا بالروحانية الإسلامية المتسامحة التي تفكر بالخير وتخطِّط للوصول إلى مواقعه بالحوار بالتّي هي أحسن مما يدلّ على روح الشر المتأصلة في نفوسكم التي تدفعكم إلى العدوان على البلاد والعباد.

((ومن رمى به الشيطان مراميه)) أي رماهم الشيطان بعيداً فضّلوا عن الطريق ((وضرب به تيهه)) أي سلك به في بوادي الضلال التي يتيه فيها الإنسان.

الموقف من علي ؑ:

ثم ركّز الإمام ؑ موقف الناس منه. ((وسيهلك في صنفان: محبّ مفرط يذهب به الحبّ إلى غير الحق)) أي هذا الذي يرتفع بي إلى ما يقرب من الألوهية، وقد نقل لنا التاريخ إن هناك من ادّعى الألوهية لعلي ؑ في حياته وقد قتلهم إحراقاً بالنار. ((ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق))، أي ذاك الذي بخس علياً ؑ حقّه ((وخير الناس في حالاً النمط الأوسط فالزموه)) أي الذين يلتزمون بي كما أراد الله ورسوله من أنني خليفة رسول الله ﷺ ووصيه، وأنني مع الحق، وأنني بشر كما أن رسول الله ﷺ بشر. ((والزموا السواد الأعظم)) فالخوارج كانوا خارج نطاق الجوّ الإسلامي الذي كان مع علي ؑ ((فإن يد الله مع الجماعة وإياكم والفرقة فإن الشاذّ من الناس للشيطان)) أي الذي يبتعد عن الجماعة السائرة على طريق الحق، كما هو الشاذّ من الغنم الذي يخرج عن قطيعه فهو للذئب يفترسه، ف كذلك الشاذّ عن الجماعة هو للشيطان يفترسه. ((ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه)) أي شعار (لا حكم إلا لله) وشعار الفرقة والتمزّق ((ولو كان تحت عمامتي هذه، فإنما حكم الحكمان ليحييا ما أحيا القرآن، ويميتا ما أمات القرآن، وإحياءه الاجتماع عليه، وإماتته الافتراق عنه. فإن جرّنا القرآن إليهم اتبعناهم، وإن جرّهم إلينا اتبعونا، فلم آت لا أبا لكم بجرا)) أي لم آت شراً أو أمراً عظيماً ولا أذنبت ولا ارتكبت كبيرة ((ولا ختلتم عن أمركم)) فما كنت خدعتكم عن أمركم ((ولا لبستة عليكم)) أي لم أخلط الأمور حتى تشبه عليكم، فلقد كنت واضحاً أشدّ الوضوح. ((إنما اجتمع رأي ملتكم على اختيار رجلين)) فلم أكن راضياً لا بأبي موسى الأشعري ولا بعمر بن العاص لكنكم ضغطتم عليّ بعد أن كنت قد اخترت عبيد الله بن عباس وهو حبر الأمة،

وهو يعرف كيف يخوض المعركة، فيما أن أبا موسى ليس معي وهو ساذج وبسيط.
((أخذنا عليهما أن لا يتعديا القرآن فتاها عنه، وتركنا الحق وهما يبصرانه، وكان
الجور هواهما فمضيا عليه، وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكومة بالعدل -
والصمد للحق- سوء رأيهما، وجور حكمهما)) فلقد استثنينا عليهما ذلك ولكنهما
لم يلتزما به.

ونقرأ أيضاً نصاً آخر لنعرف أن مصيبة الإمام علي عليه السلام هي أعظم من
مصيبة الحسين عليه السلام فلقد كانت كربلاء معركة خاضها الحسين عليه السلام كأقصى ما تكون
المأساة، ولكن علياً عليه السلام كان يتقطع في كل يوم قطعة قطعة منذ توفي رسول الله عليه
إلى أن استشهد عليه السلام، وإلى الآن ما زال الإمام عليه السلام مبتلى بنا لأننا لم نفهمه جيداً ولا
نسير معه في خطته.

قام إليه رجل من أصحابه فقال: ((نهيتنا عن الحكومة)) ففي البداية قلت
إن جماعة معاوية ليسوا أهل كتاب فلا تقبلوا بالتحكيم ((ثم أمرتنا بها)) فحين
أطبق الناس على ذلك قلت لا بأس ((فلم ندرأي الأمرين أرشد؟)) أحين نهيتنا أم
حين أمرتنا؟ ((فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى، فقال: هذا جزاء من
ترك العقدة)) أي ما حصل عليه التعاقد. ((أما والله لو أني حين أمرتكم به
حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيراً، فإن استقمتم هديتكم، وإن
اعوججتم قومتمكم، وإن أبيتم تداركتكم، لكنت الوثقى)) فلقد كان يمكنني ذلك
بالضغط وبالقوة.

شكوى علي عليه السلام المبررة:

((ولكن بمن، وإلى من؟)) فبمن أصول؟ وإلى من أتجه؟ ((أريد أن أداوي
بكم وأنتم دائي)) فهل يُداوى المرض بالمرض؟ وهذا يكشف عن مدى معاناة الإمام
عليه السلام من قومه ((كناقش الشوكة بالشوكة)) كذاك الذي يريد إزالة الشوكة بالشوكة
((وهو يعلم أن مثلها معها)) أي أنها جارحة ((اللهم قد ملّت أطباء هذا الداء
الدوي)) أي الذي يتمثل في جماعتي، فلقد ملّ الأطباء منه لأنّ علاجه أعياهم

((وكلت النزعة بأشطان الركي)) والأشطان هي الحبال والركي هو البئر ((أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرأوا القرآن فأحكموه وهيجوا إلى الجهاد فولهوا وله اللقاح إلى أولادها، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف من الأرض زحفاً زحفاً، وصفاً صفاً، بعض هلك وبعض نجا، لا يبشرون بالأحياء)) فلو بقي شخص منهم حياً فإنهم يسعون بالبشارة له فإن أفضل الأشياء عندهم هو القتل في سبيل الله لأنه أكرم القتل والبر الذي لا برّ فوقه. ((ولا يعزّون بالموتى)) لأنهم يعتبرون الذي يموت في سبيل الله لا يعزّي به بل يفرح له لأنه كرامة من الله. ((مره العيون من البكاء)) فهؤلاء الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ قد فسدت عيونهم من كثرة البكاء من خشية الله ((خمس البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء، صفّر الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين، أولئك إخواني الذاهبون، فحق لنا أن نظماً إليهم، ونعص الأيدي على فراقهم)).

وهناك نصوص قصيرة خاطب بها الخوارج ومنها قوله ((أصابكم حاصب)) وذلك بعد أن اعتزلوا الحكومة وتنادوا أن: ((لا حكم إلا لله)) ((ولا بقي منكم أثر)) أي أنه يدعو عليهم بأن لا يبقى منهم لشخص أثر، أي يُمحقوا ويُبادوا جميعاً ((أبعد إيماني بالله وجهادي مع رسول الله ﷺ أشهد على نفسي بالكفر)) أي تريدون مني أن اعترف بأنّي كفرت «قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ»^(٤). إذا فعلت ذلك ((فأوبوا شراً ب)) أي ارجعوا شراً رجعة ((وارجعوا على أثر الأعقاب. أما أنكم ستلقون بعدي)) وهنا يحدثهم عن مستقبلهم ((ذلاً شاملاً، وسيفا قاطعاً، وأثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة)) وهكذا تفرّق الخوارج أيدي سبا ولم تبق منهم إلا القلة القليلة.

مناقشة (لا حكم إلا لله):

وهناك نصان آخران في الاتجاه نفسه، يحاول الإمام عليه السلام من خلالهما أن يردّ على شعار (لا حكم إلا لله) فهو صحيح من خلال قوله تعالى ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٥). ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٦). ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٧). ولكن القضية ليست أن تطلق الشعار بل كيف تطبّقه على الواقع؟ وكيف تحرّكه في مواقع الخلاف والنزاع؟ لذا أراد الإمام علي عليه السلام أن يعالج المشكلة معالجة فكرية ويعطينا من خلالها خطأ للعمل سواء في خط المعارضة أو في خط الموالاتة، إذا صح التعبير.

قال عليه السلام لما سمع قول الخوارج (لا حكم إلا لله): ((كلمة حق يراد بها باطل)) فليس المهم أن تقول كلمة الحق بل ما هو هدفك من قولها؟ هل هو أن تقيم الحق أو أن تستغل الكلمة في غير مجالها لتركّز الباطل باسم الحق؟ ((نعم إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلا لله)) فهناك فرق في المعنيين، فالحكم لله يعني أن نأخذ بما حكم الله به في كتابه، لكن الحكم كإجراء تنفيذي يحتاج إلى أمير ومسؤول وحاكم، والله لا يحكم بشكل مباشر، أي أنه لا يعطي المظلوم حقه من ظالمه مباشرة، بل لابدّ من حاكم يحكم بين الناس بحكم الله ليقصّ من الظالم لحساب المظلوم وليرجع الحق إلى صاحبه، فلا بدّ أن يكون هناك حاكم ((وأنّه لابد للناس من أمير برّ أو فاجر)) أي أن المجتمع لا بدّ له من نظام يرتكز عليه، فلا يمكن له أن يعيش الفوضى. فالأصل أن يكون هناك أمير برّ يحكم بحكم الله، ويعدل بين الناس بالحق، فإذا لم يكن فلا بدّ من أمير فاجر من أجل أن يحفظ نظام المجتمع الذي إذا لم يكن له أمير أو حاكم أو مسؤول أو

(٥) المائدة: ٤٤.

(٦) المائدة: ٤٥.

(٧) المائدة: ٤٧.

رئيس دولة فإن الفوضى تدبّ في أوساطه وبذلك يضيع الناس ويفقدون الأمن بحيث يأكل القوي الضعيف ((يعمل في إمرته المؤمن)) على قاعدة التعايش مع الباطل وعدم الاعتراف بشرعيته ((ويستمتع فيها الكافر ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الضياء)) أي ميزانية الدولة ((ويقاتل به العدو، وتأمين به السبل)) أي أن تكون هناك شرطة وجيش ورجال أمن حتى يحافظوا على أمن الطرق من استغلال قطاع الطرق، وعلى البلد من العدوان الخارجي ((ويؤخذ بها للضعيف من القوي، حتى يستريح برّ ويستراح من فاجر)).

وفي رواية أخرى قال ﷺ لما سمع تحكيمهم ((أما الإمرة البرّة فيعمل فيها التقى، وأما الإمرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقي، إلى أن تنقطع مدته، وتدركه منيته)).

فالإمام ﷺ حلّ مضمون الشعار الذي أطلقه الخوارج تحليلاً دقيقاً، فالفرق واضح بين أن تقول (لا حكم إلا لله) وبين أن تقول (لا إمرة إلا لله) فالله يحكم ولكنه يحكم من خلال الناس ولا يحكم بشكل مباشر، وإذا دار الأمر بين الفوضى وحكم الحاكم غير الحق فلا إشكال أن حكمه يقدم على الفوضى. نعم، إذا دار الأمر بين الحاكم الحق وبين الحاكم الباطل فلا بد أن نقدم الحاكم الحق على الحاكم الباطل.

وعى الشعار:

ولابدّ من أن نأخذ من هذه الكلمة درساً في القضايا السياسية والدينية والاجتماعية من خلال ما يطلق من شعارات فضفاضة تجتذب مشاعر الناس وعواطفهم. فعليك عندما تسمع الشعار أن لا تتجذب إليه بل تدرس خلفياته وحركيته في الواقع حتى تستطيع أن تتعرّف على اتجاه مضمون هذا الشعار بحسب الواقع؟ وإلى أين يتجه بحسب الخلفيات؟ لأننا نعرف - أيّها الأحبة - منذ الخوارج وفي مدى التاريخ الإسلامي أو التاريخ الحاضر الذي سيطر فيه الغرب المستعمر على مقدرات المسلمين، أن الناس يتحركون خلف شعارات برّاقة

فضفاضة تلتقي مع غرائزهم ومع أحاسيسهم ولكن الذي يطلق الشعار ربّما يكون قد خبأ في خطته العناصر التي تحاول أن تصل به إلى ما يريد من السيطرة على الناس.

فعندما دخل الإنجليز في أوائل القرن الماضي إلى واقع العرب، جاءوا إليهم بعنوان أو شعار أنكم تعيشون تحت ضغط الحكومة العثمانية، وهؤلاء أترك وأنتم عرب، وقد جئنا لنساعدكم على تحرير بلادكم من الحكم التركي، فكان الشعار هو هذا، وكان أول من استجاب لهذا هو الشريف حسين الذي كان ملك مكة آنذاك، ولكن المسألة انتهت بالشريف حسين إلى أن ينفي وإلى أن يسيطر الإنجليز على كلّ مقدرات العالم العربي وشاطرتهم فرنسا السيطرة على دول أخرى بعنوان التحرير، فكلمة الاستعمار تعني أن هؤلاء جاءوا ليعمروا لنا حياتنا، ذلك أن مصطلح الاستعمار يعني طلب العمران، ولما كانت الأمة تعيش الخراب فلا بدّ من التعمير، وهذا ما توحى به كلمة الاستعمار. ثم انقلب الشعار بعد ذلك إلى عملية احتلال، وما زالت تتطلي علينا الشعارات التي ترفعها أميركا في المنطقة.

ولذا يريدنا الإمام علي عليه السلام أن نكون الواعين لمرامي الشعارات لا أن تجتذبنا الشعارات، وأن ندرس من يطلق الشعار؟ وإلى أين يتجه؟ وما هي خلفياته؟ فمشكلتنا هي في هذه السذاجة الدينية والسياسية والاجتماعية التي تجعلنا نخضع للإشاعات والشعارات وكلّ الخطط التي تتحرّك هنا وهناك .. واذكر في هذا المجال كلمة للإمام الصادق عليه السلام يردّ فيها على من يقولون بأن المؤمن بسيط طيب ساذج أي يمكن أن تتطلي عليه اللعب والأحابل ((المؤمن حسن المعونة)) أي يعين غيره وليس أنانياً ((خفيف المؤنة)) لا يثقل نفسه على الآخرين ((جيد التدبير لأمر معيشتة)) أي لا يغلب في التجارة والحصول على المعيشة ((لا يلدغ من جحر مرتين)). فإذا خاض تجربة فاشلة فلا يكررها في موضع الفشل، وكم لدغنا من ألف جحر وما تزال أصابعنا ممدودة في كلّ هذه الجحور الغريبة

والاستكبارية .. أميركا .. وأوروبا .. أما من نحن؟ وماذا نريد؟ فهذا ما لا نعلمه حتى الآن.

ولقد زارني السفير الفرنسي في لبنان أيام الحرب اللبنانية، وقال: إن مشكلتنا مع اللبنانيين أنهم يحدثوننا عما نريد ولا يحدثوننا عما يريدون. أي أن سؤالهم دائماً: ماذا يريد الفرنسيون؟ وليس ماذا يريد اللبنانيون؟ والجو السياسي الآن يشبه ذلك، فالسؤال الآن ماذا تريد أميركا؟ وماذا تريد إسرائيل؟ وماذا تريد أوروبا؟ أما ماذا نريد؟ فلا نفكر فيما نريد، أو بالأحرى هل نعرف ماذا نريد؟ فلو فاجئنا شخص وقال: ماذا تريدون كعرب؟ وماذا تريدون كمسلمين؟ فإننا نقول له: دعنا نفكر. أما إذا سألنا ماذا تريد أميركا؟ فيمكن أن نجيبه فوراً.

فمشكلة علي عليه السلام أنه ابتلي بفئة غير واعية تتجذب إلى كل الكلمات وكل الشعارات، ومازلنا نمثل الأكثرية غير الواعية التي تتساق خلف الشعارات البراقة، السهل إثارة فتنة مذهبية وأخرى طائفية وثالثة حزبية أو إقليمية، وأن نشير الحرب بيننا، لأن عقولنا ذابت في غرائزنا ولم تعد غرائزنا تحت سلطة عقولنا.

الدقة في التشخيص:

وهناك كلمة للإمام عليه السلام ترسم خطأ فكرياً في هذا المجال، فبعد أن قاتل الخوارج أعطاهم حقهم في الشيء، وإنما قاتلهم لأنهم قطعوا طريق المسلمين وصاروا مفسدين في الأرض، فقاتلهم من أجل حماية النظام، ولذا قال ((لا تقاتلوا الخوارج من بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه، كمن طلب الباطل فأدركه)) فالفرق بين الخوارج وبين معاوية أن الخوارج متدينون ولكنهم متدينون جاهلون، وفي الحديث: ((قصم ظهري اثنان عالم متهتك وجاهل متنسك))^(٨) يتعبد بشتى العبادات لكنه يفهم القضايا بشكل مقلوب. فالإمام علي عليه السلام ينهى عن مقاتلتهم ويدعو إلى محاورتهم لأنهم أرادوا الحق وأخطأوا، فمن يطلب الحق يمكن التفاهم معه بمجرد أن يفتح عقله، لكن معاوية طلب الباطل وهو يعرف

الحقّ وانحرف عن الحق عمداً فأدرك الباطل.

فعندما نعيش الاختلاف في دوائرنا المذهبية أو الطائفية أو السياسية نرى أن هناك أناساً يطلبون الحقّ ولكنهم يخطئون الطريق إليه لأنهم لم تتوفر لديهم البيئة التي تعطيههم مناخ الحقّ، ولم تتوفر الوسائل التي يفهمون بها الحقّ ويصلون إليه، فلا يصحّ مقاتلة ومقاطعة هؤلاء، بل علينا أن نواصلهم ونبقى في حوار معهم. أمّا الذي يطلب الباطل وهو يعرف الحق فنقاتله لأنّ الحوار معه لا يجدي نفعاً. فالقضية ليست قضية خلاف فكري بل هي خلاف على الواقع، ولذا يقول الله تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾^(٩). وهم الذين يريدون أن يفرضوا القوة عليكم ويصادروا حرياتكم وواقعكم، فهؤلاء لا يريدون الحوار إطلاقاً.

أيّها الأحبة - هذا هو علي عليه السلام الذي ارتفع حتى لم يبق مجال للارتفاع، وقد قال: ((لو كشف لي الغطاء ما ازدت يقيناً))^(١٠) هل تريدون أن تكونوا مع علي عليه السلام؟ إن السير مع علي عليه السلام متعب متعب متعب، لأنّ علياً عليه السلام مع الحق والحق مرّ وكرهه مطعمه، حتى قال ((ما ترك لي الحق من صديق))^(١١). لذلك علينا أن نكون مع علي عليه السلام في كلّ الإسلام الذي جاهد في سبيله، وفي كلّ الإسلام الذي شرحه وفسّره وعرفّه.. علينا أن نحمل فكر علي عليه السلام وثقافته وخطه حتى نستطيع أن نقدّم للعالم صورة علي الذي يمثل الإسلام الحضاري الذي إذا انطلق في العالم عرف أنّه يمكن أن يحلّ مشكلة الإنسان المعاصر..

علي الحوار.. علي الأفق المنفتح.. علي الإنسان الذي عاش إنسانية الناس من حوله، وأراد أن يرفعهم إلى الله، وأن يبعدهم عن الوحول التي يتخبّطون فيها، وتلك كلمته ((ليس أمري وأمركم واحداً إنني أريدكم لله وأنتم تريدونني

(٩) العنكبوت: ٤٦.

(١٠) شرح نهج البلاغة، ج ٧، ب ١١٣، ص ٢٥١.

(١١) شرح نهج البلاغة، ج ٤، ب ١٩٨، ص ٣٠٢.

لأنفسكم))^(١٢). والحمد لله رب العالمين.

(١٢) النصوص التي وردت في أصل المحاضرة مأخوذة عن (نهج البلاغة) الخطب (١٣٥، ١٣١، ١٢٧، ٥٨، ٤٠، ٣٥).

في مدرسة الإمام علي عليه السلام (٦) أسلوب الحكم

○ ليس الحكم سيطرة ولا

تعسفاً ولا تجبراً ولكنه عقد بين

الحاكم والمحكوم ○

- علي عليه السلام المؤهل لخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.
- إدارة الخلافة في خط المعارضة.
- خطابه لقادة الجيوش.
- أين نحن من علي عليه السلام ؟



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين

الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

ونبقى مع عليٍّ ؑ صوت العدالة الإنسانية، لنلتقط من نهج بلاغته بعض الكلمات التي توضح لنا كيف كان أسلوبه في حكمه، وفي علاقته مع بعض الذين يتولّون جانباً من شؤون حكمه، وكيف كان خطابه لبعض الذين انتقضوا عليه ونكثوا عهده وواجهوا خطّته، لأنّ هذا الجانب ليس واضحاً عند الكثيرين، ولأنّ مثل هذه الملامح الإسلامية العلوية تعلّمتنا - سواء كنّا على مستوى المسؤولية أو على مستوى الواقع الشعبي - كيف نحرك أساليبنا مع الذين نعارضهم ويعارضوننا، أو الذين يتحرّكون معنا في مسؤولياتنا.

عليّ ؑ المؤهل لظافة رسول الله ﷺ:

فنحن نلاحظ في أسلوب عليٍّ ؑ وهو الخليفة، أنّه عندما كان يرسل كتبه إلى عمّاله، أو الذين يتولّون بعض شؤون الناس من قبله، لم يكن يستخدم اللغة الرسمية مما اعتاد الخلفاء أو المسؤولون في الدول أن يوجهوها إلى من هم تحت مسؤوليتهم، لأنّ عليّاً ؑ كان ينطلق من خلال خطّين في المسؤولية: الخطّ الأول هو الخطّ الرساليّ، لأنّه كان مسؤولاً عن تربية النّاس على الإسلام، تماماً كما كان رسول الله ﷺ مسؤولاً عن ذلك. والخطّ الثاني، وهو خطّ تنفيذ الإسلام في حياة النّاس من خلال حركة الحكم في إقامة العدل وحفظ النظام الأمني، ولهذا كرّرنا الحديث في هذه اللقاءات أنّ عليّاً ؑ وحده هو الذي كان مؤهلاً لأن يكون خليفة رسول الله ﷺ، لأنّ خلافة عليٍّ ؑ لرسول الله ﷺ تختلف عن خلافة أيّ خليفة أو مسؤول آخر، لأنّ رسول الله ﷺ كان الرسول والشاهد والمبشر والنذير

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ❖ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾^(١). وكان الحاكم «النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ»^(٢). فلا بد لمن يقوم مقامه أن يكون الإنسان الذي يجسّد الرسالة في عقله وفي قلبه وفي سلوكه، بحيث يكون نفس رسول الله ﷺ في ذلك كلّ، بأن يكون علمه علم رسول الله ﷺ، وخلقه خلق رسول الله ﷺ، وسلوكه سلوك رسول الله ﷺ، حتى يكمل حركية الرسالة بعد الرسول ﷺ، لأنّ قريشاً لم تمنح رسول الله ﷺ الفرصة في إكمال هذه الحركية، فلقد بلّغ ﷺ الرسالة كلّها «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعَمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»^(٣). فلم يبقَ من الرسالة شيء لم يبلغه رسول الله ﷺ، ولكن كان من بين مهامّ رسالته أن يزكّيهم وأن يعلمهم الكتاب والحكمة، فلا بدّ من شخص يكمل عملية التزكية والتعليم الفكري والتطبيقي، ولا بدّ أن يكون حاكماً يملك المعرفة الشاملة لخطوط الإدارة كلّها، ولم نجد لأيّ صحابي من الصحابة . مع احترامنا لهم . وثيقة كاملة في خطوط الإدارة العريضة وتفاصيلها كما وجدنا لعلّي ﷺ، فعهد له مالك الأشتر، وعهد لأكثر من عامل من عمّاله دليل على ذلك.

ولهذا كان عليّ ﷺ وحده المؤهّل للخلافة، ومن هنا نعرف سبب نزول آية التبليغ: «بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ»^(٤). لأنّك إن لم تبليّ فسوف تفقد الرسالة حركيتها في الامتداد والتربية والتوعية والانفتاح، فلا بدّ أن ندرس عليّاً ﷺ في خطّ الرسالة، كما ندرسه في خطّ الإدارة والحكم. ولا نستطيع أن نفهم عليّاً ﷺ في جانب واحد دون غيره، وهذا هو الذي نستدلّ به على أنه ﷺ كان المعين لموقع الخلافة، لأن مسألة أن يكون هناك خليفة يحكم ليست هي كلّ مسألة الإسلام بعد رسول الله ﷺ، بل أن يكون هذا الشخص رسالياً يركّز الرسالة في العمق،

(١) الأحزاب: ٤٥-٤٦.

(٢) الأحزاب: ٦.

(٣) المائدة: ٧.

(٤) المائدة: ٦٧.

ولابدَّ أن يكون هناك حاكم ينمِّذ حركة الرسالة في الواقع، وخصوصية الرسالة الإسلامية أنَّها تدخل في تفاصيل الإدارة كما أنَّ الإدارة تدخل في مفردات الرسالة.

إدارة الخلافة في خطِّ المعارضة :

ولذلك فإننا نحاول في هذا اللقاء أن نلتقط بعض رسائل عليٍّ عليه السلام لنعرف كيف كان يدير مسألة الخلافة في الخطِّ السلبيِّ مما كان يواجهه في معارضة المعارضين وفي الخطِّ الإيجابي.

فمن كتاب له عليه السلام إلى معاوية بعد فتنة الخوارج، قال له: ((وإنَّ البغي)) الذي تمثَّل في مواقفك وممارساتك ((والزور)) أي الباطل الذي حمل شعار الرجوع إلى كتاب الله وهو لم يأخذ به ((يوتغان المرء في دينه وديناه)) ويوتغان يعني يهلكان، وكأنَّه يقول له إنني أحذرك من البغي ومن الزور الذي أخذت به، لأنَّ ذلك سوف يهلك دينك وديناك مهما أخذت من شكليات الدين، ومهما حصلت عليه من شأن الدنيا.

((ويبيدان خلله عند من يعيبه)) لأنَّ البغي يفتح الثغرات الموجودة في شخصية الباغي، ولأنَّ الزور يبيِّن الخلل في سلوكه وفي خطئه في الحياة. ((وقد علمت أنَّك غير مدرك ما قضي فواته)) أي ما فات وسلف من أنَّك لم تدرك طبيعة هذا التاريخ الذي صنَّعه وفاتك الآن، ولم تدرك نتائج السلبية. ((وقد رام أقوام بغير الحقِّ فتألوا على الله)) والتأل من الألية، وهي اليمين التي حلفوها فيما أرادوا أن يفعلوا، ((فأكذبهم)) لأنَّهم لم يصدقوا فيما تألوه، أي حلفوه، ((فأحذر يوماً يغتبط فيه من أحمد عاقبة عمله)) وهو الإنسان الذي ينظر في العواقب بحيث كانت عاقبة عمله خيراً ((ويندم من أمكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه)) لأنَّ الشيطان يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير. ((وقد دعوتنا إلى حكم القرآن)) عندما رفعت المصاحف وقلت من لثغور أهل العراق غير أهل الشام ومن لثغور أهل الشام غير أهل العراق ((ولست من أهله)) لأنَّك لم تفتح

على القرآن منذ كنت مع أبيك في خطّ الكفر، ولم تفتح عليه عندما صرت مسلماً، بل كانت المسألة عندك دنيا تريد أن تحصل عليها باسم القرآن.

((ولسنا إياك أجبنًا)) فنحن لم نجيبك إلى ما دعوت لأنك لست في مستوى أن تجاب ((ولكننا أجبنًا القرآن في حكمه)) لأننا قوم حاربنا من أجل تنزيل القرآن ونحارب من أجل تأويله، ليكون القرآن هو الذي يحكم الحياة الإسلامية كلّها، فإذا دعانا القرآن لأيّ موقف حتى لو كان الداعي لا يحمل معنى القرآن، فإننا نجيب القرآن إلى ذلك ((والسلام)).

وهنا نلاحظ أنه مع كل هذا السلوك السيئ الذي سلكه معاوية معه ورغم أنه أثار الحرب عليه، نلاحظ كيف استعمل الموعظة معه، لأنه لا يريد أن يتحدث معه في السياسة بمعناها الجامد، بل أراد أن يتحدث معه في السياسة في عناصرها الروحية لتكون مظهراً لسياسة الإسلام الذي يفتح على الله عندما يفتح على الناس.

ومن كتاب له ﷺ إلى معاوية أيضاً ((أما بعد، فإن الدنيا مشغلة عن غيرها)) فإذا استغرقت أنت وأمثالك في الدنيا بكلّ أطماعها ولذاتها وشهواتها، فإنّها تشغلك عن الآخرة فلا تفتح على الآخرة لأنّ الدنيا الأخروية هي التي يعيش فيها الإنسان الآخرة كهدف في كلّ أوضاعها وقضاياها.

((ولم يصب صاحبها منها شيئاً إلاّ فتحت له حرصاً عليها)) فعندما يحصل الإنسان على الدنيا فإنّه لا يوجهها في مواقع العطاء، ولا يحرك الأهداف الكبرى التي جعلها الله للإنسان في حياته في الدنيا إلى ذلك، بل يحرص عليها أكثر.

((ولهجأ بها، ولن يستغني صاحبها بما نال فيها عمّا لم يبلغه منها)) فالإنسان إذا حصل على شيء من الدنيا فإنّه لا يكتفي ولا يقتنع به بل يتطلّع إلى ما لم يبلغه منها، ويظلّ في حالة جوعٍ وحرصٍ دائمين. ((ومن وراء ذلك)) اجمع ما شئت واحرص على كلّ ما جمعت ولكن ما هي النهاية؟ ((فراق ما جمع، ونقض

ما أبرم)) فهو يجمع المال بكل وسيلة من حلال ومن حرام، ثم يفارقه، وهو يبرم الكثير من المواثيق والعهود والأوضاع لكنّه ينقض ما أبرم من ذلك لأنّه سيفارقه كلّهُ .. ((ولو اعتبرت بما مضى)) بحيث أخذت درساً من الماضي الذي سبقك، أو الذي عشت في حياتك ((حفظت ما بقي)) لأنّ الإنسان عندما يأخذ دروس الماضي يعرف كيف يركّز الحاضر، وكيف يؤسس للمستقبل، ولكنك لم تفعل ذلك يا معاوية.

خطابه لقادة الجيوش:

ومن كتاب له ﷺ إلى أمرائه على الجيوش، نجد كيف كان يخاطب قادة الجيوش التي يبعثها للقتال: ((من عبد الله عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين)) وأمير المؤمنين هي الصفة الرسمية، أمّا صفة العبودية لله سبحانه وتعالى فهي من أجل أن يوحى إليهم أنّه يعيش عبوديته لله حتى وهو يحكم الناس ويمارس الإمارة عليهم، حتى لا يتصور الناس أنّ الإمارة ترتفع به عن مواقع العبودية كما الكثيرون من الناس الذين إذا تأمّروا على الناس وحكموهم فقدوا إحساسهم بمعنى عبوديتهم لله، فخيّل إليهم أنّ لهم شيئاً من الألوهية بحيث يعيشون أرباباً للناس لا أخواناً لهم.

وأما إمارة المؤمنين فهو الموقع الذي يجعله مسؤولاً عنهم ويجعلهم مسؤولين أمامه، لأنّه إذا كان أميرهم فهذا يعني أنّه مسؤول عن رعايتهم وحفظ نظامهم، وإذا كانوا مأمورين أمامه فعليهم أن يطيعوه، وهذا ما بيّنه لهم.

((إلى أصحاب المسالح)) مواقع السلاح ومسؤولي حركته في خطّ المواجهة ((أما بعد، فإنّ حقاً على الوالي أن لا يغيّره على رعيته فضل ناله)) أي أن لا يتكبّر ولا يتجبر ولا ينظر إلى رعيته من فوق، بل عليه أن يعتبر ولايته مسؤولية بحيث يشعر بثقلها أكثر مما يشعر بشرفها، فالولاية على الناس هي مسؤولية وتكليف وليست تشريفاً يضحّم للإنسان ذاته، ((ولا طولُ خصّ به)) والطول هو القوّة والامتداد في السلطة ((وأن يزيده ما قسمه الله له من نعمه دنوّاً من

عباده)) بحيث كلما أعطاه الله نعمة أكثر وقوة أكثر، قرب من الناس أكثر، لا أن يبتعد عن الناس كما يبتعد الذين يعيشون في الأبراج العاجية عندما يملكون سلطة أو غنى أو ما إلى ذلك ((وعظفاً على إخوانه)) أي أن ينطلق الوالي والحاكم والأمير ليعيش العطف على الناس، ولاحظوا كيف يعبر ﷺ عن الناس الذين يتحمل مسؤوليتهم بأنهم إخوانه، وهذا الخط لا يقتصر في إحياءاته الإسلامية الأخلاقية على من يملك السلطة العليا، بل إنه يتحرك في أية سلطة يملكها الإنسان على الآخرين سواء في الدائرة الصغيرة أو الوسطى أو القضايا الإدارية والسياسية والاجتماعية والعسكرية، بأن تعيش في نفسك الإحساس بأخوة الناس الذين هم في مواقع مسؤوليتك وأن تعطف عليهم.

وقد صور لنا سبحانه وتعالى رسول الله ﷺ بهذا العمق الإنساني في إحساسه بالمؤمنين ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ . يَشْقُ عَلَيْهِ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ . كَمَا تَحْرَصُ الْأُمُّ عَلَى أَوْلَادِهَا . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا رُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٥) وهذا ما تعلمه عليّ ﷺ من رسول الله ﷺ، فإذا بلغت بك الدنيا موقعاً عالياً فلا تبتعد عن الناس بل اقترب منهم، بحيث لو أنهم لم يصلوا إلى ما أنت فيه فعليك أن تتنازل لتصل إليهم.

ولعلنا نستوحي هذا المعنى من بعض الأدعية، ألا نقرأ: ((فإن لم أكن أهلاً أن أبلغ رحمتك فرحمتك أهل أن تبلغني وتسعني لأنها وسعت كل شيء)) فقد لا أكون يا ربّي في مستوى أعمالي بحيث أصعد إلى رحمتك لألتصق بها، ولكن رحمتك التي وسعت كل شيء تفيض وتمطر وتهمي على كل الناس كما ينطلق المطر من الأعالي على الأرض ليعطيها الخصب والرخاء.

((ألا وإن لكم عندي أن لا أحتجز دونكم سراً إلا في حرب)) أي سوف لن أتعامل معكم بطريقة المخابرات بحيث لا تعرفون من أمر الدولة شيئاً وأنتم المسؤولون في بعض مواقعها، بل لكم عليّ أن أتعامل معكم في شؤون الدولة،

خاصّة في ما يتعلّق بمسؤولياتكم الخاصّة على قاعدة الوضوح في الأمور المتعلّقة بها بحيث تتعرّفون خفاياها وأسرارها، وأمّا أسرار الحرب فلأنّها تفرض الكتمان في بعض الخطط حتى بالنسبة للمسؤولين عنها وأنّ كشفها قبل أن يأتي وقتها قد يعطلّ الخطّة.

((ولا أطوي دونكم أمراً)) فالأمر مبسوطة كلّها بين أيديكم ((إلا في حكم))، لأنّ الحاكم سواء كان في موقع القضاء أو في موقع إدارة الدولة لا بدّ له أن يحافظ على السرية في أوضاع النّاس الذين يتنازعون ويختلفون وتتحرّك الإدارة في مواجهة قضاياهم، ولذلك ففي هذه الحالة قد احتجز بعض الأمور عنكم حفاظاً عليها، وأمّا خارج هذا النطاق فلا أطوي دونكم أمراً إلا في حكم ((ولا أؤخر لكم حقّاً عن محله)) بل تأخذون حقوقكم كلّها في مواقع الحق كلّها من دون تأخير ((ولا أقف به دون مقطعه)) أي دون الحدّ الذي أقطع به أن يكون لكم، بل أقف فيما لكم من حقّ عند مقاطع الحقّ ومفاصله ((وأن تكونوا عندي في الحقّ سواء)) فلا طبقية، فالعسكر في ذلك سواء القائد والضابط والجندي، فعندما تكون المسألة مسألة حق فإنّ الله لا يميّز أحداً عن أحد في الحقّ، فصاحب الحقّ يأخذ حقه سواء كان صغيراً أو كبيراً، ولذا ورد في كلام عليّ عليه السلام عندما تحدّث في أول خلافته ((القويّ العزيز عندي ضعيف ذليل حتى أخذ منه الحقّ، والضعيف الذليل عندي قويّ عزيز حتى أخذ له بحقه)) فالحقّ أقوى من كلّ أشكال الطبقية والدرجات العليا.

((وأن تكونوا عندي في الحقّ سواء، فإذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة)) لأنّ النّاس عندما يعيشون مع إمام عادل ومع نظام يتحرّك بالعدل ويحترم إنسانية النّاس فلا بدّ لهم أن يشكروا نعمة الله، فأية نعمة أعظم من أن يعيش الإنسان في دولة ينشر فيها العدل والأمن ويعيش النّاس فيها إنسانيّتهم، ويتعاونون من خلالها على طاعة ربهم.

((ولي عليكم الطاعة)) ولا حظوا كيف يجعل الإمام ﷺ المسألة متبادلة بين الراعي والرعية، فالوالي لا يطلب من الرعية أن تطيعه إلا بعد أن يأخذ على نفسه الميثاق والعهد بأن يقوم بكل مسؤولياته فيما لهم من حقوق، ولذا قال: ((إذا فعلت ذلك)) أي إذا لم أفعل فلا حق للطاعة عليكم.

((وأن لا تنكصوا عن دعوة)) أي أن لا تتراجعوا عن دعوة أدعوكم إليها في الخط الذي ذكرته لكم ((ولا تضرطوا في صلاح)) فيما يصلح أمر الأمة من خلال مسؤولياتكم فيما يصلح أمركم. ((وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق)) أي أن تتحملوا الأثقال والمصاعب وأنتم سائرون إلى الحق، فالحق لا يقوم إلا على يد الذين يجاهدون في سبيله ويتحملون المشاق والآلام في سبيله.

((فإن أنتم لم تستقيموا)) أي أنكم أخذتم السير في خط الانحراف وتركتم خط الاستقامة ((لي على ذلك)) على ما أردته منكم من الطاعة ((لم يكن أحد أهون عليّ ممن اعوج منكم)). وهنا نلاحظ كيف أن الإمام الذي يريد أن يتحمل المسؤولية في قمع كل الانحرافات التي تسقط الدولة وتوقع الناس في حالة الارتباك والاضطراب، يتكلم بلغة القوة ((ثم أعظم له العقوبة)) فالقضية ليست قضية شخصية ((ولا يجد عندي فيها رخصة)) فسأطبق عليه القانون مائة في المائة، فلا أرخص لأحد منكم أو من غيركم في مخالفة النظام العام تحت أي اعتبار من اعتبارات المداينة والمجاملة، لأن المسألة هي مسألة حدود الله ومصالح الناس وموقع المسؤولية عندي.

((فخذوا هذا من أمرائكم)) أي طالبوا أمراءكم بهذا البرنامج ((وأعطوهم من أنفسكم ما يصلح الله به أمركم والسلام)).

أين نحن من علي ﷺ ؟

فكيف تجدون علياً ﷺ في هذا البرنامج الذي يوجهه إلى قادة الجيوش؟ إنه يتحدث إليهم على أن الحكم ليس سيطرة وليس تعسفاً ولا تجبراً ولكنه عقد بين الحاكم والمحكوم، فعلى الحاكم أن يقوم بمسؤوليته في ما حمّله الله من أمانة

الحكم بين الناس، وعلى الناس أن يتحملوا مسؤوليتهم في مساعدة الحاكم على أنفسهم وعلى ما يريده من إقامة العدل والحفاظ على الأمن، فأين عليّ مما نحن فيه؟

أيها الأحبة: إننا لا نملك إلا أن نحبه، وأن نعظمه، لأنّ عليّاً عليه السلام يرتفع حيث يتضع الناس، ويسمو حيث يسقط الناس، لأنّ عليّاً عليه السلام عاش مع الله .. وباع نفسه لله، فهل نبيع بعض أنفسنا لله لنسير في خطّ عليّ؟ وقد قلت أكثر من مرة إنّ الانتماء إلى عليّ عليه السلام يتعب ويكلّف جهداً كبيراً، لأنّ عليّاً عليه السلام لو وليها لحملهم على المحبّة البيضاء، وقد تعودنا على البياض المخلوط بالسواد، ولم نتعوّد على البياض الناصع.

تعالوا ليعيش عليّ عليه السلام فينا .. في بيوتنا .. في مجتمعاتنا في مسؤولياتنا .. أن يكون فينا بعض من عليّ عليه السلام، لأنّ القضية ليست نبضة قلب ولا خفقة إحساس، بل هي موقف، فالولاء موقف، بأن تسير حيث سار عليّ عليه السلام، وأن تقف حيث وقف: ((ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد)). وبقى مع عليّ عليه السلام في أسلوبه في حكمه وفي طريقته في الحديث مع الناس في مسؤولياتهم. والحمد لله رب العالمين.

في مدرسة الإمام علي (عليه السلام) (٧) أسلوب التعامل مع الحكومة

○ نحن بحاجة إلى أن نقرأ

علياً (عليه السلام) في كلماته وكتبه كلها

لأنها تصوّر لنا عناصر شخصيته

○ كلها

➤ مع كتب علي (عليه السلام) ورسائله.

➤ إلى عماله على الخراج.

➤ الافتتاح بالموعظة.

➤ إنصاف الناس.

➤ كتابه إلى طلحة والزبير.

➤ كتابه إلى أهل الكوفة.



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

مع كتب علي ؑ ورسائله :

ونبقى مع علي ؑ في نهج بلاغته من خلال رسائله التي كان يرسلها الى المسؤولين من قبله، والى خصومه الذين انتقضوا عليه، والى ما كان يقدمه من تقارير الى الامة حول ما قام به وما عارض به خصومه.

فنحن نستطيع أن ننفذ الى فكر علي ؑ وإلى قلبه وأسلوبه في العمل وإلى تواضعه للأمة مما قد لا يعرفه بعض الناس عن علي ؑ. فمشكلة الكثيرين من الناس أنهم لم يقرأوا (نهج البلاغة) في دلالاته عن شخصية علي ؑ ولذلك فإننا بحاجة إلى أن نقرأ علياً ؑ من خلال كلماته كلها لأنها تصوّر لنا عناصر شخصيته كلها والتي هي الشخصية الإسلامية الكاملة التي بلغت من العصمة ومن رحابة الأفق ومن عمق الفكر ما بلغت، فكان علي ؑ هو الإنسان الذي حرّك الإسلام في وجدان الناس علماً وسيرة وحركة في الحياة.

الى عماله على الخراج :

فتعالوا إلى علي ؑ لنفهمه ولنتعلّم منه. فمن كتاب له ؑ إلى عمّاله على الخراج، والخراج هو عنوان للضرائب الإسلامية التي كانت تفرض على الناس من خلال ما تملكه الدولة من الأراضي التي يأخذها الناس منهم ليزرعوها ويستثمروها. ومن الطبيعي فإن موظفي الضرائب غالباً ما يتميزون بالقسوة وبعدم مراعاة ظروف الناس ما يجعل هؤلاء ينظرون إليهم بطريقة سلبية، لذلك فإن علياً ؑ يحاول في هذا الكتاب أن يستثير إنسانيتهم في التعامل مع المكلفين بدفع الضرائب بأسلوب إنساني.

((من عبد الله علي أمير المؤمنين)) وقد اشرنا فيما سبق من حديث في التعليق على كتاب مماثل إلى أن علياً عليه السلام يبدأ كتابه بصفة العبودية لله لأنه - كما هو رسول الله ﷺ - يعيش العزة والكرامة في معنى عبوديته لله، فالإنسان كلما كان عبداً لله أكثر كان حراً أكثر، ذلك لأنك كلما انفتحت على عبودية الله في معنى الوحدانية، فإنك بذلك تكون حراً أمام العالم كله والناس كلهم، ولذلك روي عنه عليه السلام في دعائه لله ((كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً أنت كما أحب فأجعلني كما تحب))^(١). وعظمة علي عليه السلام أنه اعتبر عبوديته لله سبحانه وتعالى مسؤولية مما جعله يتحرك ويفكر دائماً أن عليه أن يتعامل مع الله تعامل العبد مع سيده، فالله عز وجل أراد له أن يجاهد فخضع وسار في خطّ الجهاد، وأراد له أن يقوم بمهمة الدعوة فدعا إلى الله في خطّ هداية الناس إلى الحق، وأراد له أن يصبر على ما واجهه من تحديات أبعدته عن حقه، وعقدت له موقعه، وواجهت مخططاته ((فصبرت وفي العين قذى وفي الحق شجا أرى تراثي نهبا))^(٢) وعاش عبوديته لله الذي أراد له أن يحرك فكره من خلال ما أعطاه من عقل، فأعطى للإنسانية كلها العقل الذي لا يزال الإنسان يتعلم منه، وفرغ قلبه من كل حقد فأحب الناس وقال لكل إنسان يستمع إليه ((إحصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك))^(٣). ليكن صدرك عامراً بالخير كله، مملوءاً بالحب كله للناس كلهم ليجتذب قلوبهم إلى مواقع الإسلام كلها.

وأعطى علي عليه السلام من طاقاته للأمة ما جعلها تفتني، وعبد الله كما لم يعبد أحد بعد رسول الله ﷺ، وكان الزاهد الذي اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه، وكان المسؤول الذي عاش العدل في حياته كلها، فكان يقول ((لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة

(١) بحار الأنوار. ج ٧٧. ص ٤٠٢. ح ٢٣. ١٥٥.

(٢) شرح نهج البلاغة. ج ١. ب ٣. ص ١٥١.

(٣) شرح نهج البلاغة. ج ١٨. ب ١٨٠. ص ٤١١.

ما فعلت))^(٤).

كان عبد الله، وكان يعمل على أن يعلم الناس بأن يكونوا لله لا لأنفسهم، وكان يقول لهم ((ليس أمري وأمركم واحداً إنني أريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم))^(٥).

الافتتاح بالموعظة:

ونعود إلى كتابه إلى عماله: ((من عبد الله أمير المؤمنين)) فهو يقول لهم إنني في موقع الخلافة والإمرة ولكنني وأنا أمارس دوري فيها فما أنا إلا عبد من عبيد الله أطيعه فيكم وفي مسؤوليتي كلها.

((إلى أصحاب الخراج، أما بعد فإن من لم يحذر ما هو صائر إليه لم يقدم لنفسه ما يحرزها)). ويبدأ كتابه بالموعظة فيقول إلى عماله إن عليكم أن تفكروا في مصيركم بعد مسيرتكم هذه التي مهما أمتدت فإنها لا بد أن تبلغ شاطئ الآخرة «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ»^(٦). وعليكم أن تحذروا ما تصيرون إليه لأن هناك سؤالاً وثواباً وعقاباً، ولذا فمن لم يدرس أموره كلها وأقواله وأفعاله، وعلاقاته التي يفترض به أن يجعلها في الموقع الذي يرضي الله فإنه لن يقدم لنفسه ما يربح به نفسه بل ما سيخسرهما «الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ»^(٧).

((واعلموا أن ما كلّفتم يسير)) مما أمر الله به ونهاكم عنه مقارناً بما رخصه لكم في المباحات، فإنكم ستجدون أن ما كلّفكم به يسير وأن ثوابه كبير، فلماذا تخسرون الكثير بعدم إتيان اليسير؟

((ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان عقاب يخاف لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه)) فهو يحاول بأسلوبه الاقتناعي أن يفتح

(٤) شرح نهج البلاغة، ج ١١، ب ٢١٩، ص ٢٤٥.

(٥) شرح نهج البلاغة، ج ٩، ب ١٣٦، ص ٣١.

(٦) الإنشقاق: ٦.

(٧) الزمر: ١٥.

قلوب الناس على الطاعة، فهو يقول لهم لو افترضنا أن الله لم يعاقبكم على فعل ما نهاكم عنه لكنه حدثكم عن الثواب في اجتناب وترك ما نهاكم عنه، فلماذا تتركون هذا الربح في ثوابه الذي يمنحكم إياه على ترك ما نهاكم عنه مع أن فعل ما نهاكم عنه فيه عقاب؟ فلماذا تنزل بنفسك العقاب وتخسر الثواب على ما اجتنبته من منهيّات ومحرمّات، فبعض الناس يترك ذلك لأن فيه عقاباً، على طريقة ذلك الشاعر:

والعبد يقرع بالعصى والحرّ تكفيه الإشارة

فذهنيتنا هي ذهنية العبد الذي لا يتحرّك الا والعصى فوق رأسه، فلو لم يكن هناك عقاب على فعل ما نهيت عنه لكان هناك ثواب في ترك ما نهيت عنه وهذا بحدّ ذاته مدعاة إلى اجتناب المعاصي. وقد ذكر علي عليه السلام في عالم الطاعة لله قوله ((لو لم يتوعّد الله على معصيته)) أي لو ترك الله الحبل للإنسان على غاربه لكان حقاً عليه أن يشكره ((لكان يجب أن لا يعصي شكراً لنعمه)). فالإنسان الذي يعيش إنسانيته بشكل سليم هو الذي يشكر المنعم، فلو خدمك شخص فهل يمكن أن تؤذيه؟ فكيف تفعل ذلك مع الله الذي لا تعدّ نعمه ولا تحصى؟! ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾^(٨).

وقد قيل لرسول الله ﷺ لم ترهق نفسك بالعبادة والصلاة وقد غفر الله من ذنبك ما تقدّم وما تأخّر، فقال ((أفلا أكون عبداً شكوراً؟)) فالصلاة هي الشكر لله، ولذا فإن من لا يصلي لا يعيش معنى إنسانيته لأنه لا يشكر المنعم عليه، وأي منعم أعظم من الله الذي أعطاك وجودك وكلّ ما تستمر به في هذا الوجود.

إنصاف الناس:

((فأنصفوا الناس من أنفسكم)) قبل أن تتحملوا المسؤولية أمام الله، فإذا كان للناس حق عليكم فلا تنتظروا الناس أن يطالبوكم به بل حاولوا أن تعطوهم ما لهم من حق من خلال محاكمتكم لأنفسكم بأنفسكم ((واصبروا لحوائجهم)) فإذا أثقلكم الناس بحوائجهم فلا تجزعوا ولا تستثقلوا ذلك ((فإنكم خزائن الرعية)) لأنكم تخزنون أموال الأمة في بيت المال لتتفق في مصالحها، فبيت المال ليس ملكاً للخليفة ولا لأقربائه ولا للموظفين بل هو ملك للأمة كلها وينفق في مصالحها، فهم يطلبون منكم ما يستحقونه من هذا البيت ((ووكلاء الأمة)) أي أنها جعلتكم وكلاء على ذلك لأنها ولّت الخليفة وهو الذي ولّاكم على هذه المهمة. ((وسفراء الأئمة)) إلى الناس.

((ولا تحسموا أحداً عن حاجته)) أي لا تعطوه ((ولا تحبسوه عن طلبته)) فإن كان له مطلب فأعطوه مما يستحق منه، فالإمام ﷺ يعالج ظاهرة موجودة، فعمال الضرائب يأتون للمكّلف بالضرائب فيطالبونه بدفع الضريبة وقد لا يكون معه شيء فيجبرونه على بيع فراشه أو أثاثه أو ما يحتاجه من الضروريات ليترك من دونها، فكيف عالج الإمام ذلك؟

((ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعتملون عليه ولا عبداً)) فلا تجبروا الناس على أن يدفعوا لكم ما فيه خدمة لهم ((ولا تضربن أحداً سوطاً لمكان درهم)) فإذا كان في ذمته شيء فلا يحقّ لعامل الضريبة أن يضربه ليعطي المال ((ولا تمسنّ مال أحد من الناس مسلم ولا معاهد)) أي طالب الناس ولا تأخذ من أموالهم بالإكراه والأمر في ذلك سواء بين المسلم وبين المعاهد الذي أعطاه المسلمون العهد والذمة والميثاق في أن يحموه فيما يحفظ المسلمون به أنفسهم.

((الأن تجدوا فرساً أو سلاحاً يعدى به على أهل الإسلام)) فإذا وجدتم في عهدتهم خيلاً أو سلاحاً يمكن أن يستعمل ضد الإسلام فهذا عنوان ثان غير

الخراج فانتزاعه فيه دفاع عن الإسلام والمسلمين ((فإنه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعدائه)) ففي السياسة الإسلامية لا يجوز للمسلم أن يبيع سلاحاً أو ما يشبهه لأعداء الإسلام مما يتقوون به على المسلمين أو أن يبقي ذلك في أيديهم ما أمكنه ذلك، وهذه هي مشكلتنا مع تجار السلاح عندنا فهم لا يفهمون هذا المعنى ولذلك تراهم يبيعون السلاح لأعداء الإسلام ليستقووا به على المسلمين. ((فيكون شوكة عليه)) على الإسلام.

((ولا تدخروا أنفسكم نصيحة)) أي حاولوا أن توجهوا النصيحة لأنفسكم ((ولا الجند حسن سيرة)) فلا تدخروا حسن السيرة مع الجنود الذين يدافعون عن الإسلام و((الرعية معونة)) فلا تدخروا معونة الناس ((ولادين الله قوة)) فإذا وجدت عندكم قوة تبدّلونها في دين الله فلا تحبسوها عنه ((وأبلاوا في سبيله ما استوجب عليكم)) أي في كلّ طريق يصل بما يحبّه الله ويرضاه ولا سيما في الجهاد ((فإن الله سبحانه قد اصطنع عندنا وعندكم أن نشكره بجهدنا)) أي أن الله طلب منا أن نشكره في قبال صنيعه معنا بأن نبذل جهدنا في سبيل مرضاته، فإن كلّ إنسان يبذل قوته وطاقته وجهده وخبرته فيما يريده الله سبحانه وتعالى من آيات وأهداف فإنّ ذلك يمثل شكراً عملياً له ((وأن ننصره)) بما بلغت قوتنا ((ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)). ولاحظوا كيف يتعامل علي عليه السلام مع عماله في أداء مسؤولياتهم ووظائفهم بأن يعظّمهم كيما يفتح قلوبهم على الله وأن يحذّرهم الآخرة وأن لا يعيشوا إنسانيتهم في إنسانية الناس وأن لا يضطهدوا إنسانية أحد من مسلم أو معاهد، وهذه هي رسالته إلى كلّ عماله وإلى كلّ الموظفين، فأين الموظفون من رسالة علي عليه السلام ؟

كتابه إلى طلحة والزبير:

ونقرأ في كتاب له لشخصين كانا من أوائل المنتفضين عليه وأعلنّا الحرب عليه بعد أن بايعاه وهما (طلحة) و(الزبير) هو ابن عمته وقد حملا معها أم المؤمنين عائشة بعد أن اقتعاهما بأن تتطلق معهما لتعطل مسيرة علي عليه السلام في تنفيذ

مخططاته الإصلاحية في واقع المسلمين بحجة الثأر لدم عثمان، وكانت أم المؤمنين تثير الناس وتؤلبهم ضد عثمان، وكان طلحة والزبير ينقمان على عثمان أموراً كثيرة ومع ذلك كان علي رضي الله عنه بريئاً من دم عثمان براءة الذئب من دم يوسف، ويعرفان ان علياً أرسل ولديه الحسنين رضي الله عنهما ليدافعا عنه، وأنه قام بنصيحته وتحذيره مما وصل إليه، ولاحظوا أسلوب علي رضي الله عنه في الحديث معهما:

((أما بعد، فقد علمتما وإن كتمتما)) لأن كثيراً من الناس الذين يعلمون الحق قد يكتُمونه ((أني لم أرد الناس حتى أرادوني)) فمع أنني أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك هو قوله صلى الله عليه وآله ((إنه ليُعلم أن محلي منها محل القطب من الرchy ينحدر عني السيل ولا يرقى الي الطير)) إلى أن يقول ((فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا وطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء)) وقال ((لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن بها جور إلا علي خاصة))^(٩). فحينما أبعدت عن الخلافة لم أدخل في صراع حولها وإن كنت صاحب الحق فيها، ولم أتنازل عن حقِّي ولكنني جمّدته لمصلحة الإسلام.

((ولم أبايعهم حتى بايعوني، وأنكما ممن أرادني وبايعني وأن العامة لم تبايعني لسلطان غالب ولا لعرض حاضر)) فقد يبايع الناس شخصاً رغبة ورهبة وانتم تعرفون أنني لست من يخيف الناس بل كنت وما أزال أخيف الكافرين، ولو كنت أريد أخافتهم لدفعت بالواقع الإسلامي منذ البداية نحو الفتنة، وهو الذي قال لآخيه عقيل بن أبي طالب ((والله لو تظافرت العرب على قتال أخيك ما ولّى عنها هارباً)).

((فإن كنتما بايعتmani طائعين فارجعا وتوبا إلى الله من قريب، وإن كنتما بايعتmani كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل)) فأنا لم أجبركم على بيعتي، ولذا فلي الحجّة عليكم باظهاركما الطاعة وإسراركما المعصية ((ولعمري ما

كنتما بأحق المهاجرين بالنصيحة والكتمان))، فإذا قلتما إننا فعلنا ذلك تقية فاني أعرف أنكما لستما جنباء ولا خائفين ((وان دفعكما هذا الأمر من قبل أن تدخلوا فيه كان أوسع عليكم من خروجكما منه بعد اقراركما به)). فلو كنتما منذ البداية رفضتما بيعتي كما فعل عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص اللذين اعتزلا ولم أجبرهما على مبايعتي، فهذا أفضل من أن تبايعا وتكثا البيعة. ((وقد زعمتما أنني قتلت عثمان)) وأنكما خرجتما للمطالبة بدمه ((فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة)) فلو كنتم تدعون شيئا لا شاهد عليه فقد يكون الأمر محل جدال ولكن هؤلاء أهل المدينة يشهدون أنني بريء من دم عثمان. ((ثم يلزم كل امرء بقدر ما احتمل)) فالشهود موجودون ويعرفون من الذي دفع ضد عثمان؟ ومن قتله؟ ومن الذي خذل عنه؟ ((فارجعوا أيها الشيخان عن رأيكما فإن الآن أعظم أمركما العار من قبل أن يتجمع العار والنار)) لأنكما إذا سرتما في هذا الخط، وسفكتما دماء المسلمين، وأثرتما الفتنة، وأبعدتما صاحب الحق عن حقه، فإنكم ستواجهون العار بالهزيمة والنار عند الله سبحانه وتعالى فلاحظوا هذا الأسلوب الإنساني العقلاني الذي لم يتحدث فيه الإمام علي عليه السلام بأية كلمة نافرة أو حادة بل كان يحاول أن يعالج الأمور معهما بالحق. وهذا ما ينبغي لنا أن نتعلمه عندما نبغى بمثل هذا أو ما يقرب منه، أن لا نتحدث حتى مع خصومنا بغرائزنا، بل أن نجعل العقل هو الذي يؤكد الحديث ويركزه.

كتابته إلى أهل الكوفة:

وهناك كتاب آخر للإمام علي عليه السلام عندما سار من المدينة إلى البصرة، فلقد كتب إلى أهل الكوفة، وكان أبو موسى الأشعري الذي كان والي علي عليه السلام على الكوفة يخذل الناس عن نصرة علي عليه السلام ولا يلاحظوا هذا السمو في علي عليه السلام عندما يخاطب الرعية أو الشعب:

((أما بعد، فإني خرجت من حيي هذا)) والحي موطن القبيلة ((إما ظالما وإما مظلوما)) فهل يعقل أن يكون الإمام علي عليه السلام ظالما في سيره لمقاتلة الذين

خرجوا عليه؟ وإنما استعمل هذا الأسلوب ليفتح للشعب وللامة الحرية في أن تفكر بالموضوع من دون ضغط ((وإما باغيا)) معتديا ((وإما مبغيا عليه)) معتدى عليه ((وإني أذكر الله من بلغه كتابي هذا؟ أي أجعلوا الله في حسابكم عندما تحكمون على الأشياء ((لما نضر إلي فإن كنت محسنا)) أي ليفكر كل واحد منكم في طبيعة الموقف الذي وقفته بموضوعية وحياد، وفي المسيرة التي سرتها بمسؤولية شرعية، فإذا كنت محسنا ((أعانني على احساني، وإن كنت مسينا استعتبني)) أي نبهني وحذرنى منه، فأني حاكم يتكلم مع شعبه بهذه الطريقة سواء من الحكام المسلمين أو غير المسلمين؟

هذا هو منطق علي ؑ المنطق الإنساني الذي يريد للأمة أن تدرس مسؤوليتها من خلال ذكرها لله واخلاصها له، وبذلك يعطيها حرية أن تتقد الحاكم وتحاسبه، فأني حاكم بهذا المستوى؟ ولكن عليا ؑ يعلو حيث ينزل الناس ويرتفع حيث يسقط الناس.

هذا هو علي ؑ فلنقترب منه، وقد قلت لكم كثيرا أن حب علي ؑ يكلف كثيرا، وأن ولايته تتعب كثيرا ((ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع)) عن الحرام ((واجتهاد)) في طاعة الله ((وعفة)) عما يغضب الله، ((وسداد)) في القول والعمل والرأي، هؤلاء هم جماعة علي ؑ.

فالولاية ليست نبضة قلب ولا خفقة شعور بل هي موقف، فإذا أردتم أن تكونوا مع علي ؑ فقفوا معه لأنه مع الحق والحق معه يدور حيثما دار، ولن تجدوا إلى جانب علي ؑ شيئا من الباطل الذي تتحركون به أحيانا في بيوتكم أو أسواقكم أو مجتمعاتكم، لذلك قال علي ؑ ((ما ترك لي الحق من صديق)) فهل أصبح أصدقاءه مجرد أبتنا نهتف باسمه.. إنه يريدنا أن نهتف باسم الله سبحانه وتعالى وباسم رسول الله ﷺ وباسمه في خط الولاية التي تتحرك بالإسلام وباسم الإسلام، والحمد لله رب العالمين.

في مدرسة الإمام علي عليه السلام (٨) ما هو الهدف من الحياة؟

○ علي عليه السلام هو إمام الإسلام ..

عاش من أجله مسالماً ومحارباً

وواعظاً ومرشداً ومهاجراً .. ولذلك

فهو يوجد حيث يوجد الإسلام ○

✦ كتابه في معنى الزهد.

✦ هدف الحياة.

✦ كتابه في التحذير من الدنيا.

✦ كتابه في أسلوب الحوار.

✦ كتابه في الاستقامة.

✦ في رثائه للزهراء عليها السلام.



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

ونبقى في مدرسة أمير المؤمنين عليه السلام. هذه المدرسة التي لا يزال الإنسان
بحاجة إلى دروسها لأنّ علياً عليه السلام لم يتكلم لجماعة معينة من الناس عاشت معه،
ولم يتكلم لمرحلة من الزمن انقضت وتصرّمت لأنّه هو إمام الحقّ وليس للحقّ
زمان معين ولا جماعة معينة، بل هو للزمان كلّ ولإنسان كلّ، ولأنّ علياً عليه السلام هو
إمام الإسلام، عاش من أجله مسالماً ومحارباً وواعظاً ومرشداً ومحاوِراً .. ولذلك
فعلي عليه السلام يوجد حيث يوجد الإسلام وحيثما كان الإسلام يكون علي عليه السلام.

كتابه في معنى الزهد:

لذلك - أيها الأحبة - أرانا بحاجة في كلّ جيل إلى أن ندرس علياً عليه السلام
لنستضيء بنور علمه ولنهتدي بهداه، ولتبقى سيرته مع الزمن كلّ. ولتلتقط - في
هذا اللقاء - بعض كتبه. فمن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن عباس حبر الأمة،
الذي قال عن أثر هذه الكلمات القصيرة في نفسه ((ما انتفعت بشيء من كلامه
كما انتفعت بهذا الكلام)) لأنّه يمثّل وجهة نظر الإسلام في رؤية الإنسان المسلم
للحياة في عالم الرخاء والبلاء وبرنامِجاً للعمل: ((أما بعد، فإنّ المرء ليفرح
بالشيء الذي لم يكن ليفوته)) فالناس يفرحون عندما يربحون وينجحون وعندما
يرزقهم الله ولداً، وعندما يحصلون على فرصة تلبي حاجاتهم وتروي ظمأ
شهواتهم. والإمام عليه السلام يقول إنّ هذا الشيء الذي تفرح به هو شيء تفرضه طبيعة
الأسباب في الحياة، فأنت تُرزق حيث يتحقق سبب الرزق، وأنت تتجح حيث
يتحقق سبب النجاح، وأنت ترزق ولداً حيث تتحقق أسباب ولادة الولد. ولذلك فإنّ

عليك أن تتلقّى كلّ ما يأتيك كما تتلقّى أيّ شيء طبيعي في الحياة لأنّ الشيء إذا تحقق سببه تحقق.

((ويحزن على الشيء الذي لم يكن ليصيبه))، فأنت تخسر لأنّ سبب الربح لم يتحقّق، وتفشل لأنّك لم تأخذ بأسباب النجاح، وتفقد ولدك لأنّ سبب الحياة لم يمتدّ به، كما أنّك تحزن على الشيء الذي لم تكن لتصيبه، ولكن لماذا تحزن؟ فهذا الشيء لن تصيبه ولن تحصل عليه لأنّ سببه لم يتحقّق، وقد استوحى علي عليه السلام هاتين الكلمتين من قوله تعالى في القرآن الكريم وعلي عليه السلام تلميذ القرآن ومفسّره «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ»^(١). فلا تتألم لما فاتك لأنّه لن يحصل بحسب الظروف الطبيعية لحصول الأشياء، ولا تفرح بما آتاك لأنّه سوف يحصل على كلّ حال، فلا تتقبّل الخسارة بطريقة غير طبيعية، ولا تواجه الربح بشكل غير طبيعي، فالخسارة والربح يشبهان تعاقب الليل والنهار، فلو جاء النهار فهل نقيم له احتفالاً؟ كلا، لأنّه أمر طبيعي، فالشمس تشرق في كلّ نهار، وعندما يأتي الليل ويذهب النهار فهل نقيم حفلة تأبينية لرحيل النهار؟ إنّ ذلك أمر طبيعي، فالليل يأتي بسببه والنهار يأتي بسببه وهكذا شؤون الحياة الأخرى. ولذلك فهذه النظرة القرآنية تقول للإنسان إنّ عليك أن تتقبّل الحياة بطريقة طبيعية فلا يطغيك الريح ولا تسقطك الخسارة فللربح أسبابه وللخسارة أسبابها.

وقد استوحى علي عليه السلام من هاتين الفقرتين في القرآن مفهوم الزهد فقال كما في (نهج البلاغة) ((جمع الله الزهد في كلمتين: لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)). أي تقبّل الحياة كما هي، فإذا جاءت الدنيا فتقبّلها بشكل طبيعي ولا تطغى ولا تنفخ «كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿١﴾ إِنَّهُ كَانَ شَاكِرًا ﴿٢﴾»^(٢) ولا تشعر بأنّك أصبحت أكثر من حجمك، وإذا خسرت الدنيا فلا تسقط ولا تتعلق بها

(١) الحديد: ٢٣.

(٢) العلق: ٦-٧.

بحيث ترى نجاحها هو النجاح وسعادتها هي السعادة، أو ترى فشلها هو الفشل وشقاءها هو الشقاء، فلا تتألم لما فاتك ولا تفرح بما أتاك ولتكن في حالتك سواء، وهذه هي النظرة الإسلامية الموضوعية للحياة التي تجعل الإنسان متوازناً أمام الربح والخسارة لأنّه يرجع الأشياء الى طبيعتها وعند ذاك يمكنك أن تواجهها بشكل عاديّ.

هدف الحياة:

فالإمام عليه السلام في هذه الكلمة يرصد الحالات الشعورية للإنسان فيما يستقبل به من الربح والخسارة، وهنا يأتي التوجيه ((فلا يكن أفضل ما نلت في دنياك بلوغ لذة وشفاء غيظ)) فلا يكن طموحك وقضيتك وخطتك التي تشعر من خلالها أنّك حصلت على ما تريد أن تشفي غيظك ممن أغاظك أو مما أغاظك فتفجّر عنفاً وانفعالاً وغضباً شديداً، أو إذا بلغت لذّتك فلا يكن أفضل ما نلت في دنياك ذلك، لماذا؟ لأنّ اللذة تمثل حجم اللحظة وادرسوا لذاتكم كلّها لتروا أنها قصيرة الأمد، فلذة الطعام هي مجرد دوران اللقمة في الفم، ولذة الشراب بمجرد أن يرويك، ولذة الجنس بمجرد أن تنطفئ الرغبة، فكم هو إحساسكم باللذة؟ إنّها لحظة، فهل يكون أفضل ما نلت في دنياك في حجم اللحظة بحيث تختصر حياتك كلّها في هذه اللحظة؟ وهذا ما عبّر عنه علي عليه السلام في تجربته الخاصة ((ما لعلّي ولذة تفنى ولنعيم لا يبقى))^(٣) فهو يقول لنفسه: هل يكون حجمي هو حجم لذة تأتي ثم تذهب؟ وهل يكون حجم عقلي وقلبي وطاقتي وإنسانيّتي مجرد نعيم أتقلّب فيه للحظة ثم يفنى ولا يبقى من لذّته شيء؟

فلا تكن طموحاتك أن تبلغ لذّتك وتشفي غيظك. فما هو إذن - يا أمير المؤمنين - العنوان الذي يكون هدفنا في الحياة؟ وما هو طموحنا الذي نسعى إليه؟ ((ولكن إطفاء باطل وإحياء حق)) فلتكن صاحب رسالة في الحياة كلّها للإنسان كلّّه، فهناك باطل لا بدّ أن تسقطه فهو يرهق حياة الإنسان ويسقط

إنسانيته، وهناك حق يرتفع بالإنسان ويسمو به ويحقق للحياة نتائجها الإيجابية، فهذا هو الذي يبقى حتى لو فارقت الحياة لأنك بذلك تترك للحياة شيئاً من الحق في عقلك، ومن المحبة شيئاً في قلبك، ومن الخير شيئاً في طاقتك، ومن العدل شيئاً في سلوكك، فإنك قد تموت ولكنك تبقى حياً في الحق، وتلك هي المسألة. وقد كان طموح علي عليه السلام الحق ولا شيء غير الحق، حتى قال رسول الله ﷺ ((علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار))^(٤) وقال لنا وهو يروي مأساته في مسيرته التي عاشها بعد رسول الله ﷺ ((ما ترك لي الحق من صديق))^(٥).

ثم يقول ﷺ: ((فليكن سرورك بما قدمت)) لا آخرتك «وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ»^(٦) «وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا»^(٧). وفي الحديث ((إذا مات ابن آدم تقول الملائكة: ما قدم؟ ويقول الناس: ما أخر؟)). ((وأسفك فيما خلّفت)) من فرص فاتتك، ومن سيئات عملتها وأثقلت ظهرك ودخلت في كتاب أعمالك. ((وهمك فيما بعد الموت)) لأنّ همك في حركة الحياة من حولك هو هم لا عمق له لأنّ الحياة تزول والهم يزول ولكن الآخرة هي الخلود ((والهم فيما يخلد)) إذا لم تحرّكه في إعطائه فرصة من أجل أن يتحوّل إلى عمل في خط النجاح فإنك ستبقى في همّ دائم وأي همّ أعظم من أن تصل إلى يوم القيامة فيقال «خُذُوهُ فَغُلُّوهُ» ثمّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ❖ ثمّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ»^(٨).

وهذه الكلمة هي برنامج عملي لأنّها تركّز لنا موقفنا من الحياة وأهدافنا فيها ومشاعرنا تجاه ما نواجه من أعمال ومسؤوليات.

(٤) شرح نهج البلاغة، ج ١٨، ب ١٢، ص ١٧٦.

(٥) شرح نهج البلاغة، ج ١٩، ب ١٩، ص ٣٥.

(٦) البقرة: ١١٠.

(٧) الكهف: ٤٦.

(٨) الحاقة: ٣٠-٣٢.

كتابه في التحذير من الدنيا:

وفي كتاب له في الموعظة إلى سلمان الفارسي وقد كتبه له قبل أيام خلافته، ولنلاحظ كيف أن سلمان الذي بلغ الدرجة العليا من القرب لرسول الله ﷺ من خلال قربيه لله والتزامه بالإسلام حتى قال عنه رسول الله ﷺ ((سلمان منا أهل البيت))^(٩) عندما يتحدث معه علي ﷺ ويكتب له فإنه يكتب له كتاب موعظة يصف له فيه الدنيا وهشاشتها، ونتعلم من ذلك - أيها الأحبة - أنه ما من إنسان إلا وهو بحاجة إلى موعظة لأن القلوب قد تقسو، ولأن الحياة قد تدخل الإنسان في مداخل لا يشعر إلا وقد استسلم فيها للنفس الأمارة بالسوء، ولأن الوسواس الخناس يأتي للصغار والكبار، ولذلك فالإنسان مهما علا شأنه وكبر موقعه فهو ليس أكبر من أن يوعظ، وقد حدثنا الله عن بعض الناس الذين وصلوا إلى مواقع اجتماعية أو سياسية وشعروا بأنهم أكبر من أن يوعظوا وأعظم من أن يأمرهم أحد بالتقوى، ألم تسمعوا قول الله سبحانه وتعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فهو يتحدث بالوعظ والإرشاد وكلمات الحق ﴿وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ ويقول الله على ما أقول شهيد ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ فهو في واقعه وثقافته وخلفياته من الذين إذا دخلوا في ساحة الصراع كان المخاصم الألد والأشد عداوة وخصاماً، ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ فما دام خارج السلطة والولاية والمسؤولية فإنه يستسقى به الغمام في كلامه ﴿سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فإنه يرفض ذلك بشدة إذ كيف يقال له اتق الله وهو يعظ الناس بالتقوى. وهذه ظاهرة موجودة، ونحن لا نتحدث بالمطلق - فإذا كبر موقع الإنسان الاجتماعي أو الديني أو السياسي فإن شخصيته تتضخم بحيث يرى الوعظ تنزيراً من مقامه، وخطاً من قدره، وأنه لا يناسبه ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْأَمَهُادُ﴾^(١٠).

(٩) بحار الأنوار، ج ١٢، ب ١٣، ص ١٨٧، ح ١٩.

(١٠) البقرة: ٢٠٤-٢٠٦.

ولذلك استمعوا لعلي عليه السلام كيف يخاطب سلمان الفارسي (رض) وهو من هو ((أما بعد، فإنما مثل الدنيا مثل الحية لئن مسّها قاتل سمّها)) فالدنيا إذا أفرغت سموم الغواية في الإنسان فإنه يموت روحياً وإن لم يمت جسدياً والموت الروحي هو أخطر من الموت الجسدي.

((فأعرض عما يعجبك فيها)) أي لا تلتفت إلى زخارفها وزبارجها وإلى ما يعجبك من مواقعها ودرجاتها ولذاتها وشهواتها ((لقلّة ما يصحبك منها)) لأنّ كلّ هذه الأمور تلازمك وقتاً محدوداً ثم تفارقك، وعملك هو الوحيد الذي يصحبك. ((وضع عنك همومها لما أيقنت به من فراقها)) فلا تهتم بالدنيا لأنك قد تواجه فيها مشكلة فقر أو مشكلة مرض أو خوف أو مواقع تنتقص من موقعك وما إلى ذلك، فلا تبتئس وواجه المسألة بصدر رحب، لماذا؟ لأنّ الهمّ الذي يفرض على الإنسان أن يعيش ثقله هو الهمّ الذي يبقى، أمّا همّ الدنيا فإنك سوف تفارقه ولا يبقى منه شيء وتتصرّف حالاتها فلا الرخاء يدوم ولا البلاء يبقى ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(١١). فهي لا تبقى على أية حال. ((وضع عنك همومها)) جانباً، فلا تدخلها عقلك لتثقله، ولا تدخلها قلبك لتثقله، ولا تدخلها حياتك لتؤخّر مشاريع الحياة التي تريد أن تتطلق بها عندما تحيط بمشاريعك فلا يتبقى لك ما تتوجه به أو ما تعيشه منها ((لما أيقنت به من فراقها وتتصرّف حالاتها، وكن أنس ما تكون بها أحذر ما تكون منها)) فعندما يواجهك شيء من سرورها فلا تستسلم له سواء كان سرور نجاح أو ربح أو حصولك على فرصة أو شهوة أو لذة ((فإن صاحبها كلما اطمأنّ فيها إلى سرور شخصته عنه إلى محذور)) فبينما تكون ضاحكاً يأتيك البكاء في قلب الضحك ((أو إلى إيناس أزالته عنه إلى إحاش)). وقد تقبل سلمان كلمة علي عليه السلام لأنّ علياً عليه السلام عندما يتكلّم فإنه ينطلق من عين صافية هي عين الحق، وينفتح على أفق رحب هو أفق الله سبحانه وتعالى.

كتابه في أسلوب الحوار:

ومن بين كلماته في أسلوب الحوار مع الآخرين، وقد درسنا بعض أساليبه الأخرى في هذا المجال. فنحن نعرف أن علياً عليه السلام ابتلي بالناكثين والقاسطين والمارقين، وهم الخوارج وقد تحدثنا في ندوات سابقة عن الحرية التي أعطاها علي عليه السلام لمعارضيه في نقده في الوقت الذي أطلقوا كلمة الكفر عليه، ولم يخرجهم عن الإسلام لذلك بل اعتبرهم خاضعين لشبهة، وقال ((لا تقاتلوا الخوارج من بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه))^(١٢) ودخل في حوار معهم، وعندما أرسل عبد الله بن عباس ليحاوهم أعطاهم خط الحوار، فقال: ((لا تخاصمهم بالقرآن)) أي لا تسرد عليهم الآيات القرآنية كشواهد ودلالات ((فإن القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون)) أي يمكن أن يواجهوك ببعض التفسيرات والتأويلات للقرآن فلا تنتهي معهم إلى نتيجة، إذ يمكن أن تحتج بفكرة من القرآن وربما احتجوا عليك بفكرة أخرى منه ((ولكن حاججهم بالسنة)) أي بكلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً)) أي لا مهرب لهم منها، وربما يقول قائل إن القرآن هو النور ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾^(١٣). فالقرآن ينير غيره ولا يستتير بغيره، فكيف ينهى علي عليه السلام عن المخاصمة أو المجادلة بالقرآن؟ فكأنه يريد أن يقول لابن عباس إننا عندما نختلف مع الآخرين، فتارة نختلف في الخطوط العامة في مسألتنا التوحيد والشرك فيمكن أن نقول ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(١٤). وهكذا الحال في كل القضايا الفكرية التي يقابل فيها فكر فكري آخر، فالقرآن عندما يطرح الخطوط العامة فإنه يردّ بذلك على الخطوط التي يطرحها الآخرون فتظهر الحقيقة، وأما عندما لا تكون المسألة اختلافاً في الخطوط العامة بل في التطبيق، كما في قولهم ((لا حكم إلا

(١٢) شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ب ١٣٠، ص ٢٩٠.

(١٣) المائدة: ١٥.

(١٤) الأنبياء: ٢٢.

لله)). فالكلمة صحيحة، ولذا قال علي ؑ ((كلمة حق يراد بها باطل))^(١٥) فلا نزاع حول الكلمة «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ»^(١٦). فكلّ حكم غير حكم الله هو حكم الطاغوت والله أمر أن نتحاكم إليه ولا نتحاكم إلى الطاغوت، فالنزاع ينطلق من عملية التطبيق، فكيف يا ترى يكون حكم الله؟ إنه يحكم من خلال عبادته، ولذلك نرى أن هناك أنبياء وأوصياء وقضاة يحكمون «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»^(١٧).

أما عندما نقدّم لهم السنّة فإننا نرى أن رسول الله ﷺ قال في حق علي ؑ مما يرويه السنّة والشيعة ((علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار))^(١٨). ويروي السنّة والشيعة ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))^(١٩). ويروي السنّة والشيعة أيضاً ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه))^(٢٠). فإذا كان علي ؑ هو ولي المؤمنين، وبمنزلة هارون من موسى، ومع الحق، فمعنى ذلك أن كلّ ما يقوم به هو الحق، فكيف تقولون إنه كفر؟ فإذا قدّم لهم السنّة من خلال كلام رسول الله ﷺ فإنهم لا يستطيعون رده.

ويقول ابن أبي الحديد إن ابن عباس لم يأخذ بكلام علي ؑ فخاصمهم بالقرآن فلم يصل معهم إلى نتيجة. وهذه نقطة يجب أن نفهمها في جميع حواراتنا فإذا كانت القضية عامّة ونظرية فيمكن أن نحرك القرآن فيها لأنّه يحدّد لنا المفاهيم، وعندما تكون القضية قضية التطبيقات فعلياً أن نرجع إلى السنّة لأن النبي ﷺ كان يعلم الناس في سنّته كيف يحركون التطبيق في خطّ النظرية،

(١٥) شرح نهج البلاغة. ج ٢. ي ١٣. ص ١٣٤.

(١٦) المائدة: ٤٤.

(١٧) سبأ: ٦٥.

(١٨) بحار الأنوار. ج ١٩. ب ١٢. ص ٢٤٤. ح ١١.

(١٩) بحار الأنوار. ج ٢٢. ب ٣٢. ص ٣٢٥. ح ٢٣.

(٢٠) بحار الأنوار. ج ١٢. ب ١٣. ص ١٣٢. ح ٣.

وقد بينا مراراً أن قوله تعالى ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٢١). يعني أن الكتاب هو خط النظرية، والحكمة هي خط التطبيق لأنها وضع الشيء في موضعه، ولذا لابد للإنسان الذي يعي ثقافة الإسلام أن يملك خط النظرية الإسلامية، وأن يعرف كيف يحرك هذه النظرية في خط الواقع، فبعض الناس يقرأ القرآن كمفاهيم ولكنه لا يعرف كيف يطبق تلك المفاهيم في الواقع، فلابد لعلماء الإسلام من ثقافة الواقع ولا يكفي أن تكون لديهم ثقافة القرآن والسنة حتى يعرفوا كيف يحركون الإسلام في واقع الناس، ويخطئ الكثير منهم حينما يعيشون في أجواء المفاهيم والنظريات ولكنهم لا يفهمون من الواقع شيئاً.

كتابه في الاستقامة:

وهناك كتاب آخر في الخط العملي عندما استخلف علي عليه السلام حيث أرسل رسالة إلى أمراء الأجناد (الجند) يوجههم فيها كيف يسيرون على الخط المستقيم ليعلموا الناس كيف يتحركون في خط الاستقامة، وقد استعمل عليه السلام أسلوب التذكير بالحضارات السابقة والمسؤولين السابقين، كيف سقطت حضارتهم؟ وكيف هلكوا نتيجة الانحراف عن الخط؟ وكيف ضلّوا الناس؟ حيث قال لهم ((أما بعد، فإنما أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الناس الحق فاشتروه)) فمن أين تأتي الرشوة؟ ومجتمعاتنا هي مجتمعات الرشوة، ومن الصعب أن يأخذ الإنسان في المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية حقاً بالطريق الطبيعي، بل ربّما يأخذ غير حقّه بالرشوة، فمشكلة المسؤولين أنهم منعوا الناس حقوقهم ولم يعطوا كل ذي حق حقه فاضطرّ الناس إلى أن يدفعوا ثمن الحق وهذه هي الرشوة، فالرشوة ليست في القضاء فقط بل في جميع الأعمال، فلما حُجب الحق عن الناس اشتروه بالرشوة ((وأخذوهم بالباطل)) أي ساروا بهم بسيرة الباطل ((فاقتدوه)) فالمسؤولون الكبار سواء كانوا دينيين أو سياسيين أو اقتصاديين أو اجتماعيين عندما يملكون السيطرة على المجتمع ويأخذون الناس بالباطل فإن الباطل

حينذاك سوف ينتشر وبهذا فإنّ الناس سوف يقتدون بالباطل فيبسط ظله من خلال ذلك.

في رثائه للزهراء ؑ

وبمناسبة وفاة سيدتنا فاطمة الزهراء ؑ نقف مع علي ؑ وهو يقف عند قبر الزهراء ؑ ليخاطب رسول الله ﷺ ونقرأ في هذه الكلمة التأبينية عمق مشاعر علي ؑ تجاه رسول الله ﷺ والزهراء ؑ أيضاً، ونعرف كيف كان علي ؑ يعيش أعمق الألم فيما كان يشاهده من آلام الزهراء ؑ. وقد كانت آلام الزهراء ؑ هي آلام علي ؑ فلم يكن لعلي ؑ آلام شخصية ولم تكن للزهراء ؑ آلام شخصية، فلقد كان الإسلام هو كلّ همّ علي ؑ كما كان كلّ همّ الزهراء ؑ وكانت خلافة علي ؑ هي الطريق المستقيم الذي ينهج بالناس النهج الحق إلى الحقّ في حياتهم كلّها لأنّ عقل علي ؑ كان عقل رسول الله ﷺ وكان قلبه قلب رسول الله ﷺ وكان علمه علم رسول الله ﷺ وكانت حركيته حركية رسول الله ﷺ ولذلك فقد كان علي ؑ رسول الله ﷺ بدون رسالة وبدون نبوة وهذا هو قول رسول الله ﷺ ((إِنَّكَ تَرَى مَا أَرَى وَتَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَلَكِنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ))^(٢٢). ولذلك فقد كان همّ الزهراء ؑ هو أن يجلس علي ؑ في الموقع الذي أجلسه الله فيه، وأجلسه رسول الله ﷺ بأمر الله فيه، وكان همّ علي ؑ أن يقيم الحقّ ويزهق الباطل حيث قال وهو يشير إلى نعله ((إِنَّهَا أَعْظَمُ مِنْ إِمْرَتِكُمْ هَذِهِ إِلَّا أَنْ أَقِيمَ حَقّاً أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلاً)). ولذلك فقد كان يتألّم للحقّ الذي انحرف المسلمون في مسيرتهم عن جادّته. وكذلك كان ألم الزهراء ؑ ولذلك رأيناها في حديثها مع المهاجرين والأنصار وفي حديثها مع رجالهم ومع جموع المهاجرين والأنصار لإقامة الحجة عليهم، وحديثها في خطبتها في المسجد النبويّ، تركّز على أحقية علي ؑ في الخلافة ((ما الذي نقيموا من أبي حسن، نقيموا منه نكير سيفه وقلة مبالاته في حتفه وتنمره في ذات الله)). حتى أنّ حزنها على رسول الله ﷺ كان بسبب انقطاع الوحي عن الأرض لأنّ

الرسول ﷺ كان القوة للحق وعندما غاب ضعف الحق، ولذلك كانت تقول لولديها الحسن والحسين (عليهما السلام): هنا كان يصلي رسول الله ﷺ وهنا كان يخطب وهنا كان يلتقي بالناس، حتى أنها عندما تحدثت عن فذك فإنها لم ترد فذلك وإنما أرادت الخلافة، وقد قال علي ﷺ ((وما اصنع بذك وبغير فذك والنفس مضائها في غد جدث))^(٣٣). وكما قال استاذ ابن ابي الحديد أنها كانت تريد ان تسجل نقطة على خط الخلافة غير الشرعي، فاذا طالبت اليوم بذك وحققها في الارض الذي أنكره الآخرون واستجيب لطلبها فإنها ستطالب غداً بحق علي ﷺ في الخلافة، وبذلك منعت من فذك. ولم تتحدث الزهراء ﷺ برغم كل ما جرى عليها عن آلامها الخاصة، ولذلك فإن عظمتها أن آلامها كانت آلام الإسلام، وعظمة علي ﷺ أيضاً في أن آلامه كانت آلام الإسلام، وليس معنى ذلك أنه ليست هناك آلام شخصية ولكنها لم تكن لتطغى على آلام الرسالة.

ونقرأ حزن علي ﷺ في هذا النعي: ((السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك)) فهو يتحدث عنها وكأنها وكتله بتقديم سلامها لأبيها ((والسريعة اللحاق بك)) لأنها كانت أول أهل بيته لحوقاً به ((قل يا رسول الله عن صفيتك صبري ورق عنها تجلدي)) ونلاحظ في هذا التعبير (صفيتك) أن الزهراء ﷺ كانت الإنسان الذي اصطفاه الرسول ﷺ لنفسه لما تتميز به من كل الميزات الروحية في معاني الصفاء والنقاء، فهل أن علياً ﷺ كان يتحدث عن هذه الحالة النفسية المأساوية كما يتحدث إنسان عن فقد زوجته التي يحبها؟ إن الزهراء ﷺ كانت صنو علي ﷺ من قبل أن تتزوج علياً ﷺ وكانا في بيت رسول الله ﷺ منذ طفولتهما وعاشا معه وكانا يسمعانه ويتربيان على يديه، ولذلك كانت روح الزهراء ﷺ هي روح علي ﷺ وعقلها عقله وأخلاقيتها أخلاقيته، ولذلك فقد كانت قطعة من عقله ومن روحه وليست زوجة كبقية الزوجات، ولذلك صدر عن الأئمة ﷺ أنه لو لم يكن علي ﷺ لما كان لفاطمة ﷺ كفوء. هل هي قضية ابن عم وابنة

عم؟ ما أكثر أبناء عمومة رسول الله ﷺ، بل هي قضية ما كانت تملكه الزهراء ع من الغنى العلمي والروحي والأخلاقي والعبادي الذي جعلها في مستوى علي ع في ذلك كله، ولذلك عندما فقدها فقد شعر بفراغ لرفيقة حياته في خطّ جهاده ورسالته ((الآن لي في التأسّي بعظيم فرقتك)) ففراق لي يا رسول الله ﷺ هو الفراق العظيم الذي أتأسّى به في مصيبتني بالزهراء لأنك كنت الأب والمربي والمعلم والرسول للناس جميعاً ((وفادح مصيبتك موضع تعزّي)) فلقد رأيت أن الحياة تسير ليفقد الإنسان في كلّ يوم حبيباً وهذه هي سنّة الله في الكون ((فلقد وسدتك في ملحودة قبرك)) وكان المسلمون مشغولين عنك ((وفاضت بين نحري وصدري نفسك)) فقد احتضنتك بكياني كلّ عندما كانت روحك ترتفع إلى الملأ الأعلى ((إنا لله وإنا إليه راجعون فلقد استرجعت الوديعة وأخذت الرهينة)) فلقد كانت الزهراء ع وديعة رسول الله عند علي ع وقد حفظها كما لم يحفظها أحد رغم أنّ هناك من يقول إنّ علياً ع لم يحفظ الوديعة ((أما حزني فسرمد)) لأنني أعيش أحزان الأمة كلّها وأحزان الإسلام كلّها وأحزاني فيك وأحزاني في الزهراء ع وهي الطاهرة المطهرة المعصومة التي هي بضعة منك ((وأما ليلى فمسهد)) لا يأتيني النوم فيه ((إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم وستنبؤك ابنتك بتظافر أمتك على هضم حقّها)) والتعدّي عليها، والإساءة لها، وترويعها ((فأحفظها السؤال واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهد)) فبين وفاتك ووفاة ابنتك أشهر معدودات ((ولم يخل منك الذكر. والسلام عليكم سلام مودّع لا قال ولا سئم فإن انصرف فلا عن ملالة وإن أقم فلا عن سوء ظنّ بالله)) بل رضا بقضاء الله بما وعد الله الصابرين، وتلك هي أحزان علي ع التي لا بد أن نعيشها لتكون أحزاننا في رسول الله ﷺ وفي أهل بيته ع هي أحزان الإسلام كما قال الإمام زين العابدين ع ((أحبونا حب الإسلام)) لأننا نتحرّك بالإسلام، فليكن حبكم للإسلام لا حبّ الشخص للشخص وإن كان الشخص تجسيد الإسلام. والحمد لله رب العالمين.

في مدرسة الإمام علي عليه السلام (٩) خطاب افتتاح العهد بالخلافة

○ كلمات علي عليه السلام هي طريقنا

إلى الله سبحانه وتعالى وإلى

رسوله عليه السلام وطريقنا إلى الجنة ○

١٠ خطاب الافتتاح.

١٠ حرمة المسلم.

١٠ أسلوب الحكم على الناس.



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

ونبقى مع علي ؑ القمة التي لا قمة فوقها بعد رسول الله ﷺ .. قمة الروح والفكر والبطولة في الحق، وقمة الإنسانية كلّها .. علي ؑ الذي بقي في عقل الإنسان عقلاً يمدّه بكلّ عقلانية الفكر، وبقي في قلب الإنسان قلباً يمدّه بكلّ طهر العاطفة، وبقي في حركية الإنسان طاقة تمدّه بكلّ خير وعدل، وبما يغني إنسانية الإنسان لتأصيل إنسانيته. ولذلك فإنّ علينا أن نقرأ علياً ؑ دائماً قراءة العقل، وأن نفتح عليه انفتاح الوعي، لأنّه لا بدّ أن يفهم جيداً لكي يُحبّ جيداً، ولا بدّ أن يُعرف جيداً لكي تتأصلّ الولاية في معناها في الحياة بشكل جيد.

خطاب الافتتاح:

تعالوا نستمع إليه في أول خطاب له في مفتح خلافته، كيف بدأ خطابه؟ وكيف قدّم نفسه للناس لاسيما الذين يجهلونه؟ وكيف عمّق معرفته بالنسبة للذين يعرفونه؟

يقول ؑ ((إنّ الله سبحانه أنزل كتاباً هادياً بين فيه الخير والشرّ)) فلقد أعطى الفكرة للناس أنّ خلافته تبدأ من حيث القرآن، وسوف تمتدّ في ممارسته لتكون قرآناً يتجسّد، لأنّ علياً ؑ كان قرآناً يتحرّك، ولذلك قال للناس إنّ المسألة في حكمه هي أن ينطلق الحكم في خطوط الكتاب، فالله أعطى الهداية بالكتاب حيث ميّز بين الخير وبين الشرّ، ومن خلال ذلك أراد للناس أن يتبعوه في حكمه. ((فخذوا نهج الخير تهتدوا)) إقرأوا الخير في القرآن في مفاهيمه العقيدية والشرعية والمنهجية والحركية كلّها فإنّ القرآن يهديكم إلى نهج الخير

((واصدفوا عن سمت الشرّ تقصدوا)) أي أنكم تصلون إلى خطّ الاعتدال باعراضكم عن خط الشرّ، لأنّه يركّز للإنسان الخطوط العامّة التي توضّح له مواقع الخير وامتداداته في شؤونه الفكرية والعملية.

((الفرائض الفرائض)) ثم يؤكّد ﷺ على ما يؤكّد الله تعالى عليه مما لا رخصة فيه، بقطع النظر عن الطوارئ التي تحيط بالإنسان مما قد يملك فيه الاختيار، فهناك فرائض فرضها الله عليكم في عباداتكم، وهناك فرائض فرضها عليكم في معاملاتكم، وأخرى فرضها عليكم في علاقاتكم، وهناك فرائض فرضها عليكم في مواقفكم ((أدوها إلى الله)) فهي أمانة الله تعالى عنكم «إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها»^(١). وأهل الفرائض هو الله، فإذا قمت بها ((تؤدّكم إلى الجنة)) فهي تسير بكم إلى الجنة، فإذا عشت مع الفرائض بكلّ حدودها وخطوطها فإنّها تفضي بكم إلى الجنة لأنّها مواقع رضا الله، وعندما يقف الإنسان في هذه المواقع فإنّها سوف ترتفع به إلى مواقع القرب منه سبحانه وتعالى. لأنّها تمثل الأعمال المنطلقة من خط الإيمان والمتحرّكة في خطوط حركته في العقل والروح والقلب والحياة، فتقرّب الإنسان إلى الله وتوحي له بكلّ القيم الروحية التي ترفعه إليه.

((إنّ الله حرم حراماً غير مجهول)) فالله تعالى تحدّث إليكم عن المحرّمات، كما في قوله تعالى «إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ»^(٢). وقوله «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ»^(٣). وقوله «لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ»^(٤). وقوله «وَلَا تَرَكُنُوا إِلَى

(١) النساء: ٥٨.

(٢) المائدة: ٩٠.

(٣) الحجرات: ١٢.

(٤) الحجرات: ١١.

الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ»^(٥). وقوله «وَلَا تَقْرَبُوا الزُّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا»^(٦). إلى غير ذلك من المحرمات فهي واضحة بيّنة وعليكم أن تجتنبوها لتطيعوا الله في ذلك. ((وأحلّ حلالاً غير مدخول)) فهو حلال واضح ليس فيه أي خلل «الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ»^(٧) «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٨) «وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ»^(٩) إلى غير ذلك من الآيات.

حرمة المسلم:

((وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها)) وهنا تتجلى عظمة الإسلام الذي أراد للناس كلّهم أن يحترموا إنسانية الإنسان المسلم بحيث يكون أعظم حرمة من كلّ المقدسات المكانية، وقد ورد في الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه كان جالساً في المسجد الحرام وكان إلى جانبه شخص من أصحابه. فقال له: ((أترى إلى حرمة هذه الكعبة؟ قال: بلى، قال: إن حرمة المسلم عند الله أعظم من حرمة الكعبة سبعين مرة))^(١٠). فما بالحكم بمن يهين الكعبة أو يهدمها؟ إنّ من يهدم المسلم في نفسه وفي عرضه وفي حياته، وإن من يهينه ويذلّه ويحطّم كرامته، يقوم بعمل أعظم وأشنع من تحطيم كرامة الكعبة، فنحن نقدّس البناء الذي تمثله الكعبة، والله تعالى أراد لنا أن نحترمه، ولكنّه أراد لنا أن نحترم الإنسان الذي يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر أكثر مما نحترم الكعبة، وهي مسألة نسيها

(٥) هود: ١١٣.

(٦) الأسراء: ٣٢.

(٧) المائدة: ٥.

(٨) الأعراف: ٣٢.

(٩) النساء: ٢٤.

(١٠) بحار الأنوار، ج ١٣، ب ١٠، ص ٣٠٠، ح ١٢.

المسلمون، ولهذا فإننا في حياتنا العملية نتحرك على أساس موازين القوة والضعف، فالقوي يهين الضعيف ويسقطه على أساس المواقع الاجتماعية والسياسية وما إلى ذلك. ولذلك أراد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في موقفه في أول خلافته أن يقول للناس إنّ برنامج الحكم عندي هو احترام كلّ المسلمين، فعلى الخليفة أن يحترمهم، وأن يكون البرنامج العملي الذي يأخذ به هو أن يحترم المسلمون بعضهم بعضاً، وهذا هو المنهج الذي ينبغي أن يأخذ به كلّ حاكم إسلامي، بأن يضع في حساباته تأكيد احترام المسلمين في حكمه. وعليّنا أن نعرف حقيقة أنّ الله سبحانه وتعالى وضع الدين لخدمة الإنسان ولم يضع الإنسان لخدمة الدين «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ»^(١١). فالله سبحانه وتعالى والرسول عليه السلام في دعوتهما المؤمنين لما يحييهم أرادوا أن يمنحاهم الحياة الفكرية والروحية والعملية في أبعادها الاجتماعية والسياسية والأمنية وما إلى ذلك، فالدين جاء لخدمة الإنسان وليس العكس، فالإنسان لم يكلف بخدمة الدين وإنّما كلف بالسير عليه حتى ينهج نهجه وينفتح على مفاهيمه.

((وشدّ بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها)) أي مواضعها من الذمم بأن يجعل حقوق المسلمين متحركة في حركة الإخلاص والتوجيه الذي يريد للمسلمين أن يأخذوا حقوقهم في مواقع التعاقد بين الله وبين خلقه وبين الخلق أنفسهم. ثم يؤكّد مسألة من هو المسلم؟ هل هو الذي يشهد الشهادتين؟ ذلك هو المدخل الذي يدخل به الإنسان إلى الإسلام، ولكن عندما يدخل في الإسلام فأيّ موقع يؤكّد إسلامه؟ ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق)) فهو الذي لا يأتي للمسلمين منه الا الكلمات التي تحترم إنسانيتهم وإسلامهم، ولا يصدر عنه الا العمل أو الممارسة التي تحفظ كرامتهم وتحترم أموالهم وأعراضهم وأنفسهم، ((ولا يحلّ أذى المسلم الا بما يجب)) فلا يحلّ لكم

أن تؤذوا المسلم، أي مسلم كان، فلا يحلّ لك أن تؤذي زوجتك أو أباك أو أمك أو ولدك أو جارك أو أي مسلم من المسلمين إلّا بما يجب، فإذا اقتضى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذلك فبحدوده، وإذا كان لك حق تطالب به فبحدوده، وما عدا ذلك فلا يجوز لك أذى أي مسلم مهما كانت علاقتك به، ومهما كانت موازين القوة والضعف بينك وبينه، ولاحظوا كيف أن الإمام يضع البرنامج في أول خلافته مخاطباً المسلمين بأن كلّ من آذى مسلماً فأنا خصمه لأن أذى المسلم لا يجوز إلّا بما يجب.

((بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم وهو الموت)) أي الخطّ الذي يشمل الناس في مصيرهم وهو الموت، لأنّ الإنسان عندما يضع الموت أمامه فإنه يضع المسؤولية نصب عينيه، لأنّ الموت في حساب الدين ليس هو العدم المحض الذي ينفيك تماماً لكنّه الجسر الذي يربط بين حياتين: حياتك في الدنيا وحياتك في الآخرة ليقول لك دائماً إنّ حياتك في الدنيا هي حياة المسؤولية وحياتك في الآخرة هي حياة حساب نتائج المسؤولية ((اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل))^(١٢). «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ»^(١٣). «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ❖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»^(١٤).

((فإنّ الناس أمامكم)) انظروا إلى المسيرة البشرية التي كانت تتحرك قبلكم، فأين هم أجدادكم وآباؤكم؟ إنهم تقدموا لتلتحقوا بهم. ((إنّ الساعة)) وهي الأجل الذي تشرفون من خلاله على القيامة ((تحدوكم من خلفكم)) أي أنّ الإنسان يمشي والموت يسير وراءه ((تخففوا تلتحقوا)) تخففوا من أثقال خطاياكم تلتحقوا المسيرة، لأنّ الإنسان الذي يكون خفيف الظهر من أثقال خطاياهم يستطيع أن يلحق بالداخلين إلى الجنّة دون أن يؤخّره ثقل الحساب ((فإنّما ينتظر بأولكم

(١٢) بحار الأنوار، ج ٥٣، ب ٢٥، ص ٩٩، ح ١٣.

(١٣) الانشقاق: ٦.

(١٤) النزلة: ٧-٨.

آخركم)) فالمسيرة تسير والأول ينتظر الآخر في ساحة المحشر.

((فاتقوا الله في عباده وبلاده)) والتقوى هي الخط الذي أراد الله للإنسان أن يأخذ به ليكون زاده «وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَا أُولِي الْأَلْبَابِ»^(١٥). «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ❖ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ❖ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ»^(١٦).

«فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا»^(١٧). فلكل إنسان تعيشون معه حقّ عليكم، ومن التقوى أن تؤدّي إلى كلّ ذي حقّ حقه، كما أنّ لكم حقوقاً على الناس وعليهم أن يؤدّوا ما لكم عليهم من حقّ.

((ولبلاد حقوق عليكم)) فاجعلوا التي تعيشون فيها أرضاً للإيمان ولطاعة الله وللإسلام وللتقوى، حاولوا أن تزرعوا فيها غراس الإسلام لتنموها بالإسلام من خلال ما تزرعونه في أنفسكم من الإيمان، وفي حياتكم من العمل الصالح، وفي أولادكم فيما تبنوه في قلوبهم وعقولهم وحياتهم من أسس الإيمان «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ»^(١٨). «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا»^(١٩). «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»^(٢٠). فلا تمكّنوا أحداً من أن ينشر الفتنة في بلادكم، لأنّ البلاد التي تخضع للفتنة سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو دينية، تسقط عند الفتنة ويسيطر عليها الظالمون. وحاولوا أن تعطوا بلادكم الحرية، ولا تمكّنوا أحداً من أن يستعبدّها لأنّ استعباد الأرض يؤدّي إلى

(١٥) البقرة: ١٩٧.

(١٦) آل عمران: ١٣٣-١٣٥.

(١٧) الشعراء: ١٧٩.

(١٨) التحريم: ٦.

(١٩) طه: ٣٢.

(٢٠) الشعراء: ٢١٤.

استعباد الإنسان، فالأرض الحرّة تحتضن الإنسان الحرّ، والإنسان الحرّ هو الذي يصنع للأرض حرّيتها كما يصنع للأرض إنسانيتها ليؤنسناها، بأن نعطيها نبض عقولنا ونبض قلوبنا. ((فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع)) قاله سيّسألكم عن البقاع التي عشتم عليها أو كانت من ضمن مسؤولياتكم، فكيف تصرفتم فيها؟ كيف نظّمتموها؟ وكيف حرّكتموها؟ ((والبهائم)) فأنتم مسؤولون حتى عن البهائم أن تسيروا بها وتعاملوا معها بما أراد الله، ومن هنا تأتي مسألة الرفق بالحيوان، فقد يجوز لك بما رخص الله لك أن تذبح الحيوان الذي يحلّ لك أكله، ولكن لا يجوز لك أن تعذّبه، ولا أن تؤذيه، ولا أن تجرّب عضلاتك فيه، ومن هنا فإن كثيراً ممّا يستعمله الناس الآن في عمليات مصارعة الثيران والديكة ومهارشة الكلاب وما إلى ذلك ممّا استحدثته الوثنيات الغربية في السابق وبقي حتى الآن غير جائز إسلامياً، فإن الله لا يريد الظلم للحيوان كما لا يريد الظلم للإنسان، وتعذيب الحيوان ظلم، ولولا أنّ الله أجاز لنا أن نذبحه لتستمر الحياة من خلال ذلك، أو أن نقتله لندفع عن أنفسنا ضرره، لما جاز لنا ذلك.

((وأطيعوا الله ولا تعصوه)) فالخطّ هو خطّ طاعة الله وعدم معصيته. ((وإذا رأيتم الخير فخذوا به)) أي تلمّسوا الخير في كلّ مكان .. تابعوه .. حدّقوا في مواقعه .. سواء كان الخير عندكم في بلادكم، أو كان عند الآخرين، أو سواء كان خيراً في العلم الذي تحصلون عليه، أو في العدل الذي تتحركون فيه، أو في الخدمات الإنسانية التي تتطلقون بها ((وإذا رأيتم الشرّ فأعرضوا عنه)). فكما بدأ الإمام عليه السلام بالخير والشرّ في أول خطابه فإنّه انتهى بهما أيضاً داعياً للأخذ بالخير من أي مكان انطلق وفي أي مجال سار، وترك الشر أينما كان وكيفما كان.

أسلوب الحكم على الناس:

ومن كلام له عليه السلام في كيفية الحكم على الناس، وكلماته عليه السلام مبادئ، فمن الطبيعي أن الناس في مجتمعاتهم يحملون انطباعات عن بعضهم البعض، وهذا أمر تعارف الناس عليه، والإمام عليه السلام يضع لذلك منهجاً فيقول ((أيّها الناس)) وهو

لا يخاطب الذين عاشوا معه ولكنه يخاطب الذين يمتدّون في خطّ الإسلام لأنّه إمام الإسلام، لذلك فإنّه يلاحق حركة الإسلام في الزمن، وحركة الناس في الإسلام في مدى الحياة، لأنّه يرى أنّ مسؤوليته كمسؤولية رسول الله ﷺ في أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور، لذلك فهو يتحدّث بهذه الطريقة: ((من عرف من أخيه وثيقة دين وسداد طريق)) فإذا عرفت من أحد إخوانك بحسب عشتك له وخبرتك به، أنّه يتحرك في حياته من قاعدة دينية في كلّ أقواله وأفعاله وعلاقاته، وأنّه لا يسير إلا في الطريق السديد الذي يرتكز على الحقّ ويؤدّي إليه ((فلا يسمعن فيه أقاويل الرجال)) فعندما تعرفه من خلال الخبرة والتجربة والمعايشة الطويلة وتسمع الناس يقولون عنه كلاماً سلبياً غير مسؤول، فقل لهم لا أستطيع أن أسمع كلماتكم في هذا الإنسان لأنني خبرته وعاشرته وجربته وعرفت العمق من شخصيته، ولذلك فإنّ كلامكم لا ينطبق على معلوماتي الحقيقية.

وبهذا يؤكّد الإمام عليه السلام على الناس أن ينطلقوا بالثقة في العمق، وأن لا يسمحوا للناس الذين يريدون أن يهزّوا ثقة الآخرين بالكلمات الطائفة التي لا ترتكز على أساس. وبهذا يسقط الذين يثيرون الأقاويل من موقع عقدة أمام المعرفة التي انطلقت من موقع خبرة ((أما إنّه قد يرمي الرامي وتخطئ السهام)) فبعض الكلمات التي يطلقها الناس تشبه السهام التي يرميها الرماة، ألا تشاهدون بعض الرماة الذين يطلقون السهام فلا يصيبون الهدف؟ فكذلك هناك بعض الذين يطلقون الكلمات فلا يصيبون الحقيقة.

((ويحيل الكلام)) أي يبطله، ويقال أحال الرجل في منطقه إذا تكلم الكلام الذي لا حقيقة له ((ومن الناس من يرويه ويأطل ذلك بيور)) فالكلام الذي يرتكز على الباطل والذي يخطئ الحقيقة يفسد، ((والله سميع وشهيد)) وعليك عندما تتكلم وتحكم وتخلق الانطباع السلبي في نفسك أن تراقب الله الذي يسمعك كيف تتكلم ويحاسبك على ما تتكلم «وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد»^(٢١).

فَاللَّهُ يَشْهَدُ عَلَيْكَ وَهُوَ يَبْصُرُ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ مَا تَحْتَ سَبْعِ أَرْضِينَ ﴿أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٢).

وقد قال علي ؑ للناس الذين قد يعصون الله في أنفسهم، وفي الناس عندما تكون لديهم خلوة أو جلسة سرية بحيث يتصورون أن لا أحد يسمعهم أو يراهم ((اتقوا معاصي الله في الخلوات فإنَّ الشاهد هو الحاكم)) وعندما يكون الشاهد هو الحاكم، فما نفع الدفاعات؟!

((أما إنه ليس بين الحقِّ والباطل إلا أربع أصابع)) فعندما تريد أن تحكم على شيء تملك عيانه ويحدثك الناس عن سماعه، فما هو موقفك؟ ولقد سئل ؑ عن معنى قوله هذا فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وفمه ثم قال: ((الباطل أن تقول سمعت)) فكيف تحكم على الناس؟ ولماذا اهتزت ثقتك بأخيك وقد عرفته موضع ثقة؟ ما الذي جعلك تغيّر رأيك؟ وما الذي جعلك تقول فيه ما قلت؟ ويأتيك الردّ: لقد سمعت الناس يقولون ذلك! والحق أن تقول رأيتَه فعل ذلك بعيني، ورأيتَه كتب ذلك بعيني، وسمعتَه تحدّث عن ذلك بأذني، وعندما يكون بين الحقِّ والباطل أربع أصابع، فكيف يمكن أن تثبت لرَبِّك بأنَّ كلامك هو الحقّ، فقد يسمعك الناس وقد يقبلون منك ما تقوله لاسيما إذا كانت هناك خلفيات، وكانت هناك مخابرات، وكانت هناك تعقيدات تشجّع إهدار كرامات الناس الكرماء، فربّما يقبل الناس منك ذلك، في ظلّ ما نعيشه من إشاعة تتبع إشاعة في السياسة وفي الاجتماع وفي الدين وسوف تقف غداً بين يدي الله ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ (٢٣) فهل تملك دفاعاً عن كلمتك؟ وهل قلت الحقّ في فلان عندما يقف بين يدي الله ليقول يا عدل يا حكيم احكم بيني وبين فلان فقد

أهدر كرامتي، وشوّه سمعتي، وهتك حرمتي. إنّ الإمام عليه السلام يريد أن يقول حاول أن لا تتكلّم إلا من خلال عين صافية تملك فيها أن تقدّم حسابك لربّك ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾^(٢٤).

ونبقى مع علي عليه السلام في كلماته التي هي نورٌ كلّها، وحقٌّ كلّها، وعدلٌ كلّها، وهي طريقنا إلى الله سبحانه وتعالى وإلى رسوله ﷺ وطريقنا إلى الجنّة، والحمد لله ربّ العالمين.

في مدرسة الإمام علي ؑ (١٠) قراءة القرآن في الواقع

○ علي ؑ مدرسة لا بد أن

ندخلها ونتعلم فيها لننجح في

ساحة الصراع بين الحق

والباطل ○

➤ ثلاثة نصوص

➤ حديث القرآن

➤ أطلب النصيحة من الله

➤ التواضع لله

➤ قراءة القرآن في الحياة

➤ مشورة علي ؑ لعمر بن الخطاب



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

.. وما أحلى السير مع علي ؑ .. هذا الإنسان ولا أحلى، ولا أعظم، ولا أوعى، ولا أحقّ بعد رسول الله ﷺ. تعالوا إلى علي ؑ لا لنسافر إليه في مرحلته ولكن لندعوه إلينا، لأننا بحاجة إلى أن يزورنا وأن يعظنا ويرشدنا ويغيّر الكثير من انحرافاتنا، وأن يربينا حتى يكون لدينا الأفق الواسع عندما نعارض وعندما نحبّ، وأن نتحرك في خطّ التوازن في الإسلام، لأنّ الإسلام كما عرفنا إياه علي ؑ الذي تلمّذ على يد رسول الله ﷺ وعلى القرآن، يجسّد في خطّه التوازن للإنسان الذي يحرك عاطفته، فالعاطفة جزء أساس من شخصيتنا، ومن لا عاطفة له لا إنسانية له، ولكن الإسلام يقول لنا لا تحركوا عاطفتكم بعيداً عن مبادئكم، فعندما تكون المسألة مسألة الحقّ فعليكم أن تكونوا مع الحقّ، وتعقلوا العاطفة عندما تريد أن تتحرف به عن قصده.

ثلاثة نصوص:

تعالوا إلى علي ؑ في ثلاثة نصوص في (نهج البلاغة): نص يذكر فيه رسول الله ﷺ أستاذه ومربيّه ومعلّمه، ويذكر فيه القرآن، وقد كان لعلي ؑ في حياته عناوين ثلاثة: الأول هو الله، فقد باع نفسه لله، وانزل الله فيه قرآناً ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾^(١). وقال للناس ((ليس أمري وأمركم واحداً إنني أريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم))^(٢). والعنوان الثاني: هو رسول الله ﷺ الذي يؤكّد علي ؑ الانفتاح عليه والالتزام به ويدعو إلى أن نعرفه جيداً،

(١) البقرة: ٢٠٧.

(٢) شرح نهج البلاغة. ١. ص ١٥٠. به ١٨٨.

لأن مشكلة المسلمين أنهم لا يعرفون رسول الله ﷺ في كل عناصر شخصيته في الداخل أو في الخارج، وإنما يعرفون منه ما هو على السطح فقط. والعنوان الثالث: هو القرآن، ولم يوص علي عليه السلام بشيء كما أوصى بالقرآن، وكان عندما يتحدث عن القرآن فإنما يتحدث من خلاله عن الخط المستقيم، ثم ينفذ إلى الواقع ويرصد الناس في كيفية تعاملهم مع القرآن، وكيف يسير القرآن فيهم.

والخطبة الثانية التي سنتحدث عنها هي نصيخته لل خليفة الثاني عمر بن الخطاب عندما استشاره بالشخص بنفسه إلى الفرس، وانتم تعرفون ماذا فعل عمر بعلي عليه السلام؟

والخطبة الثالثة هي كلامه إلى أبي ذر (رض) عندما اضطهده من اضطهده ونفي عن مدينة الرسول ﷺ.

ومن خلال هذه الكلمات الثلاث نستطيع أن ننفذ إلى المبادئ الإسلامية التي يريدنا علي عليه السلام في خطه الرسالي أن نلتزم بها، ولنبدأ بحديثه عن رسول الله ﷺ وعن القرآن.

حديث القرآن:

يقول عليه السلام: ((فبعث محمداً ﷺ بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته)) فقد جاء رسول الله ﷺ بالحق التوحيدي الذي هو رسالة الأنبياء كلهم. والتوحيد - أيها الأحبة - هو عنوان الرسالات كلها، فالخطوط الرسالية كلها تتحرك لتجتمع عند التوحيد، لأن توحيد الله يعني الانفتاح على وحدانيته من حيث أنه الإله الواحد، وعلى عبادته، وعلى طاعته ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾^(٣). فالإسلام كله يمثل حركة الاستقامة في خط التوحيد، ولذلك لن يكون موحداً من لا يستقيم على هذا الخط في عقله وقلبه وكل تفاصيل حياته.

((ومن طاعة الشيطان إلى طاعته)) والوسيلة في ذلك هي القرآن وهو أطروحة رسول الله ﷺ الربانية في هذا الهدف التوحيدي ليقف عقول الناس

وقلوبهم وطاقتهم بالتوحيد حتى يتحول الإنسان إلى كيان توحيدي لا يرى إلا الله في عقله وعاطفته وحركته.

((بقرآن قد بينه)) أوضحه ((وأحكمه)) فلقد أحكمت آياته فلا ترى فيها خللاً ولا اهتزازاً ((ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه)) ليكون القرآن هو وسيلة معرفة الناس بربهم. وعلى ضوء هذا - أيها الأحبة - وأنتم تقرؤون القرآن مراراً وتكراراً استمعوا إلى علي عليه السلام وهو يحدثنا أن القراءة القرآنية الواعية تنتج علم الإنسان لربه وابتعاده عن جهله لربه ((وليقرؤا به بعد إذ جحدوا)) ولينطلق الإنسان بالقرآن في براهينه كلها وأدلتها كلها ليرجع إلى قوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾^(٤). ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٥). فبالقرآن نعرف ذلك من خلال الخطوط الثقافية العلمية الموضوعية التي تتحرك في القرآن.

((وليثبتوه بعد إذ أنكروه)) ليثبتوا الله في وجدانهم ((فتجلى لهم سبحانه في كتابه)) وهذا هو قمة التعبير في أن القرآن يجعلنا نرى الله كما لو تجلى لنا بذاته المقدسة، وهذا ما نستوحيه عندما نقرأ آياته التي تتحدث عن الله حتى كأننا نرى الله سبحانه وتعالى جهرًا وهو الذي تستحيل رؤيته بالعيان ولكننا نراه بالعقل وبالقلب وبالوجدان. فالله يتجلى في قرآنه حتى لنراه رؤية عقل وقلب ((من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته)) ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾^(٦). ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٧).

(٤) الحج: ٦٢.

(٥) إبراهيم: ١٠.

(٦) الزمر: ٦٧.

(٧) آل عمران: ٣٦.

((وخوفهم من سطوته، وكيف محق من محق بالمثلث)) بما تحدث به عما جرى على الأمم السابقة ((واحتصد من احتصد بالنقمات)) فلقد أراد لنا علي ؑ أن نتمثل القرآن ليكون النور الذي نهتدي به، وهو الذي عرف الناس بالقرآن وربطهم به وأرادهم أن يستهدوه وأن يعرفوا الله من خلاله، ولكن الإمام ؑ يتحدث عن المستقبل وعن مجتمع ليس فيه علي ؑ وإذا كان هناك أبنائه من بعده وهم علي ؑ فكراً وخطأ وسيرة وعصمة إلا أن الناس اتبعوا غيرهم ((وإنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل))، وهذا ما نتمثله في الواقع من إخفاء الحق وإظهار الباطل بألف صورة وصورة ((ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله)) ممن ينسب إلى الله كلاماً لم يقله، أو ينسب إلى الرسول ؑ كلاماً لم يقله، أو يتحدث عن مفهوم ديني باسم الله ولا علاقة لله به، أو باسم رسول الله ؑ وليس لرسول الله ؑ علاقة به، هؤلاء الذين سمعوا بعض آيات القرآن وهم يتحدثون عن التحريف، والله تعالى يقول ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٨). هؤلاء الذين نسبوا إلى الله كلاماً لا يجمل أن ينسب إلى إنسان عادي يعرف اللغة العربية، ونسبوا إلى رسول الله ؑ كلاماً انطلافاً من حاجتهم إلى حديث رسول الله ؑ ليثبتوا حاكماً جائراً هنا أو إنساناً منحرفاً.

((وليس عند أهل ذلك الزمان)) وزماننا صورة لذلك الزمان ((سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته)) فهم يسمعون الكتاب جيداً ولكنهم يسمعونهم وقلوبهم مغلقة عنه، ويسمعونه إذا حرف عن واقعه، ومن أجل يؤكدوا ضلالهم من خلال التشابهات القرآنية.

((ولا أنفق منه)) ولا أروج منه إذا حرف ((ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر)) ألسنا نأمر بالمنكر لأن الزمان جرى على هذا، ولأن الناس تحرّكوا بهذا، ألا فبرر الكثير من انحرافاتنا بالقول: إن الوقت يقتضي

ذلك، ولا دخل للوقت في ذلك، وإنما هي مسؤوليتنا فقد نرتفع وقد نتضع، ولذا يقول الشاعر:

يقولون الزمان به فساد وهم فسدوا وما فسد الزمان

((فقد نبذ الكتاب حملته)) فحتى الذين حملوا الكتاب تركوه وراء ظهورهم عندما غرقوا في الشهوات ورأوا أنّ الكتاب لا يحمي شهواتهم، وعندما أخذوا بالامتيازات وهم يعرفون أنّ الكتاب لا يحمي امتيازاتهم ولذلك نبذوه وانطلقوا هنا وهناك.

((وتناساه حفظته فالكتاب يومئذ وأهله منفيان طريدان)) لا مكان لهما في المجتمعات لأنّ بعض الناس كذلك الذي صار خليفة باسم المسلمين واستفتح بالقرآن وخرجت الآية ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾^(٩). ومزّق القرآن، وهو يقول:

تهدّدني بجبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا ربّ مزّقني الوليد

وقد مزّقه الله شرّ ممزق.

((وصاحبان مصطحبان)) الكتاب وأهله الذين فهموه ووعوه وحركوا مفاصله في ساحة الواقع، ((وأرسلا نوره في كلّ مكان في طريق واحد لا يؤييهما مؤوٍ فالكتاب وأهله في ذلك الزمان في الناس وليسا فيهم))، فما أكثر المصاحف في بيوتنا ولكن ما أقلّ القرآنيين في مجتمعنا، وما أكثر حروف القرآن في مصاحفنا ما أقلّ مفاهيم القرآن في حياتنا. وهذا بيان سياسي، فالسياسة في الإسلام دين والدين سياسة، وعظمة السياسة الإسلامية تتجلى في انطلاقها من خلال مفاهيم الإسلام الحقيقية القرآنية ((ومعهم وليس معهم)) لأنّ المعية ليست المعية المادية لكنّها المعية الروحية والعقلية والقلبية والحركية، فأَنْ يكون القرآن معك أن يتحرك في الواقع الذي تعيشه لا أن يكون مجرد كتاب تتعدّد صفحاته

((لأن الضلالة لا توافق الهدى)) لأن الناس يسيرون في طريق الضلالة والقرآن يتحرك في طريق الهدى ((وإن اجتمعا في مكان واحد اجتمع القوم على الفرقة)) «كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ»^(١٠). وكما يقول الشاعر:

وتفرقوا شيعاً فكل قبيلة
فيها أمير المؤمنين ومنبر

فنحن مسلمون وما أكثر مذاهبنا، وشيعة وما أكثر أحزابنا ومراجعنا وعصبياتنا. ((كانهم أئمة الكتاب)) فهم الذين يحركون الكتاب في اتجاهاتهم ((وليس الكتاب إمامهم فلم يبق عندهم منه إلا اسمه، ولا يعرفون إلا خطه وزيره)) أي حروفه ((ومن قبل ما مثلوا بالصالحين كل مثله)) فكم قتلوا من الصالحين، وكم اضطهدوا منهم، وكم هتكوا حرمتهم عندما مثلوا بأجسادهم وكرامتهم وبمعنوياتهم ومواقفهم ((وسموا صدقهم على الله فرية)) «أفترى على الله كذباً أم به جنة»^(١١). وهم الصادقون على الله. ((وجعلوا في الحسنة العقوبة السيئة)) أي أنهم أبدلوا الحسنة بالسيئة فاعتبروا الحسنة سيئة ((وإنما هلك من كان قبلهم بطول أمالهم وتغيب أجالهم)) والرسول ﷺ يقول ((إن أخوف ما أخاف عليكم اثنان الهوى وطول الأمل، أما الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة))^(١٢).

((حتى نزل بهم الموعد الذي ترد عنه المعذرة)) أي المعذرة للإنسان عندما يأتيه أجله ((وترفع عنه التوبة)) فالتوبة تبقى معك حتى يأتي أجلك، فإذا جاء أجلك فلا توبة لك ((وتحل معه القارعة)) التي تفرع النفوس والمصائر.

أطلب النصيحة من الله:

ثم يبدأ الإمام ﷺ بعدما صور الواقع، بتقديم النصيحة: ((أيها الناس)) وهو يخاطب الأجيال كلها لأن علياً ﷺ للحياة كلها، وليس لجيل معين ولا لمرحلة

(١٠) المؤمنون: ٥٣.

(١١) سبأ: ٨.

(١٢) بحار الأنوار، ج ١٢، ب ١٣٩، ص ١٢٢، ح ٧٦.

معينة لأن عقله هو عقل الكون، ولأن رسالته هي رسالة الحياة ((من استنصح الله وفق)) فهل تريد ناصحاً إذا حلت بك مشكلة؟ أو إذا تحيرت في طريق؟ فأني ناصح أعظم من الله! فكثير من الناصحين قد يختزنون الغش والجهل في نصحهم، ولكن الله الذي هو الحق، وهو الرحمن وهو الرحيم، وهو الذي وسعت رحمته كل شيء، وهو أحنى على الإنسان من أمه وأبيه، ليس هناك ناصح أعظم منه، والله سبحانه وتعالى قد قدم لنا نصائحه في القرآن، وقد حدث شعيب عليه السلام قومه بقوله ﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾^(١٣).

((ومن اتخذ قوله دليلاً)) أي أنك إذا سرت في الظلمات والمataهات واحتجت إلى دليل فإن قول الله هو الدليل الذي يأتيك في ظلمات البر والبحر وكل Mataهات الحياة ((هدي لتي هي أقوم، فإن جار الله آمن)) فلتجاوروا الله، ومجاورته ليس في المكان ولكنها في العمل ((وعدوه خائف)) لأن عدو الله هو الذي ينتظر نار جهنم لينزل به عذابه وهذا ما لا تقوم له السماوات والأرض، ألا نقرأ في (دعاء كميل) ((فكيف بي وأنا عبدك الذليل الضعيف الحقيير المسكين المستكين)).

التواضع لله:

ثم ينتقل للحديث عن المتكبرين الذين إذا حصل أحدهم على شيء من العلم انتفخ، وإذا حصل على شيء من المال تعاظم، وإذا امتلك السلطة تكبر وتجبر. وعلي عليه السلام يقول اعرفوا عظمة الله فإذا عرفتم عظمته فلا يمكن أن تشعروا بعظمة أنفسكم ((وإنه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعظم فإن رفعة الذين يعلمون ما عظمته أن يتواضعوا له)) لأنهم يشعرون أن كل ما عندهم هو من عند الله وأنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا إلا بالله، ولذلك فهم لا يشعرون بأي حجم من القوة في الجانب الذاتي له بكل ما عندهم من الله ﴿وَمَا

يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ»^(١٤). فأية عظمة يتحسّسونها في شخصياتهم؟ إنَّ العظمة تتطلق من خلال ما لديكم من عناصر العظمة الذاتية لا أن تكون مستعارة، ولذلك إذا أحسست ببعض عناصر العظمة في شخصيتك فاشكر الله على ذلك فإنَّها مستمدة منه، وعظم الله فيما تملك من قدرات ((فإنَّ رفعة الذين يعلمون ما عظمته أن يتواضعوا له وسلامة الذين يعلمون ما قدرته أن يستسلموا له)) وهذا هو قول إبراهيم ؑ «إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمِ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»^(١٥). ((فلا تنفروا من الحق)) سواء كان الحق معكم أو عليكم ((نفار الصحيح من الأجر)) ليكون الحق هو الأجر والباطل هو الصحيح ((والبارئ من ذي السقم)).

قراءة القرآن في الحياة:

وإذا أردتم أن تعرفوا سلبيات الآخرين فانظروا إلى الواقع ولا تنظروا إلى كلماتهم.. حدّقوا بسلوكيات الناس وبسيرتهم ((واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه)) لتروا آثار ترك الرشد من السلبيات التي تحدث لتاركة فتعرفوا طبيعة الرشد عندما يستبدل الإنسان غيّه به، كيف ينقذه في مقابل الغي الذي أسقطه؟

((ولم تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه)) ومعنى ذلك أنه يقول للناس أن لا يقرأوا الخطوط العامّة للقيم والأخلاق في الكتب بل أن يدرسوها في الواقع، لأنَّ الله أعطانا القيم الإيجابية من أجل أن يرفع الواقع الذي نعيشه إلى المستويات العليا، وأعطانا القيم السلبية ليعرّفنا نتائجها السلبية على حياتنا، ولذلك لا تنظروا إلى كلمات الأشخاص وأشكالهم بل إلى الواقع، أي اقرأوا القرآن في الحياة لتعرفوا كيف يعطي الرفعة والعزّة والكرامة والتقدّم لمن يأخذ به والأشياء المضادة لمن لم يأخذ به ((ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي

(١٤) النحل: ٥٣.

(١٥) البقرة: ١٣١.

نبيذ)) فالتمسوا ذلك ((من عند أهله)) وأهله هم أهل البيت ﷺ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، طهرهم في عقولهم وفي قلوبهم وفي كلماتهم وفي طاقاتهم وكل شيء حتى كانوا الطهارة كلّها والعصمة كلّها ((فإنهم عيش العلم وموت الجهل)) فبهم يعيش العلم وتتهزم أباطيل التخلف والجهل ((هم الذين يخبروكم حكمهم عن علمهم)) لأنّ علمهم لا ينطبق إلّا من خلال قواعد العلم التي تثبت على أساس الحجّة والدليل ((وصحته عن منطقهم)) لأنّ صحتهم فكر وانفتاح على كلّ آفاق الحقيقة ((وظاهرهم باطنهم)) لأنّ باطنهم هو الحقّ كلّه والخير كلّه ((لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه)) لأنّ الحقيقة واحدة لا لبس فيها ولا اختلاف ((وبينهم شاهد صادق وصامت ناطق)) وهذه هي كلمة علي ﷺ عن رسول الله ﷺ وعن أهل بيته وعن القرآن الذي انطلق به.

مشورة علي ﷺ لعمر بن الخطاب:

ولننطلق إلى أفق آخر يعطينا أسلوب علي ﷺ وعظمته وروعته وسموّه عندما يستشير الإنسان الذي قاد كلّ الحركة في إبعاد علي ﷺ عن حقّه لأنّه انطلق إلى السقيفة ليحرّكها في غير خطّ علي ﷺ الذي عينّه رسول الله ﷺ خليفة له بأمر الله، ففي كلام له ﷺ لعمر بن الخطاب وقد استشاره في الشخوص لقتال الفرس بنفسه عندما كانت الحرب مشتتة بين الفرس وبين المسلمين، فقد جمع عمر المسلمين واستشارهم في الرسالة التي جاءت من قائد المعركة الذي طلب منه أن يأتي ليقود المعركة بنفسه ليكون ذلك أقوى لجانب المسلمين في معركتهم، وأشاروا عليه بذلك، وجاء إلى علي ﷺ يستشيرهم والإمام ﷺ لو كان يحمل حقداً وضغينة كما هو حال بعض السياسيين لقال إنّها الفرصة المواتية للخلاص من عمر، ولكن علياً ﷺ كان رجل الإسلام، وكان يفكر بالإسلام لا بالشخص، وهو القائل ((لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن بها جور إلا عليّ خاصة))^(١٦) فلو أظلم لوحدي فلا مشكلة إذ لا بدّ للإسلام أن يقوى وللمسلمين أن تسلم

أمورهم، فمن منّا يفكر بهذا أو يعمل به؟ وهو القائل لابن عباس ((فلا يكن أفضل ما نلت في دنياك بلوغ لذة وشفاء غيض، ولكن إطفاء باطل وإحياء حق))^(١٧) فأين علي ؑ وأين نحن؟ فنحن لا نرى منه سوى قتله لمرحب وابن عبد ودّ ولم نر كيف قتل الباطل ونصر الحقّ.

قال لعمر ابن الخطّاب: ((إنّ هذا الأمر)) وهو الإسلام ((لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلّة، فقد نصرنا الله ببدر ونحن أذلّة وقد نصرنا الله بالأحزاب)) وقد جاءت كلّ الأحلاف لتقضي علينا في المدينة ((وقد نصرنا الله في أحد)) ثم خذلنا عندما تركنا أسباب النصر، وهكذا في حنين «لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ»^(١٨). فالقضية ليست قضية كثرة ولا قلّة.

((إنّ هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلّة وهو دين الله الذي أظهره)) وهذا قوله تعالى «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ»^(١٩). ((وجنده الذي أعدّه وأمدّه)) وهذا قوله تعالى «فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ»^(٢٠). ((حتى بلغ ما بلغ وطلع حيثما طلع ونحن على موعد من الله والله منجز وعده وناصر جنده)) وهو قوله تعالى «إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ»^(٢١).

(١٧) شرح نهج البلاغة. ج. ٤. ب. ٢٤٤. ص. ٣٢٤.

(١٨) التوبة: ٢٥.

(١٩) التوبة: ٣٣.

(٢٠) المائدة: ٥٦.

(٢١) محمد: ٧.

((ومكان القيم بالأمر)) فعلى حسب الأمر الواقع أنت - يا عمر - المسؤول الأول في الدولة ((مكان النظام من الخرز)) كمثل الخيط الذي ينتظم الخرز ((يجمعه ويضمه فإذا انقطع النظام تفرق)) أي تتساقط حبّاته فلا يكون هناك ما يجمعها، أي إذا سقطت الخليفة فسيسقط المسلمون ولا يكون هناك من يجمعهم ((ثم لم يجتمع بحذافيره)) أي بجميع جوانبه ((والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهم كثيرون بالإسلام)) والتعبير رائع هنا، فالإمام ﷺ لم يركّز على الكثرة والقلّة العددية بل على القوّة الروحية والفكرية التي يقف الإنسان مرتكزاً عليها لمواجهة أعدائه، كما قال ﷺ عندما سئل عن السرّ في قلعه لباب خيبر وجعلها جسراً، كما قال ابن أبي الحديد :

يا قانع الباب الذي عن هزّه عجزت أكفّ أربعون وأربع

حيث قال ﷺ : ((والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدية ولكن بقوة ربّانية))^(٢٢).

أمّا اليوم فالعرب كثيرون ولكنهم قليلون في منطق الإسلام لأنّهم تفرقوا عن الإسلام أيدي سباً. ((عزيزون بالاجتماع)) فلقد كان المسلمون مجتمعين في مواجهة المشركين والكافرين حتى مع اختلافهم في بعض الأمور، ونحن اليوم ذليلون بالافتراق. ((فكن قطبا)) أي العصا التي في وسط الرحى ((واستدر الرحى بالعرب)) لأنّ العرب هم الذين كانوا يقاتلون وهم قاعدة الحكام، وإلا فالإمام علي ﷺ لا يتكلّم بمنطق القومية العربية ((وأصلهم دونك نار الحرب فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها)) فإنّ كلّ الذين هم ضد الإسلام، إذا غاب القائد عن المركز وعن عاصمة حكمه، يتحركون متحينين فرصة غيابه ((حتى تكون ما تدع وراءك من العورات)) أي الثغرات ((أهم إليك مما بين يديك)) فالخطر إذاً يتهدد الإسلام لا الشخص.

((إن الأعاجم إذا نظروا إليك غداً يقولون هذا أصل العرب فإذا اقتطعتموه استرحتم)) أي حشدوا قواكم لقتله ((فيكون ذلك أشدّ لكلّهم عليك)) أي قوتهم ضدك ((وطمعهم فيك، فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين)) أي أنّ الأعداء قادمون للهجوم على المسلمين ((فإن الله هو أكره لمسيرهم منك)) أي أين الله في حسابك؟ ((وهو أقدر على تغييره ما يكره، وأما ما ذكرت من عددهم فإننا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة وإنما كنّا نقاتل بالنصر والمعونة)). فانظروا كيف يرتفع علي ؑ حيث يتضع الناس؟ وكيف ينطلق من خلال مسؤوليته وهو خارج الخلافة ليمارسها كما لو كان داخل الخلافة لأنّ علياً ؑ كان يرى نفسه مسؤولاً عن الإسلام في الداخل وفي الخارج.

فهل نقتدي بعلي ؑ كما قال الإمام الباقر ؑ ((أفحسب الرجل أن يقول أحبّ علياً وأتولاه ثم لا يكون فعلاً فرسول الله خير من علي، أفيكفي الرجل أن يقول أحبّ رسول الله ثم لا يعمل بسنته)). ثم يقول الباقر ؑ ((من كان ولياً لله فهو لنا ولي ومن كان عدواً لله فهو لنا عدو والله لا تنال ولايتنا إلا بالورع عن محارم الله)). وهذا هو مكمّن الخطورة، فالبعض يقول إنّ حبّ علي حسنة لا تضرّ معها سيئة.

لذلك علينا أن نعرف أن الأئمة من أهل البيت ؑ جاءوا من أجل أن يقودوا الناس للورع عن محارم الله، فهل يمكن أن يقبلوا الذين يتمرّدون على الله ويتجرّأون عليه؟!

أيّها الأحبة، علينا أن نكون مع منهج علي ؑ في الفكر والسياسة والاجتماع والحرب والسلم، فعلي ؑ مدرسة لا بدّ أن ندخلها ونتعلّم فيها لننجح في ساحة الصراع بين الحق وبين الباطل، من موقع علي ؑ الذي هو مع الحق والحق معه. وسنرجئ حديث علي ؑ مع أبي ذر (رض) إلى اللقاء القادم إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

في مدرسة الإمام علي عليه السلام (١١) شخصية الصحابي الجليل (أبو ذر الغفاري)

○ ننقف مع المظلوم سواء كان

شخصاً أو شعباً أو أمة، وضد

الظالم سواء كان دولة أو محوراً

دولياً أو شخصاً ○

➤ ملامح شخصية أبي ذر الغفاري.

➤ الوصايا السبع.

➤ تقييم علي عليه السلام لأبي ذر.

➤ أبو ذر المعارض.

➤ وداع علي عليه السلام.

➤ وداع الآخرين.

➤ تعقيب أبي ذر.

➤ خط الإسلام.



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

ملامح شخصية أبي ذر الغفاري:

حديثنا في هذا اللقاء حول كلام علي ؓ عن شخصية إسلامية صحابية متميزة أثارت ولا تزال تثير الكثير من الجدل في الأبحاث الإسلامية، فمنهم من يتطرق في تقديمها الفكري ليضعها في دائرة الاشتراكية، ومنهم من يتطرق في تقويمها ليضعها في دائرة المشاغبة، ومنهم من يفتح على عناصرها الفكرية والحركية ليقدمها نموذجا للشخصية الإسلامية المتحركة التي تملك صلابة الموقف وقوته ولا تأخذها في الله لومة لائم مهما كانت درجة الشخصية التي تعارضها وتأمرها بالمعروف وتنهاها عن المنكر. وقد لاقت هذه الشخصية في العهد الإسلامي الأول بعد الرسول ؐ الكثير من التعسف ومن النفي، وهي شخصية الصحابي الجليل أبو ذر الغفار (جندب بن جنادة) الذي قال عنه رسول الله ﷺ مما رواه أكثر المسلمين ((ما أقلت الغبراء ولا أضلت الخضراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر))^(١).

ولابد لنا قبل أن ندخل في كلمة علي ؓ لأبي ذر، أن ندرس بعض ملامح هذه الشخصية مما ذكره المؤرخون. ففي البداية كان تأريخ قبيلة هذه الشخصية سلبياً، فقد كان من عشيرة بني غفار وكانوا يقطعون الطريق ويسلبون المارة، ولكن هذا الرجل كان يعيش منذ بداياته موحداً لله، حتى أنه كان يصلّي على طريقته كما يحدث عن نفسه في العشاء مبتهلاً إلى الله سبحانه وتعالى. وكان يعيش قلق البحث عن الحقيقة، ويحدث عن نفسه أيضاً أن أخاه ذهب إلى مكة في بداية

عهد الرسالة وسمع عن رسول الله ﷺ ما كانت تحدث به قريش، وكان أخوه شاعراً، وسمع رسول الله ﷺ وحدث أبا ذر بما سمعه من رسول الله ﷺ وقال له إنّ حديثه ليس حديث شعر فأنا أعرف الناس بالشعر، وليس حديث كهانة، ولكنه حديث جديد يأخذ بمجامع القلب. وجاء أبو ذر إلى مكة باحثاً عن الحقيقة والتقاء علي ﷺ واستضافه والتقى برسول الله ﷺ وعندما سمعه أسلم وتشهد الشهادتين، وسأل رسول الله ﷺ: ماذا أفعل؟ بعد أن لاقى من قريش العنت والاضطهاد، وعندما أسلم قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إنّني أريد أن أعلن إسلامي، فقال له رسول الله ﷺ: إنّهم سوف يؤذونك، لكنه أعلن إسلامه، وضربوه حتى نالوا منه، ولكنّ العباس عم النبي ﷺ أنقذه منهم وقال لقريش إنكم أهل تجارة، وإنكم تمرّون على بني غفار فقد يعرضون لتجارتكم. فكفّوا عنه، وقال له رسول الله ﷺ: أذهب إلى عشيرتك وانتظرنني، إلى أن أذهب إلى المدينة، وذهب ودعا عشيرته إلى الإسلام واسلم نصفهم، كما تقول الرواية، وقال النصف الآخر عندما يأتي رسول الله ﷺ إلى يثرب فإننا نلتقيه ونسلم على يديه، والتقوا رسول الله ﷺ وأسلم كلّ بني غفار، وأسلمت معهم عشيرة أخرى وهي عشيرة (أسلم) وقد دعا لهم رسول الله ﷺ.

الوصايا السبع:

وعاش هذا الصحابي مع رسول الله ﷺ يسمع منه ويروي عنه، ونقرأ مما رواه عن رسول الله ﷺ قوله: ((أوصاني خليلي بسبع)) وانظروا إلى كلمة خليلي أي صديقي، فلقد بلغت العلاقة مبلغاً كانت بمثابة الصداقة بينه وبين رسول الله ﷺ وهذا التعبير لا ينطلق إلا بعد أن تكون العلاقة قد وصلت إلى نوع من الحميمية والصميمية بحيث أن الرجل أصبح في علاقته برسول الله ﷺ في مستوى الصداقة من خلال هذا الحبّ الذي عاشه أبو ذر لرسول الله ﷺ. ثم انظروا إلى هذه الوصايا الغضة الحية بحيث مازالت تتحرك في المجتمعات الإسلامية لتؤصل القيمة الروحية الأخلاقية لشخصية الإنسان المسلم.

((أمرني بحب المساكين والدنوّ منهم)) أن أعيش مع الفئة التي ترتبط بالأرض، والتي تعيش عفوية القيمة الإنسانية وبساطة الروح، هؤلاء الذين عاشوا المسكنة فقراً وجوعاً ولكنهم عاشوا العزّة في أنفسهم، فلقد أمره رسول الله ﷺ أن يعيش مع هؤلاء حتى يتعلّم كيف يعيش الارتباط بالمعنى الإنسانيّ للإنسان، وهذا ما نقرأه في دعاء الإمام علي بن الحسين زين العابدين ؑ وكم نجعل زين العابدين تلك القمة الروحية العلمية العظيمة التي ترتفع وتسمو وتعيش مع الله في الوقت الذي تؤثر فيه العيش مع الإنسان: ((اللهم حبّ إليّ صفة الفقراء وأعني على صحبتهم بحسن الصبر)) لأنّ من الطبيعي أن تكون هناك بعض التعقيدات في حياتهم مما قد يتضايق الإنسان من العيش معهم، ولذلك فلا بدّ من أن يصبر على تلك التعقيدات.

((وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقني)) لأنّ الإنسان إذا نظر إلى من هو دونه عرف نعمة الله عليه فيما أعطاه مما يميّزه عن هؤلاء، بينما إذا نظر إلى من هو فوقه لم يشعر بنعمة الله عليه، بل ربّما يدفعه الحسد وعدم الرضا بقضاء الله لأنّ يتصوّر أن الله لم يعطه كما أعطى فلاناً.

((وأمرني أن لا أسأل أحداً شيئاً)) فكلّ ما أستطيع أن آتيه أحاول أن أقوم به بنفسي ولا أكلف غيري مشقته، وما لا أستطيع أن آتيه أصبّر نفسي عليه، وأحاول أن أطوّر قدراتي حتى أتمكّن منه.

وينقل عن رسول الله ﷺ في هذا المضمار أنّه جاءه بعض أصحابه وقالوا له: يا رسول الله ﷺ إنّ وجودك فرصة ثمينة بيننا، فأنت حبيب الله وشفيع المذنبين، نريد منك أن تضمن لنا على الله الجنّة؟ فأطرق برأسه إلى الأرض وكان بيده عصا ينكت بها الأرض، ثم رفع رأسه وقال: ((أضمن لكم على الله الجنّة بشرط)) فقالوا: ما هو؟ قال: ((أن لا تسألوا الناس شيئاً)) فالشيء الذي تقدرون عليه إئتوا به والذي لا تقدرون عليه لا تحاولوا أن تسألوا الناس عنه، فكأنّه يقول لهم إنّ الإنسان تستعبده حاجاته فإذا طلبتم منهم شيئاً فإنهم قد يستغلّون

حاجاتكم إليهم ليفرضوا عليكم الانحراف والشروط التي تذكّم، وهذا ما نلاحظه عندما نمدّ أيدينا للغرب وللشرق لنستورد منهم الكماليات والحاجات غير الضرورية بل مما يضرّنا ويفرض علينا شروطاً سياسية واقتصادية وثقافية وأمنية قاسية، فكم يستورد العالم العربي والإسلامي من السجائر والأمور التي لا يحتاجها حاجة فعلية كاللحوم المثلجة في حين أن عندنا لحوماً طازجة، فنحن نربّي الأغنام والأبقار والمواشي؟ وكم نستورد غير ذلك من الكماليات؟ حتى أن العالم الإسلامي يعيش اليوم تحت ضغط الديون للبنك الدولي الذي يفرض على الشعوب والحكومات شروطاً في اقتصادها بحيث تربك واقعها السياسي والاقتصادي معاً، ونحن لسنا مستعدين للاستغناء عن هذه الكماليات لنحفظ عزّة أنفسنا، في حين أننا نروي في الكلمات المأثورة مما ينسب إلى الإمام علي عليه السلام ومما يمكن توظيفه أخلاقياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً ((أحسن إلى من شئت تكن أميره، واستغن عن من شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره))^(٢).

ويقال بعد أن أوصى النبي ﷺ هؤلاء المسلمين بهذه الوصية كان أحدهم إذا كان الماء إلى جانب جليسه لا يقول له: أعطني الماء بل يتناوله بنفسه، وإذا كان راكباً الفرس وسقط السوط من يده لا يقول للذي على الأرض أعطني السوط وإنما ينزل ليتناوله بنفسه، وليس مقصود النبي ﷺ هو هذا وإنما أراد الاعتماد على النفس، يعني أن تكون سيد حاجاتك وسيد شهواتك ونفسك، وأن لا تستعبد نفسك للآخرين.

((وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت)) أن أصل الرحم حتى ولو كان قاطعاً.

((وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرّاً)) بحيث أواجه كلّ مواقع الباطل فلو

جاء الباطل بكلّ إغراءاته ليقدم لي كلّ حلاوة المطامع والشهوات فإنّي أقول الحقّ لأنّ الناس إذا قالوا الحقّ وتحملوا مرارته ركّز الحقّ وجوده في الواقع، ولكنّا إذا

كنا لا نقول الحقّ بل نتحرك مع الباطل لأنّ شهواتنا تتفق مع الباطل فسوف يموت الحقّ وتموت الإيجابيات التي نحصل عليها من خلال الحقّ.

((وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم)) بحيث أنّ الله إذا أمرني في شيء ورأيت رضاه في شيء وكان كلّ الناس يلومونني ويشتمونني ويضطهدونني فإنني لا أخاف منهم بل أراقب الله في ذلك كلّ.

((وأمرني أن أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله)) التي تعني أنّ الإنسان عندما يضعف فإنّه يستمدّ الحول والقوة من الله، وعندما يقوى لا يشعر بذاتية القوة، ولا بطغيانها، بل يشعر أنها من الله سبحانه وتعالى، وأنّ الله الذي أعطاه القوة يمكن أن يسلبه تلك القوة فلا يستعمل قوّته فيما لا يرضي الله، وقد قام أبو ذر بتنفيذ كلّ هذه الوصايا في حياته.

تقييم علي ؑ لأبي ذر:

وتعالوا نسمع تقييم الإمام علي ؑ لأبي ذر (رض) وعلي مع الحق والحق مع علي وهو لا يخاف في الله لومة لائم، ولذلك فهو لا يجامل أحداً في الحقّ، فعن علي ؑ كما ينقل ذلك ابن سعد في طبقاته في الجزء الرابع حيث يقول ((لم يبق اليوم)) وهذا كان قبل خلافة علي ؑ ((أحد لا يبالي في الله لومة لائم غير أبي ذر ولا نفسي، ثم ضرب على صدره)). أي ليس هناك سوانا من لا يخاف في الله لومة لائم.

وسئل علي ؑ عن أبي ذر، فقال ((وعى علما عجز فيه وكان شحيحاً حريصاً، شحيحاً على دينه)) بحيث لا يمكّن أحداً من أن يخترق دينه أو يلعب بدينه ((حريصاً على العلم)) يتحرّك في كلّ موقع من مواقع العلم ليكتسب علماً ((وكان يكثر السؤال)) أي كان يعيش قلق المعرفة، كما نعبر هذه الأيام، وكان يحاول كلّما ارتسمت علامات الاستفهام في ذهنه أن يلاحقها ليقدمها إلى الذي يملك أن يجيبه عليها، وهذا هو الذي يريده الإسلام بأن نعيش قلق المعرفة، وأن نسأل عن كلّ شيء، وأن لا نخاف ولا نخجل من أي سؤال، لأنّ على الإنسان أن

يتعلّم فالعلم هو النور الذي يضيء قلبك وعقلك ويؤصل إيمانك ويقوّي حركتك في الحياة. ((فيعطى ويمنع)) أي يعطي الجواب تارة ويمنع تارة أخرى عندما لا يكون هناك مصلحة في الجواب. ((أما أن قد ملأ له في وعائه حتى امتلأ)) أي لكثرة ما اكتسب من علم امتلأ وعاءه به فلم يبق في وعائه متسع.

ويقول ابن سعد: ((فلم يدر ما يريد علي بقوله: وعى علماً عجز فيه، أعجز عن كشف ما عنده من العلم أم عن طلب ما طلب من العلم إلى النبي ﷺ)) وبقيت الكلمة غامضة.

فأبوذر من القلائل الذين ثبتوا مع علي ﷺ بالإضافة إلى سلمان وعمار، لأنّ القضية كانت عندهم في مستوى الوضوح الذي ليس فيه أي مجال لأية شبهة أو لأي خلل.

أبو ذر المعارض:

وقد برز موقف أبي ذر المعارض في زمن عثمان، أي لم ينقل عنه أنّه كان في خطّ المعارضة القوية في زمن أبي بكر وعمر، فكيف بدأت معارضته؟ يقول ابن أبي الحديد: إن عثمان لما أعطى مروان بن الحكم وغيره بيوت الأموال واختصّ زيد بن ثابت بشيء منها جعل أبو ذر يقول بين الناس، وكان المعارض الوحيد آنذاك، فكأنّ الناس في ذلك الوقت لم يكونوا يجرون على نقد الحاكم بالرغم من أنّهم تعلّموا من رسول الله ﷺ أن يسألوا عن كلّ شيء حتى بما يتصل برسول الله ﷺ وهو سيد الخلق وهو المعصوم، فكانوا يعترضون ولم يكن يتعقّد من اعتراضهم حتى كانوا يسيئون الأدب معه، ولم يكن يعاقبهم على ذلك، حتى أن (عباس بن مرداس) جاءه في معركة حنين وكان النبي ﷺ يوزّع الغنائم، فقال له: إعدل يا محمد! قال: ((ويحك ومن يعدل إذا لم أعدل))، ولم يعنّفه، ولكن العهد كان قد بعد ونسي الناس الكثير مما كان رسول الله ﷺ قد علّمهم إياه.

وهذا ما نحتاجه في واقعنا، فنحن صرنا نخاف أن نعيش المعارضة.

يقول: ((جعل أبو ذر يقول بين الناس وفي الطرقات والشوارع بشر الكافرين بعذاب أليم، ويرفع بذلك صوته ويتلو قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٣) فرفع ذلك إلى عثمان مراراً وهو ساكت ثم أنه أرسل إليه مولى من مواليه أن أنته عما بلغني عنك)) أي كف عن ذلك ((فقال أبو ذر: أو ينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله)).

ومن هذا نستوحي أننا في بعض الحالات قد نعيش الضغط السياسي أمام الحاكم الجائر والمحتل، وقد لا نستطيع أن نتكلم بشكل حر فيمكن في هذه الحال أن نلجأ إلى القرآن لنقرأه، وقد كنت أقول للناس في أيام الاحتلال الإسرائيلي للبنان في عام ١٩٧٨ وكان ضاغطاً ضغطاً شديداً، إن لديكم حفلات تأبينية فاختاروا في قراءة القرآن الآيات التي تتحدث عن اليهود، كقوله تعالى ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾^(٤). وقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾^(٥). وما إلى ذلك، فالقرآن يمكن أن يكون الناطق بلسان الأمة في هذه المواقف ويعرّف الناس بما عليه اليهود، وهذا لون من ألوان المعارضة السياسية الصامتة، وهذا هو أسلوب أبي ذر.

((قال: أو ينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله تعالى وعيب من ترك أمر الله تعالى)) فأنا أتحدث عن الذين تركوا أمر الله تعالى ((فوالله لئن أَرْضَى الله بسخط عثمان أحب إليّ وخير لي من أن اسخط الله برضا عثمان)) فحينما يدور أمري بين رضا الله وسخط عثمان فرضا الله يقدم وهو فوق سخط الساخطين ((فأغضب عثمان ذلك وأحفضه فتصابر وتماسك إلى أن قال عثمان يوماً والناس حوله: أيجوز للإمام)) أي للخليفة ((أن يأخذ من المال شيئاً قرضاً، فإذا أيسر قضى)) أي استقرض مالاً من بيت المال وإذا توفر المال لديّ أوفى ديني ((قال

(٣) التوبة: ٣٤.

(٤) المائدة: ٦٤.

(٥) البقرة: ٣٧.

كعب الأحبار)) وكان يهودياً وأسلم ((لا بأس بذلك، فقال أبو ذر: يا ابن اليهوديين أتعلّمنا ديننا؟ فقال عثمان: قد كثر أذاك لي وتولّعك بأصحابي، الحق بالشام)) فأخرجه إليها فنفاه إلى الشام، وقد ارتاح منه فابتلي به معاوية ((فكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها فبعث إليه معاوية يوماً بثلاثمائة دينار، فقال أبو ذر لرسوله: إن كانت من عطائي الذي حرمتومني عامي هذا أقبله، وإن كان الصلة فلا حاجة الي بها وردّها عليه، ثم بنى معاوية الخضراء بدمشق، فقال أبو ذر: يا معاوية إن كانت هذي من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت مالك فهي الإسراف)) وكان أبو ذر يقول وهو في الشام ((والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه ﷺ والله إنني لأرى حقاً يطفأ وباطلاً يحيا وصادقاً مكذباً وأثرة بغير تقى وصالحاً مستأثراً عليه)). (قال، حبيب بن مسلم الفهري لمعاوية إن أبا ذر لمفسد عليكم الشام فتدارك أهله إن كان لك فيها حاجة)).

وكتب معاوية إلى عثمان إذا كان لك حاجة في الشام فخذ أبا ذر عندك فلا أستطيع تحمّله لأنّه يفسد علي الشام، وحينما رجع أبو ذر إلى المدينة أعاد الكرة من جديد فأمر عثمان به ونفاه إلى الربرة وهي منطقة نائية ليس فيها شيء من شروط الحياة المعقولة، وعندما أخرج أمر عثمان أن ينادى في الناس: ((لا يكلم أحد أبا ذر ولا يشيعة، وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به فخرج به وتحاماه الناس إلا علي بن أبي طالب وعقيلاً أخاه وحسناً وحسيناً ﷺ وعمّاراً فإنهم خرجوا معه يشيعونه. يقول الراوي فجعل الحسن ﷺ يكلم أبا ذر، فقال مروان: إيه يا حسن ألا تعلم أن أمير المؤمنين قد نهى عن كلام هذا الرجل، فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك، فحمل علي ﷺ على مروان فضرب بالسوط بين أذني راحلته، وقال: تنح لحاك الله إلى النار، فرجع مروان إلى عثمان مغضباً فأخبره فتلقّى علي ﷺ فوقف أبو ذر يودّعه القوم ومعه ذكوان مولى أم هاني، قال ذكوان فحفظت كلام القوم وكان حافظاً)).

وداع علي ؑ

((فقال علي ؑ: يا أبا ذر إنك غضبت لله فارجو من غضبت له)) فأنت لم تغضب لنفسك بل رأيت منكراً فنهيت عنه، ورأيت معروفاً يترك فأمرت به ((إن القوم خافوك على دنياهم)) لأنهم أرادوا أن يحصلوا على الدنيا بطريقة غير شرعية وخافوا من الذي يرصدهم ((وخفتهم على دينك)) لأنهم أرادوا أن يأخذوا منك دينك ترغيباً وترهيباً ((فاترك في أيديهم ما خافوك عليه)) أترك لهم دنياهم ((واهرب منهم بما خفتهم عليه فما أحوجهم إلى ما منعهم)) لأنه هو الذي ينجيهم في الآخرة ((وأغناك عما منعوك)) لأنك لست طالب دنيا ((وستعلم من الرابع غداً الأكثر حسداً)) فالحسد ليس في الدنيا وإنما الحسد في يوم القيامة عندما يؤمر بأناس إلى النار ويؤمر بآخرين إلى الجنة.

((ولو أن السماوات والأرضين كانتا على عبد رتقا)) أي مغلقتين ((ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً)) «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً»^(٦). ((لا يؤنسك إلا الحق)) فلو أن الناس كلهم تركوك وكان الحق معك فإن الحق هو الأنيس الذي يؤنس عقلك وقلبك وحياتك ((ولا يوحشك إلا الباطل)) لأن الباطل لا يملك العناصر التي تفتح عقل الإنسان وروحه بل يملك العناصر التي تسقط للإنسان روحه وحياته ((ولو قبلت دنياهم لأحبوك)) أي لكنت أصبحت من فريقهم ((ولو قرضت منها)) أي لو أخذت منها مما يريدون أن يرشوك به ((لأمنوك)).

وداع الآخرين:

((ثم قال لأصحابه ودعوا عمكم، وقال لعقيل: ودع أخاك، فتكلم عقيل وقال: ما عسى أن نقول يا أبا ذر وأنت تعلم أنا نحبك وأنت تحبنا فاتق الله فإن التقوى نجاة واصبر فإن الصبر كرم، واعلم أن استئثالك من الجزع واستبطائك

العافية من اليأس)).

ثم تكلم الحسن ؑ فقال: ((يا عمّاه لو لا أنّه لا ينبغي للمودّع أن يسكت وللمشيّع أن ينصرف لقصر الكلام وان طال الأسف، وقد أتى القوم إليك ما ترى فضع عنك الدنيا بتذكر فراغها، وشدة ما أشدّ منها برجاء ما بعدها، وأصبر حتى تلقى نبيك ؑ وهو عنك راض)).

ثم تكلم الحسين ؑ فقال: ((يا عمّاه، إنّ الله تعالى قادر أن يغيّر ما قد ترى)) فهذا لا يدوم، وهذا يعني أنّ الحسين ؑ كان يفكّر في التغيير منذ ذلك الوقت، وكان هاجسه أنّ الواقع السيء لا بدّ أن يتغيّر ((والله كلّ يوم هو في شأن، وقد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينك، فما أغناك عمّا منعوك وأحوجهم إلى ما منعتهم! فاسأل الله الصبر والنصر، واستعدّ به من الجشع والجزع، فإنّ الصبر من الدين الكرم، وإنّ الجشع لا يقدم رزقاً، والجزع لا يؤخّر أجلاً)).

ثم تكلم عمّار ؑ مغضباً، فقال: ((لا آنس الله من أوحشك، ولا آمن من أخافك، أما والله لو أردت دنياهم لأمتوك، ولو رضيت أعمالهم لأحبّوك، وما منع الناس أن يقولوا بقولك إلا الرضا بالدنيا، والجزع من الموت، مالوا إلى ما سلطان جماعتهم عليه، والملك لمن غلب، فوهبوا لهم دينهم، ومنحهم القوم دنياهم، فخسروا الدنيا والآخرة، ألا ذلك هو الخسران المبين)).

تعقيب أبي ذر:

فبكى أبو ذر ؓ وكان شيخاً كبيراً، وقال: ((رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة! إذا رأيتمكم ذكرت بكم رسول الله ﷺ مالي بالمدينة سكن ولا شجن غيركم، إنّني ثقلت على عثمان بالحجاز، كما ثقلت على معاوية بالشام، وكره أن أجاور أخاه وابن خاله بالمصريين، فأفسد الناس عليهما، فسيرني إلى بلد ليس لي به ناصر ولا دافع إلا الله، والله ما أريد إلا الله صاحباً، وما أخشى مع الله وحشة)) فلا تخافوا عليّ ما دمت مع الله والله معي ((يا صاحبي في شدّتي)) ولا يستوحش من كان الله معه.

ورجع القوم إلى المدينة فجاء علي ؑ إلى عثمان، فقال له: ((ما حملك على ردّ رسولي، وتصغير أمري، فقال علي ؑ: أمّا رسولك، فأراد أن يردّ وجهي فرددته، وأمّا أمرك فلم أصغره.

قال: أمّا بلغك نهبي عن كلام أبي ذر قال: أو كلّما أمرت بأمر معصية أطعناك فيه، قال عثمان: أقد مروان من نفسك)). أي لمروان قصاص عليك. ((قال ممّ ذا؟ قال من شتمه وجذب راحلته، قال: أمّا راحلته فراحلتي بها، وأمّا شتمه إياي، فوالله لا يشتمني شتمه إلا شتمتك مثلها، لا أكذب عليك)).

خط الإسلام:

أيّها الأحبة: هذا هو أبو ذر، وهذا هو صاحب رسول الله ﷺ وهذا هو علي ؑ وهؤلاء هم أهل بيت الرحمة في موقفهم مع الحقّ ومع المظلوم وفي مواجهتهم للباطل وللظلم كلّ.

وما نريد أن نأخذ الدرس منه هو هل نكون في خط علي ؑ وأهل بيته ؑ لنقف مع المظلوم سواء كان شخصاً أو شعباً أو أمّة؟ ونقف ضد الظالم سواء كان دولة أو محوراً دولياً أو شخصاً؟ هي وتلك وصية علي ؑ لولديه الحسن والحسين ؑ: ((كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً)) لنكن مع المظلومين حتى لو لم يكونوا مسلمين، ولنكن ضد الظالمين حتى ولو كانوا مسلمين لأنّ الله لا يريد لأحد أن يظلم ولا يريد لأحد أن يظلم، وقد علّمنا زين العابدين ؑ أن نطلب من الله أن يقينا من أن نظلم الناس، كما يقينا من أن يظلمنا الناس، وذلك هو دعاؤه: ((اللهم فكما كرّهت لي أن أظلم فقني من أن أظلم)) وذلك من دعائه ((ولا أظلمن وأنت مطيق للدفع عني ولا أظلمن وأنت قادر على القبض مني)).

أيّها الأحبة: ذلك هو خط الإسلام.. خط أهل البيت ؑ خطّ العدل كلّ.. خط الحقّ كلّ.. خط الوقوف مع المظلومين ضد الظالمين ومع المستضعفين ضد المستكبرين ومع المبطلين ضد المحقين. فإذا أردتم أن تكونوا مع الحق، فالحق مع علي وعلي مع الحق يدور معه حيثما دار، ولا مكان للباطل في دائرة علي ؑ فمن

أراد أن يكون مع علي عليه السلام ومع الباطل فإنه لا يقترب من علي عليه السلام قيد شعرة،
والحمد لله رب العالمين.

في مدرسة الإمام علي عليه السلام (١٢) (مالك الأشر) تلميذ علي عليه السلام البارّ

○ عندما نتحدث عن

شخصية مالك الأشر فالأجل أن

نعمل على صناعة أكثر من مالك

الأشر ○

- شخصية مالك الأشر (رض).
- سيف الله.
- عهد علي عليه السلام إلى مالك الأشر.
- موقف الأشر من رفع المصاحف.
- تقييم الأشر لعلي عليه السلام.
- تقييم علي عليه السلام للأشر (رض).
- الأشر وأبو ذر.
- الغرض من دراسة هذه الشخصيات.



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

شخصية مالك الأشتر (رض):

كنّا مع أبي ذر الغفاري (رض) .. واليوم نلتقي بشخصية حركية مجاهدة واعية في كلّ مجالاتها، وهي شخصية مالك الأشتر (رض). هذا الإنسان الذي يتحدّث عنه المؤرخون أنّه أسلم في حياة النبي ﷺ عندما سمع بالإسلام، ولكن ظروفه لم تساعد على أن يلتقي النبي ﷺ فيكون من أصحابه. وقد روي عن رسول الله ﷺ أنّه سمع عنه، فقال: ((إنّه المؤمن حقاً)) وهي شهادة عظيمة من رسول الله ﷺ من خلال ما حدّث عنه مما يوحي بأنّ الرجل كان من المسلمين الذين امتلأت عقولهم بالإسلام ونبضت قلوبهم به، وعاشت حياتهم لأجله بالرغم من بعده عن مجتمع الإسلام، لأنّ الإنسان الذي يفتح على الإسلام وهو في جو رسول الله ﷺ يختلف عن الإنسان الذي عاش الإسلام وهو في مناخ آخر، فإذا استطاع أن يبلغ الدرجة العليا في وعيه الإسلامي وهو في مناخ بعيد عن المناخ الإسلامي في أجوائه الفكرية والروحية والعملية فإنّ ذلك يمثل درجة عالية بالنسبة له.

وقد انطلق مالك الأشتر بعد رسول الله ﷺ ليدخل المجتمع الإسلامي من الباب الواسع فكان المجاهد في الفتوحات الإسلامية عندما انطلق المسلمون بها بعد رحيل رسول الله ﷺ كما تحدّث المؤرخون. وقد ارتبط بالإمام علي ﷺ مبكراً عندما عاش فكره وروحه وجهاده واندمج معه بكلّ شخصيته، وهذا ما نقرأه في العلاقة الوثيقة التي كانت تشده لعلّي ﷺ وتشدّ علياً ﷺ له بحيث تشعر أنّ علياً ﷺ

كان ينظر إلى هذا الرجل كشخص يمثل بمفرده قوة له وللإسلام وللمسلمين آنذاك بحيث أنه عندما أستشهد عبّر عنه الإمام (عليه السلام) بأنّ هناك ركناً كبيراً قد انهار.

لذلك نحاول هنا أن ندرس بعض عناصر هذه الشخصية من خلال بعض مواقفه، ونبدأ بكتاب علي (عليه السلام) إلى أهل مصر عندما استخلفه ليكون والياً إلى مصر، ونلاحظ من خلال ذلك كيف هي نظرة الإمام علي (عليه السلام) إلى المسلمين في مصر في معارضتهم للوالي الذي أرسله عثمان وعاث في الأرض فساداً فواجهوه بكلّ قوة وأبعدوه عن موقع الولاية.

من كتاب له (عليه السلام) إلى أهل مصر لما ولى عليهم الأشر ((من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله حين عصي في أرضه)) فالإمام (عليه السلام) كان يواكب الأحداث وكان يريد أن يؤكّد هذا الخطّ وهو خطّ المعارضة لكلّ سلطة تعصي الله في الناس فتفسد حياتهم وتتحرك بالظلم فيهم، وكان يريد للناس أن يغضبوا لذلك وأن لا يسكتوا ولا يقفوا على الحياد بل أن يواجهوا الظلم لاسيما إذا كان متمثلاً في المعصية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية من خلال انحرافه عن البرنامج الذي وضعه الله للعدل في الناس.

((وغضب بحقه)) أي أنّ أهل مصر غضبوا لحقّ الله في العدل فالله يأمر بالعدل، وقد أقام الحياة كلّها على أساس الحقّ والعدل ((فضرب الجور سرادقة على البرّ والفاجر)) والسرادق مثل الخيمة وهو الغطاء الذي فوق صحن البيت، وهذا هو كناية عن سيطرة الجور المطلقة على المجتمع ((والمقيم والضامن)) أي ضرب الجور سطوته على المقيم في البلد والضامن عنه أي المسافر ((فلا معروف يستراح إليه)) فقد تركت السلطة المعروف الذي يطمئن الناس ويسكنون إليه ((ولا منكريتناهى عنه)).

تلك كانت الصورة في السلطة (الإسلامية) التي كانت تسيطر على مصر قبل أن يرسل إليها الإمام (عليه السلام) مالك الأشر (رض) ((أما بعد، فقد بعثت إليكم

عبداً من عباد الله)) يعيش العبودية لله من خلال إيمانه به وطاعته له وجهاده في سبيله ((لا ينام أيام الخوف)) فلا يبتعد عن الخوف لينجو بنفسه ولكنه يقتحم الخوف في مواقعه ويواجهه بكل قوة من أجل أن يطرد شره عن الناس، والمقصود بأيام الخوف تلك الأيام التي يسيطر فيها الظلم ويخاف الناس فيها سطوة الظالم وسيطرته، ((ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع)) أي لا يجبن في ساعات الصراع والشدّة والقتال ((أشدّ على الكفار من حرق النار)) من خلال قوته وبأسه ((وهو مالك بن الحارث أخو مدحج فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحق)). وهذه نقطة على غاية من الأهمية، فنحن نعرف أن مالكا هو من أصحاب علي عليه السلام المميزين ومع ذلك فإنه عندما أرسله إليهم قال هذه الكلمة ((اسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحق)) أي لم يطالبهم بالطاعة المطلقة له، بل قال ادرسوا ما يأمركم به وينهاكم عنه فإن الرجل يتحرك في الحق، ولكنه إذا أخطأ الحق فلا تطيعوه ولا تسمعوا له، وليكن الحق الأساس في علاقاتكم بالوالي وبالحاكم كمنطلق ونهج عام، ونستفيد من هذه الفكرة على المستوى الديني والسياسي والاجتماعي، أن الإنسان المسؤول عندما يرسل مندوباً عنه فعليه أن لا يعطيه الثقة المطلقة بحيث يطلب من الناس إطاعته بشكل مطلق بل يطالب بذلك من خلال ثقته به بشرط أن يكونوا واعين لما يأمرهم وينهاهم ليقارنوا بين ذلك وبين ما يعرفون من الحق، فإذا كان مع الحق ساروا معه، وإذا لم يكن معه لم يسيروا معه، وهذا ما نلاحظ خلافاً لدى كل المسؤولين سواء كانوا من الدينين أو السياسيين أو الاجتماعيين أو الحزبيين فهم يعطون الثقة المطلقة ويطلقون يد مندوبهم أو المسؤول المرسل من قبلهم على الناس، فإذا ما أخطأ الحق كانوا معه ضد الناس وكأنه لا يخطئ، وهذه هي العصبية العمياء الطائفية منها والعائلية والحزبية، ونحن أمة العصبيات. ولكن علينا أن نعلم أن كان مع الحق وكان الحق معه وما ترك له الحق من صديق حتى أقرب الناس إليه.

فلا بدّ أن نستوحي من كلمة الإمام علي عليه السلام الكثير من المعاني، لأنّ بعض الناس يريدون السير مع علي عليه السلام، حتى وهو في رحاب الله، على الحق وعلى الباطل الذي يتحرّكون فيه أو يُنسَبون إليه زوراً وبهتاناً، والحال أنّ الإمام عليه السلام مع الحق ولا مكان له مع الباطل ولا للباطل مكان معه.

سيف الله:

((فإنّه سيف من سيوف الله)) وهذا هو الوسام الرائع العظيم أن تقول عن شخص أنّه سيف من سيوف الله فإنّ ذلك لا يصحّ إلّا إذا كان شاهراً سيفه في ساحة الحرب وسيفه (أي مواقفه) في ساحات السلم، أي يتحرك في خط الله ويستقيم في محبته مهما اختلفت الأمور ولا يشهره في غير هذا الاتجاه. فهذا تقييم كبير وكلمة رائدة لم يقلها علي عليه السلام لأحد ((لا كليل الضبّة)) والضبّة هو حدّ السيف والسنان، والكليل الذي لا يقطع فهو ليس من قبيل السيوف التي لا تقطع فإذا توجّه إلى أي موقع فإنّه يقطعه أي أنّه سيف بتّار ((ولا نابي الضريبة)) ونبا الشيء إذا ارتفع، فمالك إذا توجه إلى شيء لا يرتفع ولا يبتعد عنه بل يواجهه ويقع فيه.

((فإن أمركم أن تنفروا فانفروا، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا)) لأنّه يعرف كيف يوجه الأمر بالحرب فيما يصلح الناس، وكيف يوجه الأمر بالقعود فيما يصلح أمرهم ((فإنّه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخّر ولا يقدم إلّا عن أمري)) أي يريد أن يقول إن مالكا الأشتر هو نفسي، فإذا أمركم بالنفير فأنا الذي أمركم به، وعندما يأمركم بالإقامة فهذا هو أمري، وعندما يحجم عن الانطلاق في أي طريق فأني أنا الذي أحجم، وعندما يقدم فأني أنا الذي أقدم، إنّه يمثل موقفني في كلّ ما يقف فيه من مواقف.

((وقد أترتكم به على نفسي)) فأنا احتاجه للرأي وللحركة وللدفاع وليحوط لي ما أريد حياطته من المجتمع، لكنني عندما درست أوضاعكم وأدركت أن مصر تمثل الثغر الذي لا بدّ من رعايته وحمايته وتقويمه لذلك بعثت لكم هذا

الرجل الشديد في الله. ((لنصيحته لكم)) فلقد جاءكم ناصحاً ((وشدة شكيمة على عدوكم)) والشكيمة هي الحديدية المعترضة التي تضبط الفرس من الانطلاق، وهذا كناية عن قوة النفس وشدة البأس. ((والسلام)).

عهد علي عليه السلام إلى مالك الأشتر:

هذه هي رسالة الإمام عليه السلام إلى أهل مصر في تولية الأشتر عليهم. وكان الإمام عليه السلام عندما أرسل مالك الأشتر إلى أهل مصر كتب عهده إليه كقانون إداري ينظم له كل قواعد الحكم في الناس، ولا يزال عهد الإمام لمالك الأشتر يمثل الوثيقة التي تقن النظام الإداري في جانبه الأخلاقي والاجتماعي والسياسي والأمني بحيث أن الباحثين لا يزالون يبحثون ليروا فيه النظرية الإسلامية في الحكم والإدارة، أي كيف يمارس الحاكم المسلم السلطة الإسلامية على الناس في هذا الخط القانوني والذي يمثل القاعدة الفكرية الإسلامية والخط الأخلاقي الإسلامي والنظام الإداري؟ ولعلنا نرى أن الإمام عليه السلام لم يبعث هذا العهد إلا إلى أهل مصر وإلا إلى مالك الأشتر، فلقد كان للإمام عليه السلام عمال كثيرون وكان يعظهم ويرشدهم ويعطيهم بعض التوجيهات والتعليمات الكثير ولكنه لم يعط أي وال من ولاته مثل هذه الثروة القانونية والإدارية، ومن ذلك نفهم أن الإمام عليه السلام كان يهتم بمصر. وفي عهده لمالك يتحدث الإمام عليه السلام أن مصر مرت عليها حضارات ودول فأراد الإمام عليه السلام أن يقدم لهؤلاء الذين يمتد تاريخهم الحضاري قروناً سحيقة إلى ممالك وحضارات حتى يقدم الإسلام في مواجهة تلك الحضارات.

كما أن الإمام عليه السلام كان يثق بأن مالك الأشتر يملك من الفكر والوعي ما يستطيع أن يستوعب به كل هذا النظام الإداري الإسلامي وينفذه، فعندما تقدم برنامجاً فيه الكثير من العمق وحركية السلطة وتنظيم الإدارة لشخص معين فلا بد أن يكون ممن يملك الثقافة والوعي والروحانية والإخلاص ليعي هذا البرنامج في آفاقه وتطبيقاته. فنحن نستطيع أن نفهم القدرة الفكرية التي يتميز بها مالك الأشتر من خلال دراستنا لعهد الإمام عليه السلام لمالك. وكان معاوية يعرف

قيمة مالك الأشتر، كما كان يعرف قيمة محمد بن أبي بكر، وكان يهتم اهتماماً شديداً بمصر لأنه كان يريد أن يجمع لنفسه مصر والشام. ولذلك عندما أرسل الإمام عليه السلام محمد بن أبي بكر دس معاوية إليه السم، وعندما أرسل الإمام عليه السلام مالك الأشتر عمد إلى شخص في ذمته ضرائب كثيرة وقال له سأعفيك من الضرائب كلها بشرط أن تقتل مالك الأشتر، فعقد صداقة وطيدة مع مالك ودعاه إلى مأدبة ودس إليه السم في شراب عسل واستشهد مالك مسموماً، وينقل عن معاوية قوله: ((كان لعلي يمينان فقطعتهما)) وقال ((إن لله جنوداً من عسل)).

موقف الأشتر من رفع المصاحف:

وعندما نريد أن ننفذ إلى جوانب أخرى في شخصية مالك الأشتر، فإننا نلاحظ أن هناك عدة نصوص تتحدث عن تأريخ الرجل، ونلتقط من ذلك بعض اللقطات، حيث يقال عن مالك أنه شهد أكثر مشاهد علي عليه السلام: الجمل وصفين، والموقف المميز له موقفه في صفين حيث كاد أن يحسم الحرب لصالح علي عليه السلام ويهزم معاوية ولكن لما رفعت المصاحف تغير الوضع.

ينقل المؤرخون أن جماعة معاوية عندما اشتدت المعركة وبات النصر متجهاً لصالح جيش الإمام علي عليه السلام استشار معاوية عمرو بن العاص فأشار عليه برفع المصاحف وتتادى القوم أن تعالوا لكتاب الله ليحكم بيننا، وعندما سمع الإمام علي عليه السلام ذلك قال ((والله إنهم ما رفعوها حقاً إنهم يعرفونها ولا يعملون بها وما رفعوها لكم إلا خديعة ومكيدة أعيروني سواعدكم وجماعكم ساعة واحدة)) أي أصبحنا من النصر قاب قوسين أو أدنى ((فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا فجاءه زهاء عشرين ألفاً مقنعين بالحديد وشاكي السلاح سيوفهم على عواتقهم وقد سودت جباههم من السجود)) فلقد كانوا يسجدون من دون وعي ولا عقل ولا تقوى ((يتقدمهم مسعر بن فدكي وزيد بن حصين وعصابة من القراء الذين صاروا خوارج من بعد، فنادوه يا علي: أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت إليه ولا قتلناك)).

((فقال لهم: أنا أول من دعا إلى كتاب الله، وأول من أجاب إليه وليس يحلّ لي ولا يسعني أن أدعى إلى كتاب الله فلا أقبله، إني إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن، فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم ونقضوا عهده ونبذوا كتابه ولكني قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم)) فهذه مؤامرة وخديعة ((وأنهم ليسوا بالعمل بالقرآن يريدون)) بل أرادوا أن يفرّقوا المجتمع ويمزّقوه وأن يجعلوكم في موضع النزاع ((قالوا فابعث إلى الأشتر ليأتيك، وكان الأشتر صبيحة ليلة الهيرير قد أشرف على معسكر معاوية ليدخله. فأرسل إليه يزيد بن هانئ فأتاه فبلغه. فقال الأشتر: قل له (أي للإمام) ليس هذه الساعة ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقعي إني قد رجوت أن يفتح الله بي فلا تعجلني. فرجع يزيد بن هانئ إلى علي فأخبره، وارتفع الرهج وعلت الأصوات من قبل الأشتر وظهرت دلائل الفتح والنصر لأهل العراق ودلائل الخذلان والإدبار على أهل الشام)). وهذه هي مشكلة القيادة الواعية حينما تبطل بقاعدة غير واعية يمكن لكلّ لاعب أن يتلاعب بها ويخدعها. ((فقال له القوم: والله ما نراك إلّا أمرته بقتال القوم)). وكانوا أغبياء يشكّون بكلّ حركة تصدر عن علي ؑ فلقد اتهموه أنه لم يأمر مالكا بالانسحاب ((قال: رأيتم ساررت رسولي؟ أليس إنّما كلمته على رؤوسكم علانية وأنتم تسمعون! قالوا: فابعث إليه فليأتك والا والله اعتزلناك! قال: ويحك يا يزيد قل له أقبل فإنّ الفتنة قد وقعت)) أي أن معاوية انتصر الآن لأنّه مرّق الجيش ((فأتاه فأخبره، فقال الأشتر: الرفع هذه المصاحف؟ قال: نعم. قال: أما والله لقد ظننت أنّها حينما رفعت ستوقع اختلافاً وفرقة، وقال الله لنا، أينبغي أن ندع هذا أو ننصرف عنه.

فقال له يزيد: أتحبّ أنك ظفرت ها هنا وأمير المؤمنين بمكانه الذي هو به يفرج عنه ويسلم إلى عدوه. قال: سبحان الله، والله ما أحبّ ذلك، قال: فإنهم قالوا لترسلنّ إلى الأشتر فليأتينك أو لنقتلنك كما قتلنا عثمان. أو لنسلمك إلى عدوك)). ومن هنا نعرف حجم مأساة الإمام علي ؑ التي اعتبرها أعظم من

مأساة الإمام الحسين عليه السلام لأنه ابتلي بهذا المستوى من الناس.

((فأقبل الأشر، فصاح: يا أهل الذلّ والوهن، أحين علوتم القوم فظنّوا أنكم لهم قاهرون، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها، وقد والله تركوا ما أمر الله فيها وسنة من أنزلت عليه، فلا تجيبوهم أمهلوني فواقا فإنّي قد أحسست بالفتح، قالوا: لا، قال: فأمهلوني عدو الفرس، فإنّي قد طمعت في النصر، قالوا: إذن ندخل معك في خطيئتك. قال: فحدثوني عنكم، وقد قتل أمثالكم وبقي أراذلكم متى كنتم محقّين حيث كنتم تقتلون أهل الشام فأنتم الآن حين أمسكنم عن القتال مبطلون أم الآن محقّون فقتلكم الذين لا تنكرون فضلهم، كانوا خيراً منكم في النار! قالوا: دعنا منك يا أشر، قاتلناهم في الله وندع قتالهم في الله، إنّنا لسنا نطيعك فاجتنبنا، قال: خدعتم والله فانخدعتم ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتكم، يا أصحاب الجباه السود كنّا نظنّ أنّ صلاتكم زهادة في الدنيا وشوق في لقاء الله، فلا أرى فراركم إلّا إلى الدنيا من الموت ألاّ قبحا يا أشباه النيب. ما أنتم برائين بعدها عزّاً أبداً فابعدوا كما بعد القوم الظالمون، فسبّوه وسبّهم وضربوا بسياطهم وجهه دابته وضرب بسوطه وجوه دوابهم فصاح بهم علي فكفّوا)).

((ولما كتبت صحيفة التحكيم دعي لها الأشر ليوقعها فيمن وقّعها)) بصفته قائداً عسكرياً ((فقال: لا صحبتني يمين ولا نفعني بعدها الشمال إن كتب لي في هذه الصحيفة اسم على صلح أو موادة، أو لست على بينة من ربي ويقين من ضلالة عدوي، أو لستم قد رأيتم الظفر إن لم تجمعوا على الخور؟ فقال له رجل: إنّك والله ما رأيت ظفراً ولا خوراً هلمّ فاشهد على نفسك وأقر ربّما في هذه الصحيفة فإنّه لا رغبة بك عن الناس. قال: بلى والله إن لي لرغبة عنك في الدنيا للدنيا وفي الآخرة للآخرة، ولقد سفك الله بسيفي هذا دماء رجال ما أنت بخير منهم عندي ولا أحرم دما، ثم قال: لكن رضيت بما صنع أمير المؤمنين، ودخلت فيما دخل فيه وخرجت عما خرج منه فإنّه لا يدخل إلّا في هدى

وصواب)). فأنا لست مقتنعاً بهذا التحكيم، وأنا أعلم أن علياً عليه السلام ليس مقتنعاً بذلك لكن هناك ضغطاً مورس عليه، وعلي عليه السلام أميري وأنا مستعد أن أسير خلفه معصوب العينين لأنه مع الحق والحق معه، ولذا فأنا أطيعه. وهذا الموقف يبين مدى إخلاص الأشر فهو القائد الذي يطيع الله من خلال إطااعته وليه.

تقييم الاشر لعلي عليه السلام:

والآن دعونا نتعرف على تقييم مالك الأشر لعلي عليه السلام، فهو لم يكن فقط مقاتلاً من الطراز الأول بل كان يحاول أن يعرف الناس بعلي عليه السلام وكان يريد أن يجمع الناس على طاعة علي عليه السلام وأن يبتعد بهم عن كل ما كان يثار ضده من قبل القاسطين والناكثين والمارقين.

قال في خطبة له: ((معنا ابن عم نبينا، وسيف من سيوف الله علي بن أبي طالب، صلى مع رسول الله لم يسبقه إلى الصلاة ذكر حتى كان شيخاً، لم يكن له صبوة)) فلم يصبو إلى دنيا أو شيء من الدنيا ((ولا نبوة)) فلم ينحرف قيد أنملة ((ولا هفوة ولا سقطه)) لأنه المعصوم الذي لا يخطئ ((فقيه في دين الله تعالى عالم بحدود الله وعليكم بالحزم والجدة. واعلموا أنكم على حق وأن القوم على باطل إنما تقاتلون معاوية وأنتم مع البدرين قريب من مائة بدري سوى ما هو لكم من أصحاب محمد، أكثر ما كان وحكم رايات)) فهذه الرايات التي هي معكم كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل فريق يعرف من خلال الرايات التي ترفع فيه ((وعدونا مع رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله، فمن يشك في قتال هؤلاء الأمت القلب، أنتم على إحدى الحسنين إما الفتح أو الشهادة، عصمنا الله وإياكم بما عصم به من أطاعه وألهمنا وإياكم طاعته وتقواه، واستغفر الله لي ولكم)).

وله خطبة أخرى في صفين: يقول فيها: ((الحمد لله الذي جعل فينا ابن عم نبيه أقدمهم هجرة وأولهم إسلاماً، سيف من سيوف الله صبه الله على أعدائه. فانظروا إذا حمي الوطيس وثار القتال وتكسر المران، وجالت الخيل

بالأبطال فلا أسمع إلا غمغمة أو همهمة فاتبعوني وكونوا في أثري)).
وهذا يعني وعي الأشر لعلي عليه السلام ومنزلته ولأوضاعه كلها.

تقييم علي عليه السلام للأشتر (رض):

وفي المقابل دعونا ننظر كيف كان يقيم علي عليه السلام مالك الأشتر (رض)؟ يقول عليه السلام: ((كان لي مالك كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله)) وهذه مرتبة عالية، ولقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وآله عندما برز علي عليه السلام لعمر بن عبد ود «رَبِّ لَّا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ»^(١). وكان المسلمون كلهم معه.

وعندما بلغه موت الأشتر، قال ((إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْتَسِبُهُ عِنْدَكَ فَإِنْ مَوْتَهُ مِنْ مَصَائِبِ الدَّهْرِ، ثُمَّ قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ مَالِكًا فَقَدْ كَانَ وَفِيًا بَعْهَدِهِ وَقَضَى نَحْبَهُ وَلَقِيَ رَبَّهُ مَعَ أَنَا قَدْ وَطَّنَا أَنْفُسَنَا عَلَى أَنْ نَصْبِرَ عَلَى كُلِّ مَصِيبَةٍ بَعْدَ مَصَابِنَا بِرَسُولِ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ)). وهذه كلمة لم يقلها علي عليه السلام في فقد أي رجل من أصحابه.

وحدثت أشياخ النخع، قالوا: ((دخلنا على أمير المؤمنين حيث بلغه موت الأشتر فوجدناه يتلهف ويتأسف عليه، ثم قال: لَلَّهِ دَرُّ مَالِكٍ وَمَا مَالِكٌ؟! وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مِنْ جَبَلٍ لَكَانَ فَنَدًا)) والفند هي القطعة العظيمة من الجبل ((ولو كان من حجر لكان صلدًا)) والصلد هو الصلب شديد الصلابة ((أما والله ليهدن موتك عالمًا ويفرحن عالمًا)) فالأنك كنت تمثل قوة كبيرة لعالم الإسلام فإنه سيجزن لفقدك، ولكن عالم الضلال سيفرح بموتك لأنك كنت شديدًا عليه ((على مثل مالك فلتبك البواكي، وهل موجودٌ كمالك)). أي ما أقول في رجل هزمت حياته أهل الشام وهزم موته أهل العراق. ومن خلال ذلك نعرف - أيها الأحبة - قيمة مالك الأشتر، فربما لم ينقل لنا التاريخ الكثير من خصائصه وعناصره الشخصية، ولكن كلمات علي عليه السلام عنه تدلنا على أن الرجل كان في المنزلة الخصيصة من علي عليه السلام كما كان علي عليه السلام في المنزلة الخصيصة من رسول الله صلى الله عليه وآله.

الاشتر وأبو ذر:

ونحن نعرف أيضاً أن مالك الأشر (رض) كان صديقاً لأبي ذر (رض) وكان هو الذي دفنه، فحين نفي أبو ذر ووافته المنية بكت امرأته لأنها لم تجد من يساعدها على دفنه، فقال لها إن رسول الله ﷺ حدثني أن جماعة من المسلمين يأتون فيقومون بتجهيزي ودفني، فإذا رأيت نضراً من الناس قادمين قلوا: هذا صاحب رسول الله قد مات فتعالوا أعينوني على دفنه، وصادف أن الأشر وأصحابه في قافلة مرّت بالقرب منهم فقاموا بدفنه، وقد أبّنه بكلمة تدلّ على موقفه الحاسم في مواجهة الحكم آنذاك الذي منع الناس من أن يودّعوا أبا ذر، ومنعهم من أن يساعده أو يتعاطفوا معه.

فعندما دفنه قام على قبره، ثم قال: ((اللهم هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ عبدك في العابدين، وجاهد فيك المشركين لم يغير ولم يبدل)) أي بقي على ما فارقك عليه، فاقم كان من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ((لكنه رأى منكراً فغير بلسانه وقلبه)) فصرخ بالذين صنعوا المنكر أن يبتعدوا عنه ((حتى جُفي ونُفي وحُرم واحتُقر ثم مات وحيداً غريباً اللهم فاقصم من حرمه ونفاه من مهاجره وحرم رسولك فقال الجميع: آمين)).

وهناك مسألة لا بدّ من الإشارة إليها وهي أن (الطبري) ذكر في تأريخه أن الأشر كان ممن نقموا على عثمان حكمه ولكنه اعتزل الفتنة فلم يشارك في القتال ضده مما قد يوحي بأنه لم يرد للموقف أن ينتهي إلى ما انتهى إليه، لأن ذلك قد لا يكون في مصلحة الإسلام والمسلمين من خلال النتائج السلبية في وقت الفتنة وما بعدها.

الغرض من دراسة هذه الشخصيات:

أيها الأحبة: عندما ندرس هذه الشخصيات الإسلامية في هذا المستوى الرفيع فإننا لا نريد أن ندرس التاريخ لنستغرق فيه ولكننا نستجيب لقوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٢). فقيمة التاريخ عندنا أننا نأخذ منه ما بقي للحياة وما يمكن أن يعطينا القوة والعنفوان، ولذلك فإننا عندما نتحدث عن مالك الأشتر فلاجل أن نعمل على أن يصنع فينا أكثر من مالك الأشتر، فإذا لم نكن في عصر علي عليه السلام وهو ولي الله ووصي رسول الله وإنسان الحق في كلامه كله وفعله كله، فإننا نبقي مع خطأ علي وهو خطأ الحق، لذلك فهل تريدون أن تكونوا في الخطأ الذي سار عليه مالك الأشتر؟ كونوا مع الحق في العقيدة وفي السياسة وفي الاجتماع وفي الحرب، وفي السلم، كونوا جنود الحق الذين يعملون على أن يصنعوا مجتمع الحق لأن المسألة ليست أن نهتف باسم علي عليه السلام ولكن أن نعيش فكره ومواقفه وتطلعاته وحبّه لله ومسؤوليته عن الناس.

أيها الأحبة: لقد كان علي عليه السلام غريباً في عصره وما أشدّ غربته فينا نحن الذين لم نفهمه جيداً، ولم نعشه جيداً، بل تفرقنا عن حقّه كما تفرّق الكثيرون عن حقّه هناك، وأخذنا بالباطل كما اخذ الكثيرون في عصره بالباطل. فهل يعود الحق فينا لنقول لعلي عليه السلام: يا أبا الحسن نحن معك في الخطأ وسوف نتابعه بعيداً عن أية عصبية وعن أية مطامع شخصية.. نقف مع حقك الذي نزل به الكتاب وجاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وجاهدت من أجله في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ومن بعده، وقلت: ((لاسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن بها جور إلا علي خاصة))^(٣)، وقلت: ((لو لا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقرّوا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلاً على غاربها ولسقيت

(٢) يوسف/١١١.

(٣) شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٢٣، ب ٥٤.

آخرها بكأس أولها ولأفئتم دنياكم هذي أهون عندي من عضة عنز))^(٤).
وأخيراً نردد مع الشاعر المسيحي (بولص سلامة).
يا سماء اشهدي ويا أرض قري
واخشعي إنني ذكرتُ علياً
والحمد لله رب العالمين.

في ذكرى ولادة الزهراء عليها السلام بين (مريم بنت عمران) و(فاطمة بنت محمد)

○ العبرة من ذكرى الزهراء عليها السلام

هي أن تتحرك المرأة المسلمة

لترتفع بروحانيّتها وتعبّدها

وانسانيّتها وثقافتها ونشاطها

الاجتماعي ○

- مقارنة الزهراء عليها السلام بمريم عليها السلام
- الزهراء عليها السلام السموّ الروحي.
- حياتها المتحرّكة.
- حركتها في المدينة.
- علاقة فاطمة عليها السلام بالنبي صلى الله عليه وآله
- الدفاع عن الولاية.
- أسلوب خطابي جديد.
- الاقتداء بالزهراء عليها السلام



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

نعيش هذا اليوم ذكرى ولادة سيدتنا الطاهرة المعصومة العلوية سيدة نساء
العالمين فاطمة الزهراء ؑ ونريد أن نقف عند هذه الذكرى، ونؤجل الحديث في
(نهج البلاغة) إلى فرصة أخرى.

مقارنة الزهراء ؑ بمريم ؑ:

وقد تحدثنا في هذه الندوة كثيراً عن حياة هذه المرأة العظيمة، ولكنني
أحب أن أشير إلى عدة لقطات في حياة الزهراء ؑ فنحن نلتقي في ذكراها
بعملية مقارنة بينها وبين مريم بنت عمران ؑ لا ندخل في عملية التفضيل لأن
ذلك ليس من شأن البحث الذي يريد أن يركّز على حركة الواقع، بل هو أمر
يرجع فيه إلى الله سبحانه وتعالى، وقد وردت عدة أحاديث في هذا الجانب،
لكنني أريد أن أركّز على الدراسة الدقيقة لشخصية الزهراء ؑ مقارنة بشخصية
السيدة مريم ؑ.

فإننا عندما نقرأ حديث القرآن الكريم عن السيدة مريم ؑ فإننا نجد أن
الله اصطفاها وطهرها واصطفاهها على نساء العالمين حيث جعلها أمّاً لعيسى ؑ
وآية من آيات الله في ولادتها لعيسى ؑ من غير أب، وأن الله سبحانه وتعالى
أنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا، وأنه أعطاها كرامته بحيث «كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا
زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ»^(١).

وهكذا عاشت التجربة الصعبة ورعاها الله رعاية مباشرة حيث أنّها استطاعت أن تقبل على قومها لتثبت أنّها الطاهرة العفيفة التي لا غبار على أخلاقيتها وعفتها من خلال ما ألهم الله ولدها عيسى ﷺ ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾^(٢).

ولم نجد في القرآن على الأقل أية حياة متحركة للسيدة مريم ﷺ بل كلّ ما تحدث عنه القرآن هو ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾^(٣). و﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَوَاتِنِ﴾^(٤). حيث ضربها الله مثلاً للذين آمنوا من الرجال والنساء، بل كانت إنسانة في المستوى العالي من الروحية والمحبة لله والإقبال عليه، وكانت الإنسانية الطاهرة العفيفة التي صدّقت بكلمات ربّها وكتبه، أمّا حركيتها في الواقع، فإنّ القرآن لم يحدثنا عن ذلك.

الزهراء ﷺ السموّ الروحي:

فيذا جئنا إلى سيدتنا فاطمة الزهراء ﷺ فإننا نجد أنّها لا تختلف عن السيدة مريم ﷺ في هذا السمو الروحي الذي كانت تعيشه مع الله، فكانت تقوم الليل حتى تتورم قدمها كما يتحدث ولدها الإمام الحسن ﷺ وكانت تدعو للمؤمنين والمؤمنات قبل أن تدعو لنفسها، وعاشت حياتها مع الله ومع رسول الله ومع وليّ الله مما أنزل الله من تصوير هؤلاء الذين تميّزوا عن المجتمع من حولهم في الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٥). فكما طهر الله مريم ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ﴾^(٦). فإنّه طهر

(٢) مريم: ٣٠-٣٢.

(٣) الأنبياء: ٩١.

(٤) التحريم: ١٢.

(٥) الأحزاب: ٣٣.

(٦) آل عمران: ٤٢.

فاطمة ؑ إلى جانب أبيها وبعلمها وبنيتها سلام الله عليهم أجمعين. وكما أن الله اصطفى مريم اصطفاء لتكون موقعاً لآيته وهي ولادة عيسى ؑ فإن الله سبحانه وتعالى اصطفى السيدة زهراء ؑ على لسان نبيه لتكون سيدة نساء العالمين، فهناك حديث يقول إنها ((سيدة نساء العالمين)) وأنها ((سيدة نساء أهل الجنة)) بمعنى أن كل النساء اللواتي يدخلن الجنة ستكون الزهراء سيّدتهن.

حياتها المتحرّكة:

أمّا حياتها المتحرّكة، فإذا كانت السيدة مريم ؑ قد احتضنت السيد المسيح ؑ وربّته وأعطته الحنان كلّهُ والعاطفة كلّها وعاشت آلامه كلّها عندما عذّب وأريد له أن يصلب «وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ»^(٧). فإنّ السيدة الزهراء ؑ عاشت منذ طفولتها الأولى آلام رسول الله ؑ وتفاعلت مع هذه الآلام، وكانت كما تقول كتب السيرة تستقبل رسول الله ؑ عندما يعود من المسجد والقوم قد ألقوا أمعاء الجزور على ظهره، فكانت تستقبله بكلّ بكاء الحنان والعاطفة وتغسل ذلك عنه.

وكانت تعيش وحدة رسول الله ؑ في طفولته عندما فقد أباه وأمّه، ووحدته بعد أن فقد أمّها أم المؤمنين خديجة ؑ فكانت فاطمة ؑ تعيش هذه الحركية النبوية في كلّ وجدانها وكيانها فكانت تعطي رسول الله ؑ كلّ ينابيع الحنان المتفجّرة من قلبها، بما يعوّضه عمّا فقدته من حنان أمّه، وفي المقابل فقد أعطاه رسول الله ؑ كلمته الخالدة ((إنّها أمّ أبيها))، فلقد شعر بأُمومة ابنته له لا أمومة الجسد ولكنّها أمومة الروح والحنان والعاطفة.

ورأينا كيف أنّها هاجرت مع الفواطم من مكة إلى المدينة بكلّ ما كانت الهجرة تحمل من معاناة ومن آلام، لأنّ المهاجرين لم يكونوا يعرفون ما هم مقبلون عليه، فالتحديات من ورائهم من قبل قريش، ولا يعرفون ماذا يواجههم من تحديات جديدة في الموقع الجديد، وإن كانت يثرب قد تحوّلت إلى ما يشبه

القاعدة الإسلامية الأولى بعد أن دخل الكثير من الأنصار في الإسلام، وبايعوا رسول الله ﷺ على أن يمنعوه مما يمنعون به أنفسهم وأهلهم.

حركتها في المدينة:

ودخلت المدينة مع رسول الله ﷺ ومع علي ﷺ وكانت مع علي ﷺ تعيش في بيت رسول الله ﷺ فلم يكن لعلي ﷺ بيت غير بيت النبي ﷺ، وتزوجت علياً ﷺ وبدأت معاناتها في الجهد الذي كانت تبذله مع أولادها في الفقر الذي كان يطبق على هذا البيت المبارك، وكانت تمارس أعمال البيت بنفسها حتى أنها تقاسمت مسؤوليات البيت مع علي ﷺ فكان عليها أن تطحن وتعجن وتخبز، وكان على علي ﷺ أن يستقي ويحتطب ويكنس البيت، فمن منكم مستعد لأن يكنس بيته أو يعاون أهله في الشؤون المنزلية؟ حتى أنهما ذهبا إلى رسول الله ﷺ ليطلب علي ﷺ، لا هي، خادماً لها فعلمهما رسول الله ﷺ تسبيح الزهراء وكأنه أراد لهما الراحة الروحية التي تستوعب التعب الجسدي وتمتصه.

وكانت الزهراء ﷺ في حياة رسول الله ﷺ تبذل جهد الدعوة والتربية، وكانت تستقبل نساء المسلمين لتحديثهم عما تعلمته من رسول الله ﷺ وما ألهمها الله إياه، وبذلك كانت حياتها حياة متحركة بحيث كانت موزعة الجهد بين أبيها الذي كان بيتها قاعدة له، وبين زوجها الذي كان ينطلق بين وقت وآخر إلى الحرب ليعود وهو يحمل وسام الانتصار، وبين أبنائها الذين ربّتهم تربية رائعة وبين المجتمع المسلم الذي كانت ترعاه في شقه النسوي، لأنّ الزهراء ﷺ كانت تحمل علم رسول الله ﷺ في وجدانها، وكانت تتحسس مسؤوليتها عن هذا العلم حتى أن أبا جعفر بن جرير الطبري في كتابه (دلائل الإمامة) ذكر أنّ جاريتها أو خادمتها أضاعت بعض أوراقها، فقالت لها: ((ابحثي عنها فإنّها تعدلّ عندي حسناً وحسيناً))، مما يوحي بمزيد الاهتمام بالعلم الذي أخذته عن رسول الله ﷺ.

علاقة فاطمة ؑ بالنبي ﷺ:

ولابدّ من الإشارة إلى أنّ العلاقة بين فاطمة ؑ وبين رسول الله ﷺ كانت أكثر من علاقة ابنة بأبّ، فقد نقل لنا تأريخ سيرتها أنّها كانت إذا دخلت على رسول الله ﷺ قام من مجلسه واستقبلها وقبّل يدها، وكان رسول الله ﷺ إذا دخل عليها استقبلته وقبلت يده، وهذا النوع من العلاقة قد لا يكون مألوفاً بين الأب وابنته، ولذا فنحن نستوحي من ذلك أنّ رسول الله ﷺ في الوقت الذي يعيش حبّه للزهراء ؑ كان يحمل احترامه لها لما يعرفه من ملكاتها الروحية ومن ثروتها الثقافية ومن إخلاصها لله وللإسلام والمسلمين. ونعرف حركية هذه العلاقة في روح الزهراء ؑ وذلك عندما احتضر النبي ﷺ فقد ضمّها إلى صدره فبكت عندما أخبرها بأنّه سوف يفارق الحياة قريباً، ثم ضمّها إلى صدره فضحكت لأنّه أخبرها أنّها أول أهل بيته لحوقاً به، فتصوروا امرأة أمّاً وزوجة يخبرها أبوها بأنها ستموت في وقت قريب وتلحق به فإذا هي تشعر بالفرح والسرور، فأية علاقة هي هذه العلاقة بين الأب وبين ابنته؟!

الدفاع عن الولاية:

أمّا بعد رحيل الرسول ﷺ فنحن نعرف أنّ الزهراء ؑ عاشت أزمة لم تمر على امرأة من المسلمين منذ كان الإسلام، حتى أنّ الجاهلية لم تحدثنا عن مأساة امرأة كما تحدّث التأريخ عن مأساة الزهراء ؑ فقد أبعدت الخلافة عن علي ؑ وهي حقّه الذي يستحقّه، وخشي القوم من المعارضة كما نسميها في هذه الأيام. وهدّدوا بإحراق البيت إذا لم يخرج المعارضون منه وهم علي ؑ والزبير والعباس وجمع من بني هاشم الذين اجتمعوا في بيت علي ؑ وفاطمة ؑ للتداول في الأمر، وقيل للذي هدّد بالهجوم كيف تهدّد بإحراق البيت وفيه فاطمة ؑ فكان جوابه. وإنّ!! وهذا يعني أنّ كلّ المحرّمات قد سقطت عنده مما يثير الكثير من التساؤلات عن مدى التزامه الإسلامي، لأنّ التهديد بإحراق البيت الذي يضمّ علياً ؑ وأولاده ؑ وبضعة النبي ﷺ التي يؤذيه ما يؤذيها ويغضبها ما يغضبها بالإضافة إلى بعض المسلمين الآخرين، أن هذا التهديد لا يخضع في مضمونه

إلى أي أساس شرعي إسلامي بقطع النظر عما إذا كان ذلك قد تحقق أو لم يتحقق لأن أسلوب مواجهة المعارضة لا يمكن أن يتحرك في هذا الاتجاه، وهو ما لم يسبق له مثيل في المسيرة الإسلامية في طبيعته ودلالاته.

ويختلف المؤرخون في مسألة دخول البيت. هل دخلوه وكان ما كان؟ أو لم يدخلوه؟ وهذه مسألة متروكة للبحث والتحليل التاريخي، فهناك من العلماء من يتحفظ في ذلك، وهناك من العلماء - وهو المشهور بين الشيعة - من يقول إنهم دخلوا وفعلوا ما فعلوا من المأسي والمظالم.

وفي هذا المجال نشعر أنّ الزهراء (ع) أياً كان الذي حدث لها لم تتحدث عن ذلك أبداً، ولم يتحدث علي (ع) عن ذلك أبداً، بل كان كلّ هم الزهراء (ع) هي كيف تستقيم قضية الحكم في الإسلام بعد رسول الله (ص) لأنها كانت ترى أنّ علياً (ع) وحده هو المؤهل ليسيّر بالمسلمين في الصراط المستقيم لأنها تعرفه.. تعرف علمه وزهده وشجاعته وحكمته وإخلاصه لله ولرسوله وتعرف محبته لله ولرسوله ومحبة الله ورسوله له، وكانت تعرف أنّه ليس هناك في المسلمين من يملك كلّ هذه الصفات التي تمتدّ في خطّ الرسالة كما تمتدّ في خطّ الواقع السياسي، لذلك كان كلّ حديثها عن أبي الحسن (ع) ومنه قولها ((وما الذي نقموا من أبي الحسن؟ نقموا منه نكير سيفه وقلّة مبالاته بحتفه)). وقد تحدثت بذلك مع نساء المهاجرين والأنصار ومع رجالهم، وتحدثت عن ذلك في خطبتها في المسجد النبويّ لأنّ المسألة عندها كانت مسألة الإسلام كلّّه.. وكانا يلتقيان معاً، هي وعلي (ع)، في هذا الخطّ. ((لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن بها جور إلاّ علي خاصة))^(٨). وكانت تريد أن تقيم الحجّة على المسلمين في علي (ع) ولذلك نسيت آلامها كلّها وظلاماتها كلّها.

وعندما تحدّثت عن فدك فإن (فدك) لم تكن قيمة كبيرة عندها، فلقد كانت إرثها أو نحلّتها لكنّها تحدّثت بقوة وصراحة لتسجّل نقطة في هذا الاتجاه،

لتقول للقوم إنكم لم تصدقوا عن رسول الله ﷺ في هذا، وخالفتم كتاب الله في ذلك، وقد قال علي ﷺ ((وما اصنع بفدك وغير فدك والنفس مضانها في غد جدث))^(٩). لأن أهل البيت ﷺ لم يكونوا يفكرون في الدنيا وإنما كانوا يفكرون في الآخرة.

أمّا ما يتحدث عنه البعض من أنّها عاتبت علياً ﷺ وقالت إنّها ((بلغة ابني)). فهو حديث ليس صحيحاً لأنّ الزهراء ﷺ أكبر من ذلك، فهي عندما رأت رسول الله ﷺ في حياته لم يرتح للكساء الجديد الذي وضعته على باب بيتها، وقد أهداه علي ﷺ إليها جمعته وأرسلت به إلى رسول الله ﷺ وهو في المسجد مع ولديها الحسنين ﷺ وعندما رأى رسول الله ﷺ ذلك هزّته الأريحية، وقال. ((فداها أبوها.. فداها أبوها.. فداها أبوها ما لآل محمد وللدنيا إنهم خلقوا للآخرة))^(١٠). فلذلك كانت تفكر بالآخرة، وحتى عندما كانت تفكر بالدنيا فمن خلال الدنيا التي تخطط للآخرة، والتي تتحوّل إلى آخرة من خلال البرنامج الذي وضعه الله ورسوله للسير في هذا الخطّ.

أسلوب خطابي جديد:

وعندما ندرس خطبتها في المسجد النبوي فإنّها كانت أول خطبة تبذل أسلوباً جديداً لم يعرفه الناس في ذلك العهد، فنحن ندرس في هذه الخطبة أنّها أعطت تفسيراً لأكثر من تشريع من التشريعات الإسلامية مما يتصل بالعبادة أو بالعلاقات الإنسانية أو بالمنهج الإسلامي. ونلاحظ أيضاً أنّها قدمت للمسلمين في خطبتها دراسة عن الواقع السلبي الذي تمثّل في المرحلة التي أعقبت وفاة رسول الله ﷺ مما دلّل على أنّ الزهراء ﷺ قدّمت تقريراً سياسياً عن المرحلة التي كان يعيشها المسلمون بعد رسول الله ﷺ. ولأوّل مرة تدخل في جدل فقهي قرآني في إثبات مسألة إرثها، فقد قدمت القرآن في آياته التي دلّت على أنّ الأنبياء ﷺ

(٩) شرح نهج البلاغة. ج ١٦. ب ٤٥. ص ٢٠٨.

(١٠) بحار الأنوار. ج ٤٣. ص ٨٦. ح ٨. ب ٤.

يورثون أبناءهم وذريتهم المال، ورسول الله ﷺ ليس بدعا من الرسل ولذلك فإن القرآن يخالف قولهم ((نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة)) لأن الله سبحانه وتعالى يقول «وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ»^(١١). وقوله تعالى «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ»^(١٢). لذلك فإن هذا الأسلوب الفاطمي، أسلوب الجدل الفقهي القرآني في مواجهة فكرة فقهية أخرى، لم يكن معروفاً في حياة المسلمين.

كما أن أسلوب الإشارة الذي حرّكه الزهراء ﷺ من أجل إشارة مشاعر المسلمين وعواطفهم وأسلوب العتاب الذي عاتبته به لأنهم لم يحفظوا رسول الله ﷺ في أهله وعقبه كان أسلوباً غير معهود. ولهذا فإننا نعتقد أن خطبة فاطمة الزهراء ﷺ تعتبر وثيقة إسلامية علمية سياسية جدلية استطاعت أن تؤكد المفاهيم التي أرادت تركيزها في حياة المسلمين، وعندما نقرأ الرد الذي ردّ عليها فإنه لا يخرج عن كونه ردّاً عاطفياً من دون الدخول في مناقشة للقضايا التي أثارها.

ومن خلال ذلك نعرف أن الزهراء ﷺ كانت الإنسانية الحركية التي لا تجلس في بيتها لتتدب حظّها وتبكي مأساتها ولكنها كانت تتحرك في المجتمع من أجل أن تصدم الانحراف الذي عاشه المجتمع، ومن أجل أن تطلق الصرخة الإسلامية لتهزّ المجتمع من أعماقه بطريقة علمية تارة وعاطفية تارة أخرى.

ومن خلال ذلك أيضاً نعرف أن الزهراء ﷺ كانت تحمل علماً جماً ولو امتدت بها الحياة لجنى المسلمون الكثير الكثير من علمها الذي أخذته عن رسول الله ﷺ لأنها كانت في حياتها مع رسول الله ﷺ تغرف من بحر علمه وتتحرك في خطّ أخلاقه وتعيش آفاق روحانيته، ولهذا كانت بضعة منه ((فاطمة بضعة مني)) فعقلها بضعة من عقله، وقلبها بضعة من قلبه، وطاقتها بضعة من طاقاته،

(١١) النمل: ١٦.

(١٢) مريم: ٥-٦.

وروحانيتها بضعة من روحانيتها، فليست كلمة (بضعة مني) تعني مجرد أنها ابنته، ولذلك قال ((يؤذيني من آذاها، ويريبني ما يريبها، ويبسطني ما يبسطها))^(١٣) لأنها كانت منه بمنزلة الروح من الجسد.. كانت شيئاً من ذاته، بكل ما تعنيه ذاته المقدسة، حتى أنها كانت في وعيها السياسي تريد أن تسجل احتجاجها الأخير لتثير التساؤل، فأوصت علياً عليه السلام ليدفنها ليلاً.. وليست المسألة مجرد أذى شخصي كما يوصي أحدهم أن لا يحضر فلان جنازته من ناحية عقدة شخصية، وإنما أرادت أن تسجل احتجاجاً أخيراً بعد الموت كالاحتجاج الكبير الذي أطلقته قبل الموت، ليتساءل الناس. لماذا أوصت بذلك؟ لماذا دفنت ليلاً؟ وكل المسلمين يحبونها، وكان حبهم لها ليس فوقه إلا حبهم لرسول الله ﷺ والدليل على ذلك أن الرجل عندما هدد بإحراق البيت لم يقل الذين حوله إن فيها علياً عليه السلام ولم يقولوا إن فيها حسناً وحسيناً، بل قالوا. إن فيها فاطمة، أي كيف تحرقها وفيها فاطمة؟! مما يدل على أن للزهراء مكانة في نفوس المسلمين بالمعنى العاطفي للمكانة، لذلك كانت تريد أن تثير التساؤل فلعلّه يفتح نافذة من الوعي لدى المسلمين الذين ابتعدوا عن خط الاستقامة في الحكم الإسلامي.

ومن خلال ذلك كله - أيها الأحبة - نعرف أن السيدة الزهراء عليه السلام تلتقي بالسيدة مريم عليه السلام في طهرها وروحانيتها وإخلاصها لربها واصطفاء الله لها بطريقة وبأخرى، ولكنها كانت تتميز عنها بأن حياتها كانت متحركة في خط الرسالة فقامت بأداء الرسالة في رعايتها لأبيها رسول الله ﷺ ورعايتها لزوجها لولي الله، وتربية ولديها الإمامين الحسنين عليه السلام وإنتاج بطلة كزينب عليه السلام على مستوى المستقبل، وأداء الرسالة في توعية المسلمات ومواجهة كل تحديات الانحراف في الواقع. وتلك هي ميزة الزهراء عليه السلام عن السيدة مريم عليه السلام عندما نريد أن نتصور حياة هذه وحياة تلك، وهما معاً حبيبتان لله قريبتان إليه.

الافتداء بالزهراء (ع):

وعندما نريد - أيها الأحبة - أن نشير ذكرى السيدة الزهراء (ع) سواء في مولدها أو في وفاتها فإن العبرة من هذا الدرس هي أن تتحرك المرأة المسلمة من أجل أن تكون المرأة التي ترتفع بروحانياتها إلى الله، وتعبّد الله، وتعيش إنسانيتها بالتفكير في الآخرين قبل التفكير بنفسها، وتعيش ثقافة الإسلام وثقافة الواقع السياسي، وتتحرك بحسب ظروفها لتدخل الواقع الإسلامي الذي يواجه التحديات سواء كانت ثقافية لتقدم ثقافتها في وجه هذه التحديات، أو اجتماعية لتقدم خبرتها الاجتماعية في خط المواجهة، أو التحديات السياسية لتقدم وعيها وثقافتها السياسية في ذلك، فالمرأة إنسان كما هو الرجل.

وإذا كنّا نتحدّث عن ضرورة التزام المرأة بالمنهج الأخلاقي في سلوكها في الحياة فإنّ المنهج الأخلاقي ليس ضريبة على المرأة بل هو للمرأة وللرجل معاً، فقول النبي (ع) ((إنّما بعثت لأتممّ مكارم الأخلاق))^(١٤) هو للمرأة وللرجل معاً، فإذا كانت المرأة مسؤولة عن العفة فإنّ الرجل أيضاً مسؤول عن العفة، وإذا كانت المرأة مسؤولة عن حفظ نفسها من الانحراف، فإنّ الرجل مسؤول عن حفظ نفسه من الانحراف، فليس هناك فرق في الجانب الأخلاقي لدى المرأة والرجل، لذلك نقول إنّ الإسلام الذي قدّم أم المؤمنين خديجة الكبرى (رض) لتدعم النبي (ص) في رسالته بكلّ ما عندها من قوّة، وقدّم السيدة الزهراء (ع) لتكون مع رسول الله (ص) ومع زوجها وبنيتها في خطّ الإسلام، وقدّم لنا السيدة زينب (ع) بطلة كربلاء، ليقول لنا إنّ علينا أن نواجه التحديات الكبرى التي تأتي من الرجال ومن النساء في خطّ الكفر والاستكبار لنقدّم الرجال والنساء في خطّ الإسلام. وسلام الله على السيدة الزهراء (ع) وعلى أبيها وبعليها وبنيتها ورزقنا الله شفاعتها. والحمد لله رب العالمين.

المحاضرة الثانية والعشرون

٢٧ جمادى الآخرة ١٤٢٢ هـ - ١٥ / أيلول / ٢٠٠١ م

في مدرسة الإمام علي عليه السلام (١٣) خصال فريقين من الناس - القسم الأول -

○ لننطلق مع علي عليه السلام كما لو

كان معنا، لأنَّ علياً الفكر والروح

والخط لا يزال حياً كأعظم ما

تكون الحياة ○

➤ في رحاب أمير المؤمنين عليه السلام .

➤ أحبب الله .

➤ مصباح الهدى .

➤ التذكير بالنعم الإلهية .

➤ الصبر على تحمّل المشقات .



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

في رحاب أمير المؤمنين (عليه السلام):

ونعود إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في إحدى خطبه التي فرق فيها الناس إلى فرقتين، ثم انطلق ليتحدث عن موقعه، وعمّا تحدث به رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الثقل الأكبر والثقل الأصغر، ودعوة المسلمين إلى الالتزام بهما. ولعلّ قيمة هذه الخطبة أنّها تفتح للإنسان عناصر السمو الروحي، والانفتاح الفكري والعلمي، والاستقامة العملية في الخطّ الإيجابي الذي يلتزمه الإنسان السائر على الطريق المستقيم. وفي مقابل ذلك، يتحدث لنا عن الإنسان السلبي في عناصر شخصيته التي تضيف جهلاً فوق جهله، وتضيف تخلفاً إلى تخلفه، وانحرافاً إلى انحرافه.

فلننطلق مع علي (عليه السلام) كما لو كان معنا الآن، لأنّ علياً الفكر والروح والخطّ لا يزال حيّاً، كأعظم ما هي الحياة. وسيأتي في آخر حديثه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعن أهل البيت (عليهم السلام) قوله: ((يموت منّا الميت وليس بميت))^(١) يعني أنّهم أحياء، لأنّهم - أعني أهل البيت (عليهم السلام) عاشوا للحياة كلّها من حيث عاشوا للإسلام كلّ، ولله أبدأً. يقول (عليه السلام): ((عباد الله، إنّ من أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه...)) ويحسن أن نلفت النظر إلى أنّ قوله (عباد الله) هو إحدى الصيغ التي كثرت في الأدبيات الإسلامية، فهناك نداء (يا أيّها الناس) وقد ورد كثيراً في القرآن، ليثير في الإنسان إنسانيته، وليدفع به في خطّ استذكار تلك الإنسانية،

(١) أصول الكافي، ج ٣، ب ٣٢٢، ص ٢٣٥، ح ٧٠.

والانفتاح على ما يُراد له أن يأخذ به. وهناك نداء (يا أيُّها الذين آمنوا) وهو نداء ينفتح بالإنسان على إيمانه في العقل والحركة، ليشعر الإنسان بأنَّ عليه تفعيل إيمانه اتجاه عمله، وأن ينفتح على هذا النداء باعتباره يتضمن معنى يُثير فيه نوازع الإيمان أو ما يقوي هذا الإيمان.

وهناك نداء ثالث وهو (عباد الله)، وهذا النداء يُحاول أن يستثير في الإنسان الإحساس بعبوديته لله، كأنَّه يقول للنَّاس، إني أُخاطبكم من خلال معنى العبودية في إنسانيتكم، فلا تغادروا هذا الأفق الذي يجعلكم تتحركون في الحياة من خلال خطَّ العبودية في الحضرة الربوبية. وقد ضجَّت النصوص القرآنية بهذا المعنى لتوصِّل في الإنسان هذا الشعور. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٢)، وقد نسبهم الله سبحانه وتعالى إلى نفسه ليعطيهم معنى سيادته الحانية، والتي تحتضنهم بالمغفرة والرحمة، وليقول لهم إنَّ ربَّكم هو السيِّد الذي لا يضطهد عباده، بل هو السيِّد الذي يغفر لعباده أخطاءهم ويرحم ظروفهم وضعفهم، وكلَّ ما يحيط بهم مما قد يبتعد بهم عن الخطَّ المستقيم ويقربهم إلى الخطَّ المنحرف، ليقول لهم أنبيوا إلى ربَّكم وأسلموا إليه لأنَّه هو الغفور الرحيم.

وفي كلمة (عباد الله) الكثير من الإيحاء، ففيها أنَّ على الإنسان أن يتواضع لله، لأنَّ العبد لا يمكن أن يتكبَّر على سيِّده، وفيها - أيضاً - أن لا يتكبَّر على النَّاس الآخرين لأنَّه يتساوى مع الآخرين في العبودية لله، فليس هناك في النَّاس عبدٌ وسيِّد، بل النَّاس كلُّهم عباد الله، وليس أحدٌ منهم أقرب إلى الله من غيره إلَّا من خلال ما يقدمه من عمل. وهذا كان حال الأنبياء والملائكة، كما جاء في الآيات القرآنية: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ❖ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾^(٣). ولذلك

(٢) الزمر: ٥٣.

(٣) الأنبياء: ٢٧، ٢٦.

فإنَّ هذا النداء يُلغى في الإنسان الشعور بعلوّه على الإنسان الآخر، سواء كان علوّاً يجعله مستكبراً يستضعف الآخرين، أو أن يستعلي به ليشعر بنفسه أنّه ربُّ النَّاسِ. «وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ»^(٤).

احياء الله:

يقول عليّ عليه السلام: ((عباد الله، إنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ عَبْدًا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ)) فكان الله له عوناً في حياته، يمدّه بالقوّة والمنعة والحصانة. وهو عونٌ ينطلق من توجّه الإنسان نفسه إلى الله. فإذا توجّه الإنسان إلى الله واطّلع الله على قلبه، في صدق نيته وإخلاصه، فإنّه يمنحه الألفاف الروحية والفكرية والخطوط العملية، لتعالج نقاط الضعف. وما أكثر الضعف في الإنسان «إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي»^(٥). فالنفس قد تجر الإنسان إلى السوء وتستثير غرائزه في خطّ الانحراف، فيضعف الإنسان أمام نفسه ويتهاوى، وعندئذ يحتاج إلى اللطف الإلهي الذي ينطلق من خلال الرحمة الإلهية، فبها تنزل الألفاف على الإنسان، وتستتقذه من هذا الضعف والانكسار. وقد ورد في الدعاء: ((وَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِي بِمَا تُعِينُ بِهِ الصَّالِحِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ)) أي أعطني ما تعطي الصالحين من الألفاف التي تمنع استيقاظ نقاط الضعف فيهم وانحرافها بهم عن الخطّ، لتقوِّي فيهم إرادة الطاعة، والبُعد عن المعصية، وذلك قوله تعالى: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ»^(٦). فالذي يُجاهد في الله نفسه، ويُجاهد في الله غرائزه، هو في أمان من الانحراف بعونٍ وتسديدٍ من الله سبحانه وتعالى، فإذا أُريد له أن ينحرف، وأحاطت به المتهاتات وأخذته خطوط الضياع وعاشت الفوضى في المجتمع، فإنَّ الله يُشرق في عقله وقلبه ليهديه إلى طريق الهدى: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» فالله مع الذين

(٤) آل عمران: ٦٤.

(٥) يوسف: ٥٣.

(٦) العنكبوت: ٦٩.

أحسنوا الإيمان في عقولهم، وأحسنوا الخير في قلوبهم، وأحسنوا العدل في حياتهم، وانطلقوا من خطئ الإحسان. الإحسان إلى النفس بتسييرها في خط الله، والإحسان إلى الله بتوحيده في الألوهية والعبادة والطاعة، والإحسان إلى الناس بالقيام بحقوقهم والإفضال عليهم.

فكيف عاش هذا العبد الذي أحاطت به ألطاف الله، فتجنب بفضلها القبيح، واختار الخير والحسن، وانطلق في الخط المستقيم ((فاستشعر الحزن)) أي عاش الحزن. ولكن الحزن على ماذا؟ إنه الخوف على ما فاتته من الفرص التي أضاعها دون أن يعمق طاعته لله، وأنه لم يبادر إلى مواقع الجهاد والدعوة إلى الله يوم كانت الساحات مفتوحة، ولكنه فضل الراحة على التعب، واختار السلامة على الخطر، وضيع الفرصة، فتحوّلت إلى غصة، فاستشعر الحزن. وهذا ما عبر عنه عليؑ في رسالته إلى ابن عباس: ((فليكن أسفك فيما خلّفت)) يعني أن تأسف على ما خلّفت وراءك من الفرص فلم تنتهزها، لتستزيد من خير الدنيا والآخرة.

((وتجلبب الخوف)) والجلباب - في اللغة - الثياب، ويعني هنا لبس الخوف، لأنه يخاف أن يعرض الله عنه، ويخاف من وسوسات الشيطان في المستقبل، ويخاف من النفس الأمارة بالسوء أن تقوى عليه ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾^(٧) يعني أنهم يخافون مما هم مقبلون عليه عندما يقفون بين يدي الله، وقد لا يكونون في مواقع السلامة بحيث لا يملكون جواباً في مواقع السؤال.. ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾^(٨). فهذه الألطاف الإلهية، وهذا الحزن الإيماني والإيجابي والخوف المستقبلي على المصير، هو الذي يجعله يحزن على الماضي ليتجنب كل مواقع الحزن الآتية، ويتجنب جلباب الخوف في المستقبل، فيحاول أن يأخذ بأسباب الأمن التي تخلصه عند الله، وتتقذه من

(٧) المؤمنون: ٦٠.

(٨) النحل: ١١١.

عذابه، ليكون في خط الاستقامة ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٩).

مصباح الهدى:

((فزهراً مصباح الهدى في قلبه)) والقلب كما ذكرنا أكثر من مرة هو المنطقة الداخلية التي قد تتمثل في العقل، فالعقل هو قلب الإنسان ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(١٠). هو منطقة الوعي في عالم الإحساس والشعور. ((فزهراً مصباح الهدى في قلبه)) فلم يكن قلبه مظلماً يتخبط في الظلمات، لأنه أدخل الله في قلبه، وقلب المؤمن عرش الله، وقد ورد في بعض النصوص: ((ما وسعتني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن)). وعندما يُشرق الله من خلال سر الإيمان في القلب، فإن القلب يتحول إلى شمس تضيء للإنسان كل جنابات نفسه، وكل مواقع طريقه، وكل غاياته وأهدافه. يقول عليؑ: ((فزهراً مصباح الهدى في قلبه))، ذلك المصباح الذي يهديه الطريق أينما تحرّك، فيهديه الطريق عندما يفكر ليكون تفكيره في طريق الحق، ويهديه الطريق عندما يحبّ ويبغض، ويهديه الطريق عندما يتحرّك في الحياة، فهو في إشراق الهدى الذي ينطلق من قلبه، ليتحوّل إلى نور في حياته كلّها.

((وأعدّ القرى ليومه النازل به)) والقرى - بكسر الراء - في اللغة ما يهياً للضيف، لأن لكل إنسان يوماً لا بُدَّ أن يترك فيه الحياة، ولهذا اليوم زاد لا بُدَّ أن يتزوّد، وقرى لا بُدَّ أن يقري نفسه به، فهذا اليوم هو ضيفك تماماً كما هو الضيف عندما ينزل عليك، ألا تستعد له بالقرى والضيافة؟ وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾^(١١). والقرى هنا هو

(٩) الأحقاف: ١٣.

(١٠) ق: ٣٧.

(١١) البقرة: ١٩٧.

عبارة عن القيام بكلِّ وظائف العبادة وبكلِّ وظائف الطاعة، وبكلِّ ما تمثله التَّقوى، مما يقرب الإنسان إلى ربِّه.

((فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ)) وَلَعَلَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ جَعَلَ الْمَوْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ صَبَاحاً وَمَسَاءً، فَإِنَّ الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ بَعِيداً مِنْ خِلَالِ طَوْلِ الْأَمَلِ، جَعَلَهُ قَرِيباً مِنْهُ، حَاضِراً عِنْدَهُ، فَهُوَ يَنْتَظِرُ الْمَوْتَ فِي كُلِّ وَقْتٍ. وَقَدْ جَاءَ فِي دَعَاءِ الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عليه السلام إِذَا نَعِيَ إِلَيْهِ مَيِّتٌ أَوْ ذَكَرَ الْمَوْتَ: ((اللَّهُمَّ اكْفِنَا طَوْلَ الْأَمَلِ، وَقْصُرْهُ عَنَّا بِصَدَقِ الْعَمَلِ، حَتَّى لَا نَوْمِلَ اسْتِجْمَاعُ سَاعَةٍ بَعْدَ سَاعَةٍ، وَاسْتِيفَاءُ يَوْمٍ بَعْدَ يَوْمٍ، وَلَا اتِّصَالَ نَفْسٍ بِنَفْسٍ وَلَا لِحُوقِ قَدَمٍ بِقَدَمٍ)) يَعْنِي أَنَّهُ عِنْدَمَا يَنْقَلِ الْإِنْسَانُ قَدَمَهُ لَا يَأْمَلُ أَنَّهُ يَنْقَلِ قَدَمَهُ الثَّانِيَةَ، لِأَنَّهُ قَدْ يَأْتِيهِ الْمَوْتُ. وَلَكِنْ قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: إِذَا جَعَلْنَا الْمَوْتَ أَمَامَنَا فَإِنَّ ذَلِكَ سَوْفَ يُبْعِدُنَا عَنِ الْحَيَاةِ وَيَمْنَعُنَا عَنِ الْعَمَلِ وَالْبِنَاءِ وَالِابْتِكَارِ وَالْأَمْرِ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَلَيْسَ فِي التَّعَالِيمِ الْإِلَهِيَّةِ مَا يُوحِي بِذَلِكَ. كَيْفَ وَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ مُسْتَخْلِفاً لِيَأْهُ فِي الْأَرْضِ يَعْمُرُهَا بِالْخَيْرِ، وَسَخَّرَ لَهُ كُنُوزَهَا وَمَا فِيهَا مِنْ نَعَمٍ وَخَيْرَاتٍ! كَيْفَ وَقَدْ قَالَهَا الْإِمَامُ عَلِيُّ عليه السلام: ((اعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا، وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا))^(١٢) فَعِنْدَمَا تَفَكَّرَ فِي مَشَارِيعِ الدُّنْيَا وَحَاجَاتِهَا، وَكُلَّ مَا يَتَّصِلُ مِنْهَا بِحَيَاتِكَ الشَّخْصِيَّةِ أَوِ السِّيَاسِيَّةِ أَوِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ أَوِ الْاِقْتِسَادِيَّةِ، أَوْ فِي حَيَاةِ النَّاسِ مِنْ حَوْلِكَ، أَوْ فِي بِنَاءِ الْحَيَاةِ مِنْ خِلَالِكَ، بِاعْتِبَارِكَ - أَيُّهَا الْإِنْسَانُ - خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، وَقَدْ أَوْكَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ إِعْمَارَ الْأَرْضِ إِعْمَاراً ثَقَافِيّاً وَإِعْمَاراً مَادِيّاً وَرُوحِيّاً وَسِيَاسِيّاً وَاجْتِمَاعِيّاً، فَكَّرَ أَنَّكَ لَا تَمُوتُ، يَعْنِي لَيْكُنْ إِقْبَالُكَ عَلَى عَمَلِكَ إِقْبَالُ الْإِنْسَانِ الْخَالِدِ الَّذِي يَشْعُرُهُ بِالْخُلُودِ وَالِاسْتِمْرَارِ فِي الْعَمَلِ، فَإِذَا فَاتَتْكَ فُرْصَةُ الْيَوْمِ فَسْتَحْصِلُ عَلَيْهَا غَدًا وَبَعْدَ غَدٍ وَمَا إِلَى ذَلِكَ، أَمَّا إِذَا فَكَّرْتَ فِي الْمَسْئُولِيَّةِ، لِهَاجَةٍ أَنَّ الْعَمَلَ يَتَضَمَّنُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَسْئُولِيَّاتِ، فِي إِتْقَانِ الْعَمَلِ فِي نَفْسِهِ، وَفِي صِيَانَةِ الْعَمَلِ مِنْ أَنْ يَتَحَوَّلَ إِلَى شَرٍّ وَإِلَى مُشْكَلَةٍ لِلنَّاسِ، أَوْ يَتَحَرَّكَ الْعَمَلُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، هُنَا عِنْدَمَا تَعْمَلُ وَتَتَشَطَّطُ

وتبني، فكّر في المسؤولية كما لو كنت تموت غداً، بحيث إذا واجهك الانحراف فكّر أنّك سوف تقف غداً بين يدي الله، وكيف تقدّم حسابك عمّا قممت به من انحراف أو ما أشبه ذلك. فلا تهدم حياتك بنفسك بالإحساس بالموت، ولكن أن تعيش المسؤولية في نفسك «وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بُغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ»^(١٣).

((وهوّن الشديد)) يعني هوّن الشدائد على نفسه. ولعلّ المراد من الشدائد هي ما يتحمّله الإنسان من المشقة والجهد والصعوبة في طريق طاعة الله، وقد حفّت الجنة بالمكاره وحفّت النار بالشهوات، ولأنّ العمل في سبيل الله يحتاج إلى كثير من الصبر، حتّى يستطيع الإنسان أن يملك خطّ الاستقامة في حياته ولا يسقط أمام الصعاب «وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ»^(١٤). وهكذا أن تصبر على الطاعة، وأن تصبر على المعصية.

((نظر فأبصر)) نظر يعني ركّز نظره، ولعلّ المراد بالنظر هو النظر الفكري، يعني فكّر وانطلق في الخطوط الفكرية، ليتعرّف على طبيعة الأمور وحقائق الأشياء وعواقب المسير، ولا يتجمّد عند أوائلها، وأن ينفذ إلى عمق الأمور ولا يبقى على سطحها، لذلك ((نظر فأبصر)) أي حرّك فكره من خلال ما زوّده الله به من وسائل الإعانة على التفكير، من بصره وسمعه ولمسه وذوقه وشمه وكلّ حواسه، ليتحرّك بجميع ذلك كلّه ويقدمه إلى العقل المتحرّك، ليصنع منه الفكر المستقيم. وهذا ما أشار إليه القرآن عندما كان يتحدث عن البصيرة «فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ»^(١٥)، فلا بدّ أن يكون قلبك مستيقظاً مبصراً. وقد عبّر الإمام عليّ عليه السلام عن طريقة التعامل مع ما يحيط بالإنسان من الدنيا ((مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَتَهُ وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتَهُ))، يعني أن

(١٣) الزمر: ٥٥.

(١٤) لقمان: ١٧.

(١٥) الحج: ٤٦.

الإنسان الذي يوجّه نظره إلى زخارف الدُّنيا فإنّها تهجم عليه لتعشي بصره بكلّ زخارفها وبريقها، ولكن إذا جعل الدُّنيا عيناً يُبصر بها ما في داخلها، فإنّها تبصّره وتعرفه طبيعتها وعواقبها ونتائجها، وما يقبل عليه من خلالها إلى مزرعة الآخرة ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(١٦).

((وذكر فاستكثر)) يعني فاستكثر من ذكر الله، لأنّ ذكر الله في العقل وفي القلب وفي اللسان وفي الموقف، هو سرُّ النجاة في الدُّنيا والآخرة، ولأنّك إذا جعلت الله أمامك فإنّك لا تخطو خطوة إلّا وتُراقب فيها نفسك من خلال مراقبة الله لك. وأمّا إذا نسيت الله فإنّك تنسى نفسك، لأنّك تنسى معنى العبودية في شخصك، وتنسى معنى المسؤولية في تحركاتك في الحياة، وتنسى نتائج المسؤولية مما تُقبل عليه عند الله ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١٧)، لأنّ هذه المقدمة فيها نسيان الله والنتيجة نسيانك نفسك، لأنّ نفسك هي خلق الله، ومعنى الكيان في وجودك المرتبط بالله.

التذكير بالنعمة الإلهية:

أيّها الأحبّة، ألفت نظركم إلى أنّ هناك فكرة كثيراً ما يركّز عليها القرآن، ليخلق فينا حالة من عمق الوعي في علاقتنا بالله وهي التذكير بالنعمة ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾^(١٨)، يعني أنّ كلّ نعمة، سواء كانت هذه النعمة مما يتّصل بجسدك، بما يتمثّل بالأجهزة التي تنظّم حياتك في جسدك، أو النعم التي تحصل عليها من الخارج مما تأكل وتشرب وتشتهي وتتلذّذ وتلبس وتسكن وتعلّم وما إلى ذلك، فهو كلّ من الله. دلي على شيء هو لك تستقل فيه! فلو أنّ الله حبس عنك الهواء فهل تستطيع أن تعيش؟! وبعبارة أخرى، إنّ هناك ارتباطاً محكماً بين وجودك وبين ربوبية الله لهذا الوجود، لأنّك أنت في ارتباط دائم وأبدي، وليس

(١٦) القصص: ٧٧.

(١٧) الحشر: ١٩.

(١٨) النحل: ٥٣.

لك من الأمر شيء. ﴿وَأِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(١٩). وقد استوحى أمير المؤمنين عليه السلام ذلك فقال: ((لو لم يتوعد الله على معصيته لكان يجب أن لا يعصى شكراً على نعمه))، فإذا كان وجودك من الله سبحانه وتعالى فإذا كيف تعصي الله سبحانه وتعالى؟ وكما ورد في بعض المأثور، بما مضمونه إنك إن أردت أن تعصي الله فاعصه بغير ما أنعم به عليك، أي اعصه بما تستقل به من وجود وقوة ومنعة. ولكن كيف وكل ما حولنا وما يتصل بنا بشؤوننا منه تعالى حدوثاً واستمراراً وبقاءً. ولكن المسألة إن الإنسان إذا غفل عن سر وجوده أصبح مجرد ورقة يلعب بها الشيطان، وأصبح مجرد خشبة في مجرى التيار لا تعرف هل ينقلها التيار إلى عمق البحر أو يلقيها على الشاطئ. لذلك مسألة الإحساس بالله سبحانه وتعالى هي من المسائل التي لا بد أن تتحرك مع الإنسان في كل لحظة من لحظات حياته، بحيث لا يغفل عن الله تعالى. وعن الإمام زين العابدين (سلام الله عليه) في دعاء له يقول: ((واشغل قلوبنا بذكرك عن كل ذكر، وألسنتنا بشكرك عن كل شكر، وجوارحنا بطاعتك عن كل طاعة))، يعني أنني أبقي معك، في القلب وفي اللسان وفي الحركة، لنحس بحضورك في حياتنا كما لا نحس بحضور أحد ((خف الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)).

((وذكر فاستكثر، وارتوى من عذب فرات سهلت له موارده)) أي عندما يرتوي من حب الله. لأننا الظمأ إلى الله. وعندما يشرب من هذا ينبوع الصافي وهو ينبوع الحب لله والانفتاح عليه، فإنه يشرب من عذب فرات. وهو الذي سهل الله لنا موارده وجعلنا أهلاً للوصول إليه. أمّا كيف نحصل على محبة الله؟ كيف نحب الله؟ فهو بالتفكير في عظمته، لنعرف عظمته من خلال عظمة خلقه وأسرار هذا الخلق، ونتذكر نعم الله علينا، ونبتهل إلى الله في كل آلامنا وأفراحنا وأحلامنا، وندعو الله في ذلك كله ونركع له ونسجد ونقف بين يديه، لنعيش معه ونشعر بعطفه وحنانه، حتى نحس ببرد لطفه ورحمته علينا.

وندعو الله في ذلك كله ونركع له ونسجد ونقف بين يديه، لنعيش معه ونشعر بعطفه وحنانه، حتى نحس ببرد لطفه ورحمته علينا.

الصبر على تحمل المشقات:

((فشرب نهلا، وسلك سبيلا جددا))^(٢٠) والسبيل الجدد - في اللغة - هو الطريق المستقيم، لأن الإنسان إذا عاش إحساسه وإيمانه بتوحيد الله، انفتح له الطريق المستقيم ((إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون))^(٢١).

وفي المثل: ((وعند الصباح يحمد القوم السرى)) يضرب لمن يسير ويقطع المسافات ليلا، فيصبر على تحمل العناء والمشقة ومقاومة السهر والألم، فإذا وصل إلى مبتغاه حمد الله بعد أن كان يكابد ويعاني. وحال المؤمنين كذلك، فهي معاناة ومكابدة تنتهي برضوان من الله ومغفرة ورحمة، عندئذ يجتمع المؤمنون ويتواصلون مع ذريتهم وآبائهم من الصالحين، فيأنس بعضهم ببعض، ويظللون بالرحمة وتنزل عليهم الملائكة بما صبروا على طاعة الله، ومكابدة البلاء في سبيله، ومجاهدة النفس والابتعاد عن المعصية. فيسلم الملائكة عليهم جزاء صبرهم، ويبشرونهم بالجنة جزاء نجاحهم في الامتحان. والحمد لله رب العالمين.

(٢٠) الخطبة الواردة في المحاضرة من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد. ج ٦. ص ٣٦٣. ب ٨٦.

(٢١) فصلت: ٣٠.

المحاضرة الثالثة والعشرون

٤ رجب ١٤٢٢ هـ - ٢٢ / أيلول / ٢٠٠١ م

في مدرسة الإمام علي عليه السلام (١٤) خصال فريقين من الناس - القسم الثاني -

○ المؤمن مصباح الدنيا ينير

للناس طريقهم في ظلمات

الجهل والتخلف والشبهات ○

✧ فريقان من الناس .

✧ هم الآخرة أولاً .

✧ الدليل إلى الهدى .

✧ المؤمن مصباح الدنيا .



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

فريقان من الناس:

لا نزال في الحديث عن الخطبة التي خطبها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وهو يتحدث عن فريقين من الناس، ثمّ يتحدث عن نفسه وعن أهل بيته عليه السلام. وكان الحديث عن الفريق الأول، وهو الفريق السائر على طريق الحق، والذي يمثله العبد الذي استشعر الخوف، وقد تقدّم الحديث عن ذلك، حتّى قال: ((قد خلع سراويل الشهوات وتخلّى عن الهموم، إلّا همّاً واحداً انفرد به)). فمن بين صفات هذا الإنسان، أنّه الإنسان الذي تحرّر من ضغط شهواته. وهذا لا يعني أن يترك كلّ شهواته، لأنّ الشهوات التي تمثّل غرائز الإنسان هي من شروط استمرار حياته، فالإنسان يعيش شهوة الأكل ليسدّ حاجة الجوع، وشهوة الشراب ليسدّ حاجة الظمأ، فالأكل هو الذي يمسك عليه حياته، لما تحتاجه حياته من العناصر الموجودة في الغذاء، تلك العناصر التي تحتاجها كلّ أجهزة جسمه، وهكذا بالنسبة للماء «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ»^(١)، فلا يحيا بدونه، وهكذا بالنسبة إلى شهوة الجنس التي يحتاجها الإنسان التي يتوقف عليها توازن حاجاته الجسدية من جهة، واستمرار الحياة بشكل طبيعي من جهة أخرى. وهكذا بالنسبة إلى الغرائز التي في مقدمها غريزة حبّ الذات، وهي الغريزة التي تجعل الإنسان يتطوّر ويندفع، للمحافظة على حياته، وللحصول على ما يرفع مستواه، وما يُغني حاجاته، حتّى أن حبّ الذات يجعله يطيع الله أكثر، ليحصل

على السعادة في الآخرة، لذلك لا نعتبر حبّ الذات أمراً سيئاً في ذاته، بل يختلف في حركته حسب اختلاف اتجاهاته، ولم يرد الإسلام أن يلغي شهوات الإنسان، بل أراد له أن يأخذ بها، لأنّها من العناصر الحيوية لجسده ووجوده، غير أنّ هناك فرقاً بين ممارسة الشهوات بطريقة متوازنة من خلال أنّها حاجة، وبين أن تُمارس الشهوات لتسقط تحت تأثيرها، بحيث تتجاوز الشهوات مبادئك، فإذا وقفت بين ممارسة القيم الروحيّة والأخلاقيّة وبين حاجات الشهوة، فإنّك تسقط أمام حاجات الشهوة وتلغي كلّ قيمك. هنا التحفظ على الشهوات وهنا الإشكالية.

همّ الآخرة أولاً:

يقول أمير المؤمنين عليّ ؑ في خطبه والتي تقدّم الحديث عن بعضها في وقت سابق: ((قد خلع سراويل الشهوات عن نفسه))، بمعنى أنّه لم يجعل الشهوات ثوباً يلبسه، بحيث يحيط كلّ حياته، لتكون حياته واقعة تحت ضغط شهواته. والإسلام - كما ذكرنا - يريد لك أن تملك نفسك، وهو ما أكدته الأحاديث، إذ ورد أنّه ((ليس الزهد أن تملك الدنيا بل أن لا تملك الدنيا)). فهناك فرق بين أن تكون سيّد نفسك وبين أن تكون عبد نفسك، كن عبد الله ولا تكن عبد الشهوة، لأنّها تجرّك إلى كثير من المزالق، وتوقعك في المخاطر.

((وتخلّى عن الهموم، إلّا همّاً واحداً انضرد به)) فهو تحرّر من الأمور الطارئة التي تملأ حياة الإنسان، ولكلّ منّا همومه؛ هموم الحاجات، وهموم الشهوات وهموم المطامع، تلك الهموم التي تختصرها كلمة (هموم الدنيا).

هنا يقول عليّ ؑ عن هذا الإنسان أنّه تخلّى عن الهموم، بمعنى أنّه لم يجعل الهموم تُحاصر حركته في الحياة، لتشغله عن مسؤولياته وعمّا يقبل عليه أمام ربّه، بل إنّهُ يُمارس هذه الهموم كحالات طارئة في حاجاته، يأخذ منها بالمقدار الذي يحقّق فيه حاجاته، فإذا لم تتحقّق تركها وراءه، لأنّ هذه الهموم لا تعنيه بقدر ما يعنيه الهمّ الأساسي، ذلك الهمّ الذي انضرد به، وهو همّه فيما بعد الموت، وهمّه برضا الله، وهمّه بالنجاة عندما يقف بين يدي الله سبحانه وتعالى.

وهذا ما عبّر عنه الإمام عليه السلام في كلمته لابن عباس ((فلا يكن أفضل ما نلت في دنياك بلوغ لذة وشفاء غيظ))، بمعنى أن لا يكون همك وطموحك في حياتك أن تبلغ لذاتك أو تشفي غيظك، مما أعاظك أو ممّن أعاظك، ((فليكن سرورك فيما قدّمت)) من عمل صالح، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٢)، ((وأسفك فيما خلّفت)) من الفرص التي ضاعت وكان بإمكانك أن تربح بها خير الدنيا والآخرة ((وهمك فيما بعد الموت)) لأنّ ما بعد الموت يمثّل المصير، وعلى الإنسان أن يكون همه سلامة كلّ مصيره، فيحرّك حياته وكلّ ما يشغله في إطار همه الرئيس، بحيث لا تغلب عليه الهموم الأخرى. وقد تحدّث الله سبحانه وتعالى عن قوم قارون وهم يخاطبون قارون ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾^(٣)، أي لا تبطل ولا يأخذك الكبرياء والبطر ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(٤)، بمعنى أن تتحرّك في الدنيا من خلال حاجات الدنيا، التي تحقّق لك استمرار حياتك بطمأنينة، من غير أن تكون الدنيا همك، فالدنيا حاجة لك وليست رسالة أو غاية، لأنّك سرعان ما تتركها.

((وتخلّى عن الهموم إلّا هماً واحداً انضرد به فخرج من صفة العمى)) فهو عندما خلع ثياب الشهوات، وتخلّى عن الهموم إلّا همّ رضا مولاه، أبصر وانفتحت بصيرته على الحقيقة، وعلى آفاق الخير، وعلى ما يدفعه إلى القرب من الله سبحانه وتعالى، فتحرر من صفة العمى، وأصبح من المبصرين ((ومشاركة أهل الهوى)) أي خرج من مشاركة أهل الهوى، لأنّه انطلق من خلال دينه ومبدئه ورسالته، وتحرّر من قيودهم، لأنّ تلك القيود تجعلهم يتحرّكون مع أهوائهم، وهي تتجه بهم ساعة نحو اليمين، وتلقي بهم ساعة أخرى صوب الشمال، فهم أسرى

(٢) البقرة: ١١٠.

(٣) القصص: ٧٦.

(٤) القصص: ٧٧.

هذه الأهواء، يميلون معها حيث تميل. وقد قال الشاعر: ((إذا الريح مالت مال حيث تميل)). وقد قال عليّ ؑ يصف أهل الهوى: ((همج رعا ع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ربح لم يستضيئوا بنور الحق ولم يلجأوا إلى ركن وثيق)).

الدليل إلى الهدى:

ويُتابع عليّ ؑ فيقول: ((وصار من مفاتيح أبواب الهدى)) فهو لم يتحرر من الأهواء، ولم يُفارق العمى وحسب، بل تحول إلى موقف إيجابي، في خط حركة الرسالة في حياته، فأصبح صاحب رسالة، ((وصار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق أبواب الردى)) وعندما يمسك الإنسان هذا المفتاح، فهو يملك أن يفتح للناس أبواباً تدخلهم إلى الهدى، وإلى ساحات الخير والحق والعدل، وهي الساحات التي تدلهم على الله وتدخلهم في طاعته ((وأغلق أبواب الردى)) التي تقود الناس إلى الهلاك، حتى لا يدخل الناس أبواباً تؤدي بهم إلى الهلاك. وهذا يعني أنه لا يكفيك أن تمنع نفسك عن الشر، بل لا بد من أن توجهها نحو الخير، وعليك أن لا تترك أهل الهوى لتعيش وحدك، بل لا بد لك أن تتحرك مع مجتمع الهدى، فلا تقف على الحياد بين أهل الهدى وأهل الهوى، بل عليك أن تكون مع الحق ومع أهل البصيرة، فمن ترك الهوى وترك العمى انطلق إلى البصيرة. وقد قالها الإمام موسى الكاظم ؑ: ((لا تقل أنا مع الناس وأنا كواحد من الناس، إنما هما نجدان. طريقان. نجد خير ونجد شر، فلا يكن نجد الشر أحب إليك من نجد الخير))^(٥).

ثم يقول عليّ ؑ في وصفه: ((وقد أبصر طريقه)) فهو عندما خرج من صفة العمى صار مبصراً، وبذلك أبصر طريقه، لا بعينه بل بقلبه، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۖ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا

(٥) بحار الأنوار، ج ٤٥، ب ٣٤، ص ٣٤٥، ح ٧٠.

(٦) الحج: ٤٦.

فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى^(٧)، نسيتها أي عميت عنها وصرت أعمى لأنك عشت عمى القلب وإن كنت مبصر العين.

((وسلك سبيله)) فقد أبصره ودعاه إلى أن يسلك هذا الطريق، ((وعرف مناره)) يعني عرف ما ينير له الطريق، ((وقطع غماره)) أي أنه قطع الغمار، والغمار في اللغة معظم البحر، ويعني أنه عبر بحار المهالك إلى سواحل النجاة. ((استمسك من العرى بأوثقها)) والعرى ما يتمسك به، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(٨) فهو استمسك بأوثق العرى وبأقواها. ((ومن الحبال بأمتنها)) ومن أراد أن يتمسك بجبل النجاة لا بُدَّ له أن يتمسك بجبل متين وإلا انقطع وتردَّى.

وحال المؤمن هنا كما وصف عليّ ؑ أنه يتمسك بجبل متين لينقذه من الردى والهلاك. ثُمَّ يَعْقَبُ ؑ فيقول: ((فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس)) يعني عندما أبصر طريقه وسلك سبيله وانفتح على الهدى، فإنه عرف الحقيقة، عرف حقيقة الموقف وحقيقة الغاية وحقيقة الإيمان، وعرف حقيقة موقعه من ربه ومقام ربه، وبذلك أصبح من اليقين على مثل ضوء الشمس، فلم تكن له أية حالة ضبابية في إيمانه، ولا في أهدافه وغاياته وما إلى ذلك، وقد آل به اليقين إلى أنه ((قد نصب نفسه لله سبحانه)) يعني صار جندياً من جنود الله وولياً من أوليائه ومن حزبه، والإنسان الذي يفتح على الله سبحانه وتعالى من الأفق الواسع، لأنه أبصر ربه ببصيرته وعرف مقامه ((قد نصب نفسه لله سبحانه في أرفع الأمور)) فهو عندما يرتبط بالأمور الرفيعة التي ترقى إلى المستوى الأعلى في أهداف الإنسان، يصبح مؤهلاً لأن يتبوأ موقع المتيقن ((من إصدار كل وراد عليه)) فهو كلما ورد عليه سؤال يسأله عنه الناس يعلمهم ويرشدهم ويجيبهم بما

(٧) طه: ١٢٥، ١٢٦.

(٨) لقمان: ٢٢.

يتفق ووجهه وحقيقته، وقد ورد أنه ما أخذ الله على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا، وقد ورد ((إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله))، ((وتصيير كل فرع إلى أصله)) يعني قد بلغ من الثقافة موقعاً ودرجة تؤهله لأن يردّ الفروع إلى أصولها، وذلك شأن الفقيه الذي يعرف أصول الشريعة، فيحاول أن يفتح ويتعمق في هذه الأصول من الكتاب والسنة والعقل وما إلى ذلك من الأدلة، ليردّ الفروع إلى الأصول، ويجيب على أسئلة الناس، مما يبتلى به الناس في حياتهم العامة والخاصة.

المؤمن مصباح الدنيا:

((مصباح ظلمات)) فيكون هذا الإنسان الذي استطاع أن يربّي نفسه ويثقفها بمثابة المصباح في الظلمات، لينير للناس طريقهم في ظلمات الجهل والتخلف والشبهات وما إلى ذلك ((كشّاف غشاوات)) فإذا واجهت الناس الشبهات وضغطت عليهم كل غشاوات الجهل والضلال وأعشت عيونهم عن النظر إلى الحق، فإنه يتحمل عناء كشف هذه الغشاوات التي تغشي عيون الناس وتحجب عنها ضوء الشمس. ((مفتاح مبهمات)) فإذا واجه الناس الأمور المبهمة وغير الواضحة وأرادوا من يفتح لهم هذا المبهم ليوضحه لهم وليعرفهم طبيعته وأسراره، فإنّ هذا الإنسان وأمثاله هو المؤمل لفتح المبهم وفك رموزه ومغاليقه ليدخل الناس في الوضوح. ((دفع معضلات)) بمعنى إذا هجمت العضلات - الأمور المعضلة - والأمور المعقدة وأخذت تدهم حياة الناس، وتحير الناس في كيفية حلّها والخروج منها، فإنه من خلال إحساسه بالمسؤولية ومن خلال معرفته بالأمور المعقدة يتصدّى لدفع هذه المعضلات عن الناس، فيشعر الناس بالراحة والطمأنينة والسكينة.

((دليل فلوات)) والفلوات - في اللغة - الصحارى، وفي مثلها يحتاج إلى الدليل، ذلك الدليل الذي يدل الإنسان على الطريق، حيث الرمال تملأ الساحات كلّها، فلا يعرف الإنسان طريقه، والمقصود هنا من الفلوات فلوات الجهل

وصحارى الضلال، فيُصبح هذا الإنسان دليلاً في مثل هذه الصحارى ينقذ النَّاس من المتاهات وينصب لهم العلامات ((يقول فيُفهم)) فهو إن تحدّث مع النَّاس تحدّث بوضوح وبما يفهمهم، وليس له همٌّ إلا أن يكونوا في وضوح، إذ ليس من العبقريّة أن يتحدّث الإنسان بما لا يفهمه النَّاس، ولا أدل على ذلك من كلام الله في كتابه الكريم، وقد أنزل بلسان عربي مبين، ووفق أصول ومحاورات أهل اللغة واللسان.

((ويسكت فيسلم)) فإنّه يسكت عندما يكون النَّاس في غير حاجة إلى الكلام أو عندما يؤدّي الكلام إلى خلق مشكلة له وللنَّاس، فإنَّ الصمت في كثير من الحالات يمثّل قيمة فكرية للإنسان، لأنَّ الإنسان يصمت هنا ليفكّر، لأنّه إن تكلم بلا تفكير، فهو يفقد فرصة تعميق كلامه، ولذا قالوا: ((إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب)) وإنّما عدّ السكوت من ذهب لجهتين، من جهة أنّه قد يسكت لدفع ما يمثّله الكلام من مشكلة له وللمجتمع، وقد يصمت الإنسان من جهة أخرى ليستجمع فكره ولكي يحركه في استخراج المعاني من خلال عمقها ومن خلال الحاجة إليها.

((وقد أخلص لله فاستخلصه)) أخلص لله في فكره وعقله وقلبه وإحساسه وعمله، ولما عرف الله منه الإخلاص استخلصه، بمعنى قرّبه واستخلصه لنفسه فجعله من أوليائه ((فهو من معادن دينه)) فأصبح يمثّل قاعدة من قواعد الدين، باعتبار أنّه يمثّل المعدن، وهو الذي يتميّز بالخصائص الأساسية التي تغني الإنسان، وهذا هو شأن المعادن ((وأوتاد أرضه)) وهي التي تثبت الأرض كما في قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادٌ﴾ فكما تحتاج الأرض أوتاداً مادية تثبتّها حتّى لا تهتز ولا تنهار، فنحن بحاجة إلى أوتاد إنسانية تثبت العقول والنفوس وتثبت الحقّ في مواقعه حتّى لا يهتز أمام الشبهات وأمام التحديات ((قد ألزم نفسه العدل)) لأنّه رأى في العدل رسالة الله إلى النَّاس وقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا

رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ^(٩) والقسط العدل ((فكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه)) لأنه لا بدّ للإنسان أن يعدل مع نفسه أولاً، فلا يظلم نفسه، ولا يسير بها نحو الهلاك ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١٠)، وفي دعاء كميل يقول عليّ ؑ: ((ظلمت نفسي وتجراتُ بجهلي وسكنتُ إلى قديم ذكرك لي ومنك عليّ)) فهذا هو أول عدله، وهو عدله مع نفسه، فاستقامت في الطريق المستقيم الذي يدفعها إلى النجاة. وهو إن عدل مع نفسه فإنه يفكر من خلال ذلك أن يعدل مع الناس، لأنّ الإنسان الذي يظلم نفسه ينطلق من خلال هوى نفسه، وهو إن منع الناس حقوقهم فهو يلبي رغبة نفسه الظالمة لنفسه أولاً، وإن نفي الهوى عن نفسه أصبح منفتحاً على الحق مستعصياً على الهوى، فيُعطي الناس حقوقهم.

((يصف الحق ويعمل به)) فهو ليس ممن يقول ولا يفعل، ويتحدّث عن الحق ويتكرّره، بل هو أولى بالحق، وقد تحدّث الله على لسان نبيه ﷺ ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١١)، يعني أدعو الناس إلى الإسلام، وأكون أنا أول المسلمين الذين يتحرّكون في خطّ الإسلام في الطريق إلى الله ((لا يدع للخير غاية إلا أمها)) يعني قصدها ((ولا مظنة إلا قصدها)) فأيّ شيء يظن به خيراً قصده، فهو في تفتيش دائم عن الخير.

((قد أمكن الكتاب من زمامه)) يعني جعل زمام نفسه ومصير حركته في الحياة وانطلاقته فيها من الكتاب الكريم ((فهو قائده وإمامه)) فقد استنار بالقرآن واستنطقه وفعلّه في حياته، فكان إمامه الذي يهتدي بهداه وليس كالذي يفرض رأيه على الكتاب فيحرّفه عن مواضعه ((يحل حيث حلّ ثقله)) بمعنى أنّه يحل أينما حل الكتاب، بأوامره ونواهيه، فيأتمر بأوامره، وينتهي عن نواهيه،

(٩) الحديد: ٢٥.

(١٠) النحل: ١١٨.

(١١) الزمر: ١٢.

((وينزل حيث كان منزله))^(١٢)، فلا يُفارق الكتاب الكريم في صغيرة ولا كبيرة...
وللكلام بقية في الأسبوع القادم إن شاء الله. والحمد لله رب العالمين.

في مدرسة الإمام علي ؑ (١٥) خصال فريقين من الناس - القسم الأخير -

○ هذا هو درس علي ؑ أن

تظلّ حركتنا باسم الله، وأن يظلّ

طريقنا على ملة رسول الله ﷺ

وأن نشعر أن الفوز كل الفوز هو

الالتزام بطاعة الله وطاعة

رسوله ○

مقتضيات الوثاقة .

تجنيد الدين للابتزاز .

المظاهر الزائفة .

الأئمة ؑ أعلام الدين .

الأئمة ؑ أحياء ما بقي الزمن .

كشف الحساب .

عاشق الله .



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

نحن مع الفصل الأخير من خطبة الإمام عليّ عليه السلام التي قسم فيها الناس إلى قسمين، ولا سيما المتصدّين للعمل الإسلامي في المجتمع، الثقافي منه أو العام. وكان الحديث في ما تقدّم عن القسم الأول من الناس وهم المؤمنون.

ونتناول في حديثنا هذا القسم الثاني، فيقول: ((وآخر قد تسمى عالماً وليس به))، أي أنّ هناك فريقاً من الناس من يدّعي العلم والكفاءة في العمل الإسلامي الثقافي، وليس له نصيبٌ منه، سواء الذي يتزىي بزي العلم أو الذي يتخذ لنفسه مركزاً في المواقع الثقافية التوجيهية، فهو يضع نفسه موضع العلماء أو المثقفين والمفكرين الإسلاميين، وليس له حظ مما يدّعي، بل لو سبرنا أغواره لوجدناه كما يقول الإمام عليّ عليه السلام: ((فاقتبس جهائل من جهال)) فهو عندما تعلّم فأثّه لم يأخذ علمه من العلماء الذين يملكون المعرفة الحقيقية أو يملكون قواعد العلم ومناهج التفكير، بل اتكأ على جهال لا يملكون من الحقّ أيّة معرفة ولا يملكون من العلم أيّة قاعدة، فألبسوه جهلاً على جهل.

مقتضيات الوثاقة:

((وأضاليل من ضلال)) أي اقتبس الأضاليل التي تبعده عن الحقّ من جماعات ضالة ومنحرفة، فأخذ يتحرّك من مواقع جهله وينطلق في خطّ الضلالة. ويكثر هذا الفريق من الناس في المجتمع عندما تنعدم الموازين وتضيع الأسس التي يقوم عليها التقييم، كما نراه اليوم في المحافل العلمية، سواء في الحوزات أو غيرها، ولعلّ أوضح مثال على ذلك ما نراه في ارتداء الزيّ الديني،

بحيث يتيسر لأي إنسان أن يتزى بهذا الزي ويفرض نفسه من خلال بعض الأوضاع الاجتماعية على الإسلام وأهله، وربما تُمهد له بعض الأجواء المتخلفة الحركة في المجتمع وتعطيه الشرعية، لأنَّ المشكلة القائمة اليوم هي أنَّ الساحة الإسلامية بحكم بعض الظروف أخذت تتسع للمتخلفين الذين لا يملكون وعي الانفتاح على الجوانب الحضارية للإسلام وعلى مفاهيم الإسلام الأصيلة، بل ينطلقون من خلال الآفاق الضيقة ومن خلال التخلف التاريخي حتى أنك، وتشعر أنَّ بعض النَّاس يعيشون في الماضي وكهوف التاريخ ولا يعرفون شيئاً من الحاضر، وبالتالي فهم لا يستطيعون أن يفتحوا على المستقبل، وعندما يتصدّون للعمل الإسلامي، فإنَّهم يفرضون على الإسلام تخلفهم ويحملونه آراءهم المتحجرة، من خلال كلِّ أوضاع الكهوف المظلمة. فالمشكلة في هذا النموذج الذي يقدمه الإمام عليّ ؑ أنَّه نموذج الجهلة الذين يتزبون بزي العلم، من خلال بعض الظروف الاجتماعية التي جعلتهم في الواجهة أو جعلتهم في مواقع التبليغ والتعليم أو في مواقع التجربة، ومشكلتهم أنَّهم أخذوا جهلاً من جهال وضلالاً من ضلال.

وكأنَّ الإمام عليّ ؑ يوحى إلينا أنَّ علينا أن لا نخضع للظروف الاجتماعية في ثقتنا بالأشخاص، لأنَّ بعضهم قد يملك الضخامة الشخصية من جهة بعض التعقيدات الاجتماعية، ولكنَّه قد لا يملك ما يؤهله لهذه المواقع، وقد لا يكون أهلاً للمسؤولية، فلا تُعطي الثقة إلّا من خلال الخبرة والمعايشة، ولا نعول على الشكل أو المظاهر الخارجية، أو بعض الامتيازات الاجتماعية التي تُفرض لبعض الوقت ولسبب ما، فلا تُعطي قيادك إلّا لمن خبرته وعجنته وعركته وعرفت مصادره وموارده، ولا سيّما أنَّك تسلّم لهذا الإنسان عقلك، فكيف تسلّمه لمن لا يملك مسؤولية العقل؟ أو تُدعن له في العمل وأنت لا تعرف مؤهلاته في هذا الاتجاه؟ بل كيف تُدعن له في تحديد تكليفك الشرعي وتحديد الإطار العقيدي الذي تؤمن به، وهو على هذا الحال من الجهل والضلال والانحراف؟ وإني أتساءل أمام هذه الفوضى التي نعيشها في هذه الأوضاع التي يمثّل الزي الديني

فيها المدخل المناسب لكل ما يوجب الوثاقة، فيكون المتزيي بهذا الزي الديني موجباً للوثاقة به في العلم والمعرفة، وموجباً للوثاقة به في الدين، وموجباً للوثاقة به في استلام الحقوق الشرعية وقبضها، وهو ليس أهلاً للوثاقة بأي مستوى من هذه المستويات. لأنه كما قال الإمام علي عليه السلام، ((قد تسمى عالماً)) وهو يقتبس الجهل من الجهال، والأضاليل من الضالين ومصادر الضلال، فكان ادعاؤه للعلم مصدر تمويه وتضليل للناس.

تجديد الدين لا ابتزاز:

((ونصب للناس شركاً)) فهو قد اتخذ الدين والمعرفة وسيلةً للابتزاز، ووسيلة لاصطياد دين الناس وعقولهم وأموالهم، يصطادهم بشركه الذي صنعه ((من حبال غرور)) فجعل من أفعاله ومظهره مصدر تفرير للناس ليسهل عليه صيدهم، ((وقول زور)) وجعل كلماته الباطلة وقوله الزور وسيلةً لاجتذابهم واختطافهم، فبدأ عب مشاعرهم وأحاسيسهم، ويتحدث لهم بما يشتهون وبما يحبون، فهو لا يحدثهم بالحقيقة المرة أو بما يجعلهم يقضون على مسؤولياتهم. ((قد حمل الكتاب على آرائه)) بمعنى أنه يخضع القرآن لآرائه وتفكيره ولا يخضع تفكيره للقرآن، فهو إمام القرآن وليس القرآن إمامه، وهذا ما نلمسه في صورة الواقع، حيث ظهر عدد من الاتجاهات الفكرية في حقب مختلفة من التاريخ، وفي مقدمتها المجسمة الذين قالوا إن الله جسم، واستدلوا ببعض الآيات القرآنية الكريمة كقوله تعالى «فَأَيُّمًا تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ»^(١) وقوله تعالى «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ»^(٢)، وقوله تعالى «بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ»^(٣)، فتكروا آيات القرآن الأخرى التي تضيء الفكرة الصحيحة، أو أنهم تكروا لقواعد اللغة العربية وأسرار البلاغة، كل ذلك اتخذوا من القرآن الكريم وسيلةً لتبرير أفكارهم وتسويقها،

(١) البقرة: ١١٥.

(٢) الفتح: ١٠.

(٣) المائدة: ٦٤.

متناسين متعافلين قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٤) وقوله ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^(٥) وعندئذ لا يُراد من اليد في قوله تعالى ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٦) اليد الجارحة، وهي اليد العضوية المادية، بل المراد هنا القوة، كما نقول إن لفلان يداً، بمعنى السطوة والقوة. وكذلك في قوله تعالى ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ فإن المراد هنا العطاء، وهكذا في عدد من الموارد التي ابتلي القرآن الكريم فيها، حيث فسّرتة كل طائفة وكل فريق بما يشتهي، وبما يؤمن ويفكر، ليكون القرآن متفقاً مع آرائها، لا أن تكون هي متفقة مع القرآن.

((وعطف الحق على أهوائه)) أي أخضع الحق لما يهوى وما يشتهي وما يريد أن يوظفه لأهوائه وشهواته، كالكثيرين ممن يستشهدون بالقرآن لتغطية ظلمهم وطفيانهم، وما أكثر الطغاة الذين يحاولون أن يحرفوا الكلام عن مواضعه، ويحرفوا القرآن لإضلال الناس على حسب أهوائهم.

((يؤمن الناس من العظائم)) بمعنى أنه يهون للناس فعل المعاصي والانحراف عن الصراط المستقيم، فيؤمنهم من العذاب ومن سخط الله تعالى، فيشيع في حياتهم استسهال فعل المعصية والموبقات متذرعاً بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾^(٧) وقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٨) أو ما ورد من ((إِنَّ حَبَّ عَلِيٍّ حَسَنَةٌ لَا تَضُرُّ مَعَهَا سَيِّئَةٌ))، أو ما أشبه ذلك، ما يجعل الناس يواجهون كل ما يقومون به من معاصي لله مواجهة المطمئن، من دون أن يتعرفوا على الشروط التي لا بُدَّ أن تُصاحب ذلك كله بالرجوع إلى الله والتوبة من الذنوب ونحو ذلك.

(٤) الشورى: ١١.

(٥) الأنعام: ١٠٣.

(٦) الفتح: ١٠.

(٧) الزمر: ٥٣.

(٨) النساء: ١١٦.

((ويَهْوَنُ كبير الجرائم)) وعندما يتلبس النَّاسُ بالكبائر التي تصل إلى حدِّ الجرائم في حقِّ النَّاسِ، فإنَّه يَهْوَنُ عليهم ذلك، ويحاول أن يطمئنَّهم، بأنَّ الله لا يجازيهم على ذلك بعقابه.

المظاهر الزائفة:

((يقول أقف عند الشبهات)) فيظهر للنَّاسِ بمظهر الإنسان الورع الذي يقف عند الشبهة موقف المحتاط، الذي لا يقدم على ما يشتبه من الأمور التي تتردَّد بين الحلال والحرام، بمعنى أنَّه لا يرتكب حتَّى ما فيه شبهة الحرام فضلاً عن الحرام، ولكنَّه في واقعه على خلاف هذه الحال، فهو في الوقت الذي يدَّعي فيه الوقوف عند الشبهة يقع فيها.

((وفيها وقع، واعتزل البدع وبينها اضطجع)) والبدعة كلُّ ما يُنسب إلى الدِّين وليس من الدِّين في شيء، فهو يدَّعي أنَّه يعتزل البدع ولكنَّه ينام بينها على حدِّ وصف أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك كناية عن مدى اقتحامه البدع، بحيث أحاطت به من جميع الجهات.

((فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان)) فمظهره مظهر الإنسان، ولكن قلبه وعقله وأحاسيسه لا تنتمي إلى الإنسان، بل هي إلى الحيوان أقرب، من حيث العقل والقلب والأحاسيس فيما يفكر ويعقل ويشتهي، ولذلك وصف سبحانه وتعالى هذا الفريق بقوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٩) لأنَّ الحيوان بطبعه يخضع للغرائز ولا يفتح على الفكر، لأنَّه لا يملك حركية الفكر ولا يفتح على الإبداع، لأنَّ تكوينه الداخلي لم يؤسس على الانفتاح على الحقائق الكبرى، وما نحن بصدد الحديث عنه من هذا الفريق من النَّاسِ أشبه بالحيوان من هذه الجهة، لأنَّه لم يفتح قلبه على الله، ولم يفتح حياته على الصراط المستقيم، وقد قال تعالى ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا

وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ^(١٠)، لَأَنَّ الْأَنْعَامَ بطبيعتها تكونونها كذلك، على خلاف الإنسان الذي جمع بين العقل والغريزة، فأرسل الله لهم الأنبياء، ليكونوا لهم عقولاً احتياطية، لمساندة العقل في السير على الطريق المستقيم.

((لا يعرف باب الهدى فيتبعه)) فهو عندما سار في متاهات الضلال أضاع

أبواب الهدى، ولذلك فهو يتخبط في حياته، ولا يعرف باب الهدى فيتبعه، ((ولا باب العمى فيصد عنه))، لَأَنَّهُ أَعْمَى القلب ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(١١) فيدخل أبواب العمى ويُخِل إليه أنها أبواب الهدى. ((فذلك ميت الأحياء)) لَأَنَّ الْمَيِّتَ على قسمين؛ ميت الأموات وهو الذي فقد

الحياة في جسده، وهناك ميت الأحياء، وهو الذي تدب الحياة في جسده، ولكنه فقد الحياة في عقله وقلبه وانفتاحه على حياة الهدى. ولذلك عندما قُرئ على الإمام الباقر عليه السلام قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(١٢) قال:

((تأويلها الأعظم من نقلها من ضلال إلى هدى))، يعني أنك عندما تنقل الإنسان من ضلال إلى هدى فقد أحييته، لأنك أحييت عقله ليسير في رحاب الحقيقة، وأحييت قلبه لينفتح على الله، وأحييت حياته ليتحرك في الخط المستقيم. ومن الطبيعي أن من ينقل الناس من الهدى إلى الضلال فإنه ينقلهم من الحياة إلى الموت، وأي موت أعظم من أن يموت عقلك وقلبك وأن تموت حياتك؟ لأنها تعيش في قبور مظلمة لا تستطيع أن تخرج منها، وهذا أبلغ وصف يوصف به الإنسان المنحرف ((فذلك ميت الأحياء)). ثُمَّ إِنَّ الْإِمَامَ وهو يتحدث لمجتمعه آنذاك يتحدث إلينا أيضاً، لأنه كان حاضراً في ذلك المجتمع بوجوده المبارك، وهو حاضر في مجتمعنا بفكره وبعلمه وبكل روحانيته.

((فأين تذهبون)) بمعنى إلى أي المتاهات أنتم ذاهبون ((وأنى تؤفكون))

(١٠) الأعراف: ١٧٩.

(١١) الحج: ٤٦.

(١٢) المائدة: ٣٢.

يعني تصرفون عن الحق ((والأعلام قائمة)) والمراد بالأعلام هنا الرموز، يعني الشيء الذي يظهر ويدل على الطريق، ولذلك تسمى الجبال أعلاماً، لأنها تشير لك وتكون علامة ((والآيات واضحة)) أي آيات الهدى التي بينها الله سبحانه وتعالى في ما أرسله من رسل، أو ما أعقبهم من الأئمة والأولياء ((والمنازل منصوبة)) فيما يدل على الطريق ((فأين يتاه بكم)) فالى أين يذهب بكم هؤلاء المضلّون الذين ينحرفون بكم عن الخطّ المستقيم ((بل كيف تعمهون)) والعمة هو الحيرة والتردد.

الأئمة ؑ اعلام الدين:

((وبينكم عترة نبيكم)) وكان الذي يمثل العترة آنذاك عليٌّ وولده الحسن والحسين ؑ وأعقبهم الأئمة المعصومون من ذرية الحسين ؑ ((وهم أزمة الحق وأعلام الدين)) فهم الذين يمسكون زمام الحق وينظّمون للناس خطاً سيرهم تماماً كزمام الناقة، تشبيهاً بالإنسان الذي يمسك زمام دابته خشية أن تذهب أو تتجه به في الاتجاه غير الصحيح. كذلك الأمر بالنسبة لأهل بيت النبي ؑ فإنهم هم الذين يمسكون الزمام لئلا يضيع الناس، فيوجهونهم نحو الحق والطريق المستقيم، ويجنبونهم طريق الضلال والانحراف. ((وأسنة الصدق)) وهم أسنة الصدق، لأنهم لا يقولون إلا صدقاً، ولا يقولون إلا حقاً. فيفتح الناس على هذا الصدق، فيتحرّكون في أسنتهم، ليكرسوا هذا الصدق في كل كلماتهم، وفي كل الأجيال ((فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن)) أي أنزلوا أهل البيت ؑ بأحسن منازل القرآن، ومن منازل القرآن أن تعظمه وأن تتلوّه وأن تتدبّره وأن تعمل به، وكذلك أهل البيت ؑ فهم عدل القرآن. وقد قال النبي ؑ: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي))^(١٣)، فكما يجب علينا أن نعظم الكتاب وأن نقرأه ونتدبره ونعمل به، علينا أيضاً أن نعظم أهل البيت ؑ بما عظمهم الله به من إمامتهم

وعصمتهم وطهارتهم، وأن نقرأ تراثهم ونتدبره ونعمل به، لأنهم لا يقولون إلا ما قاله رسول الله ﷺ، ولا ينطقون إلا من خلال القرآن ((ورودهم ورود الهيم العطاش)) وهنا تشبيهه، بمعنى أنه كما تردّ الإبل العطشى الماء بتلهف وباندفاع شديد، فليكن حالكم في التلهف والاندفاع إلى أهل البيت ﷺ كما هي حال الإبل العطاش.

((أيها الناس خذوها عن خاتم النبيين ﷺ)) بمعنى خذوا هذه الكلمة التي تمثل قيمة أهل البيت ﷺ والنبي ﷺ وهو الذي لا ينطق عن الهوى «وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ»^(١٤)، لأن النبي عندما تحدّث عن أهل بيته، فإنما تحدّث عنهم لأنهم موضع الرسالة وموضع الحقّ ولأنهم كسفينة نوح كما قال: ((مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى)).

الأئمة ﷺ أحياء ما بقي الزمن:

((إنه يموت من مات منا وليس بميت)) فهم وإن كانوا لا يخلدون في الحياة جسداً كما قال تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ»^(١٥) «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ»^(١٦) فإذا ماتت أجسادهم فهم باقون في روحانيتهم وفي عقولهم وتراثهم، وفي أرواحهم الطاهرة التي تتحرّك في مدى الزمن عند الله، وما ركّزوه لنا من السنّة، وما أوضحوه لنا من المفاهيم الإسلامية، وما تحرّكوا به من خلال التطبيق في الواقع، فهم أحياء كما في قوله تعالى «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ»^(١٧)، فلم هناك حياة عند الله يعيشون فيها رضوان الله وفي رحاب الله، ولهم هناك حياة تبقى في حياة الناس، من أجل أن تُعطى كل ما يحقّ لهم الحياة الروحيّة والعقليّة والفكريّة.

(١٤) النجم: ٤٣.

(١٥) الأنبياء: ٣٤.

(١٦) الزمر: ٣٠.

(١٧) آل عمران: ١٦٩.

((وبلى من بلى مناً وليس ببال)) وبلى بمعنى يفضى، فهو إن بلى فإنه لا كما تبلى الناس، لأنهم حاضرون في حياتنا على مدى مئات السنين، وها نحن نشعر عندما يذكر رسول الله ﷺ أنه الحاضر الأكبر في حياتنا كلها، فلا نشعر بأن النبي ﷺ ميت، بل نشعر بحضوره أكثر من أي حضور آخر؛ نذكره في صلاتنا، ونذكره في كل مواقع حياتنا كما لو كان حاضراً معنا، وكذلك عندما نعيش ذكرى أهل البيت ﷺ، فإننا لا نشعر أن علياً ﷺ وأولاده من أهل بيته ﷺ غائبون، بل نحسّ بحضورهم كأقوى ما يكون الحضور، لأنهم حاضرون بيننا في علمهم وفي روحانيتهم، وفي الخط المستقيم، الذي ساروا عليه وهدونا إليه، وفي كل المعاني التي ترتفع بمستوى الإسلام، ومستوى الإنسان في خط الإسلام.

((فلا تقولوا بما لا تعرفون)) أي لا تتكلموا الكلام الذي لا تملكون قواعده ولا تملكون علمه، ((فإن أكثر الحق فيما تنكرون))، فأنتم قد تنكرون الكثير من الحق، لأنكم تجهلونه، أو لأنكم ضللتكم عنه، ولذلك عليكم أن تبحثوا عن الحق من مصدر الحق ومن يملك الحق.

((واعذروا من لا حجة لكم عليه وهو أنا)) فلا حجة لكم عليّ - والكلام للإمام ﷺ - لأن الله هو الذي أوصى لنبيه أن يجعلني إماماً وخليفة من بعده ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١٨)، وقال ﷺ: ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيثما دار))^(١٩).

(١٨) المائدة: ٦٧.

(١٩) بحار الأنوار، ج ٣٢، ب ١١، ص ٣٩٧، ح ٧.

كشف الحساب:

((ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر)) وهذه الكلمات تدل على عمق ما كان يشعر به الإمام عليّ عليه السلام من الألم، لأنّه بمقدار ما كان يملك من العلم والأفق الواسع بما لم يملكه أحد بعد رسول الله ﷺ، فإنّهُ يشعر بالمرارة وهو يُقرن إلى هذا أو ذاك، ولذا كان يقول: ((فيا لله وللشورى، متى اعترض في الريب مع الأول منهم حتّى صرتُ أقرن إلى هذه النظائر)). إنّهُ يتكلّم بألم، وهو الذي أعطى كلّ هذا العطاء وترك كلّ هذا الأثر ((ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر)) وهو القرآن، فقد قدّمت إليكم القرآن تلاوةً كما كان رسول الله ﷺ يتلوه عليكم، وتفسيراً كما كان ﷺ يفسّره لكم، ولهذا كان القرآن الكتاب الصامت وكنت - والكلام لأُمير المؤمنين - الكتاب الناطق، أنطق عن القرآن. فإنّي ما أحللت إلّا ما أحلّ القرآن وما حرّمت إلّا ما حرّم القرآن، كما قال رسول الله ﷺ في آخر حياته: ((يا أيّها النّاس، إنّكم لا تمسّكون عليّ بشيء، إنّّي ما حلّلت إلّا ما أحلّ القرآن وما حرّمت إلّا ما حرّم القرآن))^(٢٠).

((وأترك فيكم الثقل الأصغر)) وهما الحسن والحسين ﷺ، وقد قال رسول الله ﷺ: ((إنّي تارك فيكم الثقلين)) ويريد بهما القرآن والعترة ((وقد ركزت فيكم راية الإيمان)) أي أنا الذي رفعت راية الإيمان في مجتمعاتكم، فأعطيتكم الإيمان بكلّ حقائقه، ولذلك عندما ارتفعت راية الإيمان فإنما ارتفعت من خلال جهدي ونشاطي. ((ووقفتكم على حدود الحلال والحرام)) فقد أخذتم عني معرفة الحلال والحرام حتّى لا يختلط عليكم الحلال والحرام بالشبهات، ((وألبستكم العافية من عدلي)) فنهجت بكم نهج العدل، وأعطيتكم العافية في حقوقكم، والعافية في كلّ علاقاتكم وأوضاعكم، عندما نشرت العدل بينكم. وكأنّهُ أراد أن يقول إنّ العدل هو الصحة وإنّ الظلم هو المرض.

((وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي)) وفرشت لكم فراش المعروف في كل حياتكم الخاصة والعامة، فعرفتكم المعروف الذي أراد الله لكم أن تعرفوه من خلال قولي فيما أوضحته لكم من حدود المعروف، ومن خلال فعلي فيما جسّدته لكم من المعروف، في سلوكي وفي سيرتي ونشاطي، حتّى أصبحتم تنامون على فراش المعروف، من خلال هذا الفراش الثقافي والروحي الذي يملأ كل حياتكم بما يرضي الله وبما يحبه الله.

((وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي)) فعشت بينكم مع الكبير والصغير على السواء، فكنت كواحد منكم لا أُميّز نفسي عن أيّ واحد منكم بأيّ موقع ((ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد))، فادرسوا كل سيرتي وأنا بينكم: كيف كانت كرائم الأخلاق تفيض من هذه النفس التي عاشت لله والتي جاهدت في سبيل الله والتي عرفت الله كما لم يعرفه أحد بعد رسول الله ﷺ وكيف أحبّت الله ورسوله كما لم يحبّها أحد؟ فأية كريمة لم تنطلق في حياة عليّ ﷺ

((فلا تستعملوا الرأي فيما لا يدرك قعره البصر، ولا تتغلغل إليه الفكر))^(٢١) فهناك أشياء عميقة وأنتم لا تستطيعون أن تدركوا لها عمقاً، لأنّ ما تملكون من وعي ومن معرفة لا تستطيعون أن تنفذوا به إلى عمق هذه الأشياء، وقوله: ((لا يدرك قعره البصر)) يشير إلى أنّ ما لا يدرك لا يستعمل فيه الرأي، بل يرجع في معرفته إلى أهله.

((حتّى يظنّ الظان أنّ الدنيا معقولة على بني أمية)) وهنا ينتقل الإمام ﷺ إلى مقطع آخر، ويشير ابن أبي الحديد إلى أنّ هذه الخطبة طويلة، ولكن الشريف الرضي هو الذي اختصرها. ويريد بقوله معقولة أي محبوسة عليهم، وأنّهم هم الذين يملكونها، ويملكون كلّ الفرص فيها وكلّ مصادرها ومواردها

((تمنحهم درها وتوردهم صفوها)) كنايةً عما يحصلون عليه من الشّهوات واللذات والفرص الكثيرة ((ولا يرفع عن هذه الأمة سوطها ولا سيفها)) فيظلّ سوطها وسيفها، أي سوط هذه الدُّنيا وسيفها، لا يُرفع عن هذه الأُمَّة من خلال هؤلاء الذين يحكمون بالسوط وبالسيف ((وكذب الظان بذلك)) يعني فمن يظنّ أنّ الأمر كذلك فقد كذب، ((بل هي مَجَّة من لذيذ العيش)) والمَجَّة ما يتذوقه الإنسان ثُمَّ يَقْذِفُه من فمه، في إشارة إلى أنّ هذه اللذات وهذا الحكم سرعان ما يَقْذِفُه بنو أُمّية كما هو حال المَجَّة، لأنّ سطوتهم مجرّد فرصة وحالة طارئة، وقد قذفت بهم الدُّنيا بعد ذلك ((يتطعمونها برهة)) مدّة من الزمن ((ثُمَّ يلفظونها جملة))^(٢٣)، وقد لفظوها جملة عندما دارت الدوائر وانتهت بهم إلى البوار والنسيان.

عاشق الله:

أيُّها الأحبة، هذا هو حديث عليّ ؑ وهو حديث الصفاء والنقاء، حديث الروح وحديث العقل. ونحن نقرب من ذكرى مولد الإمام عليّ ؑ، هذا المولد المميّز الذي أكرمه الله تعالى به، إذ جاءت أمّه وقد أخذها الطلق فدخلت الكعبة فولدت عليّاً ؑ، لتكون كلّ حياته كعبة، فقد انفتحت عينه في بيت الله، وعاش مع رسول الله ﷺ عندما حوّل الساحة كلّها إلى بيتٍ من بيوت الله، يعبدانه بالرسالة، ويعبدانه بالجهد، ويعبدانه بالعدل، ويعبدانه بانفتاح النّاس على الله وعلى الصراط المستقيم، وكما قال تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٢٤) فكان عاشق الله، عاش معه عشق الحبيب إلى حبيبه، وهو القائل في دعاء كميل: ((فهبني يا إلهي صبرت على عذابك فكيف أصبر عن النظر إلى كرامتك، وكيف أسكن في النّار ورجائي عفوك)) وهكذا عاش عليّ ؑ، الذي ولد في الكعبة، لتكون خاتمة حياته في بيتٍ آخر من بيوت الله،

(٢٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد. ج ٦. ب ٨٦. ص ٣٨١.

(٢٣) البقرة: ٢٠٧.

وهو يقول: ((بسم الله وعلى ملة رسول الله، فزت ورب الكعبة)).
 هذا هو درس علي عليه السلام، أن تظلّ حركتنا ((بسم الله))، وأن يظلّ طريقنا
 ((على ملة رسول الله)) وأن نشعر أنّ الفوز كلّ الفوز هو بالالتزام بطاعة الله
 وبتعاليمه، وبطاعة رسوله ﷺ، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^{٢٦} السلام عليه
 يوم ولد ويوم استشهد ويوم يُبعث حياً. والحمد لله رب العالمين.

في ذكرى وفاة الإمام الكاظم عليه السلام إضاءات في سيرته وكلماته ووصاياه

○ إن أهل البيت عليهم السلام يمثلون

القمة في كل شيء في فهم حجج

الله على عباده، وهم النور الذي

نستضيء به، وهم الخط المستقيم

الذي يهديننا إلى الله ○

➤ حدود فذلك

➤ برنامج الإمام الكاظم عليه السلام

➤ تراث الإمام عليه السلام

➤ بواكير حياته عليه السلام

➤ أسبوعية متوارثة

➤ علامات الإمامة

➤ كلمات مضيئة

➤ تقسيم الوقت

➤ أمّ الوصايا



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

نلتقي بعد أيام بذكرى وفاة الإمام السابع من أئمة أهل البيت عليه السلام الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ، الذي يمثل في نشاطه الإسلامي الحركي أكثر من بعد، فنلاحظ في نشاطه الثقافي التربوي أنه كان يعيش قضايا المسلمين الثقافية حيث كان يدور جدل فكري يتصل بالعقيدة، كما في مسألة التوحيد، أو في مسألة الإمامة، أو في ما يتصل بأصول الفقه في قضية القياس، أو في القضايا التي تتصل بالقرآن والموقف منه. ونلاحظ في جانب آخر أنه كان يمثل الموقف المتحدّي للحاكمين آنذاك، فكان يُطلق الكلمة (القوية) ، ويتحدّث عن اللاشرعية في حكمهم. وقد نقل أنه عليه السلام دخل على المهدي العباسي، وكان المهدي قد أعلن ردّ المظالم إلى أهلها، فرآه الإمام عليه السلام مشغولاً بذلك، فبادره الإمام عليه السلام قائلاً ((ما بال مظلمتنا لا تردّ، فتساءل المهدي قائلاً وما ذاك يا أبا الحسن؟ فقال عليه السلام فدك، فقال له حدّها لي؟)).

حدود فدك:

وكان المهدي ينتظر من الإمام عليه السلام أن يتحدّث له عن حدودها الجغرافية، من خلال أنها مزرعة من المزارع أو ما أشبه ذلك، وكان من السهل على المهدي أن يردّها إلى الإمام عليه السلام ، ولكن الإمام عليه السلام أرادها بحدودها، فقال له ((حدّ منها جبل أحد، وحدّ منها عريش مصر، وحدّ منها سيف البحر، وحدّ منها دومة الجندل)). وعندما تحدّث الإمام عليه السلام عن حدود فدك بهذه الطريقة فإنّما عنى بذلك حدود

الدولة الإسلامية، وأنَّ فذك لا تمثل مزرعة، وإنَّما تمثل الشرعية الإسلامية في الحكم. وقد نقل التاريخ أنَّه ﷺ تحدّث في أكثر من حديث مع هارون الرشيد يتحدّى به سلطانه. وأمّا ما ينقله بعض المؤرخين من أنَّه كان ﷺ يتواضع أو يتنازل له، فهو كلامٌ غير صحيح. وقد تحدّثنا عن ذلك في كتابنا ((تأملات في آفاق الإمام الكاظم ﷺ)).

برنامج الإمام الكاظم ﷺ السياسي:

وكان الإمام ﷺ يؤيد الحركات التي كانت تنور في وجه العباسيين، كما في موقفه من ثورة الحسين بن علي بن الحسن المثنى (صاحب فخ)، غير أنَّ تأييده لهذه الثورات والقائمين عليها، كان يتمّ بطريقة مرنة وفاعلة في آنٍ واحد، وذلك بسبب الظروف التي كانت قائمة آنذاك، والتي لم تكن تُساعد على نجاح هذه الثورات عسكرياً. ولذلك كان الإمام ﷺ يدعم الروح الجهادية التي تُطلق هذه الثورات وتغذيها بما يضمن لها البقاء والاستمرار، وإن لم تكن حاسمة على المستوى السياسي والعسكري. ولذا يُقال إنَّه ﷺ ودّع الحسين صاحب فخ وهو يبكي وقال له ((إنَّك مقتولٌ لا محالة، ولكن أحدَ الضراب، فإنَّ القوم وإن أظهروا الإسلام ولكنَّهم يُبطنون النفاق)). وهكذا نلاحظ أنَّ الإمام ﷺ كان يتقف شيعته على مقاطعة الظالم، ولكنَّه كان يشجّع أحياناً بعض أصحابه على الدخول في الحكم من أجل أن يقضوا حوائج النَّاس ويدفعوا عنهم الظلم. وقد ورد عنه أنَّه قال ((كفارة عمل السلطان قضاء حوائج الإخوان)).

وكان الإمام ﷺ يمثّل أنقى وأطهر سيرة، في حُسن الخلق، وكَظم الغيظ، والعفو عن النَّاس، وفي الإحسان إليهم، وفي جوده وكرمه، حتّى عرفت صرار الكاظم، وكان يُقال ((من جاءته صرار الكاظم موسى بن جعفر فلا يفتقر)). وإذا كان هو ﷺ كذلك على المستوى الاجتماعي، فإنَّه على مستوى علاقته باللَّه تعالى أرفع وأعظم، فلم تشغله حياته مع النَّاس في كلِّ ما ذكرناه عن أن يشغل حياته

كلّها بالعبادة لله تعالى، في حلّه وترحاله، في بيته وسجنه، وفي ليله ونهاره...

تراث الإمام ؑ :

وعندما نطلّ على تراث الإمام الكاظم ؑ ، فإنّنا نرى تراثه غنياً، ما يوحي أنّ الإمام ؑ قد ملأ المرحلة التي عاشها بالإسلام في كلّ حقائقه، في أصوله وفروعه، وعاش قضايا المسلمين ومشاكلهم. وبلغ التحديّ الذي أطلقه الإمام ؑ في وجه الخلفاء العباسيين ذروته، إلى درجة أصبحوا يخافون من هذا الامتداد الروحي، الذي كان يمثّل موقع الإمام في نفوس المسلمين. وهو ما دعا هارون الرشيد إلى التوجس من الإمام ؑ ، فيما انتهى به إلى السجن والحبس، بل وانتهى به خوفه وتوجسه منه إلى أن ينقله من حبسٍ إلى حبسٍ ومن سجنٍ إلى آخر، في عملية ضغطٍ متواصلة مستمرة، فيما كان يأمر به هارون السجّانين من ممارسة القسوة مع الإمام ؑ وتعذيبه. والذي بلغ أشده. كما ينقل التاريخ - في سجن السندي بن شاهك، والذي انتهت في طواميره المظلمة حياة الإمام ؑ شهيداً.

وقد تحدّثنا في هذه (الندوة) عن الكثير من حياة الإمام الكاظم ؑ وكلماته الماثورة عنه، في أحاديثنا السابقة، فيما نشر في كتاب (الندوة) .

بواكير حياته ؑ :

وفي هذا اللقاء، نحاول أن نتحدّث عمّا ذكره المؤرخون عن الإمام ؑ في طفولته وكيف كانت طفولةً مليئةً بالعلم، وتحديدًا في القضايا المعقّدة، مما نقله الرواة. ونُحاول أن نلقي الضوء على بعض هذه الروايات التي رويت عن الذين عاشوا معه تلك المرحلة.

فأبو حنيفة الذي كان يتردّد على الإمام الصادق ؑ لتتلمذه عليه، وهو القائل ((لولا السنتان لهلك النعمان)) يعني بذلك نفسه ((رأيت موسى بن جعفر وهو صغير السن في دهليز أبيه، فقلت أين يحدث الغريب منكم إذا أراد

ذلك)). ولم تكن يومذاك مواضع كما هو الحال اليوم لقضاء الحاجة، من المرافق الصحية وبيوت الخلاء العامة، ولذلك أراد أبو حنيفة أن يمتحن الإمام ﷺ لمعرفة ما إذا كان على جانب كبير من المعرفة الشرعية، وكأنه يريد أن يقول له ما هي الشروط الشرعية، سواء الإلزامية أو الراجحة عندما يريد الإنسان أن يقضي حاجته في بلدكم. وقد يكون هذا السؤال ساذجاً ولا أهمية له، غير أن هناك مقصداً وغاية لأبي حنيفة أراد من خلالها أن يتعرف على ولد أستاذه الأعظم وهو الإمام الصادق ﷺ. يقول أبو حنيفة ((فنظر إلي ثم قال يتوارى خلف الجدار ويتوقى أعين الجار)) ويعني الجيران المحيطين بالمكان، ((ويتجنب شطوط الأنهار)) لأنها محال جلوس الناس وترددهم ومما يستقون منه، ((ومساقط الثمار)) يعني تحت الأشجار، باعتبار أنها محل سقوط الأثمار، فيوجب ذلك تلوثها بالنجاسات. ((وأفنية الدور)) والفناء ساحة الدار أمامه أو ما امتد من جوانبه، ((والطرق النافذة)) التي يسير فيها الناس فيوجب ذلك تلويثهم وإلحاق الأذى بهم، ((والمساجد، ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ويرفع ثوبه ويضع بعد ذلك حيث شاء)). ((قال أبو حنيفة فلماً سمعت هذا القول منه نبل في عيني وعظم في قلبي)). فقد اختصر الأحكام الشرعية التي تتعلق بالتخلي ببضع كلمات، ((فقلت له جعلت فداك)) وهذا خطاب من موقع التعظيم، وقد جاء بعد معرفة منزلته ومكانته وهو في هذه السن. ((ممن المعصية؟))، وكأن أبا حنيفة أراد أن يسترسل في التعرف على الإمام، فكان سؤاله فيما تقدم سؤالاً عن أمور الفقه، وهو هنا ينتقل إلى عالم العقيدة، فأراد أن يتعرف على مدى إطلاعه في هذا العالم، وقد طمع فيه وفي مدى رجاحة عقله.

استاذية متوارثة:

((فنظر إلي ثم قال اجلس حتى أخبرك)) وهنا اتخذ الإمام لنفسه موقع الأستاذ أمام التلميذ، ((فجلست فقال إن المعصية لا بد أن تكون من العبد أو من

رَبِّهِ أَوْ مِنْهُمَا جَمِيعاً)) فلا تخرج المسألة إمّا أن تكون مفروضة عليه من رَبِّهِ، وإمّا أن تكون مشتركة بينه وبين رَبِّهِ، ((فإن كانت من الله فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده ويؤاخذ به بما لم يفعل)) فلا يمكن أن تكون من الله وهو القوي، ثُمَّ يؤاخذ الإنسان بشيء فعله هو، وليس للإنسان اختيار فيه، لأنَّ الإنسان ضعيف لا يقدر على مقاومة ذلك. فكيف يقهره الله على فعلٍ ثُمَّ يؤاخذ به عليه ويُعاقبه على فعله، والله العادل! أليس هذا من الظلم، وهو المنزّه عنه سبحانه وتعالى، ((وإن كانت منهما فهو شريكه والقوي أولى بإنصاف عبده الضعيف)) فإذا كانت المعصية من الله ومن العبد، فإنَّ الله شريك العبد في إنتاج هذه المعصية، وعندما يكون أحد الشريكين قوياً والآخر ضعيفاً، فليس من الإنصاف أن يؤاخذ القوي الضعيف، وليس للضعيف إلّا النصيب الأضعف، ((وإن كانت من العبد وحده فعليه وقع الأمر وإليه توجه النهي وله حق الثواب والعقاب ووجبت الجنة والنار)) لأنّه يتحمّل كلّ المسؤولية، عندها تكون المعصية من العبد وحده وليس لله سبحانه وتعالى دخلٌ فيها، لا على نحو الاستقلال ولا على نحو المشاركة. ((فقلت - والكلام لأبي حنيفة - ذرية بعضها من بعض)).

وعن عيسى بن شلقان قال ((دخلت على أبي عبد الله وأنا أريد أن أسأله عن أبي الخطاب)) وكان أبو الخطاب من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، ثُمَّ تمرّد عليه وانحرف عنه، وأصبح يكذب على الإمام ويروي الروايات غير الصحيحة عنه، وهذه طريقة دأب عليها الكذبة على الأئمة عليهم السلام من أمثال أبي الخطاب المذكور وسعيد بن المغيرة، الذي كان يدسّ في كتب أصحاب الأئمة عليهم السلام حتّى وصل ما دسه من روايات باطلة إلى أربعة آلاف رواية، ولذلك نرى روايات الغلو وما شابه ذلك تتشرّ في بعض الكتب، بحيث أخذ بعض النّاس يروونها دونما تمحيص، في وقت كان فيه أصحاب الأئمة عليهم السلام يتوقّفون ذلك، ولا يعتمدون الكتب إلّا مع السماع، لئلا تكون هذه الروايات مدخولة أو أنّها أضيفت إلى كتب الرواة من أصحاب الأئمة عليهم السلام.

وسؤال الراوي عيسى بن شلقان عن أبي الخطاب، لأنه كان من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وكان مستقيماً، ثم أخذ الإمام عليه السلام يحذر الناس منه، فصار ذلك موجباً لأسئلة البعض من الناس عن سر هذا التحذير، وكان عيسى بن شلقان أحد هؤلاء، فدخل على الإمام الصادق عليه السلام يسأله عن أمره، فقال له عليه السلام ((يا عيسى، ما منعك أن تلقى ابني فتسأله عن جميع ما تريد؟)) قال عيسى ((فذهبت إلى العبد الصالح عليه السلام)) والعبد الصالح من كنى الإمام الكاظم عليه السلام، وهي من أرقى كناه، إذ كان وصف العبد الصالح من ألقاب النبي إبراهيم عليه السلام، كما في قوله تعالى «وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ»^(١) لأن كلمة العبد تعني كل معاني العبودية في كل عمقها وامتدادها في وجدان الإنسان، وفي حياته، وكلمة الصالح تعني كل خطوط الصلاح في الفكر، لأن من الفكر ما هو صالح ومنه هو ما ليس كذلك. ولذلك فإن هذه الكلمة تجمع كل عناصر الإنسان القريب من الله من موقع العبودية والطاعة والعبودية والانصياع والاستسلام له. ((فذهبت إلى العبد الصالح عليه السلام وهو قاعد في الكتاب وعلى شفتيه أثر المداد، فقال لي مبتدئاً يا عيسى، إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق النبيين على النبوة فلم يتحولوا عنها أبداً)) وهذا دليل عصمة الأنبياء، ((وأخذ ميثاق الوصيين على الوصية فلم يتحولوا عنها أبداً)) وهذا أيضاً دليل عصمة الأوصياء، ((وأغار قوماً الإيمان زماناً ثم سلبهم إياه))، ولا يقصد بإعارتهم إجبارهم عليه، وإنما يعني أنه لم يعصمهم، بل خلق فيهم من المكونات الإنسانية ما يدعوهم إلى فعل الخير وما يدعوهم إلى الشر، فهم إلى الإيمان تارة وإلى الكفر تارة أخرى. ((وإن أبا الخطاب ممن أغير الإيمان زماناً ثم سلبه الله تعالى عنه)) وهو سرّ قريبه من الإمام الصادق عليه السلام أولاً، ثم طرده من قبله لاحقاً. لأنه كان من المستقيمين أولاً ثم انحرف فاستوجب ذلك طرده والتحذير منه.

يقول عيسى بن شلقان ((فضممته إليّ وقبّلت بين عينيه، ثمّ قلت بأبي أنت وأمي «ذُرِّيَّةَ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»^١، ثمّ رجعت إلى أبي عبد الله ﷺ فقال ما صنعت يا عيسى؟ فقلت له بأبي أنت وأمي، أتيتّه فأخبرني مبتدئاً من غير أن أسأله عن جميع ما أردت أن أسأله عنه، فعلمت عند ذلك أنّه صاحب هذا الأمر)) يعني خليفتك ومن بعدك، ((فقال يا عيسى)) وهذه شهادة عظيمة من الإمام الصادق ﷺ ((إنّ ابني هذا الذي رأيت لو سألتّه عمّا بين دفتي المصحف لأجابك فيه بعلم، ثمّ أخرجّه ذلك اليوم من الكتاب فعلمت ذلك اليوم أنّه صاحب الأمر)). وهذه الرواية في قرب الإسناد، وفيها أنّ الأمر - أي الإمامة - كان واضحاً جلياً في الإمام موسى الكاظم ﷺ، وذلك لجهة ظهور علمه على نحو كان الإمام الصادق ﷺ يحيل السائلين إليه في الأمور الشرعية والمسائل العقيدية، وكان يومذاك صغيراً. وإذا كان ثمة تساؤل في هذه الرواية عن سبب وجود الإمام الكاظم ﷺ في مكان تعليم الكتابة ((الكتاب))، فإنّه قد يكون لجهة الظروف الاجتماعية التي تفرض على الآباء أن يرسلوا أبناءهم إلى الكتاب وإن لم يكونوا محتاجين إليها، ولعلّ هذا هو التفسير الطبيعي لذلك مع عدم حاجة الإمام الكاظم ﷺ، وهو يجيب على أسئلة السائلين وفي أمورٍ ومسائل معقّدة.

وعن الإمام الرضا ﷺ ((أنّ موسى بن جعفر ﷺ تكلم يوماً بين يدي أبيه فأحسن)) أي تكلم الإمام الكاظم ﷺ بمحضر ومجلس أبيه ﷺ وربّما كان في سنّ الطفولة أو بداية الشباب فأحسن في حديثه وكلامه، بحيث أعجب الإمام بكلامه ((فقال له يا بني، الحمد لله الذي جعلك خلفاً من الآباء وسروراً من الأبناء وعوضاً عن الأصدقاء)) فهو الخلف المناسب له، وهو أيضاً يملأ حياته سروراً، بما عليه من العلم والمعرفة الذي تسرّ الآباء في أبنائهم، وفوق ذلك فإنّه عوض عن الأصدقاء، ما يجعله الصديق لأبيه، لما عليه من رجاحة العقل وكماله، ذلك العقل الكامل والمعصوم.

علامات الإمامة:

وفي (أخبار الرضا) للصدوق أنه روى الوشاء عن عليّ بن الحسين - وهو راوٍ وليس المراد به الإمام زين العابدين عليه السلام - عن صفوان الجمال أنه قال ((سألت أبا عبد الله عن صاحب هذا الأمر)) أي الخليفة والإمام من بعده، ((قال صاحب الأمر هذا لا يلهو ولا يلعب)) وكان أبو الحسن موسى الكاظم عليه السلام صغير السن، وكأن الإمام الصادق عليه السلام يريد أن يقول إن طفولته ليست طفولة لاهية لاعبة، بل إن طفولته طفولة جادة ومنفتحة على الله حتى في حالة اللعب، ((وأقبل أبو الحسن وهو صغير ومعه بهمة عناق مكية)) والبهمة في اللغة الواحد من أولاد الضأن، والعناق الأنثى من أولاد المعزى ما لم يتم لها سنة من عمرها، ((وهو يقول لها اسجدي لربك)) فهو لا يلعب ولا يلهو، بل إنه كان يخاطبها اسجدي لربك، لأنه كما قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣) فكأنما يريد الإيحاء لمن يسمعه أن من واجب، أو من مسؤولية كل المخلوقات أن تسجد لله سبحانه وتعالى، ((فأخذه أبو عبد الله، وضمه إليه وقال بأبي أنت وأمي، أنت من لا يلهو ولا يلعب)) فأى لهو ولعب هذا الذي يمارسه الإنسان في هذه السن، وهو يشير إلى أعظم الحقائق الكونية، مثل العبودية والخالقية...

وفي رواية أخرى أشارت إلى المفاد نفسه، إذ قال له شخص وقد سمع الإمام عليه السلام يقول ((اسجدي لربك)) قل لها أن تموت، فقال عليه السلام ((ربي الذي يحيي ويميت، وأما الأمر بالسجود فهذا مما أملكه ولا أملك الحياة والموت، لأنهما بيد الله سبحانه وتعالى)).

وفي رواية أن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام قال ((دخلت ذات يوم من المكتب ومعني لוחي - يعني اللوح الذي يقرأ به ويكتب عليه - قال: فأجلسني أبي بين يديه وقال يا بني اكتب تنح عن القبيح ولا ترده، ثم قال اجزه، فقلت ومن أوليته حسناً فزده)) أي لا تتح عن القبيح وحسب، بل زد من أعطيته الخير

خيراً على خير ((ثُمَّ قَالَ - أي الإمام الصادق ؑ - ستلقى من عدوك كل كيد، فقلت. أي الإمام الكاظم ؑ. إذا كاد العدو فلا تكده، فقال ذرية بعضها من بعض)).

وهكذا نلاحظ أنَّ الإمام الكاظم ؑ كان في طفولته يعيش العلم كأعمق وأوعى وأصبر ما يكون العلم، ما يوحي أنَّ سرَّ الإمامة في الإمام ينطلق مما يمنحه الله للإمام، من ملكات تتحرَّك طفولته معها، ليشمل حركة الإمامة عندما يحين وقتها، «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ»^(٤).

كلمات مضيئة:

ونُحاول هنا أن نلتقط بعض الكلمات المروية عن الإمام الكاظم ؑ ، لأنَّنا ذكرنا أكثر من مرَّة أنَّه عندما نتحدَّث عن الأئمة ؑ فإنَّه يلزم أن نستضيء بكلماتهم، وأن نرتبط بفكرهم وبوصاياهم، لأنَّ هذا هو ما يبقى لنا منهم، وهذا ما يمثِّل حركية الإمامة على مدى الزمن، لأنَّ الإمام كالنبيّ يبقى مدَّة مع النَّاس ثُمَّ يلحق بربه «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ»^(٥) ، ويبقى من الإمام ؑ كما يبقى من النبيّ ﷺ، ما يبقى من علمه، وما يبقى من إحياءات سيرته وما إلى ذلك.

وعن موسى بن جعفر عن آبائه ؑ قال الحسين ؑ ((جاء رجل إلى أمير المؤمنين ؑ يسعى بقوم)) يريد الفتنة ويشي بهؤلاء القوم أنَّهم عملوا كذا وكذا. ليعتقلهم الإمام عليّ ؑ ويُعاقبهم، ككلِّ الوشاة الذين ينقلون السوء عن النَّاس لدى الحاكمين حتَّى يؤاخذوهم، ((فأمرني أن دعوت له قنبراً، فقال له عليّ ؑ اخرج إلى هذا الساعي، فقل له قد أسمعنا ما كره الله تعالى فانصرف في غير حفظ (الله تعالى)) أي أنَّ الإمام عليّ ؑ أمر الحسين ؑ أن يدعو قنبراً خادمه، فقال له الإمام عليّ ؑ يا قنبر اخرج إلى هذا الساعي، فقل له قد أسمعنا ما كره الله تعالى، لأنَّ الله يكره أن ينقل الإنسان السوء عن المؤمنين لمن يملك أن يعاقبهم،

(٤) الأنعام: ١٢٤.

(٥) الزمر: ٣٠.

لأنه من النميمة، وقد ورد في الحديث أنه ((لا يدخل الجنة نمام)) ، ما أوجب ذلك أن يدعو الإمام علي عليه السلام ، فيقول ((فانصرف في غير حفظ الله تعالى)) بمعنى أن لا يحفظك الله، ولا يكثر أمثالك .

وفي وصيته - أي وصية الإمام الكاظم عليه السلام - لهشام بن الحكم قال ((يا هشام، كان أمير المؤمنين يوصي أصحابه يقول أوصيكم بالخشية من الله في السر والعلانية)) وذلك هو التقوى، وقد قال تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(٦) ، ((والعدل في الرضا والغضب)) أي أن تكون عادلاً تراعي حقوق الناس في إنسانيتهم، وفي كل قضاياهم التي تختزن الحق لهم، سواء كنت راضياً أو غاضباً، فلا يدفعك الرضا عن شخص إلى أن تعطيه ما ليس بحق، كأن تمدحه بغير حق، ولا يدفعك الغضب إلى أن تمنع إنساناً حقاً، أو أن لا تعطيه ما هو بحق، أي ليكن الغضب والرضا عندك سواء في خطأ المسؤولية.

((والاكتساب في الفقر والغنى)) فلا تكن بطّالاً، اكسب رزقك في حالة الغنى والفقر، لأن الله لا يحب العبد البطّال، ((وأن تصلوا من قطعكم وتعفو عمن ظلمكم وتعطوا من حرمكم)) ، وهنا يرسم الإمام علي عليه السلام الصورة الحقيقية للمؤمن في أخلاقه، فيما بينه رسول الله ﷺ من مكارم الأخلاق، فلا تكون الأخلاق برسم البيع أو الشراء، لأن الأخلاق ليست تجارية، ولا تخضع للتجارة والعرض والطلب، بمعنى أن أعطيك لأنك أعطيتني، وأصلك لأنك وصلتني، فهذه ليست أخلاقاً، بل هي بيع وشراء ومبادلة. وأمّا الأخلاق في حقيقتها، فهي تلك التي تنطلق من داخل شخصيتك، كما ينطلق الماء من ينبوع بعفوية، وكما تنطلق الشمس عندما تعطي الضوء، فتصل من قطعك، لأنك تعيش معنى الصلة، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، لأنك تعيش هذا الخلق، ولأنك لا تملك إلا أن تكون العفو والوصول والمعطاء. وقد ورد في الحديث ((ألا أنبئكم بمكارم الأخلاق،

أن تصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك))^(٧)، وهذا ما عبر عنه الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء (مكارم الأخلاق) ((اللهم وسدني لأن أعارض من غشني بالنصح، وأجزني من هجرني بالبر، وأثيب من حرمني وأكافئ من قطعني بالصلة، وأخالف من اغتابني إلى حسن الذكر))^(٨).

ثم يقول الإمام علي عليه السلام في وصيته ((وليكن نظركم عبراً)) يعني حينما تمرّون بهذه الديار التي يسكنها الناس المساكين، والقلاع التي بناها أناس آخرون، فلتكن لكم العبرة فتأخذوا منها درساً، ((وصمتكم فكراً)) وعندما تصمتون فإنما تصمتون للتفكير ولتعميق المعرفة، ((وقولكم ذكراً)) وعندما تتكلمون ليكن كلامكم في ذكر الله، ((وطبعتكم السخاء)) يعني العطاء بما تستطيعون ((فإنه لا يدخل الجنة بخیل ولا يدخل النار سخي))^(٩) حتى أنه يُقال في بعض الأحاديث، إن الله جعل لحاتم الطائي المعروف بالكرم مساحة بين الجنة وبين النار، تقديراً لكرمه.

تقسيم الوقت:

وفي كلمة مضيئة أخرى عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال ((اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات)) أي لينقسم يومكم إلى أربع ساعات، والساعة في كلامه عليه السلام ليس المراد بها الساعة باصطلاحنا اليوم التي تعدّ ستين دقيقة، بل هي كناية عن الوقت. ((ساعة لمناجاة الله)) فتجلس لربك، لتصلّي وتناجيه في كلّ آلامك وأحلامك، ((وساعة لأمر المعاش)) لتطلب رزقك، ((وساعة لمعاشرة الأخوان)) تخلو فيها لأخوانك وتحديثهم ويحدثونك، ((وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم)) فإنّ النفس الإنسانية بما تشتمل على غرائز وطبائع تحتاج إلى ما يلبي لها احتياجاتها الطبيعية، ولكن في غير ما حرّم الله تعالى، ((وبهذه الساعة)) التي تعطي نفسك لذتها باللعب وباللّهو ((تقدرون على الثلاث

(٧) أصول الكافي، ج ٥، ص ٢٣، ص ٢٧٨.

(٨) الصحيفة السجادية، ط المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق، ٢٠٠٣، دعاؤه في

مكارم الأخلاق، ص ٨٣، س ٤-٦.

(٩) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٢٥٨، ب ٥٥.

ساعات))^(١٠) لأنها تشط الإنسان، فليس من الطبيعي أن يعيش الإنسان في جد مستمر، وقد ورد ((أن القلب إذا أكره عمي))^(١١)، وورد أيضاً ((روحو القلوب ساعة بعد ساعة))^(١٢) ولذلك لم يضيق الإسلام على الإنسان حياته، بل أعطاه نافذة على حاجاته النفسية والجسدية، وفي الحديث ((اجعلوا لأنفسكم حظاً من الدنيا)) بإعطائها ما تشتهي من الحلال، فيعيش الإنسان في الدنيا بما لها من حاجات ولذات وطيبات دونما تجاوز للحدود المعقولة والمشروعة ((واستعينوا بذلك على أمور الدين)) فعندما تعطي لنفسك حاجاتها الدنيوية، فإنها تقبل على أمور الدين بنشاط، لأنها عندئذ لا تعيش الحاجات الجسدية والأزمات النفسية وما إلى ذلك ((فإنه روي ليس منا من ترك دنياه لدينه)) بحيث أقبل على الدين ومنع نفسه من كل لذاتها في الدنيا ((أو ترك دينه لدنياه))^(١٣)، بل عليه أن يعيش التوازن بين حاجاته وبين متطلبات عبوديته لله ومسؤوليته الدينية. وفيما حدثنا الله سبحانه وتعالى إشارة إلى ذلك، إذ يقول ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(١٤) وكذلك فيما حدثنا الله عن قوم قارون ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١٥) ولذا صح أن يقال إن الإسلام دين التوازن.

(١٠) بحار الأنوار. ج ١. ص ١٣١. ح ٢٣. ب. ٤.

(١١) بحار الأنوار. ج ٨. ص ٢٣٨. ب. ٢٤.

(١٢) بحار الأنوار. ج ٣. ص ٦٤. ب. ٤. ح. ١.

(١٣) بحار الأنوار. ج ٥. ص ٢٥٣. ب. ٨. ح. ٧.

(١٤) البقرة: ٢٠١.

(١٥) القصص: ٧٧.

أمّ الوصايا:

وفي كلمة أخرى له، كما جاء في (تحف العقول) أنّه قال لبعض ولده ((يا بني، إياك أن يراك الله في معصية نهاك عنها)) ولقد نهاك الله عن أشياء فاحذر أن يراك الله في مواقع المعصية ((وإياك أن يفقدك الله عند طاعة أمرك بها)) لأنّ الله يريد لك أن تتواجد في مواقع الطاعة ((وعليك بالجدّ)) فلا تأخذ حياتك بالهزل واللامبالاة، فكن جاداً في الحياة، لأنّ الحياة مسؤولية، وعلى الإنسان أن يواجه مسؤولية الحياة بكلّ تصميم وتخطيط، ليقوم بمسؤوليته وليحقّق أهدافه ((ولا تخرج نفسك من حدّ التقصير في عبادة الله وطاعته)) فمهما عبدت الله ومهما أطعته فلا تشعر بالرضا عن نفسك، وانظر إلى نفسك مقصّراً، فإنّ هناك مراتب ومراحل لعبادته لا يبلغها الإنسان إلّا بعد جدّ وجهد، ((وإياك والمزاح)) يعني أن تكون مزاحاً، تتحرّك في حياتك بالمزاح، وليس المقصود أن لا تمزح المرة والمرة، بل الإمام عليه السلام في مقام النهي عن الاستغراق في المزاح، لأنّ بعض النّاس يعيش يومه من الصباح إلى الليل بالمزاح.

((فإنه يذهب بنور إيمانك ويستخفّ بمروءتك. وإياك والضجر والكسل)) فلا تضجر، بل جدّد نشاطك وإقبالك على العمل، ولا تكسل عن مسؤولياتك، فإنّهما يمنعانك حظّك من الدُّنيا والآخرة، لأنّك إذا ضجرت فستترك حظك في الدُّنيا والآخرة، وإذا كسلت فلا تؤدّي حقّاً في الدُّنيا والآخرة.

كانت هذه بعض إضاءات الإمام الكاظم عليه السلام في حياته وسيرته وفي كلماته ووصاياه. أيّها الأحبة، إنّ أهل البيت عليهم السلام يمثلون القمة في كلّ شيء، فهم حجج الله على عباده، وهم النور الذي نستضيء به، وهم الخطّ المستقيم الذي يهديننا إلى الله، ولذلك حاولوا أن تتعرفوا أهل البيت عليهم السلام في سيرتهم التي تجسّد الإسلام، وفي كلماتهم التي تضيء لنا مفاهيم الإسلام ومنهجه ووسائله وغاياته، فلا يكن أهل البيت عليهم السلام مجرد مأساة تستنزف دموعكم، ولا مجرد فرح مادي يجتذب بسماتكم، بل ليكن أهل البيت عليهم السلام عقلاً يرتفع بعقولكم، وقلوباً يفتح قلوبكم على الله

وعلى المحبة، وحركة تفتح حياتكم على الحق والعدل وما يؤدي إلى القرب من الله، وسلام الله على الإمام الكاظم عليه السلام يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً والحمد لله رب العالمين.

في ذكرى المبعث النبوي والإسراء والمعراج (١) العمل على توسيع رقعة الإسلام

○ في ذكرى المبعث نستذكر أن

النبى ﷺ كان وحده والمسلمون الآن

يمثلون خمس البشرية أو أكثر،

فعلينا أن ندعو إلى الله، وأن نثبت

في مواقع الاهتزاز، وأن نواجه

التحديات ليتسع الإسلام ويشمل

البشرية كافة ()

➤ صورة النبي ﷺ في القرآن.

➤ الرسالة حياة النبي ﷺ كلها.

➤ تنوع التجربة النبوية.

➤ مسؤوليتنا في ذكرى المبعث.



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

نلتقي بعد يومين بذكرى المبعث النبوي الشريف، وذكرى الإسراء والمعراج
الذي يحتفل فيه عند البعض في هذا اليوم، وهو يوم ولادة الإسلام، لأنه وُلِدَ في
هذا اليوم ومنه انطلق.

وعندما نريد أن نتحدث عن المبعث النبوي الشريف، فإننا نستذكر أن الله
سبحانه وتعالى أعدَّ رسوله ﷺ إعداداً فكرياً، بحيث ملأ كلَّ عقله بالحق، في كلِّ
ما يفتح الفكر عليه، مما تتطلق به الرسالة، وكان القرآن - بعد ذلك - يُتابع
النبي ﷺ بالتفاصيل في حياته كلها، فضلاً عن التسديد الإلهي على اختلاف
أشكاله، إذ لم يكن القرآن الكريم مجرد فكر تجريدي يحلّق في الفراغ، بل كان
يُتابع حركية الرسالة في كلِّ ما يُحيط بها من ظروف، ويواجهها من تحديات، وما
تصطدم به - من خلال الناس الذين هم جمهورها - من أخطاء ومن انحرافات،
فكانت المسيرة تتقدّم، وكان القرآن يرعى هذه المسيرة من خلال نقدها تارةً، ومن
خلال تأصيل الفكرة تارةً أخرى، فكان ذلك خلاصة التجربة. ولهذا نجد القرآن
الكريم فكراً يتحرّك، وأسلوباً يفتح، ونقداً يدخل إلى تفاصيل التجربة.

صورة النبي ﷺ في القرآن:

ولهذه الخصوصيات كان القرآن الكريم أفضل مصدر للسيرة النبوية، في
إطارها العام والخاص، فقد حدّثنا القرآن عن النبي ﷺ في حياته الشريفة قبل
البعثة، فقال تعالى ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾^(١)، وحدّثنا عن خلقه

فقال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢)، وحدثنا عن هذا القلب اللين الذي كان يمتلئ بالحب للناس وبالانفتاح عليهم، وعن هذا اللسان الرقيق الذي ينساب عذوبة وهو يدخل مشاعر الناس فيجتذبها إليه، فقال تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٣) وهكذا كان الرسول ﷺ ، فقد كان الإنسان الذي عاش إنسانيته في إنسانية المؤمنين من حوله، يُعطيهم من إنسانيته بما يفتح إنسانيتهم على حركة الرسالة ويجعلهم في رحاب الله، ليرقى بهم إلى الله. وهذا هو سرُّ قوله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٤)، فإذا كانت «مِنْ أَنْفُسِكُمْ» تُعطي معنى المجتمع الذي ينتمي إليه رسول الله ﷺ، فإنَّ إحياءات هذه الكلمة تعني أنَّه احتوى مشاعرهم فكان جزءاً من هذه المشاعر، واحتوى نبضات قلوبهم فكان جزءاً من هذه القلوب، فدخل في جملة آلامهم وأحلامهم، فهو في العمق من أنفسهم، فكأنَّهم يتمثلونه في أنفسهم كما يتمثل الكلَّ الجزء، «عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ» يُتابعهم في متاعبهم وفي جهودهم، في المشقات التي يواجهونها، فهو ليس مجرد قائد يُشرف على أتباعه من فوق، وإنَّما كان يُلاحقهم في كلِّ معاناتهم. في داخل بيوتهم، وفي كلِّ أوضاعهم، وبكلِّ ما يتصل بأمورهم، فقد كانت مشاعره تذوب في مشاعرهم، وكانت اهتماماته تندمج باهتماماتهم، ولذلك كان يعزُّ عليه ما يشق عليهم، كما يعزُّ عليه ما يشقُّ على أنفسهم، «حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ» فهو يجمعكم إليه حتَّى لا تضيعوا أو تتيهوا في متاهات الباطل، أو متاهات الضلال، حريص عليكم حرص الأم التي تحضن أولادها، لأنَّكم أبنائوه في الروح وإن كنتم بعيدين عنه في الانتماء القبلي، «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا»^(٥)، فانتماؤكم إليه انتماء روحي، وليس انتماء

(٢) القلم: ٤.

(٣) آل عمران: ١٥٩.

(٤) التوبة: ١٢٨.

(٥) الأحزاب: ٤٠.

النسب، وهو أرفع وأرقى من كل انتساب وانتماء. ولذلك روي عنه ﷺ أنه قال ((يا عليّ أنا وأنت أبوا هذه الأمة))^(٦) لأنها أبوة الرسالة، تلك الرسالة التي بدأت به وتحركت عملياً في خطّ عليّ، وهكذا كانت أبوة الرعاية، فكانا معاً أبوي هذه الأمة، ليُكَلَّل إعلان هذه الأبوة في ((غدير خم)) حيث خاطب النبي ﷺ النَّاسَ ((ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم)) فهو أولى بالإنسان من نفسه، ثُمَّ يقول ﷺ ((من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه))^(٧) بمعنى من كنت أولى به من نفسه فعليّ أولى به من نفسه.

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فهو لا يعنف بهم ولا يقسو عليهم، إنّها قيادة تتصلب في التركيز على الخطّ بكلّ قوّة وحزم، ولكنّه حزم في غير عنف، ولين في غير ضعف، ﴿رَحِيمٌ﴾ بالنَّاسِ، يرحم ظروفهم، كما يرحم ذهنيّتهم، ولهذا كان يُخاطبهم على قدر عقولهم، فلا يستعرض عضلاته الثقافية كما يفعل البعض عندما يتحدّثون للنَّاسِ بأعلى من مستواهم الثقافي، ليبينوا قدراتهم العلمية، ولذلك قال ﷺ ((إنّا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم النَّاسَ على قدر عقولهم)) وقد ورد في الحديث عن سيرته ﷺ ((ما تكلم بكنه عقله قط)) لأنّه كان يتكلّم بحقيقة عقول النَّاسِ، لأنّ الكلمة هنا هي الرسالة، وإذا كانت كذلك، فلا بُدَّ أن تأخذ طريقها إلى العقل والقلب والإحساس والشعور بما يعين على ذلك، من مُداعبة القلب، ومُحاجة العقل..

الرسالة حياة النبي ﷺ كلّها:

لم يكن النبي ﷺ الرسول الذي يعيش رسالته كمسؤولية يريد أن يتخفّف منها، فقد كان التبليغ جزءاً منها، وجزؤها الآخر إيمان النَّاسِ بهذه الرسالة إلى درجة تمثّلها وتقمصها، فكان ﷺ يفتح قلوبهم دائماً وأبداً عليها، وفي كلّ مناسبة، وهذا سرُّ كلامه وحديثه في قوله ﷺ ((لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ

(٦) بحار الأنوار. ج ٤٤. ب ٣٤٤. ص ٢٣٤. ح ٧.

(٧) بحار الأنوار. ج ٢٣. ب ١٢. ص ٣٤٥. ح ٤.

لنفسه ويكره له ما يكره لها)) لأنَّ تبليغ الرسالة لن ينتهي بإعلان هذه المبادئ العظيمة، بل بإشاعتها في حياة النَّاس، وتفاعلهم معها. ولذلك كان يتألم، وكان ألمه يثقله، فيعيش الحسرة إثر الحسرة إلى درجة أخذ القرآن الكريم يخفف عنه آلامه وأحزانه الرسالية، وهو يُرهِق نفسه بهذه الآلام والأحزان، ليقول له الله سبحانه: لقد أعطيت كلَّ ما في وسعك وأدخلت كلمتك إلى عقولهم وقلوبهم، ولكنَّ القوم تحجَّروا وأصبحوا حجارة، أو أشدَّ قسوة، وتحوَّلت قلوبهم إلى صخور، وتحوَّلت مشاعرهم إلى ذرَّات من الرماد، ليس فيها نبضة من أية حياة. فيقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾^(٨)، ويقول تعالى ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(٩) ويقول تعالى ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُّكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾^(١٠)، ويقول تعالى ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾^(١١)، ويقول ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١٢)، ويقول أيضاً ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾^(١٣)، ويقول تعالى ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾^(١٤) فلا تحزن يا رسول الله لكلِّ هذا التحجُّر والتصحر ولا تذهب نفسك عليهم، فإنَّهم إن يصدُّوا عنك فإنَّهم يصدُّون عن الله، وإن يُكذِّبوك فإنَّهم يُكذِّبون الله.

(٨) المائدة: ٤١.

(٩) المائدة: ٦٨.

(١٠) الأنعام: ٣٣.

(١١) الأنعام: ٣٤.

(١٢) يونس: ٦٥.

(١٣) النحل: ١٢٧.

(١٤) الكهف: ٦.

وهكذا انطلق رسول الله ﷺ بكل رحابة صدره، في وقت كان فيه الناس على عمى وضلال، وعلى أشد ما تكون المعارضة له من شتم وتشويه، وتعد على شخصيته الكريمة معنوياً ومادياً، من اتهام وصل إلى حد الرمي بالجنون، ومن تعد وصل إلى حد الرجم بالحجارة، من دون أن يتذمر ﷺ أو يستكين، فلقد عاد من رحلته إلى الطائف وقد دُميت رجلاه من رمي الحجارة، وهو يُناجي ربه ((إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي)) كان يعيش الحب لربه، وكان يعيش العشق له، فرضا الله سبحانه وتعالى هو الغاية والمأمول عنده، فيتصاعد الحب والعشق ليبادل الله سبحانه وتعالى بأعظم من ذلك وهو يثبتته ويوصل كل عصمته وكل إنسانيته، فقال تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾^(١٥)، أي لماذا لم ينزل القرآن كتاباً واحداً كما نزل التوراة والإنجيل؟ فيأتي الجواب ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾^(١٦) لأن الفرق بين رسالة النبي ورسالة الأنبياء من قبله، ولا سيما موسى وعيسى ﷺ، أن التجربة التي عاشها النبيان العظيمان ﷺ لم تتحرك في رسالة تعيش التحديات في الجانب الفكري والجانب العملي، وتعيش حركية الصراع بشكل متنوع وممتد في أكثر من موقع، ومنفتح على أكثر من قضية، كما هو تنوع هذه التجربة الجديدة.

وعندما نلاحظ تجربة النبي موسى ﷺ، فإن القرآن يحدثنا عن أكثر من مقطع من مقاطعها، فهو تارة يتحدث عن تجربته مع فرعون، وتارة عن تجربته مع بني إسرائيل، ولم تكن هناك أية تجربة حرب، وأية تجربة دعوية خارج نطاق هذه الدائرة التي كان يعيش معها، مع أنه كان من الأنبياء أولي العزم.

وهكذا عندما ندرس تجربة عيسى ﷺ نرى أنها كانت تجربة مليئة بالآلام، وكان لعيسى ﷺ أكثر من تجربة كما حدثنا القرآن الكريم، في تجربته مع الحواريين تارة ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا

(١٥) الفرقان: ٣٢.

(١٦) الفرقان: ٣٢.

بِاللَّهِ وَاشْهَدُ بِنَا مُسْلِمُونَ»^(١٧)، ومع النَّاسِ تارةً أخرى يعظُّ هذا ويُبارك ذاك، وما إلى ذلك، ولكن عيسى ﷺ لم يدخل تجربة الصراع كما هي تجربة النبي محمد ﷺ، فعندما ندرس الرسالة الإسلامية في حركة الدعوة عند النبي ﷺ، فإننا نلاحظ أنَّ النبي ﷺ عاش التجربة الأولى في حركة الصراع على المستوى الفكري، ولذلك عندما نقرأ السور المكية في القرآن، فإننا نجد أنَّ القضايا الفكرية في العقيدة، من توحيد في مواجهة الشرك، ومن النبوة، ومن اليوم الآخر، وكثير من المفردات العقيدية، كانت تتحرَّك في خطِّ الجدل الفكري في مجتمع لا يملك الكثير من الفكر، ولذلك فإنَّ الآيات القرآنية التي دخلت هذا الجدل حول هذه الأمور وحول هذه المفردات الفكرية، كانت تعمل على تثقيف المجتمع لتدفعه إلى أن يفكر، فلم تكن المسألة مجرد تفكير، بل خلق القدرة على التفكير أيضاً.

ونحن نقرأ أنَّ هؤلاء الذين كانوا يتزعمون الحملة ضدَّ الرَّسُول ﷺ كانوا يأتون متخفين من دون أن يشعر أحدهم بالآخر ليستمعوا إلى الرَّسُول ﷺ وهو يقرأ القرآن، فيجذبهم بيان القرآن وعمقه وامتداده، وعندما يرجعون يكتشف بعضهم الآخر فيتلومون على ذلك، فقد كان القرآن يفرض نفسه عليهم، على عقولهم، لأنَّهم لم يلتقوا عقلاً بهذا المستوى في كلِّ تجربتهم الثقافية، وقد كانت مكة تمثِّل سوقاً ثقافية، كما في سوق عكاظ وغيره من الأندية الثقافية، ولكنَّهم لم يعيشوا عمق هذه الثقافة الجديدة، ولم يعهدوا بياناً كهذا البيان، الذي لم يكن شعراً ولا نثراً مما ألفوه.

وهكذا عاش النبي ﷺ هذه التجربة الصعبة لتحقيق أهداف ثلاثة في مكة: الهدف الأول: أن يُثَقِّف المجتمع المكيَّ والقادمين إليه من العرب في المواسم. والهدف الثاني: هو أن يلتقي بأكبر قدر ممكن من شخصيات شبه الجزيرة العربية حيث كانت مكة عاصمتهم الثقافيَّة والتجاريَّة والسياسيَّة والدينيَّة، والهدف الثالث: هو أن يهيئ من كلِّ هذه اللقاءات قاعدة أخرى للدين. وهكذا فتح

يثرب على الرسالة، وكانت عاصمة الدولة الإسلامية الأولى، ولذلك امتنع النبي ﷺ في مكة عن أي رد فعل للعنف الذي كان يواجهه أصحابه، فكانت الهجرة إلى الحبشة هي الوسيلة لتأمين من لم يستشعر الأمان أو الصبر في مكة.

تنوّع التجربة النبوية:

لهذا كانت التجربة النبوية متنوّعة الأبعاد ومتعدّدة الاتجاهات. وإذا كان البعض يتحفّظ على كلمة ((التجربة)) لأنها قابلة للخطأ، فإننا نقصد الأعم من تجربة النبي ﷺ وتجربة المسلمين، لأنّ العصمة من مختصات النبي ﷺ ولم تكن تتعدّى إلى غيره من المسلمين. فإذا كانت هناك عصمة فهي عصمة لشخص النبي ﷺ، أمّا المسلمون في تجربتهم التي كانت تحيط بالرسول ﷺ فإنّهم في حركة مستمرة بين التجربة الصحيحة والتجربة الخاطئة.

ويمكن القول: إنّ التجربة التي عاشها النبي ﷺ والصراع المرير الذي عاناه لم يشهده أحد من الأنبياء، فلم يُتهم أحدٌ منهم بأنّه ساحر تارةً وشاعر تارةً أخرى، كما اتهم النبي ﷺ، فقد اتهم بعض الأنبياء ﷺ بالجنون، ولكن أحداً منهم لم يُتهم بكلّ هذه الاتهامات من قول الشعر وفعل السحر والجنون والاختلاق. فقل عنه كما ورد في القرآن ﴿وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(١٨)، أو قولهم على لسان القرآن ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾^(١٩). فقد زُجّ بالنبي ﷺ في جميع هذه الأعمال والأفعال.

ومن خلال ذلك، فإننا نعرف أنّ هذه الاتهامات كانت تمثّل المفردات التي تعيش في الواقع الثقافي في المنطقة، إذ كان هناك سحرة وكان هناك شعراء، ولذا أرادوا أن يدخلوه في كلّ موقع من هذه المواقع، وفي كلّ دائرة من هذه الدوائر، لتتزع عنه قدسية النبوة من شخصيته، غير أنّه ﷺ نجح في تجاوز ذلك كلّ، لتنتهي هذه التجربة وتبدأ التجربة الثانية الصعبة، تجربة الحروب المتحرّكة

(١٨) الفرقان: ٥٠.

(١٩) النحل: ١٠٣.

التي أثارته قريش، ثم الحرب التي أثارها اليهود، والتي دخل فيها المسلمون في أكثر من مشكلة، فإنهم عاشوا النصر تارةً وعاشوا الهزيمة تارةً أخرى، وعاشوا نقاط الضعف كما عاشوا نقاط القوة. ولم يكن المسلمون الذين دخلوا مع النبي ﷺ في الحروب كالذين كانوا مع موسى ﷺ عندما قالوا له ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾^(٢٠) بل قال قائلهم في معركة بدر وقد أراد النبي ﷺ أن يستشير المسلمين والأنصار بالذات ((لا نقول لك كما قال قوم موسى فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، بل نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا إِنَّا معكما مقاتلون، والله لو خضت بنا البحر لخصناه معك)) فقد كان المسلمون مخلصين للرسول في حروبهم وإن كانت نقاط الضعف تحيط بهم. قال تعالى في هذا الصدد ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۖ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ۖ وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢١).

فقد كانت هناك أكثر من نقطة ضعف تُحيط بالمسلمين، ولم يكن ليخفى ذلك، وقد تحدّث القرآن عن ذلك بشكل واضح وصريح، وقد بيّنا أكثر من مرة ضرورة أن نتعلّم ذلك من القرآن وأن تكون لنا شجاعة الاعتراف بنقاط الضعف، لأنّ الأمة التي تتكر نقاط ضعفها سوف تعيش في ضعف دائم، أمّا الأمة التي تواجه نقاط ضعفها، فإنّها تحوّل نقاط ضعفها إلى قوة من خلال وعيها واصطدامها بالتجربة. ولذلك يتحدّث القرآن الكريم عن المسلمين بلغة نقدية في وقت كان قد امتدحهم في مناسبات أخرى، قال تعالى ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونُ ۖ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا

شَدِيداً^(٢٢).

وهكذا كانت التجربة الثانية التي عاشها النبي ﷺ المشابهة لتجربة موسى ﷺ من بعض الجهات، وهي مشكلة النبي مع المنافقين الذين كانوا يمثلون ما نُسَميه في أيامنا ((الطابور الخامس)) فكانوا يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان، وقد تحدّث القرآن عنهم كثيراً، لأنّهم كانوا يمثلون المشكلة الأصعب للمسييرة الإسلامية آنذاك، وقد عاشها النبي ﷺ وعاش القرآن معها، حيث كان القرآن يشير إلى النبي ﷺ بكلّ ملامح هؤلاء، ويوجّه حركته معهم بين الشدّة واللين، ليعطي المسلمين وعي مسألة النفاق التي هي من أخطر الأمور التي كان يعيشها الإسلام، لأنّهم كانوا يمثلون القوّة المنحرفة والقوّة المضادة التي ترتبط بالمشركون من جهة، وباليهود من جهة أخرى. ولعلنا نعرف دورهم في معركة الأحزاب، تلك المعركة التي تحالف فيها المشركون مع اليهود وكان للمنافقين نصيبهم فيها ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(٢٣) فإنّهم كانوا يدسون الرعب في قلوب المسلمين.

لذلك نقول إنّ المبعث النبوي يُعطينا كلّ هذه التجارب، التي لم تمر على أيّ نبيٍّ ﷺ قبل نبينا ﷺ، إذ لم تكن معاناته معاناة جسدية كما عاناها عيسى ﷺ، بل كانت معاناة نفسية حتّى قال ((ما أُوذي نبيٌّ مثلما أُوذيت))، لأنّ الرسالة كانت كلّ حياته، ولأنّ المجتمع كان كلّ همّه، ولأنّ الله كان كلّ شيء عنده، ولذلك كانت التحديات التي تواجهه لا تثقله ثقلاً ذاتياً، ولكنّها كانت تثقله نفسياً على مستوى الهمّ الرسالي، لأنّ الإيذاء الذي كان يحصل لموسى وعيسى وإبراهيم ولنوح ﷺ كان إيذاءً في خطّ واحد، بينما كان الإيذاء للنبي ﷺ إيذاءً متنوعاً متحرّكاً، كان يواجهه في نفسه، في الاضطهاد الذي عاشه في قريش، وفي عشيرته، وفي أصحابه، وفي أهل بيته، وفي دعوته للإسلام، وفي كلّ التحديات التي واجهته،

(٢٢) الأحزاب: ١١٠.

(٢٣) الأحزاب: ١٢.

والتي شغلته عن الدعوة الإسلامية وعن إكمال عملية التربية للمجتمع، لأن مهمة النبي ﷺ لم تكن تبليغ الرسالة فحسب، بل كانت مهمته فوق ذلك تجذير الرسالة وتعميقها وتأصيلها، حتى يعود الناس رسالة تتحرك، قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢٤) فإنه يزكيهم وينفذ إلى داخل نفوسهم، من أجل أن يُنمّي طاقاتها الروحية والأخلاقية والثقافية، ويعلمهم الكتاب بحيث يتحوّل كلّ واحد منهم إلى مثقف في القرآن كلّهُ، والحكمة فيتحوّل كلّ واحد منهم إلى إنسان حركي يعرف كيف يحرك القرآن في الواقع ليجمع بين ثقافة القرآن والواقع. وهكذا انطلق الإسلام، وتركت رواسب هذه التجارب. وسلبياتها ثقلها على واقع الإسلام بعد رحيل الرسول ﷺ.

مسؤوليتنا في ذكرى المبعث:

وفي نهاية المطاف، وفي ذكرى المبعث، نودُّ أن نطل على الواقع المعاصر، لأنّ الإسلام هو مسؤوليتنا جميعاً تماماً كمسؤولية الصحابة في مكة والمدينة، مع اختلاف الزمن، ومع اختلاف نوعية التجربة، لأنّ التحديات التي واجهت الصحابة مع النبي ﷺ كانت تحديات صعبة على مستوى ذلك الزمن. ولكنّها لم تكن تحديات في حجم العالم، كانت تحدياتهم في حجم المنطقة التي تحرك فيها الإسلام ((أم القرى)) وما حولها وبعض مناطق شبه الجزيرة العربية. أمّا التحديات التي تُواجه الإسلام وتواجهنا كمسلمين فهي تحديات تدخلنا في تاريخ جديد، وفي مرحلة جديدة، ولم تترك مكاناً في العالم إلّا ودخلته، وهذا ما عشناه عندما أعلن الحلف الأطلسي بعد سقوط الاتحاد السوفياتي أنّ العدو هو الإسلام، وإنّ على الحلف الأطلسي أن يواجهه تماماً كما كان يواجه الاتحاد السوفياتي، لأنّ الإسلام بروحيته وثقافته والنبض الحركي الذي يحركه في كلّ مسلم، عندما يعيش كلمة التكبير، وكلمة التوحيد، وكلمة الجهاد، وكلمة الاهتمام

بأمر المسلمين، وكلمة التعاون مع المسلمين في كل همومهم، فإن هذا يمثل الخطر على المصالح الغربية في كل مواقع العالم الإسلامي، بل في كل مواقع الإسلام. وهو وإن فقد الكثير من مواقعه، إلا أنه القوي إذ يكفيه موقعه الرئيسي وهو المسجد، والأذان يرتفع ليعلن سقوط الآلهة المزيفة كلها، ليقول إن الإله والمعبود هو الله فقط، وإن كل ما عداه هو موقع منخفض وهابط.

إن هذه الكلمات العبادية هي كلمات ثورية سياسية تحفز في قلوب المسلمين كل عناصر الثورة، ولذلك تجد أن المسلمين قد يعيشون التخاذل، وقد يعيشون الركود، وقد يعيشون الجمود، ولكن عندما تأتي الظروف الموضوعية فإنك تجد أن كل هذه الشعارات تدخل إلى عمق الإنسان لتستفز كل هذه المعاني فتطبعه نبض الإسلام وحيويته وحركيته، فالتوحيد ثورة، وعليه قامت كل الأديان، وهو الذي يجعل الإنسان المسلم بركاناً يتفجر ثقةً بالله، ولذلك يقول الله تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾^(٢٥) ويملاً تلك القلوب النابضة بالتوحيد والعقول بالقوة والعزيمة فيقول تعالى ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ أَيُّ أَنْ الْعَالَمِ يَقِفُ ضَدُّكُمْ﴾ ﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾ وتنازلوا واسقطوا واهربوا ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ فكانت النتيجة أن منحهم التوحيد، في خط التوكل على الله مع الاستعداد، القوة والصلابة ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾. ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخُوْفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢٦) فكل الذين يخوفونكم هم من جنود الشيطان، أما الذين يعطونكم العزة ويقولون لكم ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(٢٧) ويقولون لكم ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ

(٢٥) الزمر: ٣٦.

(٢٦) آل عمران: ١٧٥، ١٧٣.

(٢٧) الأنفال: ٦٠٠.

مُؤْمِنِينَ ﴿ إِن يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾^(٢٨) ويقولون لكم ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾^(٢٩) فهؤلاء جنود الله وأولياؤه وهم أحباؤه، لأنهم ينبضون بالحيوية، ويزيدون الناس قوة إلى قوة، وواقعية إلى واقعية، وشعارهم كما يقول الشاعر:

فيومٌ علينا وفيومٌ لنا وفيومٌ نساء وفيومٌ نسر

فخذوا إرادة القوة من الله تعالى ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾^(٣٠) لأنكم جنوده، ولأنكم تنتسبون له.

وفي ذكرى المبعث النبوي، نستذكر أن النبي ﷺ كان وحده والمسلمون الآن يمثلون خمس البشرية أو أكثر، فعلينا أن ندعو إلى الله، وأن نثبت في مواقع الاهتزاز، وأن نواجه التحديات ليتسع الإسلام ويشمل الخمس الثاني من البشرية، ويأتي الأجيال الجديدة فتحمل على عاتقها حمل الإسلام إلى الخمس الثالث والرابع والخامس، لنمهد في النهاية لإمامنا ﷺ ليملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ولنكون من أنصاره والمستشعدين بين يديه. والحمد لله رب العالمين.

(٢٨) آل عمران: ١٣٩-١٤٠.

(٢٩) النساء: ١٠٤.

(٣٠) البقرة: ١٦٥.

في ذكرى المبعث النبويّ والإسراء والمعراج (٢) مواجهة الأحداث من وجهة نظر إسلامية

○ علينا أن لا نتحرك في

مواجهة التحديات بعقلية المغامرة

أو بعقلية الانفعال، بل علينا أن

ندرس كل حركة سياسية أو

عسكرية أو أمنية حتى نعرف من

أين نبدأ؟ وأين تنتهي؟ ○

- ذكرى المبعث النبويّ.
- الظاهرة التجزئية.
- الأحداث الأخيرة في أميركا.
- وجهة نظر مختلفة.
- ليست دعوة للتجهّد.



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

ذكرى المبعث النبوي:

ونبقى مع ذكرى المبعث النبوي الشريف، لنحدد من خلال هذا الحدث الذي غير وجه العالم، من جاهلية جهلاء متخلفة، إلى حركة عقلية علمية منفتحة على كل ما يرفع مستوى الإنسان، ليجعله يتحرك مع العقل في مواقع الفكر، ومع القلب في مواقع العاطفة الإنسانية، ومع كل كيان الإنسان في حركيته من أجل العدل والحق والخير.

ونبقى مع هذه الذكرى لنحدد مسؤولية الإنسان المسلم - الآن - مقارنةً بمسؤولية الإنسان المسلم في بداية الدعوة، إذ كانت مسؤولية الإنسان المسلم في بداية الدعوة، أن يستمع إلى آيات الله يتفهمها ويتدبرها، لتتحول إلى ثقافة تنفتح على قضايا الإنسان، في كل ما يريد الله للحياة أن تتحرك فيه، من خلال النشاط الإنساني، على المستويين الفردي والاجتماعي.

ثمَّ كان المسلم الذي يدخل إلى الإسلام - بعد أن يستمع إلى آيات الله - يعيش المسؤولية بأرقى صورها، وهو يفتش عن إنسان جديد يُحدثه عن الإسلام، ويدعوه إليه بأسلوب يتزاوج فيه العقل والقلب فيجذبه إلى الإسلام. وهذا ما حدثتنا عنه السيرة النبوية الشريفة، إذ كان المسلم يدخل إلى الإسلام اليوم ويأتي في اليوم الآخر ومعه مسلم جديد، لأنَّ المسلمين يوم ذاك لم يفهموا الإسلام حالةً فردية، كعلاقة بين العبد وربِّه، بل كانوا يفهمون الإسلام حالة حركية تجمع النَّاس على وحي الله، ليتحركوا في طريق مرضاته، وكان الإسلام لديهم دعوة ثقافية

تُغَيِّرُ عقول النَّاسِ، من الظلامية إلى النور. وهم يسمعون آيات الله وهي تتحدَّث عن مهمة النبي ﷺ ووظيفته في إخراج النَّاسِ من الظلمات إلى النور. ولذلك كان كلَّ همِّ الإنسان المسلم أن يطرد كلَّ الظلام: ظلام التخلُّف، وظلام الجهل من العقل الإنساني، لأنَّ سرَّ النجاح في حركة الإنسان في الواقع، هي أن يملك الضوء في عقله، باعتبار أنَّ المشكلة التي عاشها الإنسان منذ البداية حتَّى الآن، تتلخَّص في مشكلة الظلام العقلي، وفي الذين يعيشون التخلُّف الثقافي والروحي والحركي، ويعيشون الجهل بحقائق الأشياء، ويفقدون حركية الحوار. وهذا ما كان الأنبياء ﷺ يواجهونه عندما يحدثون النَّاسَ عن الرسالة، فيحدِّثهم النَّاسَ عن الجمود، وتقليد الآباء وصمَّ الآذان والهروب من الحوار وإغلاق الأبواب التي من شأنها أن تسمح للفكر أن يتسرب إليهم.

الظاهرة التجزئية:

ونحن في هذا العصر، نواجه الكثير من جهل المسلمين بالإسلام، لأنَّ مسألة الإسلام حتَّى في ذهنية الدُّعاة والمبلِّغين هي مسألة محدودة، تنطلق بحسب مزاج الداعية والمبلِّغ، وربَّما نجد الكثير من هؤلاء ينفتحون بالإسلام على النَّاسِ في دوائر ضيقة، فهناك من يحدث النَّاسَ عن المسألة الفقهية ولا يحدثهم عن المسألة الفكرية، وهناك من يحدث النَّاسَ عن المسألة الفقهية ولا يحدثهم عن المسألة المنهجية في الفقه أو في المفاهيم، وهناك من يدفع بهم إلى المسألة السياسية باعتبارها الواجهة في المسألة الإسلامية، من دون أن يحدثهم حتَّى عن عمق السياسة الإسلامية، وعن خطوطها وامتدادها ووسائلها وغاياتها. ولهذا رأينا أنَّ هناك نوعاً من التجزئية في فهم الإسلام، فيقدِّم الإسلام كأجزاء متفرقة في وقتٍ نلاحظ فيه القرآن الكريم وهو يمزج بين الجانب العقلي والجانب العاطفي، وبين الجانب الفقهي والجانب الوعظي، وبين الجانب المنهجي والجانب الحركي، لأنَّه يُخاطب الإنسان بأبعاده المتعددة والمتنوعة.

وفي هذا المجال، وتحديداً في هذه المسألة، نلتقي بالحوزات الدينية، لنجد أن هناك أفقاً لا بُدَّ أن تبلغه، فتعيش العصر وتملك حسَّ المعاصرة. ولا نقصد من ذلك أن نسقط تحت تأثير الفكر المعاصر، ففي الفكر المعاصر الكثير من الكفر والكثير من الضلال والانحراف، ولكنِّي أقصد من ذلك أن نفهم كيف يفكر النَّاس، وما هي الأساليب التي يُمكن أن ننفذ فيها إلى عقولهم، حتَّى نكلّمهم على قدر عقولهم، كما ورد في الحديث النبوي الشريف: ((إنّا معاشر الأنبياء أُمّرنا أن نكلّم النَّاس على قدر عقولهم)))، حيثُ بات الشأن الثقافي اليوم مختلفاً ومتنوعاً، فهناك الجامعات الكبرى في الغرب، وحتَّى في الشرق الذي بدت فيه جامعاتنا مجرد صورة عن الغرب، بل صورة ممسوخة أيضاً، وإن كانت هناك بعض الجامعات المنفتحة على الخطوط الفكرية المعقولة. وبالإضافة إلى بعض المواقع الثقافية الممتدة في كلِّ العالم، والتي تدرس الإسلام في مذاهبه، وفي طريقة إدارة النَّاس لهذه الاختلافات المذهبية، كما تدرس المجتمعات الإسلامية، في أحزابها وفي التيارات التي تطبق عليها.

الأحداث الأخيرة في أميركا:

وربّما نجد في كلِّ مرحلة من المراحل التي نعيشها تحدياً جديداً وهجمة جديدة، وربّما يقف الكثيرون منّا في حالة اللامبالاة أمامها ليأخذوا منها السلبيات السياسية، بعيداً عن المسألة الثقافية، وعن التأثيرات المستقبلية في الأحداث التي تحدث هنا وهناك، فقد نكتفي بالشجب والرفض لبعض ما يحدث من سلبيات ضدَّ الآخرين مما يتهّم المسلمون به خطأً أو صواباً، ولكنّا لا نحاول أن ندرس المسألة بشكلٍ علميٍّ موضوعيٍّ، وربّما يتحمّس بعضنا للأحداث، لأنّها تُرضي الغيظ الذي يجتمع في صدورنا ضدَّ الذين استهدفتم الأحداث، وربّما يتخذ بعض النَّاس موقفاً مضاداً بطريقة عنيفة تخلو من التوازن.

لذلك لأبْدُ لنا ونحن نتحدّث عن مسؤولية الإنسان المسلم من الدعوة إلى الإسلام، وعن مسؤوليته في نزع كلِّ الأغلام المزروعة في الطريق، وعن اجتياز كلِّ

الحواجز التي تقف حائلاً لتمنعنا من النفاذ إلى الآخرين، أن نعرف كيف نواجه المسألة بشكل موضوعي عقلاني.

ونحن في هذا اللقاء نحاول أن نطل على الأحداث الأخيرة التي حدثت في أمريكا، وتركزت تأثيراً على مستوى الاهتزاز في العالم، من النواحي العسكرية والسياسية والاستخباراتية والمالية والثقافية، حيث لا حديث في العالم الآن إلا عن هذا الحدث الكبير، حتى أن قضايانا الحيوية التي تمثل قضية المصير في تاريخنا الحديث، وهي القضية الفلسطينية، أبعدت بفعل كل هذه الضوضاء وبكل هذا الزلزال المتوَّع في مواقعه - عن دائرة الضوء، وأصبحت على هامش الأحداث ووراءها.

وفي هذا اللقاء، نُحاول أن نواجه الحدث من وجهة نظر إسلامية، ونتساءل: هل يوافق الإسلام في حركته السياسية تجاه الآخرين، بمن فيهم الذين يكيِّدون للإسلام والمسلمين من المستكبرين والمتجبرين، من ناحية ثقافية وفقهية على مستوى التكليف الشرعي في الحلال والحرام، على مثل هذا الأسلوب أو لا؟ ثمة وجهة نظر تقول: إنَّ الإسلام يوافق على هذا الأسلوب ويشجِّعه، لأنَّ المسألة فيما يعتقد هؤلاء ترجع إلى مسألة تراحم المصالح والمفاسد، فقد يكون هناك مفسد في هذا الأسلوب باعتبار أنَّه يستلزم قتل الأبرياء من المدنيين، سواء ركَّاب الطائرات التي استخدمت كقنابل متفجرة، أو من خلال النَّاس المدنيين في مركز التجارة العالمي، الذين لا يقتصرون على الأمريكيين بل ينتمون إلى جنسيات متعدّدة، ولكن القضية هي أنَّ المستهدف هو العنفوان الأمريكي، والهيبة الأمريكية، والقوَّة الأمريكية، التي أطبقت على العالم الإسلامي كُله، والتي أعطت التأييد المطلق لإسرائيل في كلِّ جرائمها الوحشية ضدَّ الفلسطينيين، والتي لا تزال تعيث باقتصادنا وسياستنا وأمننا.

ومن خلال الموازنة بين المفسد التي تحصل من جرّاء قتل المدنيين والأبرياء، وبين المصالح التي يمكن تصوُّرها من جرّاء إلحاق الأذى بأمريكا

واسقاط هيبتها، وبما يفقدها القدرة على الإضرار بالناس ويدفعها لمراجعة سياساتها، فإن هذه الموازنة تبرر هذا الفعل بلحاظ المصالح التي تتقدم على المفسد لأن المصلحة أكبر. وإذا كان الإسلام لا يرى أن الغاية تبرر الوسيلة، فذلك يختص بالغايات الشخصية، وأما على مستوى الغايات الكبرى، فإن الغايات هذه تبرر الوسائل، ولعل أوضح مثال على ذلك ما ثبت فقهيًا عند السنة والشيعية من أنه إذا تترس الكفار بأسرى المسلمين، فكان لدى الكفار أسرى مسلمون ووضعهم أمام الجبهة، من أجل تعطيل تقدم المسلمين إلى جبهة الكفار، وتوفيت فرصة النصر عليهم، إذ يحجم المسلمون عندئذ عن قتل المسلمين الأسرى الذين أصبحوا دروعاً بشرية يحتمي بها الكفار. فإنه يجوز الهجوم على الكفار ولو أدى ذلك إلى قتل أسرى المسلمين، إذا توقف النصر على ذلك. ولذلك جاز للمسلمين خوض المعارك والدخول في النزاعات العسكرية وإن أدت إلى سقوط الأبرياء والمدنيين ما دامت الحرب مشروعة.

هذه وجهة نظر الذين يتحمسون لما حدث، أو الذين يباركون هذا الحدث، ويباركون فاعليه، ويعتبرونهم شهداء وفي الدرجات العليا عند الله. وربما نجد الجانب العاطفي لدى الشارع الإسلامي والشارع العربي أيضاً حتى غير الإسلامي يلتقي مع هذه النظرية، على خلفية العقدة من أمريكا التي تجعل كل عمل ضد أمريكا محل ترحيب وتبريك.

وجهة نظر مختلفة:

ولكن لنا وجهة نظر أخرى، وقد عبّرنا عنها في الإعلام العالمي منذ وقع هذا الحدث، وهي تنطلق من عدة نقاط.

النقطة الأولى: أن مشكلتنا هي مع الإدارة الأمريكية، وليست مع الشعب الأمريكي، وليست مع الذين يقيمون في أمريكا من الشعوب الأخرى، وليست مع الذين يقدمون إلى أمريكا للتجارة أو لإنجاز بعض المعاملات الاقتصادية أو العلمية أو غيرها. فمشكلتنا هي مع الإدارة الأمريكية تحديداً، ولذلك لا يجوز

لنا أن نعاقب هؤلاء الناس الذين لا علاقة لهم بالإدارة الأمريكية أو كانت لهم بها علاقات على مستوى ما، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(١)، فلا يجوز لك أن تحمل أي إنسان جريمة إنسان آخر، فكل إنسان يتحمل مسؤولية جريمته ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى﴾^(٢) سواء كان سعياً إيجابياً أو سلبياً. لذلك من حيث المبدأ هذا العمل غير جائز. وإن كان القتل والجرحى من غير المسلمين، لأن الله يقول ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣) فالمسالمة وإن لم يكن مسلماً، لا بُدَّ لك أن تتصرف معه بالعدل وبالإحسان. وليس من العدل أن تقتله ولا أن تُصادر ماله أو ما أشبه ذلك.

والنقطة الثانية هي: هل تعود هذه العملية بالمصالح على المسلمين بما يبرر ارتكاب هذه المفاصد؟ هل تُعدّ النتائج الإيجابية التي حصلنا عليها أكبر من المفاصد لو كان المنفذون من المسلمين؟ لأننا لا نملك دليلاً على ذلك، ولا نريد الدخول في التحقيق عن مسؤولية أي طرف عن هذه العملية، وإنما نحن بصدد دراسة المسألة من وجهة نظر إسلامية. وما هي وجهة نظر الإسلام في مثل هذا الحدث بغض النظر عن الحدث الخاص نفسه؟ وهل يجوز للمسلم أن يقوم بذلك أو لا؟

إننا نلاحظ أنّ هذه المسألة ربّما أصابت عنفوان أمريكا في الصميم، وهذا صحيح، بل إننا تحدّثنا في أحاديثنا الإعلامية أنّ أمريكا عاشت حالة انعدام الوزن لعدة ساعات، بحيث لم يشعر الناس بوجود أمريكا، فقد اختبأ المسؤولون

(١) الأنعام: ١٦٤.

(٢) النجم: ٣٩-٤٠.

(٣) الممتحنة: ٩٨.

فيما هرب الآخرون، بشكل لم يحدث له مثيل في كل تاريخ أمريكا. ولكن عندما ندرس النتائج، فإننا نرى أنها في غالبيتها سلبية تجاه المصلحة الإسلامية العليا، لأن هذا الحدث الذي أصاب الجانب العاطفي للإنسان الغربي، باعتبار أنه يمثل المأساة، وأصاب إحساس الأمريكي بعدم الأمن وباختلال توازن حياته، وأصاب الغرب كله بالقلق والخوف، مما قد يحدث له على الطريقة التي حدثت مع أمريكا، إن هذه الأمور قد خلقت حالة عدوانية لدى الإنسان الغربي العادي، الذي كان لا يحمل ما هو سلبى ضد المسلمين بشكل عام، فقد كان بعض الغربيين على اتصال بقضايا المسلمين، وبعضهم الآخر يعيش بشكل إنساني وطبيعي مع المسلمين، ولذلك فالمسألة أصابت المسلمين الذين يعيشون في الغرب بمشكلة كبيرة، في استمرار وجودهم هناك. والجميع سمع أو قرأ كيف أحرقت المساجد، وكيف أحرقت المدارس الإسلامية، وكيف كانت تلاحق المرأة المسلمة المحجبة والإنسان العربي والمسلم وما إلى ذلك، ما أفقدنا الكثير من الساحة الشعبية في الغرب، لأنها أصابت الإنسان الغربي في صميم حياته الخاصة من دون أن يفهم لماذا يحدث له ذلك، خاصة وأننا لا نملك إعلاماً في الغرب، بحيث يصور للغربيين الجرائم التي يقوم بها الغرب، سواء كان أمريكياً أو أوروبياً ضد المسلمين أو ضد العرب، ولذلك فإن هذه العملية التي ربّما أرضت عنفواننا السياسي، أدّت إلى نتائج سلبية على واقع المسلمين هناك، هذا أولاً.

وثانياً: فإننا وإن كنّا نلاحظ أن هذه المسألة ربّما أفادت من جهة، إذ وجّهت الغربيين ليتعرّفوا على الإسلام ويفهموه، ولكنّها من جهة أخرى، أعطت الرأي العام الغربي صورة مشوّهة عن الإسلام، بحيث التقت كلمة الإسلام بكلمة الإرهاب، ونحن نعرف أن الإعلام الغربي دأب منذ سقوط الاتحاد السوفياتي، ومنذ المشكلة الفلسطينية، بلحاظ سيطرة الإعلام الصهيوني على الإعلام، على تشويه صورة الإسلام، ملتقطاً ما يحدث في البلاد الإسلامية، كما في الجزائر وما إلى ذلك من قتل الأطفال والنساء والشيوخ، حيث ولّد ما حدث هجمة فوق

العادة ضدّ المسلمين، بحيث أصبح النَّاس في العالم الذين تعاطفوا مع هذا الحدث يحملون فكرةً سيئةً عن المسلمين بأنَّهم إرهابيون، بالرغم من استنكار علماء المسلمين وإدانتهم. ولكن التيار العدائي أصبح مسيطراً.

وثالثاً: إنّ أمريكا وإن خسرت بعض عنفوانها وهيبته، وحتى ثقة شعبها بها، ولكنّها استطاعت أن تحوّل المسألة إلى مكسبٍ كبيرٍ لسياستها في العالم، فاستغلت هذه الصدمة التي أصابت العالم كلّ، وأقصد العالم المستكبر، من الدول الأوروبية وروسيا والصين أو العالم الثالث، بحيث إنّها عندما طرحت التحالف الدولي لمحاربة ما يسمونه (الإرهاب)، لم يستطع أحد أن يعترض على المبدأ. وإن كانت هناك اعتراضات فهي اعتراضات خجولة، كتلك التي صدرت من الدول العربية والإسلامية، وهي تتحدّث عن ضرورة تعريف الإرهاب وضرورة التفريق بين المقاومة التي هي حقٌّ إنساني حضاري للشعوب المحتلة، وبين الإرهاب، ولا يزال الجدل قائماً.

ولهذا فإنّ أمريكا استفادت في تحريك هذا التحالف الدولي لشنّ الحرب على ما يسمونه الإرهاب، وإن لم يتوصل حتّى الآن إلى صيغة قانونية واقعية متحرّكة في الجانب السياسي، والذي تحدّث الرئيس الأمريكي عنه بأنّه يشمل الجانب الاستخباراتي والمالي والسياسي فضلاً عن الجانب العسكري، فيما أخذت أمريكا تستعرض عضلاتها السياسية الآن أمام شعب من أضعف الشعوب في العالم عسكرياً واقتصادياً وأمنياً وثقافياً وسياسياً، ليتعدّى هذا التهديد كلّ، إلى كلّ الذين يقفون ضدّ السياسة الأمريكية، تحت تأثير التهمة بالإرهاب، فيما انضمت إلى أمريكا دول تحالف شمال الأطلسي، تحت عنوان المعاهدة بين دول الحلف الأطلسي، والتي تنصّ على أنّه إذا وقع على دولة ما من دول التحالف عدوان خارجي، فإنّ مسؤولية كلّ الدول أن تدافع عن هذا العضو الذي اعتدي عليه. وعلى ضوء ذلك، انطلقت كلّ هذه الدول من بريطانيا إلى فرنسا وإلى إيطاليا، إلى آخر القائمة لتشارك أمريكا الحرب.

وهكذا تستفيد أمريكا من خلال حصولها على مواقع استراتيجية واقتصادية في آسيا، وبسط نفوذها على أكثر من دولة آسيوية، حتى أنها يمكن أن تُحاصر روسيا من جهة، أو تُربك السياسة الروسية، أو الصينية، بالإضافة إلى باقي الدول من إيران وباكستان والهند وما إلى ذلك، لذلك فإنَّ أمريكا بالرغم من الجانب المعنوي الذي فقدته، استطاعت أن تريح ربحاً كبيراً لم تحلم به في تاريخها من الجهة المادية السياسية.

وهكذا رأينا أنَّها أثارت الحرب ضدَّ الشعب الأفغاني باسم الحرب على نظام طالبان بحجَّة إيوائه ما يسمونهم بالإرهابيين، وبحجَّة أنَّ الحرب تنتهي بالقبض على الإرهابيين وما إلى ذلك. وصحيح أنَّ الشعوب الإسلامية قامت بالتظاهر ضدَّ هذه الحرب، ولكنَّ ليس بالمستوى اللائق والفاعل، لأنَّ الأنظمة قد صادرت شعوبها، كما منعت التعقيدات في أكثر البلدان العربية والإسلامية هذه الشعوب من القيام بمظاهرات استكارية.

لذلك عندما ندرس السلبيات التي تولدت من هذا الحدث وما تزال السلبيات تتحرَّك، من تهديد هنا وتدخل هناك، ومن تلويح بتجميد الأرصاد هنا وتقديم قوائم بالإرهابيين هناك، ما حدا بأمريكا لأن تطلب من الدول أن تغيِّر قوانينها في قضية السريَّة المصرفية أو ما أشبه ذلك، ونقارن بين هذه السلبيات وبين الإيجابيات فيما يمكن أن يستفيد منه المسلمون والإسلام بالذات، أو يخسره، نجد أنَّ السلبيات أكثر، ولهذا فإنَّنا عندما نواجه مثل هذه الأحداث لا بُدَّ أن نواجهها بطريقة عقلانية لا انفعالية، لأنَّنا نواجه في العالم التحديات الكبرى في سياستنا واقتصادنا وأمننا وثقافتنا، وعلينا أن نحسب حساب كل خطوة نخطوها.

ليست دعوة للتجمّد:

إنَّني لا أريد أن أدعو إلى التجمّد ولا أدعو إلى الخوف أمام الاستكبار، فإنَّ الله يقول: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ❖ إِنْ يَمْسَسْكُمْ

قَرَحُ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرَحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ^(٤). لكن عندما نريد أن ندخل حرباً علينا أن ندرس خطة الحرب، بحيث لا يكون ما نقوم به مجرد صوت في الفراغ، ثم يتلاشى عندما تقع الحرب، بل علينا دراسة نتائج الحركة لتكون نتائج إيجابية على مستوى المستقبل الإسلامي.

ولذلك نحن قلنا جواباً على كثير من الأسئلة التي وجهت إلينا من قبل الإعلام الغربي عن سبب عدم اعتبار هذا العمل استشهادياً في الوقت الذي نعتبر فيه ما يقوم به الفلسطينيون عملاً استشهادياً، مع أن الأبرياء يسقطون هنا وهناك؟ أن هناك فرقاً بين الموردين، لأن في فلسطين شعباً احتلت أرضه وطرد منها وهناك حرب ساخنة، يستخدم فيها الصهاينة كل الأسلحة الأمريكية لإبادة الشعب الفلسطيني، في عملية تشبه عملية الإبادة، ولا يملك الفلسطينيون ما يدافعون به عن أنفسهم إلا بتفجير أنفسهم، وبهذا أسقط الاستشهاديون مشروع شارون عندما دخل رئاسة الوزارة الصهيونية، وهو يعد اليهود بالأمن، ولذلك فإن الفلسطينيين الاستشهاديين لم يوجهوا تفجيرهم للمدنيين، بل وجهوه للأمن الإسرائيلي، ولا يمكن أن يقتلوا الأمن الإسرائيلي إلا من خلال سقوط المدنيين، فضلاً عن هذه الحرب الساخنة التي يشترك فيها اليهود كلهم. أمّا في أمريكا، فليست هناك حرب ساخنة، هذا علاوة على أن المجتمع اليهودي مجتمع عسكري ككله، وهو في الخدمة العسكرية وعلى أهبة الاستعداد والإنذار والاحتياط. مع ملاحظة فقدان فرصة الدفاع أمام الفلسطينيين والتي انحصرت في الاستشهاد، في وقت يعيش فيه اليهود بأمان وطمأنينة ويسكنون مساكن الفلسطينيين وينعمون في أرضهم.

أمّا في أمريكا، فإن الأمر مختلف، فالناس في مركز التجارة العالمي ليس لديهم دخل في الموضوع. ولذلك هناك فرق بين الموردين، فإننا نبرر العمليات

الاستشهادية ونعتبرها جزءاً من آلية الجهاد عندما يتوقف الجهاد عليها، وأما غيرها من العمليات فإنّها ليست عمليات استشهادية، خاصّة وأنّها عملت على تحويل ركاب الطائرات الذين لا علاقة لهم إلى قتابل متفجّرة، فيما أطاحت بآخرين كانوا آمنين في مواقع عملهم.

ومنذ أن راج خطف الطائرات - منذ زمن بعيد - أعلنّا بشكلٍ فقهي شرعي حرمة خطف وسائل النقل، فليس لأحد أن يختطف سيارة أو طائرة أو سفينة، لأنّ وسائل النقل هذه يجب أن تبقى آمنة ويبقى أهلها آمنين، واعتبرت خطفها أمراً غير جائز شرعاً مهما كانت القضايا.

ما أريد قوله هو أنّ علينا أن لا نتحرّك في مواجهة التحديات التي توجه إلينا بعقلية المغامرة أو بعقلية الانفعال، بل علينا أن ندرس كلّ حركة سياسية أو عسكرية أو أمنية، حتّى نعرف من أين نبدأ؟ وأين ننتهي؟ وعلينا أن نتذكر الحديث النبوي الشريف عندما جاء شاب إلى النبي ﷺ وقال له: ((أوصني يا رسول الله، قال: هل أنت مستوصٍ إذا أنا أوصيتك؟ قال: بلى، وكرّر عليه القول ثلاث مرات، ثمّ قال: إذا أنت هممت بأمر فتدبّر عاقبته، فإن يك رشداً فأمضه، وإن يك غياً فانته عنه))^(٥).

علينا أن لا ننظر إلى بدايات الأمور، بل أن ننظر إلى نهاياتها، ولا سيّما أنّنا في عملنا السياسي، وفي عملنا الأمني، وفي عملنا الثقافي دعاة إلى الله، فكلّ حركة تضعف ساحة الدعوة إلى الله وتحاصر حركتنا في الدعوة إلى الإسلام غير مقبولة، ونحن إذ نعتبر العمل السياسي عملاً في خطّ الدعوة إلى الله لا بُدّ أن يأخذ حركيته من هذا الطابع، وكذلك العمل الاقتصادي والعمل الأمني. ولهذا استكرنا ما حدث في أمريكا، لأنّنا كنّا على وعيٍ دقيق، وواسع للأحداث والنتائج، وفي الوقت نفسه أصدرنا فتوى بأنّه يحرم على كلّ دولة إسلامية، أو كلّ جهة إسلامية أن تساعد أمريكا في حربها ضدّ المسلمين، ولا

سيّما أفغانستان، ولا نزال نشير الثائرة ضدّ الحرب الأفغانية، لأنّها حربٌ تفتقد إلى أيّة شرعية، وهذا ما تحدّثنا به في كلّ أحاديثنا الإعلامية في العالم. كما علينا في ذكرى المبعث النبوي أن ندرس أسلوب النبي ﷺ ومنهجه وطريقته وأسلوب المسلمين في كلّ ما حصلوا عليه من نتائج إيجابية لمصلحة الإسلام، وأن نستهدي أسلوب القرآن وأسلوب السيرة في كلّ أوضاعنا، وندرس المستجدات، لتبقى المسألة هي: ما هي مصلحة الإسلام في ذلك كلّها؟ والحمد لله رب العالمين.

في مدرسة الإمام علي عليه السلام (١٦) رابطة الحب الإنسانية

○ في نفس كل إنسان فراغ
يملؤه الآخر ليس فقط بين
الرجل والمرأة، بل بحاجة الرجل
إلى صداقة ومودة الرجل،
وحاجة المرأة إلى ذلك ○

- الاستهداء بعلي عليه السلام
- إشاعة المحبة والألفة
- دروس في المخالطة
- علي عليه السلام منهج الحياة



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

ونبقى مع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في عنوان جديد، وهو يتحدث عن طبيعة ارتباط الإنسان بأخيه الإنسان، ارتباط المودة والحب، وكيف يتبادل معه الحب بالحب والمودة بالمودة؟ وكيف يتوفر الإنسان على ما يشجع محبة الآخرين، وما هي العناصر التي تحفز على ذلك؟ وكيف يحب الإنسان الآخر، وما هي الدرجة التي لا بد للحب أن يبلغها؟ وعندما يبغض الإنسان فما هي الدرجة التي ينبغي للبغض أن يبلغها؟ ثم هل يملك الإنسان أن يتحرك بالطريقة التي يفقد فيها الإخوان الذين ربحهم باختياره أو لا؟

هذه العناوين المتحركة هي التي تمثل حاجاتنا في حياتنا الاجتماعية كلها، ولا سيما في حياتنا الإسلامية التي فقدنا فيها الكثير من الحب واستبدلناه بالبغض، فلم يتوازن الحب فينا كما لم يتوازن البغض، فأصبحنا نحب حباً أعمى لا يفتح نافذة للتغيير، ونبغض بغضاً أعمى لا يبقى فيه مجالاً للحب.

الاستهداء بعلي عليه السلام:

ونحن هنا نريد أن نستهدي علياً عليه السلام إمام الهدى، لأن علياً عليه السلام إنسان الروح والفكر والحياة، وهو الذي انطلق ليخاطب الإنسان كله في الزمن كله، ولذلك فإن كل علامات الاستفهام التي ترسم في عقل الإنسان حول أية قضية من القضايا التي تتحرك في حياتنا، نجد أن عند علي عليه السلام جواباً لها. فتعالوا إليه لنعرف كيف نحب، وكيف نملاً حياتنا بالحب، وكيف يتوازن الحب فينا؟

في كلمة له ﷺ هو يدُلُّنا كيف نجتذب الآخرين للحب فيقول: ((قلوب الرجال وحشية فمن تألفها أقبلت إليه))^(١) ولا يقصد أمير المؤمنين ﷺ من الرجال المعنى الذكوري للكلمة، بل يريد الإنسان، بمعنى أن كلَّ إنسان لا علاقة بينك وبينه فإنه يستوحش منك، لأن كلَّ إنسان لا يعرفك ولا تربطه بك علاقة، فإن الشك يطوف به حول ما تفكر فيه تجاهه أو حول طبيعة عناصر شخصيتك، وهل هي عناصر تتحرك في مصلحته أو لا تتحرك في مصلحته؟ لذلك فإنَّ من الطبيعي أنك عندما تلتقي إنساناً لا تعرفه، فإنه يعرض عنك ولا يقبل عليك، فإذا أحببت أن يقبل عليك فحاول أن تتألفه، ومعنى أن تتألفه أن تقوم بالوسائل والأساليب التي تجعله يألفك، بالابتسامة - مثلاً - وهي التي تمثل رسالة القلب إلى القلب. ولذلك كان من صفات رسول الله ﷺ إنه دائم كان الابتسام، وكان ذلك من صفات الأئمة ﷺ كذلك، وهذا ما عبّر عنه الفرزدق في قصيدته التي يمدح بها الإمام علي بن الحسين ﷺ عندما قال

يغضي حياءً ويغضي من مهابته فلا يكلم إلا حين يبتسم

على احتمال إرجاع الكلام إليه وأنه لا يتكلم إلا وهو يبتسم، فكانت بسمته تسبق كلمته. والابتسامة - أيها الأحبة - كما قلنا - رسالة القلب إلى القلب، لأن معنى أن تبتسم للشخص هو أنك تقول له إن علاقتي بك هي علاقة الفرح، ومعنى أن تسلّم عليه فذلك رسالة أخرى. ولذلك كان من أخلاق الإسلام إفشاء السلام، وكان من صفات رسول الله ﷺ أنه يبتدأ من يلتقيه بالسلام، وقد أراد الله لنا أن نعيش تحية الإسلام، حيث ورد في الحديث ((للسلام سبعون حسنة تسع وتسعون للمبتدئ وواحدة للراد وإن أحسن فعشر))^(٢)، لأن كلمة السلام هي الكلمة التي تعبّر للآخر أن علاقتك به علاقة الحب والسلام لا علاقة الحرب. ولهذا أراد الله سبحانه وتعالى لنا أن نعيش ذلك فسمّى جنته دار السلام في قوله تعالى

(١) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ١٧٨ ب ١١ ج ١٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٧٨ ص ١١٩ ب ٢٠ ج ٢.

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٣) ، وجعل تحية أهل الجنة السلام كما في قوله تعالى ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾^(٤) . ويقول تعالى ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾^(٥) فأراد الله لنا أن نتدرب على السلام، بأن نعطي السلام لكل الناس، فيوجب ذلك الألفة. وكذلك الكلمة الطيبة عندما ترسلها إلى الإنسان الآخر الذي تلتقيه، فإنها رسالة أخرى تفتح قلبه، وهكذا في كل ما يمكنك أن تحتوي به الإنسان الآخر. وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام في قوله : ((قلوب الرجال وحشية فمن تألفها أقبلت عليه))^(٦) .

إشاعة المحبة والألفة.

ثم عليك أن تدرس الناس من حولك، فإذا كنت تريد أن تجتذب إنساناً إليك، فادرس عناصر شخصيته، وتعرف ما يحب وما يبغض، وادرس كل نقاط ضعفه وكل نقاط قوته، وحاول أن تحرك ذلك كله، فإذا عاش الانسجام معك من خلال هذه الوسائل التي تتسجم مع أفكاره ومشاعره وأحاسيسه، فإن من الطبيعي أن يتحول هذا القلب الوحشي إلى قلب أليف، تماماً كالحيوان، ولا نريد أن نشبه الإنسان بالحيوان، ولكن وسيلة إيضاح الفكرة قد تفرض ذكر مثال من هذا القبيل، ونحن نشهد كيف يتألف المدربون بالحيوانات التي يريدون تأليفها، فإنهم يدرسون الحيوان ويدرسون حاجاته، ويدرسون طبيعته، فيحاولون أن يتعاملوا معه بما يشعر فيه بالانجذاب إليهم. وهذا أمر نلاحظه في كل الذين يدرّبون الحيوانات حتى المفترس منها، فيتألفونها ويوظّفونها في الكثير من الوظائف التي هم بصدد الإفادة منها، سواء في السيرك أو غيره. وعلي عليه السلام وهو يقول ((قلوب الرجال وحشية فمن تألفها أقبلت عليه))^(٧) يشير إلى هذه

(٣) الأنعام: ١٢٧.

(٤) إبراهيم: ٢٣.

(٥) الحجر: ٤٧.

(٦) بحار الأنوار، ج. ٧، ب. ٢٣، ص. ١٢٣، ج. ٦.

(٧) بحار الأنوار، ج. ٨٨، ب. ١، ص. ٣٣، ج. ٢.

الظاهرة، لأن ما من شأنه أن يفتح قلب الإنسان عليك مما ذكرنا من وسائل يعود بالريح عليك. ومن تلك الوسائل ما أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله ((احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك))^(٨). بمعنى هل تريد أن يفتح الآخر عليك بالخير انفتح عليه إذا بالخير، فرغ صدرك من كل إحساس بالشر للناس، واجعل قلبك ينبض بالخير، فستطلق هذه النبضات التي تحمل الخير في قلبك إلى صدور الآخرين لتنزع الشر منها، لأن الآخرين إذا رأوا منك ومن سلوكك معهم - الذي يكشف عن كل ما تختزنه في نفسك - ما يوحى بالحب انجذبوا إليك، لأن الإنسان عندما يشعر بالنبضات الإنسانية في الإنسان الآخر تتحرك نبضاته الإنسانية بذلك.

وهكذا نجد الإمام علي عليه السلام يحدثنا في هذا المجال فيقول : ((مودة الآباء قرابة بين الأبناء))^(٩) فعندما يكون آباؤكم أصدقاء و أوداء لآباء ممن حولكم، فإن المودة المتبادلة بين الآباء هي نوع من القرابة بين الأبناء، إذ تسهم هذه المودة بخلق مودة جديدة بين أبنائهم تصل إلى حد القرابة. بل أن القرابة لولا المودة لا قيمة لها، ولذلك يقول عليه السلام ((والقرابة أحوج إلى المودة من المودة إلى القرابة))^(١٠) لأن القرابة مجرد علاقة في الدم، أما المودة فهي علاقة القلب بالقلب، والروح بالروح، والإحساس بالإحساس، وكي تتعمق القرابة لابد أن تُعبأ بالمودة، فالقرابة بحاجة إلى المودة، والقرابة أحوج إلى المودة من المودة إلى القرابة، لأن المودة هي التي تربط الإنسان، في عناصر إنسانيته، بالإنسان الآخر في عناصر إنسانيته، فأني حاجة إلى الدم أن يرتبط بالدم ما دامت الروح ترتبط بالروح!

دروس في المخالطة

وهكذا يتابع الإمام علي عليه السلام المسألة في طريقة معاشرة الناس، ومخالطتهم، ولا بد للإنسان أن يختلط بالإنسان، لأنه المدني والاجتماعي بطبعه، وفي نفس كل

(٨) شرح نهج البلاغة. ج ٩. ب ٢. ص ٢٣٤.

(٩) بحار الأنوار. ج ٢٣. ص ٢٣٤. ب ٤. ج ١.

(١٠) شرح نهج البلاغة. ج ٤. ب ٣. ص ٣٤.

إنسان فراغ يملأه الآخر، ليس فقط بين المرأة والرجل في إحساس المرأة بالفراغ للرجل وإحساس الرجل بالفراغ للمرأة، بل الرجل بحاجة إلى الرجل الآخر، حاجته إلى صداقته ومودته وحاجته إلى التعاون في الحياة كلها، وكذلك حاجة المرأة إلى المرأة في كل ذلك. ولذلك يوجهنا ﷺ إلى أسلوب المخالطة فيقول ((خالطوا الناس مخالطة إن مِتُّ معها بكوا عليكم))^(١١) بحيث تكون مخالطتكم لهم ملأى بالحب والخير والتعاون والمساعدة. فيشعرون بوجودكم الأساسي في الحياة، بحيث لو مِتُّ لشعروا بالفراغ الكبير والضياع، لغياب هذا الحب وهذا الخير وهذا التعاون، لأنكم كنتم تملأون حياتهم بكل هذا الزخم من المشاعر الصادقة والطاهرة. ((وان عشتُم حنّوا إليكم)) وإذا غبتم عنهم حنّوا إليكم لأن الإنسان يحنّ إلى من يحب، ويحنّ إلى ما يملأ فراغ نفسه. وهكذا يقول الإمام ﷺ في وصيته إلى الإمام الحسن ﷺ: ((يا بني اجعل نفسك ميزاناً بينك وبين غيرك)) فعندما تريد أن تتصرف مع الآخرين فكّر كيف تحب أن يتصرف الآخرون معك في هذه الحال أو تلك الحال. ((فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك واکره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم)) لأن عليك أن تكره الظلم كله، فكما تكره ظلم الآخرين لك اكره ظلمك للآخرين، لأن الإنسان الذي يرفض الظلم لا بد أن يرفضه كمبدأ، ولا يعيش الأنانية في مسألة الظلم، ((وأحسن كما تحب أن يحسن إليك واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارض من الناس ما ترضاه لهم من نفسك))^(١٢) فارض للناس في كل أمورهم بما ترضاه للناس من نفسك في المعاملة. وهو يقول ﷺ ((كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه في غيرك))^(١٣) ((ولا تقل ما لا تعلم وان قل ما تعلم))^(١٤) بمعنى اقتصر على ما تملك ثقافته ولا تتكلم بما لا تملك علمه لتحصل على ثقة الناس

(١١) شرح نهج البلاغة. ج. ٣. ص ٢٤٥. ب. ٩.

(١٢) شرح نهج البلاغة. ج. ١١. ص ١١١. ب. ٣.

(١٣) شرح نهج البلاغة. ج. ٧. ص ٢٩٩. ب. ٢.

(١٤) شرح نهج البلاغة. ج. ٧. ص ٣٠٥. ب. ٢.

واحترامهم لك في انسجام كلامك مع الفكرة المرتكزة على العلم الذي تملك عناصره الفكرية في ثقافتك بينما تمثل الكلمات الناتجة عن عدم وعي المعرفة للفكرة احتكارهم لك، ((ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك)) فلا تبادر الناس بالكلمات التي لا تحب للناس أن يبادروك بها. ومن الطبيعي أن مثل هذه المفردات الأخلاقية التي تجمعها كلمة العدل مع الناس، تشعر بأن للناس حقاً عليك تماماً كما أن حقاً لك على الناس وأن تُوازن بينهما، وقد بلغ كلام رسول الله ﷺ القمة في ذلك وهو يربط بين أن تكون مؤمناً وبين هذا المعنى إذ يقول ﷺ ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها))^(١٥).

ويقول علي عليه السلام في كلمة له أيضاً: ((وإذا حييت بتحية فحيي بأحسن منها)) وهذا من عناصر اجتذاب الناس إليك وتمتين علاقتك بهم، وهذا منهج قرآني، كما في قوله تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها﴾^(١٦)، فلا تهملوا التحية فإن لم تحيوا بالأحسن فلا أقل بالمساوي. فمن قال لك (السلام عليك)، فقل (السلام عليك ورحمة الله وبركاته)، ومن قال لك (صباح الخير)، فقل له (صباح الخير أهلاً ومرحباً بك)، ليشعر أن تحيتك له من روحك ومن قلبك ومن أعماقك. ويقول ﷺ: ((وإذا أُسديت إليك يدُ فكافئها بما يُرى عليها))، فإذا قدّم لك أحد خدمة فلتكن مكافئتك له بما يزيد عليها ويبقى الفضل للبادئ. فإن الذي حيّاك بتحية إنما بادللك الحب والتكريم وهو صاحب الفضل لكونه البادئ، وهو الذي فتح قلبك، ولذلك يقول ﷺ: ((والفضل مع ذلك للبادئ)). وينقل في هذا المجال إن الرئيس الأمريكي (إبراهام لنكولن) الذي قيل أنه صاحب مشروع تحرير العبيد في أمريكا كان ماشياً وقد مرّ على شخص يهزأ بالعبيد فبادره لنكولن بالسلام ومدّ له يده، فقيل له: إن السلام من واجبه هو، فقال: إنما بادرت لمصافحته لأنني أحترم نفسي، لأنني إن بادرت بالسلام فهذا يعبر

(١٥) شرح نهج البلاغة. ج ٦. ص ٩٩. ب ٣.

(١٦) النساء: ٨٦.

عن إنسانيتي، وإن بادر هو فيكون هو صاحب الفضل، وعندئذ سيكون ردّ سلامه مجرد ردّ فعل. وقال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض كلماته، ((مقاربة الناس في أخلاقهم أمن من غوائلهم)) بمعنى أن مقاربة الناس تعود عليك بالفائدة أيضاً فضلاً عن الصداقة، لأنك إذا انفتحت على الناس في اجتذاب أخلاقهم لأخلاقك، أو اجتذاب أخلاقهم إليك، فإنك تأمن من مشاكلهم، لأنهم إن أحبوك فإنه لا يمكن أن يأتي الشرّ إليك منهم. وفي مقابل هذا الجانب الإنساني المضيء ثمة جانب سلبي يشير إليه عليه السلام بقوله ((من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون)) فمن كان من الناس سريعاً في فعل أو قول مكروه في الناس فإنهم سيقولون فيه ما ليس فيه، وذلك كردّ فعل على طريقتة في الحديث وتناول الناس، خصوصاً إذا كان هذا الكلام منطلقاً من الحالة الغرائزية والإنفعالية فإنه يفتقر إلى التوازن.

وفي كلام لعلي عليه السلام آخر يقول فيه ((أعجز الناس من عجز عن اكتساب الأخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به))، بمعنى أن الإنسان الذي لا يقدر على تكوين علاقات الصداقة مع الآخرين فإنه من أعجز الناس، ولكن أعجز منه من وفق لتكوين علاقات الصداقة مع الآخرين ثم يفرض بهذه الصداقة ويضيعها. وهذا يعني أن يحافظ الإنسان على صداقته للآخرين قدر المستطاع ويبذل جهده في ألا تضيع ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(١٧). فالمهم أن تعمل على أن تجتذب أصدقاءك وأن تحتفظ بصداقتهم وأخوتهم. ويقول عليه السلام أيضاً ((عاتب أخاك بالإحسان إليه واردد الشر بالإنعام عليه)). ولطالما اختلف الإخوان في النسب وفي الصداقة، فيتعاتبون، فيقول هذا إنك فعلت معي كذا، وذاك يقول إنك فعلت كذا. أما الإمام عليه السلام فيقول عاتب أخاك بالإحسان إليه والإنعام عليه، وهذا أحسن وأفضل مصاديق العتاب. فليكن عتابك إليه بالسلام عليه ومعانقته وضمّه إليك، و لا تقل إن كرامتي وعزتي تقتضيان عدم الخضوع له، فإن الله سبحانه وتعالى وهو

العزیز ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾^(١٨) یغفر لعباده ویتوب علیهم، فهل یغفر لهم عن ضعف؟

ویقول ﷺ: ((المودة قرابة مستفادة)) لأن المودة كالقربة من حيث الاندماج بالآخرین، حیث تتدمج عناصر الإنسانية فی شخصک وعناصر الإنسانية فی الآخر، فتتوحد الإنسانیتان فی شعور وإحساس واحد.

ویقول ﷺ - و لازلنا فی رحاب علی ﷺ - ((إذا احتشم المؤمن أخاه فقد فارقه))^(١٩) فهو ﷺ یحض المؤمن علی أن یبذل نفسه لأخیه و لا یحتشمه، إذ لیس هناك رسمیات بین المؤمن وأخیه المؤمن. لأن الله یقول ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٢٠)، وإذا أنت وضعت حواجز بینک و بین المؤمن، فإنک تعلن مفارقتک له ((إذا احتشم المؤمن أخاه فقد فارقه)).

ویقول ﷺ: ((شرُّ الأخوان من تُكَلِّفَ له))^(٢١) فالأخ الذی تكلّف نفسك له - فتعدّ له - مثلاً - مائدة طويلة عریضة وتخسر ما تخسر وتتحمل من المشاكل ما أنت فی غنى عنه، یصبح كالغریب و لیس أخاً حقیقیاً، لأن الأخ الحقیقی لا یتكلّف له، ولا تتطلب أخوته مثل هذا التكلّف. إن بعض الناس یتطلب من إخوانه التكلّف له، فیبذلون جهدهم فی تعظیمه كما یفعلون مع الغریب، فی وقت لابدّ فیهِ من أن نجعل مع الأخوان نوعاً من وحدة الحال كما یقولون. ولذا یقول الإمام علی ﷺ فی وصیته الأخيرة ((وعلیکم بالتواصل والتبادل وإیاکم والتدابیر والتقاطع)) وهنا یركّز الإمام ﷺ لنا کیف نحب؟ هل نحبّ حباً أعمی؟ هل نحبّ مائة بالمائة؟ وکیف نبغض؟ هل نبغض بغضاً أعمی فتبغض مائة بالمائة أو لا؟

یقول ﷺ ((أحب حبیبك هوناً ما، عسی أن یكون بغیضك یوماً ما)) فعندما تحب لا تربط کلّ الجسور مع من تحب، بل اجعل لك جسراً تهرب منه، لأنه یمكن

(١٨) النساء: ١٣٩.

(١٩) شرح نهج البلاغة. ج ٢. ص ٧٦. به.

(٢٠) الحجرات: ١٠.

(٢١) شرح نهج البلاغة. ج ٢٠. ب ٤٨٧. ص ٢٤٩.

أن ينقلب إلى بغيض، وما أكثر ما تحولّ الأصدقاء إلى مبغضين.. أحبّه لكن بنسبة ٨٠٪ واجعل ٢٠٪ بينك وبينه من التحفظ والحذر حتى إذا تحول هذا الحب إلى بغض، فإنك تستطيع أن تجد نافذة تهرب منها. ((وابغض بغيضك هوناً ما)) فلا تبغض من كلّ قلبك، فاجعل زاوية في قلبك للحب ((عسى أن يكون حبيبك يوماً ما))^(٢٢) فلا تنسف كلّ الجسور مع من تبغضه، بل أبق جسراً يمكن أن يعود إليك فيه أو تعود إليه فيه. وهذا - أيها الأحبة - لا يقتصر على الجوانب الأخلاقية الشخصية، بل يشمل الجوانب السياسية والجوانب الاجتماعية والجوانب الاقتصادية، وكأن الإمام ﷺ يريد أن يقول لا تقاطع ولا تواصل بالمطلق. فإذا كانت هناك مشكلة على المستوى السياسي مثلاً بين دولتين أو حزبين، فلتكن هناك مساحة لا تشملها القطيعة، يمكن الرجوع إليها عندما تتغير الأمور، كأن تكون هناك مصالح تفرض العودة، أو كان من الضروري أن يعطى الآخر فرصة للعودة. وكذلك عندما تتواصل مع أي فئة، سواء على المستوى السياسي أو على مستوى العلاقات الاقتصادية أو الاجتماعية، فلا تجعل العلاقات وطيدة مائة بالمائة، بل اترك نسبة ولو ضئيلة يمكن معها أن تمكّن نفسك من الانسحاب من هذه العلاقة لو أصبحت عبئاً. وبكلمة مختصرة كان الإمام ﷺ يريد أن يقول: كن حذراً، والحذر شيء وقضية التعقيد شيء آخر.

ويقول ﷺ في حديث آخر ((اتق شر من أحسنت إليه)) ولا يعني ذلك أن كلّ من تحسن إليه سوف يأتيك الشرّ منه، فالإمام ﷺ لا يقصد ذلك، بل يعني أن لا تستسلم إلى من أحسنت إليه. فإذا خدمت شخصاً أو أحسنت إلى شخص فلا تغمض عينيك، وتقول إن فلاناً قد أدبت له خدمة وليس من المعقول أن يؤذيني، فإن بعض الناس كلّما خدمته أكثر يتعمّد أكثر. فقله ﷺ ((اتق شر من أحسنت إليه)) يعني أحذر منه، فلعلّ الشر يأتيك منه، أي كن حذراً ولا يعني أن تتجمد في حياتك أو تتعمّد من الآخرين، بل كن كما هي العفوية، إن في الحب وفي

البغض، أو في التواصل وفي التقاطع. سر في حياتك سيراً طبيعياً لكن افتح عينيك، وكن حذراً، كما هو الشخص الذي يسير في الطريق لابد أن يكون حذراً، فلعل هناك من حفر له حفرة، يمكن أن يقع فيها، والحذر إنساني، في سيرك وفي نومك، وفي صحتك، وكما قلنا فإنّ هذا المنهج هو للحياة كلها ولا يشمل العلاقات الشخصية وحسب بل يشمل كلّ العلاقات. ونحن في عالم تنطلق فيه الصداقات والعداوات على أساس المصالح، وربما تتشابك المصالح والمفاسد، لذلك يشير الإمام عليه السلام إلى هذا المنهج لنكون على وعي لما نتحرك فيه.

وفي هذا الإطار هناك كلمة للإمام عليه السلام في مسألة الثقة، فنحن نثق بعلماء الدين وبسياسيين وبشخصيات اجتماعية وبأناس متدينين، وبمن نراه زاهداً فنقول أنا أثق بفلان ثقة عمياء، وهذا أمر شائع في حياتنا. أما الإمام عليه السلام فيقول ((لا تثقن بأخيك كل الثقة)) فلا تثق بإنسان ثقة مطلقة مادام ليس معصوماً مائة بالمائة، لأنه قد يكون طوال عشرين سنة مستقيماً، ثم بعد ذلك تدور الدوائر وينقلب ١٨٠ درجة، على مستوى العلاقات الشخصية أو الإيمانية أو ما إلى ذلك، ((فإن صرعة الاسترسال))^(٢٣) والاسترسال يعني أن تمشي معه خطوة خطوة فإذا وقعت فإنك لا تستطيع أن تقوم من صرعتك إذا صرعت، وأفضل مثل تقريبي وتوضيحي هو ما يكثر في عالم السيارات فإن السائقين يتركون مسافات أمان بين سياراتهم أثناء المسير، وذلك لتفادي الكوارث والحوادث، لأن السير بسرعة هائلة خلف بعضهم البعض دونما اهتمام لهذه المسافة لا يمكنهم من تفادي هذه الحوادث لو حصل مكروه لمن يتقدم منهم من السائقين. وكما قلنا فإن الإمام عليه السلام لا يريد لنا أن نفقد الثقة في بعضنا البعض، ولكنه يريد الثقة التي فيها شيء من الحذر، حتى لا تسقطك نقاط الضعف الموجودة في الآخر، فلا تستطيع أن تحمي نفسك منه. ويشير الإمام عليه السلام إلى ظاهرة متعارفة عندنا إذ تمر على بعض الحوانيت وقد علق لوحة كتب عليها (الدين ممنوع بأمر من قطع سبيل

(المعروف)، لأننا أقرضنا بعض الناس، وأكلوا علينا ديننا . هنا الإمام يريد أن يزيل هذه العقدة، لأنك يمكن أن تخدم إنساناً و لا يشكرك على خدمتك، بل قد يتعقد منك، مما يجعلك أن لا تعمل خيراً مع أحد، لأنك فعلت خيراً مع فلان، ولم تذكرك ومع فلان وفلان وهكذا . هذه طبيعة إنسانية، أما الإمام ﷺ فيقول ((لا يزهدنك في المعروف من لا يشكره لك)) لا تقل لمن أفعل بعد هذا خيراً، لأن فعل الخير مبدأ وليست من أجل سواد عيون فلان وفلان، بل إنك تعمل الخير لأنك إنسان الخير، وإذا كان هذا الشخص لا يشكرك، فإن هناك أناساً يشكرونك حتى الذين لا ينتفعون منك . فيقول الإمام ﷺ ((فقد يشكره لك من لا يستمتع بشيء منه)) فقد يكون هناك أناس يراقبونك وهم يحبون الخير ويرونك وأنت تعمل الخير، فتمتلئ قلوبهم حباً لك وتتحرك حياتهم تأييداً لك، فتحصل من خلال شكر هؤلاء الذين يحبون الخير ولا ينتفعون منك فيه أكثر مما أضاعه ذلك الذي خدمته وكفر بالنعمة . ((وقد تجد من شكر الشاكر أكثر مما أضاع الكافر))^(٢٤).

علي ﷺ منهج الحياة:

أيها الأحبة، هذا هو علي بن أبي طالب ﷺ في مواعظه ووصاياهم، وهذه الكلمات هي أعظم من ضربته لمرحب وأعظم من ضربته لعمر بن عبد ود . لأن علياً يحارب البغض والعداوة وسقوط الإنسان وكل القيم السلبية في الإنسان، وعلي ﷺ يرتفع حيث يتضع الناس، ويسمو حيث يسقط الناس . لذلك فإذا أحببتهم علياً فحاولوا أن ترتفعوا إلى عليائه وإلى فكره وإلى روحه وإلى خلقه وإلى كل منهجه في الحياة . ويبقى علي للحياة كلها، وللإنسان كله، ويبقى المثل بعد رسول الله ﷺ إذ لا يقارن به أحد و لا يقرن به أحد . فعلي ﷺ ليس الإنسان الذي ندخله في تفاصيل قضية الفاضل والمفضول في الخلافة وفي غير الخلافة وتنتهي المسألة، بل علي ﷺ فوق كل الذين يعيشون إنسانيتهم بعد رسول الله ﷺ . ولهذا فعلياً - أيها الأحبة - أن نظل معه نقرأه ونفهمه وهو القائل ((ألا وإن إمامكم

قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد^(٢٥). كأن عليا يقول ساعدوني على أنفسكم في وقت لا أحتاج فيه إلى مساعدتكم، فهل نساعدته على أنفسنا، هذا هو السؤال الكبير، والجواب هو في حركتنا في الحياة. والحمد لله رب العالمين.

في مدرسة الإمام علي عليه السلام (١٧) موقع الفكر في حياتنا

○ أن يكون الإنسان مفكراً

فذلك يعني مقدار احترامه

لنفسه ○

- التفكير مفتاح المعرفة
- التاريخ مصدر فكر
- مع علي عليه السلام في رحابة علمه
- الفكر عبادة



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

وتبقى للحديث عن أمير المؤمنين علي عليه السلام ومعهم - دائماً - تتممة، وحديثنا اليوم عن موقفه من الفكر وموقعه في حياة الإنسان، فأن يكون الإنسان مفكراً فذلك يعني مقدار احترامه لنفسه، لأن الإنسان بدون فكر هو مجرد حيوان يعيش غرائزيته، وذلك لأن الفكر يمثل في عمقه النافذة التي يطل منها الإنسان على نفسه، وعلى الكون من حوله، وعلى الناس في حياتهم.

التفكير مفتاح المعرفة:

فبالفكر يمكن للإنسان أن يعرف الله، وبالفكر أيضاً يعرف نفسه، وبالفكر يعرف الناس من حوله، وبالفكر يتعرف على ظواهر الكون كلها، لينفذ إليها من خلال التأمل الفكري تارة، ومن خلال التجربة التي يتحرك الفكر في كل مواقعها تارة أخرى، فيستطيع أن يفهم الكون وظواهره، وأن يأخذ نتاج ذلك في كل ما يخترعه وما يبتدعه وما يتحرك به في هدى السنن الكونية. وينقل عن (ديكارت) الفيلسوف الأوروبي المعروف أنه عندما أراد أن يستدل على وجوده قال ((أنا أفكر فأنا موجود)). ومن وحي الخط الإسلامي يمكن للإنسان المسلم أن يقول ((أنا أفكر فأنا مسؤول)) لأن مسألة أن تفكر تعني أنك تعيش مسؤوليتك، وتشعر بإنسانيتك المسؤولة.

لقد تحدث الله سبحانه وتعالى عن الفكر في أكثر من آية، ومن خلال هذا المنهج القرآني تحدث علي عليه السلام عن الفكر وموقعه ودوره أيضاً. ولذلك نحاول في هذا اللقاء أن نستطلق بعض الآيات القرآنية التي تمثل سر الثقافة الإسلامية في

عقل النبي ﷺ، الذي أراد الله في القرآن الكريم أن يثبت فؤاده، وفي عقل علي عليه السلام الذي تحدث عن القرآن كما لم يتحدث أحد عنه، وفي واقع المسلمين الذي قال الله عنهم أنه أنزل القرآن عليهم ليثبت الذين آمنوا منهم.

فلنستطلق بعض آيات القرآن لنفهم منهج علي عليه السلام من خلال المنهج القرآني نفسه. ومن ذلك قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١) فتوحي هذه الآية بأن كل آيات الله التي يظهرها أو ينزلها، هي وسيلة من وسائل تنمية العقل الإنساني، لأنها تُموّن العقل الإنساني بالحقائق التي تنفذ إليه، فيملك من خلالها أن يدرك الحق من الباطل، فيقول الله تعالى ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولَؤُلَآءِ الْأَلْبَابِ﴾^(٢) والألباب هي العقول، بمعنى أن الذين يتذكرون هم أو العقول، لأن الإنسان الذي يعيش عقله ويحرك عقله، هو الإنسان الذي لا يمكن أن يعيش الغفلة في حياته التي تنسيه مسؤوليته، وتنسيه كل تأريخه، وكل ما قام به في حياته من أعمال وعلاقات. إنها تعطي لأهل العقل ميزة إنسانية باعتبارهم النموذج الإنساني الذي يبقى يقظاً واعياً منفتحاً ذاكراً. ويقول تعالى ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾^(٣) فادرسوا التاريخ كله، تاريخ من قبلكم، في ما حرّكه الله من السنن التاريخية التي تنظم حياة المجتمعات، وهي تتحدث عن الخطوات التي أدت إلى النتائج السلبية، وعن الخطوات التي آلت إلى النتائج الإيجابية ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾^(٤) من خلال التاريخ، فادرسوه دراسة فكر وبصيرة لا دراسة لهو وتقضية فراغ، بل ادرسوه من أجل أن تعرفوا كل هؤلاء الذين كذبوا الرسل وكيف أدّى تكذيبهم إلى تدمير حياتهم الروحية والنفسية والواقعية. وهذا هو المنهج التجريبي في الحياة، وهو أن تعيش تجربة الآخرين، لتأخذ الفكرة من خلال التجربة وملاحقة حياة الناس وتجاربهم فيما نجحوا فيه أو فشلوا. ومن

(١) البقرة: ٢٤٢.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) آل عمران: ١٣٧.

(٤) النحل: ٣٦.

خلال هذا التفكير يتصاعد الوعي «وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا»^(٥) إنهم يطلقون الفكر للتفكير في خلق السماوات ويبحثون عن سرّ ما في السموات، ويتفكرون في خلق الأرض، ويبحثون عن سرّ ما في الأرض، لينتهي تفكيرهم إلى نتيجة حاسمة، من خلال ما تأملوه ومن خلال ما بحثوه وجربوه، وهي أن هذا الخلق لم يأت من صدفة ضائعة في الفراغ، بل أن الكون كلّهُ انطلق من أسرار عميقة في عمق وجوده وفي عمق حركته، وفي كل ما يخزنه من قوانين تدل على أن الله هو الخالق، فحركة الكون تنطلق من عقل دقيق، لا يمكن أن ينحرف عن الخط المستقيم بمقدار شعرة، ولذلك ينتهي تفكيرهم إلى أن يقولوا «رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا» فلم تخلق ما خلقت بدون سرّ وبدون نظام وبدون قانون، لأن كلّ ما يدل عليه العقل والفكر هو أن الأمر عن تدبير وعن حسن صنع. ولذلك يقول «هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ»^(٦) ويقصد من الأعمى الإنسان الذي لا يهتدي، ومن البصير المهتدي فأحدهما مبصر والثاني أعمى فهل يستويان «أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ»^(٧) فكيف تساوون بينهما «فَأَقْصَصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ»^(٨) أي اقصص عليهم قصص الأمم الماضية حتى يأخذوا من خلال أحداث هذه القصص، فيما حصل لهم من إيجابيات، لأنهم ساروا في الخط المستقيم، ومن سلبيات لأنهم ساروا في الخط المنحرف «لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ»^(٩) لأن التاريخ أحد أهم مصادر الفكر والمعرفة.

التاريخ مصدر فكر:

وإذا كان التاريخ مصدراً للفكر والمعرفة فإننا ملزمون بدراسة التاريخ دراسة نقدية، فلا يكفي أن نأخذ التاريخ كما نقله إلينا الناقلون، بل علينا أن

(٥) آل عمران: ١٩١.

(٦) الرعد: ١٦.

(٧) الأنعام: ٥٠.

(٨) الأعراف: ١٧٦.

(٩) الحشر: ٢١.

ندرس التاريخ، لنرى هل أن أحداثه تنسجم مع المعقول أو لا تنسجم، لأن بعض الناس قد ينقل لنا التاريخ الخرافي على أنه حقيقة، ثم هل ينسجم هذا التاريخ مع وقائع الأشياء، ومع الظروف الموضوعية التي أحاطت بالحادثة التاريخية، أو لا ينسجم، لأن الكثير مما ينقله الناس من التاريخ، ولا سيما التاريخ الذي يملك في نفوس الناس بعض القداسة العاطفية، ربما إذا درسته دراسة تحليلية نقدية رأيت أنه لا ينسجم مع طبيعة الظروف التي أحاطت به.

وعلى ضوء هذا فإنه ينبغي دراسة التاريخ دراسة توثيقية من حيث الذين روه، لأنه قد ينقل التاريخ غير الموثقين فيصنعون لنا تاريخاً لواقع معين ينسجم مع معتقداتهم والتزاماتهم وأهوائهم، وندرسه دراسة توثيقية من حيث مضمونه وهل هو معقول أو ليس معقولاً، وهل ينسجم مع الظروف الموضوعية أو لا ينسجم؟ ثم إذا كان ما ينقل لنا تاريخاً واقعياً صادقاً خارج نطاق الخرافة واللامعقول فإننا بعد كل هذا نتعاطى معه على مستوى العبرة والعظة والاستذكار، مما يمكن أن يبقى في الحياة ليكون درساً في الحياة ﴿فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ويستنتجون ليأخذوا الدرس بعد ذلك ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ الْأَيَّاتِ﴾^(١٠) أي نشرحها ونبينها ونوضحها لقوم يتفكرون، فلا بد للذين يقرؤون القرآن أن يقرؤوه بعد أن يحضروا كلَّ عقولهم لحركة الفكر، فالقرآن الكريم ليس للذين لا يفكرون، بل هو للذين يفكرون، لأنه يحمل عمقاً في المعنى، ويحمل رحابة في الأفق، ويحمل إحياءات كثيرة فيما يتجاوز معنى كلماته الحرفية. قال تعالى ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْأَيَّاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١١) فانظروا نظر المفكر والباحث، لا نظر الساذج، ماذا في السماوات من مخلوقات ومن أسرار؟ وماذا في الأرض من ذلك كله؟ لأن بعض الناس قد تقدم لهم الآيات التي توضح لهم الحقائق وتطلق لهم النذر التي تنذرهم بالنتائج

(١٠) الأنعام: ٥٥.

(١١) يونس: ١٠١.

السلبية ولا يؤمنون، لأنهم ممن ختم الله على قلوبهم ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(١٢) إنه يستنفر عقل الإنسان على هذا النحو، أيها الإنسان إذا كنت تعيش عقلك وتخاطبه وتستشير، فإن العقل يوازن بين الدنيا والآخرة، ويرى أن الدنيا مهما امتدت بالإنسان ومهما انفتحت له فإنه سيفارقها، بينما الآخرة هي دار الخلود ودار النعيم، الذي يعيش فيه الإنسان رضوان الله الذي هو أكبر من الخلود والنعيم ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ويقول تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١٣) فيؤكد على العبرة في القصة، لأن للقصة جانبين، جانب الحوادث المحدودة في الزمن وهو ما يموت مع الزمن، وجانب الدروس التي تبقى في الحياة وهذه تمثل العبرة ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(١٤) أن تعيش لتدير الفكرة في نفسك وفي عقلك وفي إحساسك وفي شعورك وفي سمعك وفي بصرك وفي كل ما تتحسسه من حواسك ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾^(١٥) لأن كل ظاهرة من ظواهر السماوات والأرض فإنها تمثل الحق، وهو السر الكامن فيها الذي يقول لك إن الله لم يخلق شيئاً عبثاً، فلم يخلق الله السماوات والأرض عبثاً، ولم يخلق الإنسان عبثاً وغير ذلك الكثير من مخلوقاته تعالى.

أيها الأحبة، إن مسألة الفكر هي من المسائل التي تمثل مسؤولية الإنسان في فهم نفسه، وفي فهم التاريخ، وفي فهم الواقع من حوله، وفي فهم الظواهر الكونية، وقبل ذلك وبعد ذلك معرفة الله. ولذلك كن الإنسان الذي يحرك فكره، وينميّه، ويستنتج من فكره، لأن فكرك في كل حركته يمثل إنسانيتك، ونموها وعلوها وارتفاعها.

(١٢) يوسف: ١٠٩.

(١٣) يوسف: ١١١.

(١٤) الروم: ٨.

(١٥) الأحقاف: ٣.

مع علي عليه السلام في رحابة علمه:

وتعالوا إلى علي عليه السلام في المروى عنه كما في (نهج البلاغة) أو في الفرر والدرر. وكما قلنا مراراً إن علياً عليه السلام هو تلميذ القرآن الأول بعد رسول الله ﷺ، وقد كان يحدثنا في ما حدثنا عن طفولته، أنه كان يرى الملك الذي كان ينزل على رسول الله ﷺ ويسمعه فقال له رسول الله ﷺ كما في نهج البلاغة ((إنك ترى ما أرى وتسمع ما أسمع ولكنك لست نبي))^(١٦) وكان يقضي الليل والنهار مع رسول الله ﷺ فإذا نزلت آية كان أول من يسمعها وأول من يفهمها من خلال رسول الله ﷺ، وأول من يتعرف آفاقها وأول من يستنتجها. وهو يقول في بعض النصوص الواردة عنه ((ما من آية إلا وأنا أعرف أنها نزلت في سهل أو جبل في ليل أو نهار))^(١٧)، وهذا سرّ كلمته ((علمني رسول الله ألف باب من العلم فتح لي من كل باب ألف باب))^(١٨). وعلم رسول الله هو علم القرآن وما ألهمه الله سبحانه وتعالى، مما يتحرك في أجواء القرآن، فكان يعلم علياً عليه السلام ذلك كله، فلم يكن علي عليه السلام التلميذ الذي يستظهر ويحفظ ما يتعلم، ولكنه كان يبدع من العلم علماً وكان يستنتج من كل فكر فكراً فضلاً عن التسديد الإلهي والإلهام الذي يمد به، ولذا قال ((فتح لي من كل باب ألف باب)).

ومن كلماته عليه السلام إنه قال ((من تفكر أبصر)) بمعنى أنك تبقى في حالة العمى الروحي والعمى العقلي والعمى الشعوري والعمى الحركي مادمت تتحرك بغريزتك، لأنها مجرد طاقة في الجسد تتحرك من خلال الإحساس، ولا تتجاوز إحساس الإنسان بجسده، أما الفكر فهو الذي يعرفك كل آفاق الحياة، وكل آفاق الكون، بل إنه يصعد بك حتى يقترب من الغيب.

(١٦) شرح نهج البلاغة، ج ١٩، ب ٢٣٤، ص ٢٩٠.

(١٧) شرح نهج البلاغة، ج ٥، ب ٦٨، ص ١٥٤.

(١٨) شرح نهج البلاغة، ج ٢، ب ٣٤، ص ٣٤٧.

وفي قوله ﷺ أبصر أي في عقله، وأبصر في قلبه، وأبصر في إحساسه وشعوره، وأبصر في حركة طاقاته في الحياة، وقال ﷺ ((لا علم كانتفكر)) بمعنى أنك قد تتعلم ما أنتجه الآخرون من علم، ولكن ذلك العلم يبقى من محفوظاتك، أما العلم الذي تنتجه بتفكيرك أنت حيث تفكر والفكرة وتنتج العبرة فهو أكثر ثراءً من العلم الذي تحفظه، وربما لذلك ورد في المثل الشعبي ((إسأل مجرباً ولا تسأل حكيماً)) ويقصد بالحكيم الذي يتعلم مما درسه الآخرون، أما المجرب فهو الذي ينتج الفكرة من خلال تجربته وتجربة الآخرين فيكون أكثر تعلماً من الحكيم الذي يتعلم علم غيره. ولذلك ربما يكون بعض الفلاحين الذين مارسوا الزراعة عشرات السنين أكثر فهماً للزراعة من خريجي كليات الزراعة، وربما نجد أن هناك إنساناً يمارس مهنة البناء عشرات السنين يفهم في صناعة البناء أكثر مما يفهمه أستاذ الهندسة، ولذلك لا يكفي لك أن تقرأ الكتب بل لابد لك أن تفكر فيما قرأت وتعرف خطأه وصوابه، وتعرف عمقه ودقته وامتداده.

وفي صفة المؤمن يقول الإمام ﷺ ((المؤمن مغمور بفكرته)) بمعنى أن فكرته تغمره، كما الماء يغمر الإنسان، لأنه يحيط به من كل جوانبه، وقوله ﷺ المؤمن مغمور بفكرته أي تغمره فكرته فتحيط بكل حياته وبكل أوضاعه، فلا ينطلق إلا من موضع الفكرة. ويقول علي ﷺ ((الفكرة مرآة صافية)) فهل تريد أن تعرف الأشياء لتعرف حسنها وقبحها، وتعرف خطأها وصوابها، وتعرف انحرافها واستقامتها. الفكر هو الذي يعطيك ذلك، لأن الفكر يحلل الأشياء، ويحلل الأفكار، ويحلل الوقائع، فهو المرآة التي تريك ذلك كله. ويقول علي ﷺ ((الفكرة مرآة صافية والاعتبار منذر ناصح)) فينذرك عندما تأخذ الفكرة التي تحدثك عن السلبيات أو عندما تأخذ الفكرة التي تحدثك عن الإيجابيات، لتقدم لك النصيحة، ويقول في هذا المعنى أيضاً ((فكر المرء مرآة تريه حسن عمله من قبحه))^(١٩) لأنها تحلل له عمله وتخرج عناصر الضعف والقوة، وتكشف عناصر

الخطأ والصواب.

ثم يحدثنا عن أن من دوافع السير في طريق الخير هو التفكير، فيقول: ((الفكر في الخير يدعو إلى العمل به))^(٢٠) لأن التفكير في الخير يوضح لك النتائج الطيبة من الخير، وعندما يعيش الإنسان هذه النتائج في نفسه، فإن النتائج تخلق في نفسه الرغبة، وبالتالي تحرّكه نحو العمل. ويقول ﷺ: ((أصل السلامة من الزلل الفكر قبل العمل)) فهل تريد أن تسير في حياتك حتى تسلم من الزلل في العثرات أو في الهاوي؟ فكّر قبل أن تتحرك، قبل أن تبدأ في أي مشروع خاص أو عام، فكّر وادرس حتى تستطيع أن تتعرف، هل أن هذا العمل في صالحك؟ أو ليس في صالحك؟ ويقول ﷺ: ((والروية قبل الكلام)) فإذا أردت أن تتكلم فلا تستعجل، تروّ في كلامك، لتعرف ماذا ينتج كلامك بما يتعلق بحياتك أو بحياة الآخرين، بمسؤوليتك في كل القضايا العامة والخاصة. ويقول ﷺ في هذا الاتجاه نفسه ((إذا قدمت الفكر في جميع أفعالك حسنت عواقبك في كل أمر))^(٢١) يعني إذا فكّرت قبل أن تفعل فإن أمورك تنتهي إلى خير، لأن الإنسان الذي يفكر قبل العمل سيسلم من كثير من النتائج السلبية لأنه يعرف خطوط العمل فيما تؤدي إلى النجاة أو إلى الهلاك، ومن الطبيعي أن العاقل إذا عرف هذا العمل يؤدي إلى الهلاك فإنه لا يبادر فيه، ولذلك قال ((إذا قدمت الفكر في جميع أفعالك حسنت عواقبك في كل أمر)). وهو ما نستوحيه من وصية الرسول ﷺ لذلك الشاب الذي طلب أن يوصيه فقال له ﷺ ((إذا أنت هممت بأمر فتدبر عاقبته فإن يك رشداً فأمضه وإن يك غيأً فأنته عنه))^(٢٢) ويقول علي ﷺ أيضاً: ((فضلُ فكر وتفهم أنجح من فضل تكرار ودراسة))^(٢٣) فهناك وسيلتان لتحصيل العلم، إحداهما وسيلة التكرار للمطلب الذي تتعلمه ودراسته، وثانيهما

(٢٠) شرح نهج البلاغة ج. ١٥، ب. ٥٨٤، ص. ٣١١.

(٢١) شرح نهج البلاغة ج. ٦، ب. ٢٥٨، ص. ١٥٨.

(٢٢) شرح نهج البلاغة ج. ١، ب. ٣، ص. ٦٧.

(٢٣) شرح نهج البلاغة ج. ٢، ب. ٤٤، ص. ٥٨.

وهي أن تتفهّم وأن تفكّر، فإن التفهّم والتفكّر يعمّق الفكرة في كل كيائك، أما ما تحفظه وتكرره فإنه يبقى مجرد شيء في السطح لا يتعمق في وجدانك. وقال ﷺ ((من أكثر الفكر فيما تعلّم أتقن عمله وفهم ما لم يكن يفهم)) فإنك قد تقرّأ كتاباً هنا وتقرّأ كتاباً هناك ولكن ذلك لا يكفي، لأن مجرد استظهار ما يتعلمه الإنسان أو حفظه أو قراءته لا يعبر عن قدرة في التفكير والتأمل لأن ذلك كلّ لا يتعدى السطح، أما المطلوب فهو أن تفكر في ما حفظته وقراءته لتعرف سره وعمقه لتعرف خطئه وصوابه، لأن الآخرين قد يعلمونك شيئاً يعتقدون صوابه وهو خطأ، ولذلك فإن على الإنسان في كلّ دراسته أن يستحضر عقله وفكره، ليدرس ويفكّر فيما يدرسه، لأن التعلّم الساذج يجعلك تفهم الأمور في السطح، أما التفكير فيما تعلّمت فإنه يجعلك تفهمه بالعمق، ولذلك تفهم ما لم تكن تفهم، وتتعلم ما لم تكن أخذته في العلم.

الفكر عبادة:

ثم يقول ﷺ وهو يربط بين الفكر والطاعة لله: ((الفكر في آلاء الله نعم عبادة)) لأن العبادة ليست شيئاً محصوراً في حركة الجسد، بالصلاة أو الصيام أو الحج وذلك لأن للفكر عبادته، فكّر في آلاء الله ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٢٤) في نعم الله وفي آلاء الله، لأنك وأنت تعيش هذا الفكر في كل هذه الجولة في آلاء الله وفي الكون، فإنك تتعبّد لله، وعندما تكتشف آلاء الله، فإنك تعرفه أكثر، وإذا عرفته أكثر فإنك تعبده أكثر، وتخضع له أكثر، وتعيش عبوديتك أكثر.

ولذلك يقول علي ﷺ في هذا المعنى أيضاً: ((الفكر في ملكوت السماء والأرض عبادة المخلصين)) ويقول تعالى ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٢٥) لأن التفكير في خلق السماوات والأرض يجعلهم يشعرون في الذوبان في الله، وبالخوف منه، وبالتفكير

(٢٤) الرحمن: ٧١.

(٢٥) آل عمران: ١٩١.

في مسؤولياتهم، ولذلك هم يفكرون ويفهمون ويخشعون، وتنطلق صرخات الابتهاال إلى الله ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ويقول ﷺ: ((فكر ساعة قصيرة خير من عبادة طويلة)) فإنك قد تفكر ساعات قليلة، فتفكر في ربك، وتفكر في نفسك، وفي مسؤولياتك، وتفكر فيما حمل التاريخ من قضايا الأمم، وتفكر فتعي، وتعي لتؤمن، وتؤمن لتعمل، وتعمل لتحصل على رضا الله، لذلك فإن الفكر في ساعات قليلة، ربما يرسم لك منهج الحياة إلى نهاية عمرك، أما العبادة الفارغة من الفكر فهي التي يصفها الحديث الشريف ((من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً))^(٢٦)، وفي الحديث أيضاً ((ليس لك من صلاتك إلا ما أقبلت عليه بقلبك))، وقد ورد أيضاً ((تفكر ساعة خير من قيام ليلة أو خير من عبادة سنة)) لكن الفكر السليم والتفكير الصحيح، لأن هذا التفكير هو سر الانطلاق فيقول ﷺ: ((من كثر فكره في المعاصي دعت إليه)) فهناك كثير من الناس يعيشون تحت تأثير غرائزهم، فيفكر عندما تتحرك الغريزة في الشراب المحرم وفي الأكل المحرم وفي الشهوة المحرمة وفي المال الحرام، إنه يفكر في ذلك كله في الليل والنهار وإذا كان كذلك فمن الطبيعي إن الإلحاح في هذا الفكر يقوي الرغبة إليه، والرغبة في المعاصي لا تقود الإنسان إلى ممارسة المعاصي. وفي هذا المعنى يقول ﷺ أيضاً: ((من كثر فكره في اللذات غلبت عليه)) فعندما تفكر في اللذات فإنها تغلب عليك، لأنها تأخذ كيائك كله، لأن الفكر في اللذات يجعل اللذة تسيطر على كيائك كله، لأن كثرة الفكر في المعصية واللذة تجعل الإنسان مستغرقاً في ذلك كله مما يدفعه إلى الوقوع في حبال هذه اللذات والمعاصي. والإمام ﷺ كأنه يشير هنا إلى أنه قد يبتلى الإنسان بالفكر السيئ ولذلك ليسغل فكره، بمعنى أن يتشاغل ويحاول أن يبعد فكره إلى محطات أخرى، فقد يفكر الشباب في المعاصي، وقد يفكر هذا أو ذاك في الحصول على المال بسرعة أو الحصول على الجاه بسرعة فيستغرق في ذلك فيقع في المهالك، هنا الإمام ﷺ

يقول له: ابعد فكرك عن ذلك، حاول أن تشغل فكرك بما يباعدك عن ذلك حتى تضمن لنفسك العصمة. وفي نهاية المطاف في وصيته إلى الإمام الحسن عليه السلام يقرأ فيها الإمام عليه السلام التاريخ وكيف يعيشه بكل عمقه ويستخلص منه الفكرة، وهذا درس في طريقة دراسة التاريخ من ناحية علاقته وفيما يبقى منه لحركة الحاضر والمستقبل، يقول عليه السلام ((يا بني وإن لم أكن عمّرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم))^(٢٧) كما لو كنت عشت حياتهم وتجربتهم كلّها بل كأني لما انتهى إلي من أمورهم قد عمّرت مع أولهم و آخرهم. كأني عشت الزمن كلّهُ لأن المسألة ليست أن تعيش الزمن كلّهُ بجسدك بل أن تعيش تأريخه بفكرك وتعمّق في ذلك التاريخ، وتعيشه في وجدانك، وتعيشه كما لو كنت أنت الذي مارسته وأنت الذي عشته. التاريخ ليس مجرد موروّثات فيما نستقبله مما نسمعه أو نقرأه، ولكن التاريخ في معناه الذي يبقى للحياة هو صناعة الفكر الذي يحاول أن ينفذ إلى كل أحداث التاريخ، ليأخذ منها علماً، وذكرى وعملاً. أيها الأحبة، هذه بعض كلمات علي عليه السلام ويبقى في تطبيق هذه الكلمات مما تحدث عنه في تفاصيل الفكر في (نهج البلاغة) مما نرجو أن نتحدث عنه في الأسبوع القادم إن شاء الله. والحمد لله رب العالمين.

في مدرسة الإمام علي عليه السلام (١٨) مصادر الفكر والمعرفة

○ هناك مصدران للمعرفة:

أحدهما التأمل والثاني

التجربة ○

- جولة في مصادر الفكر.
- دور الفكر على المستوى الروحي.
- الفكر والاعتبار.
- قيمة التجربة.



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

كنا نتحدث في الأسبوع الماضي عن الخط الذي أكده الإمام علي عليه السلام بما أكده الله في كتابه الكريم من قيمة الفكر، باعتبار أنه أساس المعرفة، سواء كان الفكر الذي ينطلق من التأمل أو الفكر الذي يتحرك في خط التجربة.

جولة في مصادر الفكر:

وفي هذا اللقاء نحاول أن نتابع الإمام عليه السلام في نصوص (نهج البلاغة) حول الإشارات الفكرية في العناوين التي أراد للإنسان أن يفكر بها، من خلال الطاقة التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الإنسان.

من بين تلك النصوص يقول أمير المؤمنين عليه السلام في خلق الإنسان : ((ثم نفخ فيها من روحه)) يعني هذه الكتلة الطينية ((فمثلت إنساناً ذا أذهانٍ يجيلها)) بمعنى يحركها في جولات القضايا التي لا بد للإنسان أن يتعقلها كالمعقولات ((وفكر يتصرف بها وجوارح يخدمها)) يعني يستخدمها في ما يريد ((وأدواتٍ يقلبها)) وهي الأعضاء ((ومعرفة)) تنتج من هذا الفكر ومن هذا الذهن ((يفرق بها بين الحق والباطل)) فيميز الحق من الباطل ((والأذواق)) في الحس الذوقي ((والمشام)) في الحاسة الشامة ((والألوان والأجناس)) في الباصرة ((معجوناً بطينة الألوان المختلفة والأشياء المؤتلفة والأضداد المتعادية)) في ما يحيط بالإنسان من هذه العناصر، التي قد تكون عناصر الأضداد، التي ينافي بعضها الآخر، أو الألوان التي تختلف، أو الأشياء التي تأتلف، ((والأخلاق المتباينة من

الحر والبرد، والبلية والجمود أو المساءة والسرور))^(١).

نلاحظ أن في هذا النص وصفاً للإنسان بكلّ العناصر التي تمثل منطقة الوعي الداخلي، أو العناصر التي تمثل الحواس الخمس، كما تمثل ما يحيط بالإنسان من الأمور التي تتنوع في مبايناتها أو في ائتلافها أو ما إلى ذلك. ولكننا نلاحظ أن الإمام عليه السلام ركّز في البداية على الذهن الذي يتحول من أجل أن يستكشف القضايا في العالم، والفكر الذي يتصرّف بهذه الأشياء، والتي يقتبسها أو يكتشفها الذهن. فدور الذهن هو أن تكتشف وتجمع، ودور الفكر هو أن تتأمل هذه الأشياء المكتشفة، فكأن الحواس أو الأذهان تحاول أن تجمع للفكر المفردات التي هي بمثابة المواد الخام، ثم يتصرّف الفكر بها فيقرّب بعضها لبعض ويصنع منها المبادئ، ويقتنّ فيها القوانين ويركّز فيها الأوضاع، تماماً كالمصنع في المواد الخام، وهذا هو الفكر. فكلمة ((ويتصرّف بها)) تعني أن دور الفكر هو أن يتصرّف فيما يجمعه الذهن، وفيما تنتج الحواس. وهي المسألة التي ركز عليها الإسلام، فيما يحاوله الإنسان من تعقل الأمور التي تجمعها كلّ حواسه الداخلية والخارجية، فيحاول أن يتصرّف بها من أجل صنع القضايا الفكرية، والمبادئ والأوضاع التي يتحرّك بها الناس. فعلى الإنسان أن لا يعطل فكّره، فيحرّض الحواس على خدمة الفكر، وذلك بأن يدقّق في هذه الحواس، وينظّمها، ثم يحمل هذه الحواس إلى عقله، ليتصرّف الفكر بها، فيخلق إنتاجاً جديداً يسمى بالأفكار والعلوم وغيرها. وبذلك يمكنه التفريق بين الحق والباطل وبين ما تنتجه المشام والأذواق والأبصار والأسماع.

دور الفكر على المستوى الروحي:

وفي نص ثانٍ للإمام علي عليه السلام يركّز فيه على الجانب الروحي للإنسان، ودور الفكر في تنمية هذا الجانب فيقول ((فاتقوا الله عباد الله تقيه ذي لب)) واللب

(١) شرح نهج البلاغة. ج ١. ص ٩٩.

هو العقل وقد قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٢) ((شَغَلَ التَّفَكَّرَ قَلْبَهُ)) بمعنى الشخص الذي لا يجمّد عقله، ولا يعطيه إجازة، بل يظل عقله في كلّ الحالات يقظاً في حركيّة دائمة، فيحاول أن يجعل التّفكّر شاغلاً للعقل، والقلب هو منطقة الوعي الداخلي التي تجمع العقل والحس والشعور. فإن الانطلاق بالتّفكّر هو وحده الذي يعمّق التقوى فيما تنفتح عليه من الآفاق الواسعة، ولا يكفي في التقوى ممارسة العمل دون الوعي، بل لا بدّ أن تعي القاعدة التي يركّز عليها العمل، وأن تعي النتائج، وأن تعي العناصر التي تتجمع في داخل العمل ثم تعمل. ولذلك ورد في القول المأثور ((ركعتان يصليهما العالم - أي العارف بالله والواعي - خير من عبادة سنة أو أقل أو أكثر يصليهما العابد))^(٣) لأن العابد وهو يعبد الله فإنه يعبد عبادة آليّة، أما العالم فإنه يعبد الله عبادة تنطلق من العقل، ومن القلب والإخلاص والشعور. وقد قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٤) ويقول ﷺ ((وأنصب الخوف بدنه)) فقد أتعب الخوف بدنه من خشية الله ومن تفكّره فيه ((وأسهر التجهد غرار نومه)) فأصبح نومه قليلاً ((وأظماً الرجاء هواجر يومه)) و الهواجر بمعنى الأجواء الحارة، ((وظلف الزهد شهواته)) بمعنى منعها ((وأوجف الذكر بلسانه)) أي أسرع، ((وقدّم الخوف لأمانه)) فأخذ الخوف من الله يدفعه إلى التقوى فيما يؤدي به إلى الأمان. وقد قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٥)، ((وتنكبّ المخالغ عن وضح السبيل)) أي تنكب الموانع التي تميل به عن الطريق ((وسلك أقصد المسالك إلى النهج المطلوب، ولم تفتله فاتلات الغرور، ولم تعم عليه مشتبهات الأمور))^(٦).

(٢) الزمر: ٩.

(٣) بحار الأنوار، ج ٤٤، ب ٨٧، ص ٣٩٠، ج ٢.

(٤) فاطر: ٢٨.

(٥) الأحقاف: ١٣.

(٦) نهج البلاغة. من خطبة له ﷺ وتسمّى بالغراء وهي من الخطب العجيبة - في صفة خلق الإنسان. ط: المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية. ص ٧٧-٧٨.

إنَّ كلَّ هذه الحركية التي يعيشها التقي في عبادته واستقامته على الطريق، تنطلق من النقطة الأولى وهي أنه ذو لب شغل التفكير قلبه، فأدّى به التفكير إلى سلامة العمل، في كلِّ ما يقربه إلى الله ويؤمنه عنده. ثم يؤكد الإمام عليه السلام أن الإنسان عندما يفكر فإنه يجب أن يفكر في الأمور التي تنتهي به إلى نتيجة حاسمة ترتبط بسلامة المصير. وذلك في القضايا التي يملك الوسائل إليها، فبعض الناس - مثلاً - يحاول أن يفهم ذات الله، فيضيع وبيته لأن الذات الإلهية ليس تحت تجربتنا، ولا تحت سمعنا ولا بصرنا ولا حواسنا حتى نعرفه، فنحن - مثلاً- نستطيع أن نعرف الإنسان، بلحاظ أن الإنسان موجود أمامنا، ويمكن لنا أن نفحص عناصره ونعرف طبيعته وكلَّ شيء مما يمكن أن نعرفه، بشكل سريع أو إلى مدة أو جهد، حتى نعرفه. أما ذات الله سبحانه وتعالى فلا طرق لنا لمعرفة ذاته. ولذلك نهى عن التفكير في ذات الله، ولذلك لا بد أن نفكر في خلق الله، أو في صفات الله، ونسأل لماذا خلقنا الله وما هو دورنا وقد قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٧) وقد ورد ((خلقت الخلق لكي أعرف)). فمسئوليتنا هو معرفة دورنا في هذه الحياة. أما ما هي الأمور التي دعت الله لأن يخلق الإنسان فإنه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^(٨)، فالله هو المطلق ونحن المحدود، ولا يستطيع المحدود أن يحيط بالمطلق أو بما عند المطلق، لذلك فإن كثيراً من الأشخاص يفكرون في لا يملكون وسائله. وهناك أشياء لا نملك وسائلها الآن وإن أمكن امتلاكها في المستقبل كما في الذين يفكرون في الوصول إلى المريخ أو الكواكب الأخرى فهم يفكرون في الوسائل التي توصلهم إلى هدفهم، حتى إذا وصلوا فإنهم يمكن أن يفكروا في الأشياء التي تقع تحت تجربتهم.

(٧) الذاريات: ٥٦.

(٨) الأنبياء: ٢٣.

وهذا المعنى يشرف بنا على معنى آخر وهو أن على الإنسان أن يفكر فيما يملك من الوسائل والآليات ففى بعض الأحيان قد يفكر الإنسان فى أشياء تجريدية لا تتصل بالعقيدة أو بالعمل أو بأوضاعنا ككثير من الأمور التى هى محل جدل، وليس لها علاقة بكل مسؤولياتنا، لا العقائدية ولا العملية، وليس هناك ضرورة تدعو الإنسان أن يفكر فيها بل الضرورة هى أن يفكر بالأشياء التى يدركها والتى يملك وسائلها، ويملك أن يحصل منها على نتيجة. أما التى لا يملك وسائلها ولا يدركها فمثله كطواحين الهواء، فيقول ﷺ: ((فلا تستعملوا الراى فى ما لا يدرك قعره البصر)) مما لا يقع تحت نظرك، ((ولا يتغلغل إليه الفكر))^(٩) أى لا ينفذ إليه الفكر لأنه ليس تحت تجربتك وليس تحت إمكاناتك.

ويقول ﷺ فى خطبة له فى هذا المعنى: ((هو القادر إذا ارتمت الأوهام)) أى الأذهان والأفكار، ويقال: ذهب إليه وهمه يعنى فكره، ((لتدرك منقطع قدرته)) وإلى أين تصل قدرته، ((وحاول الفكر المبرأ من خطر الوسواس أن يقع عليه فى عميقات غيوب ملكوته)) فحاول الفكر أن ينفذ إلى مواقع الغيب فى ملك الله مما لا يملك الوسائل إليه، ((وتولت القلوب إليه)) فأقبلت وشغلت بذلك، ((لتجربى فى كيفية صفاته وغمضت مداخل العقول فى حيث لا تبلغه الصفات لتنال علم ذاته ردعها وهى تجول مهاوى سُدْف الغيوب متخلصة إليه فرجعت إذ جبهت معترفة بأنه لا ينال....)) ويقول ﷺ فى مقطع آخر ((وانك أنت الله الذى لم تتناه فى العقول فتكون فى مهبط فكرها مكيفاً ولا فى رويات خواطرها محدوداً مصرفاً))^(١٠) أى فلا يمكن أن تدخل فى العقول حتى تصورك العقول وتكيفك بحسب وسائل المعرفة لك، لأن العقول محدودة ولا تستطيع أن تحيط بك لتكيفك، لأنها لا تستطيع أن تحيط بكل صفاتك بشكل دقيق، أو فيما يخطر على الأذهان ويجول فى الفكر. فالنتيجة إننا لا نستطيع أن نعرفك فى سر ذاتك،

(٩) شرح نهج البلاغة. ج ٦. ب ٨٦. ص ٣٧٣.

(١٠) شرح نهج البلاغة. ج ٤. ب ٥٧. ص ٣١١.

ولكننا نعرف ما يمكن للعقول أن تدركه من خلال ما أعطيت العقول من الوسائل،
فيما خلقت أو في ما أودعته في فطرة الإنسان.

الفكر والاعتبار:

ويقول ﷺ في نص آخر وهو يريد توجيه الفكر للاعتبار ولأخذ الدرس مما عاشه الإنسان ومما يعيشه ((رحم الله إمرأً تفكر فاعتبر واعتبر فابصر)) فإن الإنسان عندما يأخذ العبرة وهي الدرس، وتتضح الفكرة عنده، عند ذلك تضيء له فيبصر. ويريد به البصر الداخلي، وليس الخارجي منه، فإنه مثلما هناك عمى يصيب العينين فهناك عمى يصيب القلوب، فقد قال الله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾. قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى^(١١)، ويقول ﷺ : ((فكأن ما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن)) مما يرى زوال الدنيا، ((وكان ما هو كائن من الآخرة عن قليل لم يزل)) لأن الآخرة دار الخلود، ((وكل معدود منقضي)) لأن الدنيا معدودة وكل معدود له نهاية، ((وكل متوقع آت)) فما تتوقعه مما تملك فكره فإنه سوف يحدث، ((وكل آت قريب))^(١٢) فإنه قريب كلما تقدم بك الزمن إليه. ويقول ﷺ في هذا الصدد وهو يشير إلى الاعتبار والتعلم من ذلك ((ثم ازداد الموت فيهم ولوجاً فحيل بين أحدهم وبين منطقته)) فاعتقل لسانه، ((وإنه لبين أهله ينظر ببصره)) يراهم ((ويسمع بأذنه)) فيما يتحدثون من حوله ((على صحة من عقله)) فلا يزال يفكر، فيما رأى ويفكر فيما سمع ((وبقاء من لبه)) يعني من عقله إذ تتمثل له في كل حياته ((يفكر)) وهو يتحرك نحو الموت ((فيم أفنى عمره)) من خير أو شر وفيما يبقى أو فيما يفنى، ((و فيم أذهب دهره ويتذكر أموالاً جمعها)) فينظر إلى رصيده بالدنيا، ((أغمض في مطالبها)) يعني ما ركز على حلالها أو حرامها، ((وأخذها من مصراحتها ومشتبهاتها)) من الأشياء الواضحة ومما اشتبه بالمال الحرام، ((قد

(١١) طه: ١٢٥-١٢٦.

(١٢) شرح نهج البلاغة ج ٧، ب ١٠٢، ص ١٠٥.

لزمته تبعات جمعها)) لأن الإنسان إذا جمع المال من الحلال والحرام تلزمه المسؤوليات فعليه أن يرد ما أخذه من حرام إلى أصحابه أو مصادره، ((وأشرف على فراقها)) فاقترب من الموت، ((تبقى لمن وراءه)) ويبيّن ﷺ هنا أن الإنسان في هذا الوقت قد فرغ من كل مسؤولياته وما كان منشغلاً به فأخذ يفكر في مسؤوليات ما فعله في حياته كلها، وأهله مشغولون بالحديث وغيره وهو يفكر في مستقبل أمره، ((ينعمون فيها ويتمتعون بها))^(١٣) فقد آلت الأموال إلى أولاده فيكون الهنا لغيره والعبء على ظهره لأن في يوم القيامة سيحاسب على كل قرش أخذه من الحرام، وعليه أن يبين كل ما أخذه من الشبهات، فهذه صورة يصور علي ﷺ فيها الإنسان، وهو في حال الاحتضار، وهو يستحضر كل تلك الأمور، ليحرّكها في خطّ مسؤولياته التي سوف يتحملها سواءً في أعماله، أو في ماله الذي جمعه. وكأن الإمام ﷺ يريد من خلال هذه الصورة أن يقول للإنسان، إنك عندما تفكر في حال الاحتضار بكل مسؤولياتك مما لا تستطيع أن تتخلص منه، فلماذا لا تفكر قبل ذلك لتنظم أمورك، ولتتقي الله في كل ذلك، وتتوب عن ذنوبك، فيما أسلفت منها وترجع إلى كل ذي حق حقه، وتخلص مالك من الحرام حتى تصل إلى الله سالماً، وقد قال تعالى ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(١٤).

ثم يتحدث الإمام ﷺ في مقام الموعظة أيضاً وفي بعض الأجواء التي تتصل بالفكر ((فلينتفع امرأ بنفسه)) فأنت الآن تملك نفسك من خلال ما يتمثل من وجودك، الوجود الواعي من خلال العقل المتحرك ومن خلال الحواس التي تسهل لك أمور حياتك، لأنك إن لم تراع نفسك لم تحاسب نفسك، ولم توجهها في خط الاستقامة، فلا تنتفع بنفسك، لأنها عندئذٍ تتحرك في نطاق الهلاك، ((فإنما البصير من سمع فتفكر)) وليس الذي تدخل الكلمة من أذنه وتخرج من الأخرى،

(١٣) شرح نهج البلاغة، ج ٧، ١٠٨، ص ٢٠١.

(١٤) الشعراء: ٨٨-٨٩.

كما في قوله تعالى ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(١٥)، فيما قال تعالى ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِيَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾^(١٦) فهناك فرق بين من يسمعون ويستمعون، فقد تدخل الأصوات إلى ذهنه من دون أن يتأثر بها أو ينتبه إليها، أما من يستمع فهو يوجه أذنه وفكره لما يسمعه ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾^(١٧)، فهم يميزون بين هذا القول وقول آخر، وعندما يختارون السماع ويتوجهون إلى الاستماع فيفكرون فيه، ويميزون بين الحسن والأحسن، والحسن والقبيح، فيتبعون أحسنه عندما يميزون بين ذلك.

((ونظر فابصر)) فقد أعطاه النظر إلى الأشياء بصرًا في عقله وقلبه بمعنى أخذ العبرة مما رأى لا كما وصف الله اعمياء القلوب ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾^(١٨) كمن يرى وليس براء، لأن قيمة البصر في ما تؤدي إليه عملية الابصار، مما يتجاوز النظر. فقد ينظر الإنسان من دون أن يشعر بما حوله ومن حوله، فتتحول عيناك إلى مجرد مرآة وليست شيئاً تبصر بها الأشياء، ((وانتفع بالعبر)) بالدروس التي يأخذها من التفكير ومن النظر، ((ثم سلك جديداً واضحاً)) والجديد بمعنى الطريق الواضحة، ((يتجنب فيه الصرعة في المهاوي)) بحيث لا يقع فيما يهوي به إلى الأسفل، ((والضلال في المغاوي)) فيما يغويه، ((ولا يعين على نفسه الغواية)) فيكون واعياً للناس المحيطين به فلا ينجذب لهم فيتبعهم على أن يغووه وأن يضلّوه، فلربما أهلك الأهل والأصدقاء والمقربون الإنسان بفعل العاطفة، وهو يعينهم على نفسه، ((بتعسف في حق)) كما لو كان عليه حق - مثلاً - لبعض الناس أو كان هناك حق لا بد أن يقف معه فيتعسف فيه، ((أو تحريف في نطق)) مما لا يستقيم من الكلام، ((أو تخوُّف من صدق))

(١٥) الأعراف: ١٧٩.

(١٦) الزمر: ١٧-١٨.

(١٧) الزمر: ١٨.

(١٨) الأعراف: ١٧٩.

فلا يخاف من أن يكون الصادق وقد يخوف الشيطان الإنسان من الصدق ليختار الكذب لمصلحة هنا أو هناك.

((فأفقد أيها السامع من سكرتك)) فإن هذه السكرة تمنع الإنسان من أن يفكر، ((واستيقظ من غفلتك)) لأن الإنسان إذا لم يفتح عقله على ما يمكن أن ينفذ به على الحق يكون غافلاً. ((واختصر من عجلتك)) فلا تستعجل في الأمور، بل اجعل الأناة شعارك في سيرك أو في حياتك. لتعرف مواقع أقدامك، ولتعرف من أين تبدأ وأين تنتهي. ((وانعم الفكر فيما جاءك على لسان النبي الأمي ﷺ مما لا بد منه ولا محيص عنه)) فعندما يأتيك خبر عن رسول الله ﷺ حاول أن تفكر فيه حتى تملأ عقلك به، ما دمت تؤمن بالنبي ﷺ فهو كما قال الله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١٩)، فكلامه كلام الله، وطاعته طاعة الله، ثم بعد ذلك فكر كيف تحول كلام النبي ﷺ إلى سلوك عملي في حياتك، ((وخالف من خالف ذلك إلى غيره)) مخالف الناس الذي يعرضون عن كلام النبي إلى غيره، ((ودعه لما رضي لنفسه)) ودع من لا ينفع الكلام معه.^(٢٠)

ثم يقول ﷺ في الموعظة أيضاً وهو يتحدث في العقل باعتبار أنه السبيل إلى النجاة ((فليصدق رائد أهله وليحضر عقله)) فلا يعطي عقله إجازة لأنه لا ينبغي أن يغيب العقل وهو يريد أن يأخذ النتائج التي ينتفع بها أهله، وإنما يصدق معهم عندما يتحرى الأمور بشكل دقيق وموضوعي، ليميز فيه العقل بين ما ينتفعون به وبين ما لا ينتفعون به، ((وليكن من أبناء الآخرة فإنه منها قدم)) لأنك بدأت من الله وإليه ترجع، ((وإليها ينقلب)) أي يرجع ويعود، ((فانظر بالقلب)) الذي يبصر بعين قلبه أي عقله، ((العامل بالبصر)) فيتحرّك بحسب بصره فيما يسير فيه من طريق، ((يكون مبتدأ عمله)) أول مرحلة في المشروع هو أن يعلم أن عمله له أو عليه فيجب على الإنسان أن يدرس كل مشروع يدخل

فيه، وكلّ إنتماء ينتمي إليه، وفي كلّ ما يتعرض له في حياته، ويريد أن يقوم بعمله، لأنه سيحصد نتائج عمله، وذلك هو قول الله سبحانه وتعالى ﴿ظَهَرَ الْفُسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٢١)، وقال تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٢٢) فإذا كان خيراً فستحصل على خير الدنيا والآخرة، لأن العمل الجيد ينتج عاقبة جيدة، في الدنيا والآخرة. أما إذا كان سيئاً فإنه ينتج عاقبة سيئة في الدنيا والآخرة. فإن أول العمل التفكير والتخطيط، ومن دونهما فإن مآل العمل إلى الخسران في الدنيا والآخرة. ويقول ﷺ: ((فإن العامل بغير علم كالسائر على غير طريق))^(٢٣) فهو يمشي دونما عقل و دونما تخطيط فلا ينتهي به الطريق إلى شيء، فهو أشبه بمن يسير بغير طريق، لأنه يتخبط. ذلك أن تحديد الطريق هو جزء من العمل، ولذلك يقول الله تعالى ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢٤)، ((فلا يزيده بعده عن الطريق إلا بعداً عن حاجته)) لأنه سوف يبتعد بك عن هدفك، لأنك لا تعرف هل سيوصلك إلى الهدف أم لا لا ؟ ((والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح فلينظر ناظر أسائر هو أم راجع))^(٢٥) فمن كان يسير على هدى العلم فهو يسير على الطريق الواضحة، ولكن لينظر الإنسان أهو سائر هو ويتقدم أم لا ؟ فلطالما يحسب الإنسان أنه يتقدم ويسير إلى الأمام وهو ليس كذلك.

(٢١) الروم: ٤١.

(٢٢) النحل: ١١٢.

(٢٣) شرح نهج البلاغة. ج ٣٢. ب. ٥٨٧. ص. ١٢٦.

(٢٤) الأنعام: ١٥٣.

(٢٥) شرح نهج البلاغة. ج ١٨. ب. ٢٣٥. ص. ٢٤٨.

قيمة التجربة:

وإذا كان الإمام عليه السلام قد كرّس الحديث عن الفكر وتحديد التأمل منه، فإنه يركز على التجربة أيضاً باعتبارها أحد مصادر المعرفة.

فهناك مصدران للمعرفة: أحدهما التأمل العقلي والثاني التجربة، وقد تقدم العلم الحديث من خلال التجربة، كما نلاحظه في كلّ المخترعات والمكتشفات التي دأب ولا يزال يدأب عليها العلماء والمبدعون في أكثر من حقل وأكثر من ميدان في البر والبحر والفضاء، من خلال الملاحظة المستمرة والتجربة تلو التجربة، و لم يكن فشل تجربةٍ مّا سبباً للانكاس بل كان ذلك سبباً للإصرار، ولكن للأسف نحن الشرقيين بدأنا نميل إلى الاستسلام والحكم على الأشياء بعدم الإمكان لمجرد فشل تجربة وأخرى، في الوقت الذي نلاحظ فيه فلاسفة المسلمين يؤسسون لما يتناقض مع هذا الفهم.

وهناك كلمة لابن سينا يقول فيها: ((كلّ ما قرع سمعك فذرّه في بقعة الإمكان حتى يزودك عنه واضح البرهان)) فالشيء الذي لا تثبت عندك استحالاته فهو ممكن، وحاول أن تكرر التجربة تلو التجربة حتى تقترب، ولذلك تعتبر التجربة أحد أهم المصادر المعرفية وقد- كان للتجربة حظ كبير في منهج المسلمين، في وقت كان فيه الغرب يعيش حالة الانحطاط والتخلّف المعرفي.

يقول عليه السلام في التأكيد على التجربة: ((ومن التوفيق حفظ التجربة)) في إشارة إلى حفظ التجربة الخاصة وتجربة الآخرين، واستحضارهما يعد من علامات التوفيق والنجاح بلحاظ ما تؤدي إليه من خير أو شر فيما يستفيد منه الإنسان في مستقبل أمره.

بل أن هناك عدداً من المعارف مما لا يتحقق إلا بالتجربة، فقد قال عليه السلام ((في قلب الأحوال علم جواهر الرجال)) أي أن حقيقة الإنسان لا تعرف إلا بالتجربة. وهذه التجربة وإن كانت في إطارها الاجتماعي إلا أن التأكيد على التجربة هنا وهناك، يكفي للتدليل على قيمة التجربة في النهج المعرفي

للإسلامي.

وقال ﷺ: ((أخبر تَقْلِه)) بمعنى أنه إذا أعجبك ظاهر شخص فاخبره، فربما وجدت فيه ما لا يسرك فتبغضه، وفي ذلك إشارة إلى أن حقائق الناس لا يمكن أن تعرف إلا بالتجربة لأنها تنزل بك إلى العمق.

بل اعتبر الإمام ﷺ أن العزوف عن التجربة عجز، إذ يقول: ((والطمأنينة إلى كل أحد قبل الاختبار عجز))، وكما قلنا فإن كلامه وإن كان في الإطار الاجتماعي إلا أن ذلك لا يختص بهذا الميدان بل يعمه إلى غيره من الحقول المعرفية والعلمية.

بل يتضح مراد الإمام ﷺ بأكثر ما يكون الوضوح إذ يقول في كتاب له إلى أبي موسى الأشعري: ((فإن الشقي من حرم نفع ما أوتي من العقل والتجربة))، لأن أحدهما يكمل الآخر. وفي كلام له ﷺ يقول: ((إذا كان في رجل خلة رائقة فانتظروا أخواتها)) بمعنى أنه لا ينبغي الاكتفاء بنظرة واحدة فإذا أعجبتك صفة في شخص فلا تعجل بالحكم عليه بل انتظر سائر الصفات وهو ما توفره التجربة.

هذه هي كلمات علي ﷺ في العقل فيما يفتح به على حقائق الأشياء، وعلى حركية الإنسان في حياته، وفي التجربة فيما تكشف له من غوامض الأشياء في الواقع.

أيها الأحبة، هذا هو علي ﷺ وهو الذي خطط لنا كيف نفكر، وهذا هو علي ﷺ الذي أراد أن ننطلق بالعقل نميه ولنعتظمه ولنفتحه على كل الأفاق، وهذا هو علي المسؤولية، لذلك اعرفوا علياً بعقله وبفكره وبروحه، فإنه الإنسان الذي انطلق بفكره فعرف الله معرفة قال فيها ((لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً))^(٢٦)، وهو الذي فكر في مسئوليته وفي علاقته بالله فباع نفسه لله، فإذا كنا نحب علياً ﷺ فلا بد أن نعيش في عقله لأنه العقل كله، وأن ندرس تجربته وهي

من أغنى التجارب، وندرس كيف حافظ على الوحدة الإسلامية التي تمت على حساب حقه الشرعي، وكيف حافظ على المسلمين وكان هو المظلوم فيهم فقال ﷺ ((لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن بها جور إلا علياً خاصة))^(٢٧) ولذا فإن من يحب علياً ﷺ فإنه لا يسيء إلى الوحدة الإسلامية، ومن يحب علياً ﷺ لا يشجع الفتنة في المجتمع، ومن يحب علياً ﷺ لا بد أن يحب حركة العقل في العلم، وحركة التجربة في القضايا الكبيرة والأهداف الكبيرة. والحمد لله رب العالمين.

باب المسائل

الفصل الأول

المسائل القرآنية

أولاً: مسائل التفسير

ثانياً: مسائل عامة

أولاً: مسائل التفسير:

إحياء آية التبليغ:

□ ما الذي نستوحيه من الآية المباركة «يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ»^(١)؟

■ نستوحي منها أن الواقع الإسلامي آنذاك كان يفكر بأن رسول الله ﷺ يوشك أن يستجيب لنداء ربه، وربما كان البعض يفكر في كيفية ترتيب الأمر بعد رسول الله ﷺ كما يلوح ذلك من أكثر من قضية وحادثة. ولذلك كانت المسألة حاسمة وهي أن يمنع النبي ﷺ أي طموح شخصي وأي خلل في هذه المسألة. ولذلك جاء النداء حاسماً باعتبار أن الولاية كانت في نهاية المطاف كما كانت النبوة في بدايته، ولذلك نزلت الآية «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»^(٢). حتى أن النبي ﷺ عندما رأى أن الخلل قد نفذ إلى بعض الذهنيات الإسلامية آنذاك، وأن هناك عملاً على أن ينسى الناس حديث (الغدير) قال وهو على فراش المرض ((آتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي أبداً))^(٣) وخاف البعض من أن يعيد الكتاب القضية إلى نصابها الطبيعي، وقالوا ((إن النبي ليهجر))!! واختلف المسلمون وتنازعوا أمرهم، حيث قال بعضهم: هل نأتي لك بدواة وكتف؟ قال: أبعد الذي قاتم؟ أي أن قائلكم سيقول إن النبي ﷺ قال ذلك في حالة هجر، أي لم يكن واعياً لما كتب فما قيمة كتاب مطعون فيه؟

معنى الكوثر:

□ «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ»^(٤). فماذا يعني الكوثر؟ هل هي فاطمة الزهراء ؟ أم أنه نهر من أنهر الجنة؟

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) أصول الكافي. ج. ١. ص ٢٩٤. ح ٢٥٥.

(٤) الكوثر: ١.

■ بحسب سياق الآية فإن المراد هو النسل الكثير، ومن الطبيعي فإن نسله ﷺ كان من الزهراء ﷺ لأنه لا علاقة لنهر الكوثر في الجنة بسياق الآية، فالآية تشير إلى ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٥)، ولكنك - يا رسول الله - لست أبتراً فالله أعطاك من النسل الكثير الذي هو كثير في نوعه فكلّ إمام من الذرية المعصومة هو أمة في رجل، وأمّا المنحدر من هذه الذرية فبحسب انتمائه إلى الخط لا إلى النسب ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٦)، والله العالم.

معنى (الجعل):

□ يقول تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَارَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾^(٧). فما معنى الجعل في هذه الآية؟

■ في القرآن الكريم ينسب الله سبحانه وتعالى كلّ شيء إلى نفسه، ولكن ليس معنى نسبة الشيء إلى الله أنّ هذا الشيء يتمّ بشكل مباشر، بل يعني إنّ الله هو أساس الوجود وهو الذي خلق الأسباب، وقد جعل في كلّ قرية أكابر مجرميها من خلال الظروف التي تحيط بالقرية وطبيعة الاختلافات التي تحصل. فالجعل (جعل) يشير إلى السبب والمسبب الذي يجعل هؤلاء موجودين في القرية ضمن التعقيدات الاجتماعية والعصبيات التي يعيشونها، وإذا قيل إنّ الله جعل ذلك فلأنّ الأسباب والقوانين التي أودعها في الكون والسنن التاريخية تقضي ذلك.

أين النقل الجوي؟

□ جاء في الآية الكريمة ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(٨) لقد استثنت الآية النقل في الجو على الرغم من ان ذلك هو في علم الله؟

■ إنّ الله سبحانه وتعالى كان يخاطب الناس في ذلك الوقت بما هو

(٥) الكوثر: ٢.

(٦) البقرة: ١٢٤.

(٧) الأنعام: ١٣٣.

(٨) الإسراء: ٧٠.

موجود تحت أيديهم «وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»^(٩) وربما أشار إلى المستجدات في الوسائل بقوله تعالى (ويخلق) لكن الله لا يخاطب الناس فيما ينزله بما لا يتصورونه .

لما ما كسبت:

□ جاء في القرآن المجيد قوله تعالى «تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^(١٠) . فما هو معنى الآية؟ هل نستطيع اعتبار هذا النص إشارة إلى ضرورة صنع حاضرننا وعدم الاكتفاء بالتاريخ؟

■ الآية الكريمة تتحدث عن مسؤولية كل جيل بمعزل عن الجيل الآخر أو الأجيال التي سبقته، فكل أمة سابقة تتحمل مسؤوليتها، كما أنكم أنتم الذين جئتم بعدهم تتحملون مسؤوليتكم ولستم مسؤولين عما قام بها الآخرون من قبلكم بما كسبوه من خير أو شر فلا تشغلوا أنفسكم بالنزاع والصراع بالنسبة إلى التاريخ الذي سبقكم فلا يتخذ أحدكم موقفاً لصالح هذا الفريق وموقفاً لصالح ذاك الفريق إلا إذا كان ذلك الموقف يتصل بالخطأ الأصيل لما تؤمنون به، وعند ذلك ستكون المسألة مسألة الخطأ الذي تمثله الرسالة لا ما يمثله الصراع بين الناس في ذاته.

إن الآية تؤكد لكم - أيها المسلمون وأيها الناس - مسؤوليتكم في حاضركم سواء في الواقع الثقافي فيما يملأ عقولكم من أفعال، وفي الواقع الإيماني فيما تلتزمونه في خط الإيمان، وفي واقعكم العملي في كل أبعاد العمل وامتداداته وآفاقه، لأنكم سوف تحاسبون على ما كسبتم وعلى ما التزمتم وعلى ما تحركتم به «تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ» من خير ومن شرٍّ ولا علاقة لكم بما كسبت هذه الأمة فلو كان خيراً فهم الذين يحصلون على نتائج هذا الخير «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ»^(١١) . ولو كان شراً فهم الذين يتحملون نتائج شرهم «وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»^(١٢) . فأنت لا تتحمل نتائج أعمال آبائك وأجدادك لا

(٩) النحل: ٨.

(١٠) البقرة: ١٣٤.

(١١) الزلزلة: ٧.

(١٢) الزلزلة: ٨.

الإيجابية منها ولا السلبية «وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ» فانتم الآن تخوضون التجربة التي أمامكم والمسؤولية تنتظركم فحاولوا أن تكونوا في مستوى المسؤولية «وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» إنها تريد أن تحدّد لكلّ جيل مسؤوليته عن مرحلته لتقول له لا علاقة للآخرين بمسؤوليتك بل لكلّ جيل مسؤوليته عن مرحلته، فمن الممكن أن تتخذ موقفاً إيجابياً من واقع تاريخي للتوعية، أو لتعذر به، أو تأخذ موقفاً سلبياً، لكنه - على أية حال - ليس مسؤوليتك.

كتاباً موقوتاً:

□ قال الله تعالى «إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا»^(١٣) فما المقصود من قوله كتاباً موقوتاً؟

■ الظاهر - والله العالم - أنها موقّعة بأوقاتها المعروفة، والكتاب الوجوب والفرض، (كتب عليكم) تعني فرض عليكم فرض وجوب كما في قوله تعالى «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ»^(١٤) أو قوله تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ»^(١٥).

إلا وهم مشركون:

□ «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهْمٌ مُشْرِكُونَ»^(١٦). ما هو تفسير هذه الآية؟

■ لقد فسّرت الآية، وذكرنا ذلك أكثر من مرة، بأن الله يريد للإنسان أن يكون مؤمناً في المضمون وليس مشركاً، أي أن يكون موحّداً لله في المضمون وفي الشكل، وقد ورد في تفسيرها أن مظهر الشرك هو أن تقول لإنسان خدمك أو أنقذ حياتك: لولا أنت لهلك، ولولا فلان لتحطّمت حياتي، فأنت تتسبب النتائج التي حصلت لك في إنقاذ حياتك وفي استقامة أمورك لشخص وتعزل الله عن الموضوع، وكأنك جعلته شريكاً لله ولو في الشكل، قال: إذاً كيف نقول؟ ((قال: قل: لولا أن من الله عليّ بك لكان كذا وكذا)). يعني أنه لا بدّ أن تكون مؤمناً قلباً

(١٣) النساء: ١٠٣.

(١٤) البقرة: ٢١٦.

(١٥) البقرة: ١٨٣.

(١٦) يوسف: ١٠٦.

وقالباً حتى في طريقة التعبير فلا يكون تعبيرك موحياً بأنك تجعل أحداً مع الله في خير أصابك، فالكل وراء الله والله قبل وبعد كل شيء، ولذا فنحن نقول في التشهد ((وأشهد أن محمداً عبده ورسوله)) والله تعالى يقول «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً»^(١٧). فكلمة (من) في الحديث إشارة إلى أن الله هو الذي يقيض للإنسان الهداية والنجاة والشفاء وكل ما يلحق به من خير أو يدفع عنه شراً.

إنما المؤمنون أخوة:

□ هل الآية الكريمة «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ»^(١٨). تقصد أخوة القريب أم أخوة

الدين؟

■ المقصود بالأخوة بقرينة (المؤمنون) أخوة الإيمان بمعنى أن الله جعل المؤمن أخ المؤمن، وفي الحديث عن علي عليه السلام ((رب أخ لك لم تلده أمك))^(١٩).

□ ومن هو أقرب إلى الله سبحانه وتعالى في الاخوة أخوة النسب أو أخوة

الدين؟

■ طبعاً أخوة الدين، لأن عراها أوثق ((أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله))، ولأنها تنفع في الدارين الدنيا والآخرة، ولأنها عماد المجتمع الإسلامي الذي يحمل الرسالة متآزرراً ومتآخياً ومؤلفاً، ولذا فقد كانت المؤاخاة في صدر الرسالة بين المهاجرين والأنصار ليست مؤاخاة بين عرب وعرب وقريش وقريش وأبناء مكة وأبناء المدينة بل هي أعمق من ذلك بكثير إنَّها أخوة في الله تقوم على الارتباط به والامتثال لطاعته ولا تنفصم إلا على الخروج من ربة الإيمان.

سبب النصر:

□ جاء في كتاب الله المبين «وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ

الْحَكِيمِ»^(٢٠). فهل أن معنى ذلك أن سبب النصر فقط هو الله دون أن يكون

(١٧) الجن: ١٨.

(١٨) الحجرات: ١٠.

(١٩) شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ب ٢٠، ح ٦.

(٢٠) آل عمران: ١٢٦.

للمؤمنين والمجاهدين دور فيه؟

■ إن معنى ذلك هو أن عمق النصر هو من عند الله مالك الملك ومسبب الأسباب، لأنك إذا انتصرت فمن خلال الوسائل التي وضعها الله بين يديك، ومن خلال أسباب النصر التي هيأها لك سواء كانت أسباباً روحية أو مادية. فالله خالق كل شيء ونحن الأدوات التي تنجز وعد الله، وليس معنى ذلك أننا نفقد اختيارنا وصوابنا في هذا المجال، ولكن الله يريد منا أن نستحضره في كل نعمة ينعمها، علينا نصراً كانت أو غير نصر، كما ورد في حديث الإمام علي عليه السلام ((ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله ومعه وخلفه))^(٢١). بحيث إن الإنسان لا يشعر بأن هناك شيئاً مستقلاً في الوجود، حتى الرزق والعافية والتوفيق فهي من عند الله، بمعنى أن الله هو الأساس في ذلك، ولذلك خاطب الله رسوله في واقعة أحد «وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى»^(٢٢). فليس المراد هنا أن الله يرمى بشكل مباشر، لكنه هو الذي يهيئ الوسائل ليعطيكم القوة على الرمي وليجعل رميتكم تصيب، والله العالم.

مفهوم الأمة:

□ مفهوم الأمة في القرآن الكريم مفهوم مطّاط، فكيف تحدّدون هذا

المفهوم؟

■ لمفهوم الأمة بالمعنى اللغوي عدة اعتبارات أو دلالات، ولكنه دخل في النظرية الاجتماعية بمفهومه الواسع، والا فالأمة تعني الجماعة من الناس التي تلتقي على شأن واحد كما في قصة موسى «وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ»^(٢٣). فالأمة - بحسب المعنى اللغوي - ربما تكون عشرة أشخاص يزيدون أو ينقصون.

وفي النظريات الاجتماعية فإن الأمة صارت تعني الشعب والوطن والقومية، وفي كثير من الأحاديث يكون المقصود بالأمة شموليتها، أي الأمة الإسلامية، وهذا ما يعبر عنه الحديث الشريف ((من لم يهتم بأمر المسلمين

(٢١) شرح نهج البلاغة، ج ٢، ب ٣٥، ص ٢٥٥.

(٢٢) الأنفال: ١٧.

(٢٣) القصص: ٢٣.

فليس بمسلم))^(٢٤) والحديث الآخر ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر))^(٢٥).

تفسير القرآن على عهد الرسول ﷺ:

□ هل كان هناك تفسير للقرآن على عهد رسول الله ﷺ ؟

■ كان التفسير موجوداً على عهد رسول الله ﷺ حيث كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن تفسير بعض الآيات فيفسّرُها لهم، وكانوا يسألون بعض الصحابة في ذلك، وينقل أن علياً عليه السلام كان يفسّر القرآن وكان الأئمة عليه السلام يفسّرونه أيضاً ولكن لم يكن هناك كتاب تفسير بهذا المعنى الدارج اليوم باعتبار أن وجود القرآن الناطق كان يغني عن الحاجة إلى تفسير مكتوب.

يُضِلُّ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ:

□ قال الله تعالى «فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ»^(٢٦) فما هو

المقصود بهذه الآية ؟

■ ليس كل فعل ينسب إلى الله في القرآن من الضلال ومن الهدى ومن الرزق ومن الخلق هو بمعنى مباشر، فالله سبحانه وتعالى يخلقنا ولكن ليس على طريقة خلق آدم بشكل مباشر، وإنما بشكل غير مباشر باعتبار أنه خلق أسباباً لوجود الإنسان وقال للإنسان إذا أخذت بهذا السبب فإنه سيقودك إلى هذا المسبب. فليس معنى ((يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)) أن الله يضع في قلب الإنسان الضلال، أو يودع الهدى في قلبه، بل بمعنى أن الله يهدي الإنسان بأن يهيئ له سبل الهدى، ولكن الإنسان لا يتبعها فيكفه الله إلى نفسه، وإذا وكله إلى نفسه ضلّ.

أمّا أن يهدي من يشاء فلأن الله هو الذي أعطاه العقل الذي يهتدي به، بالإضافة إلى الحواس الخمس التي تمثل أعوان العقل في السير في طريق الهداية، وهياً له الوسائل أيضاً من خلال الأنبياء الذين أرسلهم هداة للبشرية،

(٢٤) الكافي. ج. ٢. ص. ١٦٤. ح. ٤.

(٢٥) الكافي. ج. ٧. ص. ٣١٥. ح. ١٢.

(٢٦) إبراهيم: ٤.

ولذلك فإنَّ الهدى ينسب إلى الله مع انه باختيار الإنسان باعتبار أن الأسباب هي من الله سبحانه وتعالى.

اقتراب للناس حسابهم:

□ يقول كتاب الله العزيز «اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ»^(٢٧). كان ذلك قبل أكثر من ألف عام من الزمن، فماذا يعني بـ (اقتراب)؟
 ■ ربّما يكون المراد من الاقتراب ما ورد من أنّه ((إذا مات الإنسان قامت قيامته)) باعتبار أنّ هناك حساباً في القبر، وأن هناك حساباً في عالم البرزخ. وربّما يكون المقصود بالاقتراب الإيحاء بأن الحساب سوف لن يكون بعيداً عنهم «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً»^(٢٨). والله العالم.

ونفس وما سواها:

□ قال تعالى «وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا»^(٢٩) فلماذا قدّم سبحانه وتعالى القسم بالخلق وهو النفس (ونفس) على القسم بالخالق (وما سواها)؟
 ■ ليس المقصود بـ (وما سواها) الخالق سبحانه وتعالى بل خلق النفس وتسويتها، أي أنّه سبحانه وتعالى خلق النفس وهو الذي سوّاها فـ (ما سواها) يعني عملية تسويتها لا خالقها سبحانه وتعالى وذلك قوله تعالى «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى»^(٣٠).

ما غرّك بربك الكريم:

□ ما معنى قوله تعالى «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ»^(٣١)؟
 ■ أي لا تغتر بالله وبرحمته فتهجم على معصيته وما إلى ذلك من الذنوب والآثام، ذلك أن أخذ الله أخذ عزيز مقتدر، وإذا أملى لك فلا يدفعك ذلك إلى الاغترار برحمة الله بحيث تغرق في معصيته فقد يملئ لك لتزداد إثماً «وَلَا

(٢٧) الأنبياء: ١.

(٢٨) المعارج: ٦-٧.

(٢٩) الشمس: ٧.

(٣٠) الأعلى: ١-٢.

(٣١) الانفطار: ٦.

يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا
إِثْمًا^(٣٢).

يهدي للتي هي أقوم:

□ جاء في القرآن المجيد في وصف القرآن نفسه «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي
لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ»^(٣٣) فهل أن صيغة التفضيل أقوم تدلّ على أن غير القرآن يهدي لما
هو قويم وحينئذ يمكن الاكتفاء به؟

■ لا، ليس المراد ذلك، بل يعني أنه يهدي للطريقة الأقوم، فالغاية التي
يقود القرآن إليها هي الغاية الأقوم والأفضل والأحسن، وبمعنى آخر أن (أقوم)
هي صيغة تفضيل بما ينطوي عليه القرآن من قدرة عالية على الهداية لا تضاهي
فهو يهدي للأقوم بذاته لا بالمقارنة مع غيره، والله العالم.

فرّقوا دينهم وكانوا شيعا:

□ ما الذي نستوحيه من الآية الكريمة «إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا
لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ»^(٣٤)؟

■ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَحْدِثُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَنِ الَّذِينَ أَثَارُوا حَالَةَ
التَّمَرُّقِ وَالتَّفَرُّقِ فِي دِينِهِمْ فَحَوَّلُوا الدِّينَ الْوَاحِدَ إِلَى شَيْعٍ مُتَفَرِّقَةٍ بِفَعْلٍ أَهْوَاهُمْ
وَذَاتِيَّاهُمْ لِأَنَّهُمْ حَتَّى لَوْ اخْتَلَفُوا فِي بَعْضِ الاجْتِهَادَاتِ فَإِنَّ بِإِمْكَانِهِمْ أَنْ يَتَوَصَّلُوا
إِلَى مَوْقِعِ الْوَحْدَةِ، وَهَذَا مَا لَا بَدَّ لَنَا أَنْ نَوَاجِهُهُ فِي كُلِّ خِلَافَاتٍ سِوَاكَ كَانَتْ
مَذْهَبِيَّةً أَوْ حَزْبِيَّةً أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَإِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَحَاوِلَ الْإِلْتِقَاءَ عَلَى مَا اتَّفَقْنَا
عَلَيْهِ وَأَنْ نَتَبَايَحَ وَنَتَحَاوِرَ فِيمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ فَلَعَلَّنَا نَصِلَ إِلَى نَتِيجَةٍ مُوَحَّدَةٍ.

(٣٢) آل عمران: ١٧٨.

(٣٣) الإسراء: ٩.

(٣٤) الأنعام: ١٥٩.

متوفيك ورافعك:

□ ورد في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿يَا عِيسَى ابْنِي مَرْيَمُ ارْفَعْكَ إِلَىٰ مِثْقَلِ ذَرَّةٍ مِّنَ الدِّينِ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ (٣٥). فهل أن قوله تعالى ﴿إِنِّي مَتَوَفِّيكَ﴾ و ﴿رَافِعُكَ﴾ يعني أن الله أَمَات سيدنا عيسى ﷺ ؟ أو أنها تعني فقط أن الله رفعه إلى السماء ؟

■ هناك رأيان في تفسير هذه الآية، فهناك رأي يقول إن الله قبض روحه للحظة ثم رفعه إلى السماء، وهناك قول بأن كلمة (متوفيك) تعني أن الوفاة هي بلوغ الحد، فبلوغ حده في الدنيا قد يكون بواسطة قبض روحه، أو بواسطة إخراجة من الدنيا وهو حي ليرتفع إلى السماء، ولكن من خلال ما عرضه القرآن من آيات الموت كقوله تعالى ﴿كُلُّ مَن عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (٣٦). وقوله تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٣٧). يمكن اعتبار الوفاة وفاة بمعناها المعروف، والله العالم.

التحديث بالنعمة والإسراف:

□ ماذا يعني قوله تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (٣٨) ؟ وما هو حد الإسراف في الشارع المقدس ؟

■ التحديث بنعمة الله تبارك وتعالى يعني أن يُظهر الإنسان أثر النعمة عليه كما في اللباس الذي يتجمل به، أو في التوسعة على عياله، أو في البذل في مجالات البر والخير، وأن لا يقتّر على نفسه. أمّا الإسراف فهو أن يبذّر ماله في غير فائدة، وأن يسرف به في غير حاجة وفي غير فائدة، وقد ورد في حديث الإمام جعفر الصادق ﷺ بما يتصل بنصح المجتمع بأن يستفيد من كلّ طاقة وأن لا يضيّع أية طاقة في غير فائدة ((إِنَّ الْقَصْدَ أَمْرٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَأَنْ السَّرْفَ أَمْرٌ يُبْغِضُهُ اللَّهُ حَتَّى طَرَحَكَ النَّوَاةُ فَإِنَّهَا تَصْلُحُ لَشَيْءٍ)) وهذا يعني أن لا تضيّع حتى نواة التمر أو نواة الزيتون أو أية نواة أخرى، أي يمكن للمجتمع إذا كان يخطّط تخطيطاً اقتصادياً أن لا يجعل هذه النواة تذهب هدرًا، وإنّما يزرعها حتى تصير نخلة أو شجرة زيتون أو أنّه يصنّعها بحيث يمكن أن يستزف كلّ ما فيها من طاقة

(٣٥) آل عمران: ٥٥.

(٣٦) الرحمن: ٢٦.

(٣٧) الزمر: ٣٠.

(٣٨) الضحى: ١١.

((وحتى صبَّك فضل شرابك)) فقد تحتاج عندما تشرب الماء إلى نصف الكأس، فإذا أفرغت النصف الفائض عن حاجتك فإنك تكون قد أسرفت، خصوصاً وأن بعض الناس عندما يشتري المرطبات فإنه قد لا يشرب القنينة كلّها بل يشرب ربعها ويكب الباقي، في حين يمكن سكب الشراب في الكأس بمقدار الحاجة وإبقاء الباقي لوقت آخر أو لأشخاص آخرين.

فالإمام عليه السلام ينصح بانتزاع كلّ طاقة وعدم التفريط بها. وهناك مثل آخر، ففي الوضوء نرى أن البعض من المتوضئين يفتح الحنفية عن آخرها ويظل يريق الماء وهو يحتاج إلى شيء بسيط حتى يتوضأ ويمكن أن يفتحها ويغلقها مرة ثانية، فالماء هو حياة الناس وهو موجود بمقدار معين فإذا كنت تصرف في اليوم (٥٠) ليترًا من الماء وأنت تحتاج إلى عشرة ألتار فهذا يعني أن (٤٠) ليترًا تذهب هدرًا. وقل الشيء نفسه عن الضياء أو الكهرباء وما يجري فيهما من التبذير وهي كذلك طاقة يمكن الاستفادة منها في مجالات كثيرة.

وراثۃ الأنبياء ﷺ:

□ قال تعالى ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًا﴾^(٣٩). فإذا لم تكن وراثۃ النبوة وكانت وراثۃ المال والمتاع ألا يمكن القول إن هذه الآية تعني إن شرع من قبلنا ليس بشرع لنا؟

■ هناك في القرآن آيتان تتحدثان عن وراثۃ الأنبياء I في قوله تعالى ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾^(٤٠) ومعناها الأولاد، وقوله تعالى ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًا﴾^(٤١) فإن الولي قد يكون الولد وقد لا يكون الولد، ولذا قال ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ أي أنه يريد أن يبين أن هذا الولي هو ولد، ومن خصوصيات الولد أنه هو الذي يرث أباه، وليس معنى ذلك وراثۃ النبوة لأن النبوة من الله ولا تورث. ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٤٢).

(٣٩) مريم: ٦.

(٤٠) آل عمران: ٣٨.

(٤١) مريم: ٥.

(٤٢) البقرة: ١٢٤.

لا إكراه في الدين:

□ ما هي حدود قوله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ هل هي خاصة بالعقيدة؟

أم هي تشمل السلوك البشري أيضاً؟

■ قوله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ واردة في الجانب العقيدي بحسب ما جاء بعدها ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(٤٣). فأنت قد تكره الإنسان على الشيء غير الواضح والذي قد يقتنع به من خلال إيضاحاتك والأدلة التي تسوقها اليه، ولكن اذا تبين الرشد من الغي فلا يوجد إكراه فالرشد بين والغبي بين والعناد مغالطة وتعصب وجهل. وأما بالنسبة إلى الشريعة فهي نظام وضمن هذا النظام هناك نظام عقوبات وجزاء كأي نظام في العالم يفرض على أتباعه الالتزام بالقانون.

الظاهر والباطن:

□ جاء في كتاب الله العزيز عن الله سبحانه وتعالى ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ

وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾^(٤٤). فما معنى (الظاهر والباطن) ؟

■ هو الظاهر في كلّ مواقع عظمته، وفي كلّ مواقع رحمته، وفي كلّ مواقع نعمته. وهو الباطن في كلّ أسرار الغيب في ذاته، وفي كلّ خفايا علمه، وما إلى ذلك.

قتل الإنسان ما أكفره:

□ ما معنى قوله تعالى ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ﴾^(٤٥) ؟

■ يتحدث الله تعالى هنا عن الإنسان كنوع فيصوره كيف يكفر بنعمة الله، وليس المقصود بذلك الكفر العقيدي بل كفر النعمة، فإنّ الله خلقك وأعطاك وأنعم عليك ولكنك لم تشكر نعمة الله عليك بل سخرت نعمته في معصية الله ولم تطعه فيما وهبك وأعطاك، ولذلك فإنّ جحود النعمة كفر.

(٤٣) البقرة: ٢٥٦.

(٤٤) الحديد: ٣.

(٤٥) عبس: ٧.

إكراه الفتيات على البغاء:

□ ما معنى قوله تعالى ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾^(٤٦)؟

■ هذا يعني أن بعض الناس ربّما يكره المرأة وهي عفيفة تريد الحفاظ على العفة والنزاهة والشرف ولكنه يكرهها ويقهرها بما يمارسه عليها من ضغوط قاهرة من أجل أن تتاجر بجسدها. فبعض الناس مع الأسف، كما هو الحال في عصرنا، يكره زوجته على البغاء، ونقرأ أحياناً في الصحف أن بعضهم يكره ابنته على البغاء، أو أن الأم تكره ابنتها على الزنا وما إلى ذلك بغية المتاجرة بجسد الفتاة غير آبهين بما يجره ذلك من تحطيم لنفسيتها وحقدتها على المجتمع وعلى والديها اللذين يدفعانها إلى الرذيلة دفعا.

الاعتداء بالمثل والدفع بالتي هي أحسن:

□ يقول تعالى ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾^(٤٧) ويقول ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾^(٤٨). فكيف نوفق بين الآيتين؟

■ في الآية الأولى يقول تعالى إن من حَقك أن تردّ على الاعتداء بمثله، ويقول في الثانية إذا رأيت مصلحة في أن تغضو فأغضو ﴿وَأَنْ تَغْضُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(٤٩) ﴿وَأَنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾^(٥٠). فالله تعالى يريد أن يؤكّد الحقّ عندما يعتدي عليك الآخرون فإنّه يعطيك الحقّ في أن تأخذ حَقك من المعتدي عليك، ولكن أيضاً لك أن تغضو وتصفح عنه، فإذا عفوت في موقع العفو فإنّ الله يعطيك أجر الصابرين، واعتبار ذلك ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ لأنّه يدلّ على سمو روحيتك ونفسك التي لم تقابل العدوان بالعدوان وإنّما قابلته بالإحسان.

(٤٦) النور: ٣٣.

(٤٧) البقرة: ١٩٤.

(٤٨) المؤمنون: ٩٦.

(٤٩) البقرة: ٢٣٧.

(٥٠) النحل: ١٣٦.

وقود النار:

□ يقول تعالى ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾^(٥١). فهل للنار وقود من الناس والحجارة؟

■ طبعاً، فعندما يحترق الإنسان في داخل النار يتحوّل هو أيضاً إلى وقود لتلك النار، وعندما تبلغ النار ذلك المستوى من الحرارة فمن الطبيعي أن تصبح الحجارة والإنسان أدوات حرق أي بمثابة الجمر الذي يحرق نفسه وغيره.

□ ثم من هم أولئك التّعساء الذين أعدّوا وقوداً للنار؟

■ هم كلّ الناس الذين كفروا بالله وانحرفوا عنه. ولا دخل لنا في التفاصيل، فالله تعالى يعطينا الخط العام، ويقول ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾^(٥٢). أي كونوا المؤمنين، وليكن أولادكم وأهلكم مؤمنين مثلكم لأنكم إذا لم تقوا أنفسكم وأهلكم من المعاصي فسوف تدخلون النار جميعاً، والله هنا يريد أن يثير عاطفتنا تجاه أولادنا وأهلنا، إذ هل يقبل أحدنا أن يدخل ولده أو أمه أو أبوه أو زوجته في النار؟ أمّا من هم؟ وكم عددهم؟ فهناك لا نحتاج إلى دوائر النفوس لتبيان من يدخل ومن لا يدخل فسجّل الله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

المخلصون:

□ ما معنى كلمة (المخلصون) في قوله تعالى ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾^(٥٣)؟

■ المخلص هو الانسان الخالص الذي خلص في إيمانه وخلص في عمله لله سبحانه تعالى.

المسلم والمؤمن:

□ ما الفرق بين المؤمن والمسلم؟

■ في القرآن المؤمن هو عبارة عن الانسان الذي آمن بالإسلام في لسانه وفي قلبه، والمسلم هو الذي آمن بلسانه ولم يسلم بقلبه، والدليل على ذلك هو

(٥١) البقرة: ٢٤.

(٥٢) التحريم: ٦.

(٥٣) الصافات: ٤٠.

قول الله سبحانه وتعالى ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٥٤). وفي أحاديث أهل البيت ﷺ يطلق المؤمن على الانسان التابع لأهل البيت ﷺ كمصطلح، وإلا فالمراد في القرآن من المؤمن هو المسلم الذي آمن بالإسلام في قلبه.

عقدة من لساني:

□ قال تعالى ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾^(٥٥). وقد قيلت هذه الآية في نبي الله موسى ﷺ، فهل كان في لسان نبي الله موسى خلل؟

■ هناك روايات تقول إن هناك حبسة في لسانه، وهناك رواية تقول إن هذه واردة في سبيل الكناية، وكأنه يقول إن موسى ﷺ ما كان ذلق اللسان، ولذا قال ﴿وَيُضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾^(٥٦). فقد يكون ذلك من جهة الفصاحة ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِي﴾^(٥٧). أي أن هارون مفوه أكثر منه، والله العالم. ولكن هذا لا يمثل نقصا في نبوة النبي ﷺ، فإن تكون عند النبي حالة مرضية في جسده فإن ذلك لا يضر بعصمته ولا بكمالاته ولا برسالاته وقد رأينا كيف هزم موسى ﷺ فرعون دون يشكّل ذلك عائقا.

وانفسنا وانفسكم:

□ ما حدود هذا المقطع ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾^(٥٨). الوارد في آية المباهلة؟

■ يرى بعض الناس أن ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ تعني ان النبي ﷺ والإمام علي ﷺ بمرتبة واحدة، في حين أن المقصود بأنفسنا وأنفسكم أن علياً ﷺ هو صياغة النبي ﷺ وتربيته حتى كأنه نفسه في خصائصه الروحية والأخلاقية والعلمية، فلقد رباه منذ طفولته الأولى وقد نقلنا تجربة الإمام في صغره الواردة في (نهج البلاغة) أكثر من مرة. فليس المقصود أن يكون الإمام علي ﷺ في نفس مرتبة

(٥٤) الحجرات: ١٤.

(٥٥) طه: ٢٧.

(٥٦) الشعراء: ١٣.

(٥٧) القصص: ٣٤.

(٥٨) آل عمران: ٦١.

النبي ﷺ اذ لا إشكال أن رسول الله ﷺ هو أعظم من علي ﷺ وهذا هو قول الإمام الباقر ﷺ مما روي في (الكافي) عندما كان يقول ((أيكفي من ينتحل التشيع أن يقول أحب علياً وأتولاه ثم لا يكون فعلاً فرسول الله خير من علي، أفيكفي الرجل أن يقول أحب رسول الله ثم لا يعمل بسنته)).

حمل الأوزار:

□ كيف نوفق بين قوله تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٥٩). وقوله تعالى ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾^(٦٠)؟

■ لا يوجد تناف بين الآيتين، ففي الآية الأولى يقول تعالى بأن الانسان لا يتحمل وزر جريمة أبيه ولا الأب يتحمل وزر جريمة ابنه أو أحد من أقربائه. أما الآية الثانية فتقول إن هؤلاء الذين يضلّون الناس بغير علم يتحملون أوزارهم أي خطاياهم وأوزار الذين يضلّونهم لأنهم كانوا السبب في إضلالهم، وليس معنى ذلك أن يحملوا وزر الآخر من دون أن يكون لهم دخل فيه، فلقد كانوا السبب في ما قام به الآخر من وزر، ولا إشكال بأن الله كما يعامل الانسان على ما يقوم به من جريمة فإنه يعامله على ما يتسبب به من الجريمة، والذين يضلّون الناس يكونون قد تسببوا في جريمة إضلالهم.

الأمن الاقتصادي والسياسي:

□ قال تعالى ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(٦١) وقال ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَّى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا﴾^(٦٢). فهل أن توفر الأمن الاقتصادي والسياسي شرطان لتحقيق العبادة، وبدونهما ليس هناك أمر بالعبادة؟

(٥٩) الأنعام: ١٦٤.

(٦٠) النحل: ٢٥.

(٦١) قريش: ٣-٤.

(٦٢) القصص: ٥٧.

■ كأن السائل يريد أن يقول: إن الله يقول: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ أي أمنت لكم الأمن الاقتصادي والسياسي، وكذلك قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ نُمْكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَّى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا﴾ فمعنى ذلك أن العبادة لا تكون إلا مع تحقيق الأمن السياسي والأمن الاقتصادي، ولكن القضية ليست كذلك، فالله يريد أن يقول لهم من خلال الآيات المذكورة أنه أنعم عليهم بهذه النعم ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ فالعبادة تمثل شكر المنعم، ولقد أنعمت عليكم ووفرت لكم كل الخير الذي تتنعمون به، فلماذا لا تذكر ذلك بالعبادة؟ لا أن العبادة مشروطة بالأمن الاقتصادي أو الأمن السياسي وما إلى ذلك.

أمة واحدة:

□ ما معنى قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^(٦٣)؟

■ هذا خطاب للرسول والمراد من الأمة هنا الخط وليس المجتمع بمعنى الناس، أي أن المراد هو الخطّ الرسالي فهو خط واحد وهو خط التوحيد.

دلالة التأمل في الكواكب:

□ ما تفسير الآية الكريمة ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ﴾^(٦٤) هل لها دلالة أخرى؟

■ المعروف أن إبراهيم عليه السلام كان مؤمناً منذ البداية ومنذ طفولته، ولكنه كما هي بعض الآراء، وهذا الذي رجّحناه في تفسيرنا (من وحي القرآن) أراد أن يقيم الحجة على قومه بهذه الطريقة الاستعراضية. فلقد صور نفسه كرجل شاك لا يدري ما هي الحقيقة ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ۖ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۖ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۖ إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ

(٦٣) الأنبياء: ٩٢.

(٦٤) الأنعام: ٧٦.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ^(٦٥). أراد أن يبطل ما يعتقدونه على أساس الحجّة لأنّ هذه الظواهر الكونية لا يمكن أن تكون أرباباً لأن الربّ لا يأفل ولا يغيب عن خلقه أو عن عباده طرفة عين أبداً.

فهذا هو أسلوب من الأساليب الاقناعية ولكن من دون أن يستثيرهم ضده، فكأن القضية قضيته هو، لأنه إذا قال لهم انتم مخطئون فسوف يثير مشاعرهم وحفيظتهم كما ثارت بعد ذلك عندما كسر أصنامهم. وهذا أسلوب من أساليب الدعوة الإبراهيمية، وهذا من الأساليب التي لا بدّ لنا أن نستفيد منها حتى على مستوى المسرح والقصة والرواية حيث يمكن أن نستفيد من أسلوب إقناع الآخرين بالفكرة.

يهدي من يشاء:

□ قال تعالى في محكم كتابه ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٦٦)

■ معنى ذلك أن عليك - يا رسول الله - أن تبّلغ رسالات الله ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ❖ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾^(٦٧). والله يهدي لا بمعنى أنه يلقي الهداية بشكل جبري في قلب الإنسان، بل هو الذي يوفّر سبل الهداية وما على الرسول إلا البلاغ المبين. فالله يقول لرسوله إن عليك أن تقرّب الفكرة وتزكّيهم وتعلّمهم الكتاب والحكمة، وأمّا الهداية فتحتاج إلى ظروف وإلى مناحات وأوضاع معينة، ولهذا فهي ليست بيدك وإنّما الله هو الذي يعطيها من خلال ما يخلقه من وسائل وظروف تتعدّى جانب التفكير وجانب الوعظ والإرشاد.

الإكمال والتبليغ:

□ كيف نفسّر نزول آية إكمال الدين ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٦٨) قبل آية التبليغ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٦٩)؟

(٦٥) الأنعام: ٧٦-٧٩.

(٦٦) البقرة: ٢٧٢.

(٦٧) الفاشية: ٢١-٢٢.

(٦٨) المائدة: ٣.

(٦٩) المائدة: ٦٧.

■ القرآن الكريم لم يرتّب على أساس النزول، ولذلك فيمكن أن تكون هناك آية قبل آية أخرى تسبقها في المعنى أو التكليف.

ماذا شربت مريم ؟

□ يقول تعالى ﴿فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾^(٧٠). الأكل في الآية الشريفة معلوم، وهو الرطب، ولكن ما هو الشرب الذي تشير الآية إليه ؟
■ هو الماء الذي في النهر الذي جرى في أسفل المغارة ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾^(٧١). أي الماء الذي يسري فيمكنك أن تشربي منه.

وَيَمْنَعُونَ الماعون:

□ ما معنى قوله تعالى ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾^(٧٢) ؟
■ المقصود بالماعون المعونة، أي أنهم يمنعون معونة الناس لبعضهم البعض.

فأين تذهبون ؟

□ ما هو تفسير قوله تعالى ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾^(٧٣) ؟
■ هذا وارد في مقام التحذير من مغبة الطريق الذي يسيرون فيه، أي إلى أين أنتم متجهون؟ فقد تسيرون في الطريق الذي يؤدي بكم إلى الضياع.

هل الدعوة نخبوية:

□ هل قوله تعالى ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٧٤) يعني أن الدعوة إلى الله نخبوية، وإذا كانت كذلك، فما هي أهم مواصفات هذه النخبة ؟

■ قوله تعالى ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ يعني الأمة التي تقوم بها مهمة الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي هي واجب كفائي إذا قام به البعض سقط عن الكل، وإذا لم يقم به أثموا جميعاً، فريماً تقوم الدعوة بنصف

(٧٠) مريم: ٢٦.

(٧١) مريم: ٢٤.

(٧٢) الماعون: ٧.

(٧٣) التكاوير: ٢٦.

(٧٤) آل عمران: ١٠٤.

الأمة فلا يجب على النصف الآخر. فليست الدعوة والحال هذه نخوبة بل هي الأمة التي تسدّ بها الحاجة وتتحقق بها الأهداف. ومن الطبيعي فإنّ الذين يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لابدّ أن يكونوا بالمستوى الثقافي والروحي الذي يمكن أن يحقق هذه النتائج.

نفخ في الصور:

□ يقول تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾^(٧٥) والحديث عن يوم القيامة وهو في زمن المستقبل، فلماذا استخدم الفعل الماضي للتعبير عن حالة في زمن المستقبل، أليس هذا هو خلاف القاعدة؟

■ يذكر البلاغيون أنّ من الممكن أنْ تتحدّث عن المستقبل بالماضي إذا كان المستقبل محققاً لأنّ الماضي يدلّ على التحقيق، فإذا كان المستقبل محققاً بشكل قطعي فيجوز لنا أن نتحدث عنه بالماضي.

معنى التطهير:

□ آية التطهير تقول ﴿لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهَّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٧٦). فهل تدلّ على الطهارة المعنوية أي العصمة؟ أم تدلّ على تنزيههم من النجاسة؟

■ الآية الكريمة تدلّ على الطهارة المعنوية، أمّا النجاسة فالاحاديث عن النبي ﷺ تدلّ على أنّه كان يغتسل من الجنابة، وكان يطهرّ يده إذا تتجست، وهكذا في سائر النجاسات. فهي إذاً الطهارة المعنوية والروحية والفكرية لأنّ هذا هو الذي يتفاضل به الناس، أمّا القذارات والنجاسات فهي أمور طبيعية وليست نقصاً في الإنسان التي تخرج منه، فالنجاسة تتعلق بالقذارات ولا تتعلق بالإنسان، ولذا فطهارتهم تعني العصمة والملكات الروحية التي كانوا يمتازون بها عن سواهم من الناس.

(٧٥) الكهف: ٩٩.

(٧٦) الأحزاب: ٣٣.

كل يوم هو في شان:

□ ما معنى الآية الكريمة ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(٧٧)؟

■ هذا وارد بلحاظ ما يحدثه الله سبحانه وتعالى في الكون من الأمور التي تتعلّق بالناس، فهو يدير الكون كل يوم بطريقة تمليها شؤونه المتجددة مما يجعل أفعاله تتجدّد وعطاياه تتنوّع في صنع الوجود وما يحتاجه الوجود، وفي تدبير ما يحتاج إلى التدبير.

للمطلقات متاع:

□ ما معنى الآية ﴿وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^(٧٨)؟

■ يستحب إلى جانب دفع المهر أن تعطى شيئاً يمتعها، وربما ورد هذا بمثابة هدية الفراق التي يدفعها الزوج للمرأة المطلقة للتدليل على انفصالهما لا بفعل عقدة في ذاته اتجاهها ولا عداوة لها بل هو أمر فرضته ظروف معقدة.

أحسن الخالقين:

□ كيف نفسّر قوله تعالى ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٧٩) على أساس

التطورات العلمية الحديثة لاسيما الاستنساخ والهندسة الوراثية؟

■ كأن السائل يقول لقد صار عندنا أناس يخلقون كما يخلق الله ولكن الله أحسن منهم، والأمر ليس كذلك، فالمراد بـ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي لو كان هناك خالقون آخرون فالله هو الأحسن وهي صيغة بلاغية في التعبير عن الإبداع في خلق الله الذي لا يجاريه فيه أحد. وربما أريد أن الخلق هو التقدير بقياس الشيء من الشيء وهو لا يختصّ به تعالى. وقد ورد في كلامه سبحانه نسبة الخلق إلى غيره كقوله (إني أخلق من الطين كهيئة الطير) وكقوله (وتخلقون افكا) فيكون التفضيل وارداً على حقيقة، فإن الله أحسن الذين يمارسون الخلق ولكن في الصورة لا في القانون الوجودي.

(٧٧) الرحمن: ٢٩.

(٧٨) البقرة: ٢٤١.

(٧٩) المؤمنون: ١٤.

أما الاستنساخ والهندسة الوراثية فليس فيها خلق بمعنى خلق الإنسان كخلق الله له، لماذا؟ لأنّ الخلق هو خلق القانون، وأمّا الاستنساخ فهو أن الاشخاص المستسخون يستهدون القانون الإلهي، فلو نظرنا الى الحيوان أو الإنسان لنرى كيف يولدان؟ نرى انهما يولدان من خلية تشمل (٤٦) من الكروموسومات (٢٣) موجودة في النطفة و (٢٣) في البويضة، فلما تلقح النطفة البويضة يصبح المجموع (٤٦) كروموسوماً، فماذا يعمل المستسخون؟ إنهم يأخذون خلية كاملة من الحيوان أو الانسان تشتمل على (٤٦) من الكروموسومات وهو نفس القانون الالهي فيقومون بتفريغ البويضة من الكروموسومات الموجودة فيها فتصبح خالية ويضعون هذه الخلية التي تحوي (٤٦) كروموسوما داخل البويضة فيحصل الاستنساخ. وغاية الأمر أنها كانت موزعة بين النطفة والبويضة وهنا قد جمعت. فإذا هم لم يخلقوا إنساناً أو حيواناً إنما اخذوا القانون الإلهي في أن المولود الحي يولد من خلية إنسانية أو حيوانية تشتمل على (٤٦) من الكروموسومات. فالخلق هو أن تخلق قانوناً، والعلماء كلهم يجمعون انه رغم كلّ الذي قام به العلماء في مختلف المجالات فانهم لم يستطيعوا أن يخرقوا أي قانون من قوانين الله أو يصنعوا أي قانون من قوانين الخلق حتى بالنسبة إلى الجينات والهندسة الوراثية التي يتم التصرف من خلالها بشكل الخلقة، فإنما يتم ذلك حسب البرنامج الموجود الذي جعله الله في حياة الإنسان فيما يمكن تغييره، كما في عملية التجميل التي لا تغير الخلقة وإنما تجري عليها تعديلات خارجية.

التفسير العلمي للقرآن:

□ ما هو رأيكم بالتفسير العلمي للقرآن بشقيه الظاهري والباطني، كما في قوله تعالى ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٨٠)؟

■ هناك اتجاهان في عالم التفسير العلمي للقرآن: اتجاه يحاول أن يحمل القرآن ما لا يحتمله كالذين يقولون بأنّ القرآن تحدّث عن الذرة كما في قوله تعالى ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(٨١). فهم يحاولون أن يخضعوا القرآن

(٨٠) الذاريات: ٢١.

(٨١) الزلزلة: ٧.

لنظريات العلمية حتى في غير الموارد العلمية، وخطورة ذلك هو أن ظاهر القرآن لا يتحمل هذا الشيء. فالذرة في اللغة العربية تمثل أصغر الحجوم وفي الآية أصغر عمل لا الذرة في العلم القائم بذاته. ثم أن النظريات العلمية هي نظريات متحركة، ولذلك فهي ظنية أي أنها تعتمد على الاستقرار والاستقرار بطبيعته ناقص، وقد ذكرنا مراراً أن نظرية داروين مثلاً تعتمد على بعض الحفريات وبعض الجماجم التي اكتشفها داروين واستخلص من خلالها نظريته في تطور الأنواع ولكن العلماء اثبتوا بعد ذلك أن هناك حفريات وجماجم قبل الجماجم التي اكتشفها داروين تدل على وجود الإنسان كما هو الإنسان بهيئته التي نراها اليوم، فالنظريات متحركة، وعندما جاءت النظرية النسبية قلبت الكثير من النظريات التي كانت قبلها.

والقرآن هو كلام الله وقد نفسر بعض آياته بنظرية معينة ثم تأتي نظرية أخرى تبين خطأ النظرية الأولى، فهل نقول إن القرآن قد أخطأ؟ وهناك اتجاه آخر يؤكد أن في القرآن بعض الحقائق العلمية ولكن القرآن أساساً ليس كتاب كيمياء ولا كتاباً فيزياء ولا كتاب يتكلم عن العلوم الطبيعية ولكنه قد يشير إلى بعض اللمحات في أسرار خلق الله سبحانه وتعالى مما يمكن أن يكتشفه الإنسان في المستقبل، كما في مسألة الظلمات الثلاث، وفي قوله تعالى ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾^(٨٢). بحيث يمكن أن نستوحي منها مسألة بصمات الأصابع، أو في قوله تعالى ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾^(٨٣). أو ﴿رَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾^(٨٤). بحيث نكتشف منها كروية الأرض، أمّا أن نقول إن في القرآن كيمياءً وفيزياءً وعلومًا طبيعية فهذا ليس من اختصاص القرآن، فالله سبحانه وتعالى جعل القرآن كتاب هدى وهو يحدثنا عن أسرار خلقه كمظهر من مظاهر عظمة الله ويشير إلى بعض اللمحات العلمية.

أما التفسير الباطني فلا نفهمه. فهو تارة يراد به معنى للفظ غير المعنى الظاهر فنفرض له معنى واحداً. ومن الممكن جداً أن نفهم بعض المعاني من

(٨٢) القيامة: ٤.

(٨٣) الرحمن: ١٧.

(٨٤) المعارج: ٤٠.

اللفظ وتكون لها آفاق واسعة ولها عمق في طبيعة المعنى، وليس عندنا معان ثانية باطنية غير المعاني الظاهرية، فإذا أريد من المعاني الباطنية عمق المعنى الظاهر فكل مفسر قد يفهمه حسب ثقافته، فقوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٨٥). قد يفهم بطريقة وجدانية شعبية، والإنسان الذي يتميز بذهنية فلسفية قد يفهمه بطريقة فلسفية، فإذا أريد من التفسير الباطني التفسير بعمق المعنى، فهذا صحيح.

كفر الشياطين:

□ ما المقصود في قوله تعالى ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾^(٨٦).

هل كان لسليمان شياطين؟ وكيف وصل الناس إليهم؟

■ كان له شياطين من الجن، فهذا ما حدثنا القرآن عنه حيث كانوا يصنعون له ما يشاء من محاريب وتماثيل، وربما كانوا يتمثلون بأشكال الأنس ويصلون إلى الناس من خلال ذلك.

معنى الأزام:

□ ما المقصود بالأزام في القرآن الكريم؟

■ كانت هناك طريقة للحسم في الجاهلية تشبه طريقة القرعة وذلك بالاستقسام بالأزام وهي القداح. كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو تجارة أو نكاحاً أو أمراً من معازم الأمور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها (أمرني ربي) وعلى بعضها (نهاني ربي) وبعضها (غفل) فإن خرج الأمر مضى لنيته التي نواها، وإن خرج النهي امسك، وإن خرج الغفل أجالها عوداً. وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة.

التفسير بالمأثور:

□ ما هو منهجكم في التفسير بالمأثور؟ هل تذهبون للتساهل بأدلة السنن

أم أنكم تتشددون في التدقيق بالرواة؟

(٨٥) الأنبياء: ٢٢.

(٨٦) البقر: ١٠٢.

■ منهجنا هو محاولة استيعاء القرآن والتدقيق في الروايات من حيث وثاقة روايتها، أو من حيث عرضها على المفاهيم العامة الثابتة وخصوصاً في أسباب النزول التي لدينا رأي فيها، فنحن نجد أن أكثرها غير صحيح ولدينا مناقشة للأحاديث التي لا تثبت أمام النقد، فنحن نحاول أن نستوحي القرآن حتى يصبح كما قال الإمام الباقر عليه السلام ((إن القرآن يجري مجرى الليل والنهار ومجرى الشمس والقمر))^(٨٧) ففي تفسيرنا (من وحي القرآن) نحاول أن نجعل الإنسان الذي يقرأ القرآن يشعر أن القرآن يحدثه عن حياته من خلال الإحياءات التي يستوحيها من آيات القرآن، ونحن لا نوافق على التسامح في أدلة السنن لأنها لا حجية لها فلا يمكن الأخذ بمضمونها في التفسير وغيره.

لا تأخذه سنة ولا نوم:

□ يقول تعالى ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾^(٨٨). ومعنى السنة الإغفاءة البسيطة التي تسبق النوم، فالذي لا يأخذه البسيط لا يأخذه القوي، فلماذا لم يقل سبحانه وتعالى لا يأخذه نوم ولا سنة حتى تصبح المسألة طبيعية لأن الذي لا ينام فهو بالتأكيد لا يغفو حتى الإغفاءة البسيطة؟

■ السنة هي مقدمة للنوم لأن الإنسان يبدأ أولاً بإغفاءة بسيطة ثم بعد ذلك تتعمق هذه الإغفاءة إلى نوم، فطبيعة الأمور تقتضي تقديم السنة على النوم، ثم أن القول إن الشخص الذي لا ينام لا يغفو غير دقيقة فقد يكون في وضع صحي معين بحيث تأتيه غفوة ثم ينتبه، أي أن عنده مناعة ضد النوم وليس لديه مناعة ضد الإغفاءة. فبعض المخلوقات قد لا تنام ولكن تأخذها سنة ولأن الله سبحانه وتعالى تنزهه عن مجانسة مخلوقاته فهو ينفي عن نفسه كل حالة من حالاتهم سواء كانت نوماً أو سنة.

الفساد الأول والثاني:

□ يقول تعالى ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾^(٨٩) فهل المقصود بالفساد الأول مملكة إسرائيل التي

(٨٧) البحار. ج ١١. ص ١٢٣. ب ٣٤٦. ح ١٢٢.

(٨٨) البقرة: ٢٥٥.

(٨٩) الإسراء: ٤.

دمرت في عام (٧٢٢) قبل الميلاد ومملكة يهودا التي دمرت في عام (٥٨٦) قبل الميلاد؟ وهل الفساد الثاني هو الكيان الصهيوني الذي انشأ عام ١٩٤٨؟
 ■ المفسرون يقولون إن الفساد الثاني هو فساد إسرائيل الحالية، وبعضهم يتحدث عن فسادين في السابق، والله العالم. المهم إن علينا أن نعمل مهما أمكن حتى نكون من عباد الله الذين هم أولو بئس شديد حتى نخرجهم من بيت المقدس ومن فلسطين كلها ولو بعد حين.

سبع طرائق:

□ ما معنى قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾^(٩٠)

■ إن الله سبحانه وتعالى يتحدث في هذه الآية عن سبع سماوات كما أن هناك سبع أرضين وحتى الآن لم يثبت ذلك ولم يعرفنا الله ذلك، لكننا نأخذ به أخذ المسلمة لأنه ورد في الكتاب الذي لا يأتيه الباطل.

يا أيها النبي اتق الله:

□ ما تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾^(٩١)

■ ليس هناك غموض في الآية، أما ما قد يتوهمه السائل من أن قوله تعالى ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ لا تقال إلا للإنسان الذي يحتاج إلى التقوى من جهة أن حياته في غير خط التقوى فإن هذا غير صحيح، فقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ يعني التزم التقوى باعتبار أن الله أراد أن يخاطب الأمة من خلال النبي ﷺ وأراد أن يبين لها أنه إذا كان أمر النبي ﷺ بها فكيف يكون أمره بالنسبة إليها؟ وقد ورد في الحديث عن بعض الأئمة ﷺ أن القرآن نزل بطريقة ((إياك أعني واسمعي يا جارة)) فالله كان يخاطب الأمة من خلال النبي ﷺ ليعرفها خطورة الموضوع.

معنى (متوفيك):

□ ما معنى كلمة (متوفيك) في الآية الكريمة ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذِهِ الصَّلَافَ فِي يَمِينِكَ﴾

(٩٠) المؤمنون: ١٧.

(٩١) الأحزاب: ١.

مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ»^(٩٢). وهل رفع الله عيسى قبل الصلب أم بعده؟ وهل أخذ أحد حوارى عيسى مكانه في الصلب أم لا؟

■ كلمة (التوفي) مأخوذة من التوفية، والتوفية هي بلوغ الشيء حده. فالإنسان عندما يموت يبلغ حده في الدنيا، وعندما يرتفع إلى الله يخرج من الدنيا بأن يرفعه إليه، فقد بلغ عيسى ﷺ حده. فليست كلمة التوفي تعني الموت وإنما تعني بلوغ الإنسان أجله في الحياة، فقد يبلغ الإنسان أجله في الحياة بأن يموت وينتقل إلى الدار الآخرة، أو أن يرفعه الله إليه، وهذا معنى بلوغه الأجل أي انتهى دوره في الحياة. وهذا أيضاً هو التفسير المعروف للوفاة.

وهناك بعض العلماء والمفسرين يقولون إنَّ الله سبحانه وتعالى قبض روح عيسى ﷺ وهو بين السماء والأرض ثم أحياه ورفعاه إليه. أمّا قضية (شبه لهم) فيرى بعض المفسرين أن الله تعالى ألقى شبهه على شخص آخر، ولكن الظاهر أن قوله عز وجل (شبه لهم) يعني أنه خيل لهم أنهم قتلوه ولكنهم لم يقتلوه ورفعاه الله إليه بقرينة قوله تعالى ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾^(٩٣). فلم يكن هناك يقين يقتله بل إنه خيل إليهم ذلك، والله العالم.

الحاكم التكاثر:

□ كيف تفسرون قوله تعالى ﴿الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ ۖ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۖ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۖ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(٩٤)؟

■ يذكر المفسرون إنَّ مناسبة هذه السورة هي أنَّ الناس كانوا في تلك المرحلة يتنازعون أيهم أكثر عدداً؟ هذه العشيرة أم تلك؟ حتى أنهم زاروا المقابر وراحوا يعدّون قبور موتاهم ليروا هل أمواتهم أكثر أو أموات الآخرين؟ فالله سبحانه وتعالى أراد أن يحطّم هذه المسألة في خطّ القيمة، وأراد أن يقول لهم إنَّ القيمة ليست في التكاثر وليست في الكمّ لكنّ القيمة في النوع ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۖ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۖ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾^(٩٥) فالقضية الأساسية

(٩٢) آل عمران: ٥٥.

(٩٣) النساء: ١٥٧.

(٩٤) التكاثر: ١-٤.

(٩٥) التكاثر: ٣-٥.

والمهمة هي أن تنظروا إلى إمكاناتكم العلمية التي تجعلكم تعيشون اليقين وحق اليقين، وأن تفتحوها على ما أعدّ الله لكم من نعيم. وخلاصة المراد هنا أن يقول الله سبحانه وتعالى لهم إنّ الإيمان والقيمة الإيمانية والروحانية هي الأساس وليس الكثرة.

رددناه أسفل سافلين:

□ يقول سبحانه في (سورة التين) «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ❖ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ❖ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»^(٩٦). فهل المقصود من ردّ الإنسان الكافر أسفل سافلين أنّه كان قبل السورة في أحسن تقويم ثم رده الله ؟

■ إن الآية تتحدث عن خلق الإنسان مقارنة بالمخلوقات الأخرى «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ» من حيث الشكل ومن حيث العناصر التي يتمثل فيها كيانه في كلّ ما تحتاجه حياته من الأجهزة الموجودة في داخل جسمه، ثم بعد ذلك تتحدث عن أنّ الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم أراد منه أن يشكر الله على هذه النعمة. وأن يتحرك في خطّ العلوّ والسمو، فهذا حديث عن الظاهر أي عن الجانب الجسدي والجانب الجهازي.

ثم تتحدث السورة عن الجانب الأخلاقي والجانب العلمي في أنّ هؤلاء يردّون إلى أسفل سافلين إمّا من خلال العاقبة السيئة أو من خلال النار. «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» فإنّ هؤلاء هم الاستثناء لأنهم ساروا وفق ما أراد الله لهم من أن يكونوا في أحسن تقويم من خلال الجسد، وفي أحسن تقويم من خلال الإيمان والعمل الصالح، والله العالم.

□ وهل المقصود من «أَسْفَلَ سَافِلِينَ» أنّ الإنسان يتحول إلى مخلوقات أدنى بالتقمّص ؟

■ لا ليس كذلك، فالمقصود إمّا العاقبة السيئة أو دخول النار، والله العالم.

يصوّركم في الأرحام:

□ يقول تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾^(٩٧). واليوم نرى في موضوع الهندسة الوراثية كيف يمكن التحكم في نوع الجنين وصفاته، فهل هناك شركة للإنسان مع الخالق جلّ وعلا في هذا التصوير، وقد نقل عن الرئيس الأميركي السابق عند اكتشاف الخريطة الوراثية قوله: لقد توصلنا إلى العلم الذي به يخلق الربّ المخلوقات؟

■ إنّ ما تحقق في الهندسة الجينية أو عملية الاستنساخ ليس مشاركة من المخلوق للخالق في الخلقة، فالمسألة هي اكتشاف الأسرار المودعة في خلق الله للأشياء ليس أكثر، أي أن هذه الهندسة الجينية وقفت على سرّ التحكم في كلّ هذه الجينات الموجودة في الإنسان، أي اكتشفت ما وضعه الله في ذلك من القوانين، والله تعالى هو الذي ألهمنا علم التحرك بها، ونحن عندما نتصرّف بالجينات فإنّنا نتصرف من باب ما ألهمنا الله بذلك ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٩٨). فهذا ليس شيئاً انطلقنا به من ذاتياتنا بل إنّ الله علّمنا ذلك من خلال ما هدانا من العلم وعلّمنا ذلك حتى نستهدي بكلّ ما نعرفه من العلم، ولذا فلا توجد مشاركة من المخلوق للخالق في الخلق بل هو اكتشاف القانون، كما أنّ بإمكان الإنسان الآن أن يصنع جسداً ولكنه لا يستطيع أن ينفخ فيه الروح ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(٩٩). ولذلك نرى أنّ هؤلاء الذين اكتشفوا ما اكتشفوا من قوانين لا يستطيعون أن يحفظوا حياتهم فيما اكتشفوه، ولعلكم قرأتم قبل أيام كيف أن أول طبيب زرع القلب مات بذبحه قلبية.

رفع عيسى عليه السلام:

□ حدثت محاورّة بيني وبين مجموعة من الأصدقاء الذين يدينون بالمسيحية، وكانت هذه الآية صلب الحديث ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^(١٠٠). قالوا إنّ المسيح عليه السلام،

(٩٧) آل عمران: ٦.

(٩٨) العلق: ٥.

(٩٩) الأسراء: ٨٥.

(١٠٠) آل عمران: ١٤٤.

وكما تقولون، رفعه الله إليه، وهذا دليل على أنه ليس برسول بل إنه ابن الله حسب قولهم، وقال الآخر: أنا لا أتفق مع رأي الصلب وأنه مات هناك أو رفع إلى الله، كما تظنون انتم المسلمون، بل إن له قبراً في كشمير بعد أن خلّصه بلاطس حاكم فلسطين آنذاك وهرب إلى كشمير ومات هناك، وكذلك يوجد قبر لأمه مريم على جبل هناك، فما رأيكم في ذلك؟

■ إذا فرضنا أن معنى رفع الله لعيسى ﷺ أنه ليس رسولاً كما يقول هؤلاء، فإن الرسول قد يموت وقد يرفعه الله إليه ولا علاقة بين رفع الله له وبين تكليفه بالرسالة، فلقد كان يحمل الرسالة عندما كان في الدنيا فكان رسوله ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾^(١٠١). ثم بعد ذلك رفعه الله إليه بحكمته التي لا نعلمها، وهناك أحاديث تقول إنه سوف يرجع في آخر الزمان مع الإمام الحجة عليه السلام.

أما أنه دفن في كشمير فهذا كلام لا يثبت أمام النقد، وقد رويت روايات كثيرة في التأريخ عن قبور نسبت لأصحابها في غير أماكن وفاتهم. وأما مريم فقد ماتت كما يموت كثير من الناس ولا مشكلة في ذلك.

مجمع الفضائل:

□ في الآية الكريمة: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(١٠٢)، على من يعود الضمير في كلمة (على حُبِّهِ)، هل حب الله أم حب الطعام؟

■ هناك تفسيران، أحدهما يرجع الضمير إلى الطعام، أي حب الطعام، وثانيهما يرجعه إلى الله - أي حب الله .. ولا يبعد أن يكون المراد حب الطعام، أي يُطعمون اليتيم والأسير مع حاجتهم إليه. أما التفسير الثاني بلحاظ إرجاعه إلى الله سبحانه وتعالى فهو محفوظ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾^(١٠٣). وعليه فالفضيلة والكرامة قائمة على التقديرين لجهة أن الإعطاء إنما يكون ذا قيمة إذا كان ما تُعطيه مورد الحاجة، ويكون من

(١٠١) مريم: ٣٠.

(١٠٢) الإنسان: ٨.

(١٠٣) الإنسان: ٩.

باب الإيثار، والإيثار من أعظم الفضائل. وفوق ذلك فإنه إيثار لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته، والله أعلم بحقائق آياته.

معنى الظلمات:

□ ما معنى قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠٣). وما معنى الظلمات؟

■ المراد بالظلمات ظلمة الليل وظلمة بطن الحوت وظلمة البحر. وأما قوله ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ فيعني أن لا نضيق عليه برحمتنا التي وسعت كل شيء، ف(قدر) يعني ضيق كما في قوله تعالى ﴿وَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ (١٠٤) وأما قوله تعالى ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فليس فيه ما يتنافى مع العصمة، لأن الظلم لغة يعني كل ما يتعب النفس ولا يعني المعصية، لأن يونس عليه السلام لم يعص الله، وللبحث مجال آخر.

أهل الذكر من هم؟

□ مَنْ الْمَقْصُودُ بـ (أهل الذكر) في الآية: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٠٥)؟

■ يعني أهل العلم، وقد فسرت بأهل الكتاب، بقرينة أن الحديث عن القرآن ونبوة محمد ﷺ، وكما فسرت بالأئمة في بعض الروايات، بلحاظ أنهم المصدق الأكمل، وهو ما يُعرف بالتفسير بالمصدق أو ما يُسميه السيد الطباطبائي بالجري. وتفسر أيضاً بالعلماء، ولذلك استدل الفقهاء بهذه الآية على رجوع الجاهل إلى العالم. لكن يجب التنبيه إلى أن مراتب العلم تختلف، فقد يكون العالم في أعلى درجات العلم، كما هم الأنبياء والأئمة عليه السلام، وهم المختصون بالشرعية وأحكامها، وقد يكون العالم أدنى مرتبة.

(١٠٣) الأنبياء: ٨٧.

(١٠٤) الفجر: ١٦.

(١٠٥) النحل: ٧٣.

النبي ﷺ لا يشك:

□ ما هو تفسير الآية الكريمة «فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ»^(١٠٧)؟

■ النبي ﷺ لا يشك «والذي جاء بالصدق وصدق به» ولكن الله يخاطب الأمة من خلال النبي، وقد ورد عن الإمام الباقر ﷺ ((إن القرآن نزل بإياك أعني واسمعي يا جارة))، أي إن كان هناك شك في القرآن من قبل المشركين فليسألوا اليهود الذين يملكون التوراة وهم يعرفون النبي ﷺ ويعرفون صفاته وما إلى ذلك، فالخطاب ليس موجهاً إلى النبي نفسه، بل إن الآية الكريمة بصدد الحديث عن الإحالة إلى من له علم بالرسالات والنبوة في حالة الشك، ليتبين له أن النبي ﷺ ليس بدعا من الرسل، وقد بشر به عيسى ﷺ، واليهود يعرفونه بالصفات وفقاً لما أخبرت به التوراة.

معنى أحسن الخالقين:

□ كيف تفسرون قوله تعالى: «ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مَضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»^(١٠٨)؟

■ «خلقنا النطفة علقه» أي من خلال ما أودع الله في النطفة من سر النمو، فهي تنتقل من حال إلى حال، حتى يكون الإنسان في صورته السوية. وقوله تعالى «فتبارك الله أحسن الخالقين» لا يعني أن هناك خالقين غيره وهو أحسن الخالقين، بل يعني أن خلقه في أحسن صورة وليس ثمة خلق أحسن منه، وإلا فليس هناك خالق غيره، فهو يبتدع من لا شيء، ويخلق من العدم. وقد ورد في القرآن الكريم على لسان عيسى ﷺ: «أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ»^(١٠٩) أي أخلق مادة وصورة فيعطئها الله الروح، فهو إن خلقها مادة وصورة فهو يخلقها على صورة الطير، وليس من العدم، وإلا فالخلق مما اختص به الله تعالى.

(١٠٧) يونس: ٩٤.

(١٠٨) المؤمنون: ١٤٠.

(١٠٩) آل عمران: ٤٩.

الاستغفار للكافرين:

□ ما هو الفرق بين قوله تعالى على لسان إبراهيم في قوله لأبيه: «سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا» وقوله لرسول الله ﷺ بالنسبة للمنافقين «إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ»^(١١٠)؟

■ ليس هناك فرق، فقول إبراهيم ﷺ «سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا»^(١١١)، أي أطلب من الله أن يغفر لك، بأن يبعث الهدى في نفسك فيغفر لك «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا»^(١١٢)، وقد قال تعالى «وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنْ إِبْرَاهِيمُ لِأَوْاهٍ حَلِيمٌ»^(١١٣)، أي فلما تبين له خلاف ذلك تبرأ منه، وأما بالنسبة للمنافقين فإنه يعني أن المغفرة لن تفيدهم، لأنهم كافرون «إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ»^(١١٤)، وهؤلاء المنافقون لا يزالون مشركين وإن أظهروا الإيمان.

هل كان المؤمنون في ظلمات:

□ في آية الكرسي «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ»^(١١٥)، نفهم من هذه الآية ظاهرا أن المؤمنين كانوا في بحر الظلمات ثم أخرجهم الله إلى النور والهداية، وكذلك الكفار كانوا في النور ثم أخرجوا إلى الظلمات، فما هو تعليقكم؟

(١١٠) التوبة: ٨٠.

(١١١) مريم: ٤٧.

(١١٢) النساء: ١١٦.

(١١٣) التوبة: ١١٤.

(١١٤) التوبة: ٨٠.

(١١٥) البقرة: ٢٥٧.

■ المراد من ذلك أن الله سبحانه وتعالى هو الذي أعطاهم الهدى الذي أخرجهم من ظلمات الضلال، وذلك بلحاظ ما قبل الهدى الذي جاءهم أو الضلال الذي يمكن أن يقعوا فيه. وكان كثير من المؤمنين في الضلال فأخرجهم الله منه. أما الكفار، فإن الطاغوت هو الذي أوقعهم في الظلمات، لأن الهدى من الله، والكفر من الطاغوت، وقد استجرهم الطاغوت إلى الضلال وأخرجهم من دعوة الله، ومن فطرته التي فطرهم عليها، وهي دين الله. وقد قال تعالى ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾^(١١٥) غير أن الطاغوت أخرجهم منها، ولذلك ورد: ((كل مولود يولد على الفطرة إلا أن أبويه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)).

من هم الأهل؟

□ ما حدود «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ»^(١١٦) ومن هم الأهل؟
■ كل من يصدق عليه أنه من الأهل، وهم الأب والأم والأخوات والأولاد، وربما يُراد به الأوسع من ذلك مثل الأعمام والأخوال، أي بمعنى القريب.

وظائف الداعية:

□ قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(١١٧). هل نفهم من هذه الآية أن هذه هي الوظائف المناطة بكل داعية؟
■ من الطبيعي أن مهمة الداعية هو أن يُبلغ رسالات الله ﴿الَّذِينَ يُلَاقُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾^(١١٨) ورسالات الله هي ما جمعه القرآن من الرسالات، عندما تحدث إلينا عن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ، وتحدث لنا أن الإسلام جمع كل العناصر الحيوية في رسالات الله ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾^(١١٩)، ﴿لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ

(١١٥) الروم: ٣٠.

(١١٦) طه: ١٣٢.

(١١٧) الجمعة: ٢.

(١١٨) الأحزاب: ٣٩.

(١١٩) الأنعام: ٩٢.

رُسُلِهِ^(١٢١). فوظيفة الداعية هي أن يتلو على النَّاس آيات الله، وأن يربِّيهم ويزكي عقولهم، لنُلا يبقى في عقولهم شيء من الباطل، ويزكِّي قلوبهم، لتكون قلوب الصفاء والنقاء، ويزكي حياتهم لتكون في الخطَّ المستقيم على أساس الخير والعدل، ويعلمهم الكتاب ليتدبروا القرآن في مفاهيمه، وفي خطوطه الفكرية، وفي عقائده، وفي شرائعه وامتداداته، بكلِّ ما ينظِّم الحياة الدُّنيا ويقرب النَّاس إلى الله. ومن الكتاب أن يعلمهم السنَّة، لأنَّ الله يقول «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا»^(١٢٢)، لأنَّ السنَّة داخله في عمق الكتاب، فمن لم يأخذ بالسنَّة فقد ترك الكتاب وراءه، ولذلك فإنَّنا نرفض كلَّ الدعوات التي تقول: ((حسبنا كتاب الله))، لأنَّها كلمة حقُّ يُراد بها باطل، وقد قال النبي ﷺ آنذاك: ((أتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لن تضلُّوا بعدي أبداً))، لأنَّه رأى أمارات الضلال تزحف نحو الحياة الإسلامية، ليُقال تارةً ((إن النبي ليهجرك)) وأخرى ((حسبنا كتاب الله)) ونحن نسمع هذه الأيام ((حسبنا كتاب الله)).

إن كتاب الله والسنَّة يتحرَّكان معاً، فتتطوَّر السنَّة من أجل أن توضح ما أُجمل في كتاب الله، وأمَّا الحكمة فهي خطُّ التطبيق، لأنَّ الكتاب يمثِّل النظرية، والحكمة تمثِّل التطبيق، من حيث تطبيق المفاهيم العامة في الكتاب على مفردات حياة النَّاس، وأن نضع الشيء في موضعه، وأن نحركَّ الكتاب في خطِّ الواقع، ولذلك لا يكفي أن تكون لنا ثقافة الكتاب، بل لا بُدَّ أن تكون لنا ثقافة الحياة، حتَّى نعرف كيف نحركَّ كتاب الله في حياة النَّاس، ليتحرَّك النَّاس من خلال الكتاب على الصراط المستقيم.

تدبير النبي يوسف ﷺ لاختوته:

□ قال الله تعالى في قصة يوسف ﷺ «فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ»^(١٢٣). من خلال سياق الآيات السابقة لهذه الآية نفهم أن هناك مكيدة كاها النبي يوسف، حيث

(١٢١) البقرة: ٢٨٥.

(١٢٢) الحشر: ٧.

(١٢٣) يوسف: ٧٦.

وضع السقاية في رحل أخيه وبعد ذلك اتهم جميع أخوته بالسرقة، فكان ذلك نوعاً من البُهتان، وهذا يتنافى مع عصمة النبي، وأضاف إلى ذلك فإن العمل لم يحدث إلا بعد مشيئة الحق، وهذا أيضاً خلاف العدل الإلهي، كيف يمكن حل هذا الإشكال؟

■ ربّما يكون ذلك على سبيل التورية، أو أنّه مجرد توجيه للتهمة من ناحية شكلية على سبيل الاستفهام من أجل الوصول إلى ما توخاه يوسف من إبقاء أخيه عنده.

وقد لا يكون في ذلك أية مشكلة ما دامت الغاية نبيلة والوسيلة لا تضرّ أحداً، لأنّ المسألة لا تعدو أن تكون مجرد ضغط نفسي على أخوة يوسف ﷺ بما يتضمنه الموقف من إحراج لهم أمام أبيهم، من دون أن يؤذيهم في شيء، وفي تلك الحالة يمكن أن نستوحي فكرة أنّ الغاية تجعل الوسيلة أنقى إذا كانت الغاية أعظم من ناحية الأهمية، لأنّها تنقي الوسيلة وتطهّرها، خاصّة وأنّ النداء «قَالُوا نَفَقْدَ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ»^(١٢٤) وهو نداء لم يتضمن السرقة مباشرة، أو ربّما استعملت كلمة السرقة بالمعنى المجازي في المال المفقود الموجود عند الآخرين، ولذلك حاولوا أن يدافعوا عن ساحتهم وبراءتهم، بل يمكن أن يُقال إنّ النداء لم يكن من النبي يوسف ﷺ.

بل إنّ هذا التدبير هو من الله تعالى «كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ»^(١٢٥)، وذلك ليكون مناسبة لأخيه وفقاً لقواعد العقاب التي كانت سائدة، إلى أن ذلك لا يضر، لأنّه لم يلحق الضرر بأخيه الشقيق، لأنّ يوسف ﷺ أعلمه بالأمر «وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^(١٢٦) ولا بأخوته الآخرين. ولذلك فليس في هذا التدبير ما يتنافى مع عصمة يوسف ﷺ، لأنّه ليس من الظلم أو المعصية بالنسبة لأخيه، وليس فيه أيضاً ما يتنافى مع العدل الإلهي، لأنّه لم يلحق الضرر بأحدٍ منهم ولم تُصبهم العقوبة أو ينالهم العقاب.

(١٢٤) يوسف: ٧٢.

(١٢٥) يوسف: ٧٦.

(١٢٦) يوسف: ٦٩.

حملة الاسفار بلا وعي:

□ ما تفسير قوله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾^(١٢٧)، وهل يشمل الذم المذكور غير اليهود؟

■ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ، أي أُريد لهم أن يقوموا بمسؤوليتها ويعملوا بها وينسجموا مع خطوطها، ولكنهم لم يعملوا بذلك، فصار شأنهم ومثلهم مثل الحمار الذي يحمل أسفاراً ولا ينتفع بها، لأنَّ الله سبحانه وتعالى حمَّلهم التَّوْرَةَ ليعملوا بها ويكيفوا حياتهم وفقاً لتعاليمها، إلاَّ أنَّهم أبوا إلاَّ تجاهلها، وبذلك استحقوا وصف الدوابِّ التي تحمل الكتب القيِّمة ولا تنتفع بها، وهذا ينطبق على غير اليهود أيضاً في حالات التخلي عن المسؤولية ونبد الكتاب وعدم العمل به.

هل الجنة للمتقين فقط؟

□ ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١٢٨)، هل نفعهم من الآية أنَّ الجنة يدخلها فقط المتقون والذين ذكرت صفاتهم في الآيات اللاحقة؟ وأنَّ غير المتقي حتَّى لو أعلن إسلامه فهو لا يدخل الجنة؟

■ هذه الآية واردة في مقام بيان أنَّ من يفعل ذلك فإنَّه يستحق دخول الجنة، بمعنى أنَّه يستحقها بعمله، ولكن قد يشمل الله برحمته العاصين أيضاً. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(١٢٩)، ولكن من دون أن يكون ذلك مدعاة للمسلم لإهمال واجباته والتساهل في المعاصي، وإنَّما يلزم المسلم أن يعيش بين الخوف والرجاء، ليكون أهلاً لدخول الجنة التي أُعدَّت للمتقين، بما هيأ الله لهم من جزاء، وإن كان لغيرهم فيها موقع، إلاَّ أنَّه ليس كما هو موقع المتقين.

(١٢٧) الجمعة: ٥.

(١٢٨) آل عمران: ١٨٣.

(١٢٩) النساء: ١١٦.

التنافي بين آية ورواية:

□ كيف نفهم قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(١٣٠) في ظل فكر الإمام الصادق عليه السلام لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين؟

■ يعني منكم من يختار الإيمان ومنكم من يختار الكفر، ولا يعني أن الله خلق بعضكم مؤمنين وآخرين كافرين، فلا تنافي بين قوله تعالى في هذه الآية الكريمة، وما ورد من أنه لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين.

امر النبي بالتقوى:

□ ما معنى قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾^(١٣١)، ما هو تفسير الآية الكريمة هذه، خصوصاً وأننا نعرف مكانة النبي عليه السلام؟

■ أراد الله سبحانه وتعالى أن يبين للنبي عليه السلام الخطأ الذي يُراد من كل عبد لله، والنبي عبد الله، بل إنه في قمة العبودية له تعالى، ولذلك يُخاطبه الله سبحانه بذلك ليأمره بالتزام خطأ التقوى، ولا يعني أنه ليس ملتزماً بالتقوى. والحال نفسه في قوله تعالى ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾. ويمكن أن يقال إن القرآن كان يُخاطب الأمة من خلال خطاب النبي، بمعنى أن هذا الخطاب موجه للناس من خلال النبي عليه السلام، وذلك لأجل بيان أهميته وقد ورد ((أن القرآن نزل بإياك أعني واسمعي يا جارة)).

وقد تحدث الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه عليه السلام ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(١٣٢) فأراد النبي عليه السلام أن يبين أنه لا فرق بينه وبين غيره للتحذير من معصية الله، ومثل ذلك قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١٣٣) وكذلك قوله تعالى ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ❖ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ❖ ثُمَّ

(١٣٠) التغابن: ٢.

(١٣١) الأحزاب: ١.

(١٣٢) الأنعام: ١٥.

(١٣٣) الزمر: ٦٥.

لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ^(١٣٤)، وقد ورد في الحديث أَنَّ عائشة قالت للنبي ﷺ لماذا تُرهِق نفسك في العبادة؟ وكان يقوم الليل، فقال ((أفلا أكون عبداً شكوراً))^(١٣٥) فإذا كان الله قد أعطاني كل هذه النعم وشملني برحمته وفضله، أفلا أكون شكوراً؟

فهذا القيام والصيام والعبادات كلها تعبر عن شكر الله، ولذلك نقول عمّن لا يصلي إنّه كافر بنعمة الله، لأنّ الصلاة تمثّل الشكر العملي لله سبحانه وتعالى، لأنّ شكر الله هو الخضوع له، وشكر الله من طاعته، ومن شكر الله أن يرتفع الإنسان إليه في روحيته والتقرّب إليه.

من هم الصادقون؟

□ قال الله سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١٣٦)، الخطاب موجّه للمؤمنين، فما درجة إيمانهم؟ ومن هم الصادقون الذين أمر الله المؤمنين باتباعهم؟

■ المراد بالذين آمنوا الذين أسلموا عن إيمان وانتموا إلى خطّ الإيمان وانفتحوا عليه في عقائدهم، أمّا الصادقون فهم الذين يتحرّكون بالصدق في الكلمة وفي الموقع، وفي المسؤولية في كلّ قضايا الناس. ولذلك فانظر من تجعله أمامك تأتمر بأمره، وتجعله مثلك الأعلى، فليكن الصادق الذي لا يخونك، والصادق الذي لا يؤدّي بك إلى الضياع. ولذلك ورد أيضاً أنّها فسّرت بالأئمة ﷺ، وذلك من باب التفسير بالمصدق الأكمل.

من هو الهادي؟

□ قال تعالى ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(١٣٧) أنتم تقولون إنّ المقصود هنا هو ولاية عليّ ﷺ، فكيف يكون ذلك وعليّ ﷺ ليس له قوم، فإنّ القوم هم قوم محمد ﷺ وليس قوم عليّ ﷺ بالخصوص؟

■ يقول سبحانه وتعالى في هذه الآية ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾،

(١٣٤) الحاقة: ٤٤، ٤٦.

(١٣٥) بحار الأنوار، ج ٢، ٤٥، ص ٢٣٦، ح ٢.

(١٣٦) التوبة: ١١٩.

(١٣٧) الرعد: ٧.

بمعنى أنك يا رسول الله لست بدعاً من الرسل، لأن لكل قوم هادٍ، وأنت أحد هؤلاء المنذرين الذين تحمّلوا مسؤولية الهداية. وتفسير هذه الآية في عليّ عليه السلام من باب أنه المصداق الأكمل، لأنه الهادي والمنذر، بلحاظ أن عناصر الهداية متوفرة في شخصيته المعصومة، ولذلك كان الخليفة لرسول الله ﷺ .

خشية العلماء:

□ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١٣٨)، كيف يخشون وهم على علم أنه عادل لا يظلم، والخشية ليست من التقوى؟

■ هم يخشون الله تعالى من أجل عدله، لأن الإنسان عندما يعرف أن الله عادل يزداد خشية منه، ومن عدله مؤاخذه المجرم، ومن عدله إثابة المطيع، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(١٣٩)، وعليه، فإن العلماء لا يخشون أن يظلمهم الله، ولكنهم يخشون من عدل الله بلحاظ المعصية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن الآية بصدد بيان أن العلماء بلحاظ علمهم وسعة اطلاعهم أكثر خشية من غيرهم، لأنهم يعرفون عظمة الله في مواقع قدرته، وعدله في مواقع غضبه، فيدفعهم ذلك إلى المزيد من التقوى في الإقبال على الطاعة والبعد عن المعصية.

ذنب النبي ﷺ :

□ ما معنى هذه الآية الشريفة: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾^(١٤٠)؟

■ فُسِّرَ قوله تعالى: ﴿ما تقدّم من ذنبك﴾ أي ذنبك عند أهل مكة، لأن أهل مكة يرون أن النبي ﷺ قد أربك كل حياتهم وأسقط امتيازاتهم، فكأنه عندما فتح الله عليه وقال: ((اذهبوا فأنتم الطلقاء)) فإنهم لا يؤاخذونه على ما تسبب لهم بسبب الدعوة والرسالة، سواء ما تقدّم أو ما تأخر. وقد ذكرت في تفسيري للقرآن (من وحي القرآن) عدّة تفسيرات، ولكن الصحيح أن الأقرب إلى جوّ الآية

(١٣٨) فاطر: ٢٨.

(١٣٩) الزلزلة: ٨٧.

(١٤٠) الفتح: ٢٠.

هو أننا نستوحي من المغفرة معنى الرضوان والمحبة والرحمة، وبذلك لا يتنافى مع عصمة النبي ﷺ.

بكاء السماء والأرض:

□ في سورة الدخان الآية: ٢٩ «فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين» ما هو بكاء السماء والأرض وهل تبكيان على أحد من المخلوقات؟
■ هذا وارد على نحو الكناية، أي أنه ليس لهم قيمة كما نقول (فلان يموت ولا أحد يبكي عليه).

وليس المراد أن للسماء أو للأرض بكاءها بالمعنى الحقيقي، بل المراد من بكاء السماء والأرض عدم الاعتناء بهم وانهم لا قيمة لهم، فهم مهملون.

طغيان الإنسان واستغناؤه:

□ ما هو تفسير قوله تعالى في الآية «كلا إن الإنسان ليطغى» ❖ أن رآه استغنى^(١٤١)؟

■ يعني عندما يصبح الإنسان غنيا فقد لا يشعر بنعمة الغنى فلا يشكر الله عليه، لأن بعض الناس قد يصيبه الطغيان عندما يستغنى، والبعض يفسر الغنى بالأموال، والبعض الآخر يفسره بالقدرة، كما في قصة لقارون «قال إنما أوتيته على علم عندي»^(١٤٢).

التوبة في سن الأربعين :

□ ما تفسير قوله تعالى الآية «حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين»^(١٤٣) فلماذا حدد الله سن الأربعين للتوبة؟

(١٤١) العلق: ٦-٧.

(١٤٢) القصص: ٨٧.

(١٤٣) الأحقاف: ٨.

■ لم يحدد الله التوبة في سن الأربعين، بل أراد أن يبين حالة من الحالات ، باعتبار أن الأربعين هو السن الذي يتوازن فيه الإنسان وتخف عنده عناصر الشهوة وتخف غريزته وينمو عقله و يكثر توازنه وما إلى ذلك.

تبلى السرائر:

□ في قوله تعالى ﴿يوم تبلى السرائر﴾^(١٤٤)، هل صحيح أن الله يكشف أسرار العباد ويعاقبهم على ذلك في يوم الحساب؟

■ البعض يفسر قوله تعالى ﴿يوم تبلى السرائر﴾ بمعنى تتمزق وتتكشف وتهتك بحيث لا يبقى هناك سر، بحسب طبيعة الحساب في يوم القيامة، لأن الإنسان يحاسب على رؤوس الخلائق. وفي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام يقول: ((ولا تكشف عنا ستر سترته على رؤوس الإشهاد ويوم تبلى أخبار عبادك)) فهو يدعو الله أن يستره يوم الحساب حيث تعرض كل الأعمال أمام الناس، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه كان يدعو الناس ويقول ((من كان له عندي مال فليأتني أعطه إياه، ومن كان له عندي حق فليأتني أعطه إياه)) ثم قال ((ولا يقولن أحد إنني أخاف البغضاء والشحناء من رسول الله فأنتهما ليستا من شأني)) ثم قال: ((إن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة)) بمعنى فليطالبنى الناس في الدنيا بما لهم علي حتى لو كان في ذلك فضيحة، وهذا صادر من النبي ﷺ على نحو التعليم لأنه المعصوم من ذلك كله، وبعضهم يفسر قوله تعالى ﴿يوم تبلى السرائر﴾ بمعنى تختبر ليظهر ما فيها من خير أو شر. أما العقاب فهو على العمل الذي تدفع إليه نية السوء لا على النية المجردة كما ورد، ((إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى))^(١٤٥). فالنية هي التي تعطي العمل عنوانه من خير أو شر.

معنى الظن بالقرآن:

□ هناك آية قرآنية تقول ﴿إني ظننت أني ملاق حسابي﴾^(١٤٦)، هل نفهم من سياق هذه الآية أن الإنسان لا يصل إلى مرحلة اليقين بيوم الحساب؟

(١٤٤) الطارق: ٩.

(١٤٥) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٢٣٤ ب ٢٢ ج ١.

(١٤٦) الحاقة: ٢٠.

■ أولاً: يكفي الإنسان لدرء المفسد والمخاطر ظنه، بحيث يكون هناك ترجيح لحالة على حالة.. وهذا امر طبيعي إذ قد يحذر الإنسان من شيء خطر ولو ظن بوجوده ويستعد لمواجهة. وثانياً: فإن الظن قد يراد به اليقين فيكون قوله إني ظننت أي اعتقدت وتيقنت ذلك.

أمنية النبي ﷺ:

□ ورد في القرآن قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾^(١٤٧)، فما هو المقصود بذلك، وكيف ينسخ الله ذلك؟

■ هناك عدة تفسيرات، فقد فسر ذلك بأن الأمنيات التي يتمناها النبي ﷺ إنما يلقي الشيطان فيها بمعنى أنه يقف حائلاً دون تحقيقها وذلك عن طريق أنصاره ومحازبيه. وقد تفسر بأن الشيطان إنما يلقي في أمنية النبي ﷺ بمعنى يخطر في ذهنه بما يعيق عمله وطموحاته عبر الوسوسة ولكن هذا على مستوى الخطور فقط، والأمر فهو العالم الذي تتحرك معه الملكة الروحية الأخلاقية العاصمة لتطرّد خطرات الشيطان. ولذلك فإنّ هذا لا يتعارض مع العصمة.

معنى شهود الشهر:

□ ما معنى قوله تعالى ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(١٤٨)، هل يعني الحضور أو رؤية الهلال؟

■ المقصود به الحضور، فقوله ﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾ يراد به الحضور مقابل السفر يقال (شهد الجمعة) أي حضرها، ولذا قال ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

التعبير بالجمع :

□ قوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١٤٩) كيف نفسر كلمة (هم) في معنى الجمع وهي

(١٤٧) الحج: ٥٢.

(١٤٨) البقرة: ١٨٥.

(١٤٩) المائدة: ٥٥.

للمفرد؟

■ الآية الكريمة بصدد إعطاء القاعدة الكلية_ ولكن هذه القاعدة الكلية انحصرت في فرد وهو الإمام علي عليه السلام ولذلك يصح إعطاء حكم كلي والإخبار بمعرف جمعي في لفظ الجمع لينطبق على من يصح أن ينطبق عليه_ ثم لا يكون المصداق الذي يصح أن ينطبق عليه إلا واحداً فرداً. وهذا مما لا تأباه اللغة والأسلوب الأدبي.

ثانياً: مسائل عامة:

شبهات حول القرآن:

□ تثار اليوم شبهات كثيرة حول القرآن الكريم بسبب ثغرات متجذرة لم يلتفت إليها المفسرون، علماً أن أصحاب هذه الشبهات هم من أهل الشهادات والاختصاص في اللغة والألسنيات بحيث عجز مفكروننا عن الرد عليهم مما وضعنا أمام قرآن لم نسمع به أبداً؟

■ أن يثير الآخرون الشبهات في الحاضر فهذا ليس أمراً مستغرباً فلكلّ ثقافته، ولا سيما الذين يريدون أن يخضعوا القرآن للطريقة الغربية في الألسنية والتي لا نريد أن نستهلك النيل منها، ولكننا نقول إنّ طريقة فهم اللغة لا بد أن تخضع لقاعدة علمية بحيث يمكن للذين يقرأون اللغة أن يفهموها من حيث طريقة التفاهم بين الناس.

أمّا الحديث عن أن مفكرينا عجزوا عن الردّ فهذا الكلام غير دقيق، فلقد التقينا ببعض هؤلاء المفكرين الذين أثاروا الشبهات ورأينا أنهم لا يملكون الكثير من قوة الحجّة فيما أثاروا من الجدل وانطلق الآخرون في ردّهم بالتكفير. ونحن نقول إنّ كلّ صاحب فكر لا سيما إذا كان يخضع للشبهة لا يجوز لنا ان نطلق كلمات التكفير ونستهلكها ضده، بل لا بدّ لنا أن نناقشه. واعتقد أن هذه الشبهات نوقشت من قبل أكثر من مفكّر إسلامي، وأنا أدعو الاخوة الذين قرأوا هذه الشبهات أن يقدموا أسئلتهم في هذه الندوة حتى يمكن لنا أن نناقشها ونعالجها ليستفيد منها الجميع.

علم الأولين والآخرين:

□ جاء في حديث شريف عن القرآن ((من أراد علم الأولين والآخرين فليقرأ القرآن))^(١) فما هو المراد بعلم الأولين والآخرين؟

■ ليس المقصود ب((علم الأولين والآخرين)) الكيمياء والفيزياء والاقتصاد، بل العلم الذي يعطيهم البرامج والمناهج الإيمانية والسلوكية التي تقرّبهم إلى الله

سبحانه وتعالى، وتنظم لهم حياتهم في القيم التي يؤمنون بها وما إلى ذلك لأن القرآن دعوة إيمانية شاملة ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾^(٢). وقد جمع العناصر الأساسية الموجودة في كل الكتب التي أنزلها الله سبحانه وتعالى إلى الناس.

الاقتصار على القرآن كمرجع:

□ إن القرآن قد بين أموراً كثيرة، وعلى الرغم من هذا فإننا نجد الكثير من الأمور التي بينها النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ فهل يا ترى - كما فهمت من كلامكم - يكفينا القرآن وحده كمرجع؟

■ كيف تفهم من كلامي هذا، والله تعالى يقول ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٣)؟ فالقرآن ذاته يقول خذوا ما جاء عن الرسول ﷺ وأما ما جاء عن أهل البيت ﷺ فكما ورد في حديث الإمام جعفر الصادق ﷺ ((حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث رسول الله وحديث رسول الله عن الله))، فالأئمة ﷺ إنما ينطلقون من خلال رسول الله، ولذا نحن نقول بأن الأئمة ليسوا مجتهدين، وإن الفرق بيننا وبين بعض الناس انهم يقولون بأن مذهب الإمام جعفر الصادق ﷺ يعني اجتهاد الصادق في حين أن الإمام ﷺ والأئمة من قبله ومن بعده عاشوا وعرفوا عمق وعلم رسول الله ﷺ وقدموه إلينا صافياً كما هو في نبعه، وهم المعصومون الذين لا يخطئون، لذلك كله نرجع للقرآن في كل ما جاء به رسول الله ﷺ أو الأئمة من آل بيته ﷺ لنعرضه عليه لاسيما وقد كثرت الكذابة عليهم. ونحن نلتزم بما جاءت به العترة لقوله ﷺ في حديث الثقلين ((وعترتي أهل بيتي)) وقوله ﷺ ((مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى)) ونحن نستهدي القرآن عندما نأخذ بسنة رسول الله ﷺ ونستهدي رسول الله ﷺ عندما نأخذ بأحاديث أهل البيت ﷺ.

الآيات القرآنية في غرفة النوم:

□ هل وضع الآيات القرآنية في غرف النوم جائز أم غير جائز؟
■ جائز، بل ضروري حتى يبقى الإنسان منتبهاً للجو الروحي حتى في

(٢) آل عمران: ١١٩.

(٣) الحشر: ٧.

غرفة النوم.

مس المضرب لقرص فيه القرآن:

- هل يجوز للمجنب مس قرص كمبيوتر مسجل عليه القرآن الكريم؟
- هذا ليس فيه كتابة بمعنى الكتابة ولكن الاحتياط بعدم المس أفضل.

نسخ الحديث لبعض الآيات:

- هل ينسخ الحديث الشريف بعض الآيات القرآنية؟
- هناك بعض النظريات التي تقول إن من الممكن جداً أن ينسخ القرآن كما هو رأي بعض الأعلام، وهناك رأي يقول إنه ليس هناك نسخ لأي حكم في القرآن، أي لا ينسخ القرآن إلا بالقرآن، وإن خُيل للبعض ذلك من خلال بعض التعبيرات بأن هناك نسخاً، ولكن التدقيق فيها يوحى أنه ليس هناك نسخ. نعم قد ينسخ الحكم، والفرق كبير بين أن ينسخ القرآن وبين أن تنسخ بعض الأحكام مثل توجيه القبلة حيث كانت إلى بيت المقدس ونزلت الآية: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾^(٤). وهذا بحث معمق، فمن أحب أن يطلع عليه نحيله إلى كتاب (البيان في تفسير القرآن) لأستاذنا السيد الخوئي ؑ.

الوفاء بنذر قراءة القرآن للحائض:

- في ذمتي نذر بأن أقرأ ختمة قرآن فور وصولي إلى سوريا، فهل لي أن أقرأ القرآن دون لمس الكتابة وأنا حائض؟
- يجوز لك ذلك.

قراءة القرآن بدون وضوء:

- هل يجوز قراءة القرآن بدون وضوء، وإذا كان الجواب ب(لا) فما حكم الذين يقرأون بدون وضوء؟
- لا يجب الوضوء لقراءة القرآن بل يستحب، نعم لا تمس كتابة القرآن بدون وضوء احتياطاً، فحتى الحائض يجوز لها أن تقرأ القرآن وكذلك الجنب.

تكرار القصة في القرآن:

□ يتكرر في القرآن ذكر القصة على نحو مختلف، وقد يكون هناك شبه تعارض في الوصف، فما هي الحكمة في عرض القصة بعدة صور؟

■ إن القرآن ليس كتاب تاريخ، وليس كتاب قصة لقضاء الوقت، ولكنه كتاب عبرة ودرس ووعد ووعيد «لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ»^(٥) وفي أقاصيص الأمم السابقة وقصص الأنبياء ﷺ عدة جوانب، ولذلك قد يأخذ القرآن القصة كلها لأن الفكرة لا تتضح إلا بكل عناصر القصة، وقد يأخذ بعض القصة لأن الحاجة إلى فكرة أخرى يستدعي الحديث عن هذا الجانب من القصة، وربما ينقل القرآن القصة بمفرداتها، وربما ينقلها باحياءاتها التي يمكن أن يستوحىها الإنسان.

أسماء الانبياء في القرآن:

□ لماذا لم يذكر الله أسماء الأنبياء كلهم في القرآن الكريم؟

■ ربّما لا ضرورة لأن يذكرهم الله كلهم، فقد ذكر بعض الأنبياء ممّن له بعض الخصائص، التي يريد للناس أن يعرفوها، أمّا الأنبياء الآخرون الذين لا يتميّزون بخصائص بحسب مجتمعاتهم أو التحديات التي واجهتهم أو ما أشبه ذلك، فربّما لا ضرورة لذكرهم، والله أعلم بحقائق كتابه.

هل القرآن من وضع النبي(ص)؟

□ هناك أشخاص مقربون مني يقولون بأن القرآن الكريم عبارة عن قصص أتت بما يتناسب مع الواقع آنذاك من قبل النبي ﷺ بحيث أنه كان عملاقاً في عصره وهي أمور عادية؟

■ ليس الأمر كذلك، ومن ادعى أنه من وضع النبي ﷺ فعليه أن يقدم الدليل. فهذه القصص من الأمور التي تلتقي عليها الأديان وهي حقائق تاريخية منطلقة من الواقع بحسب العناصر المكونة وليست شيئاً إبداعياً من خلال الفن القصصي الذي يتخيّل الأحداث ولذلك فإن قيمة القصة تتحدد

بقيمة الواقع في ذاته، كما أن هناك الكثير من القرائن والمعطيات التي تؤكد أن هذا القرآن مما لا يمكن أن يبتدعه النبي ﷺ نفسه.

تلاوة آية السجود تكراراً:

- ما حكم تكرار آية السجدة من قبل الأستاذ، هل يسجد الطالب كلما سمعها أو إذا قرأها حينما يطلب الأستاذ منه ذلك؟
- يكفي ولو بالإيماء إذا كان هناك حرجاً في السجود على الأرض أو على الطاولة.

الفصل الثاني

المسائل العقيدية

مسؤولية العلماء العقائدية:

□ لقد بذل العلماء الشيعة الجهد الكبير في تثبيت العقيدة ما بين المنكرين، فأين مسؤوليتهم اتجاه حامل العقيدة؟ ألا يحتاج هذا الأمر إلى المزيد من البحث والعمل لتكون المسؤولية مكتملة في الجانبين؟

■ أية مسؤولية إزاء حامل العقيدة؟ فقد تكون اقتصادية، فالعلماء لا يملكون تحقيق متطلبات هذا الجانب وهي كثيرة، وقد تكون سياسية وهنا يختلف العلماء فمنهم من يأخذون بأسباب السياسة ومنهم من عندهم مسار، معين وقد تكون رعاية عملية فإن العلماء بذلوا في هذا المضمار جهوداً لا تنكر وما زالوا يفعلون، وإن كنا نطمح لأكثر من ذلك، والحديث الشريف يقول: ((من أصبح لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم))^(١) فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

معرفة الله والخوف منه:

□ جاء في دعاء الصباح ((من ذا يعرف قدرك فلا يخافك)). فما هو المقصود من ذلك؟

■ المقصود أنه لا يخاف عقوبة الله بمعرفة عظمته في مقابل الذين يجهلون قدر الله حق قدره فلا يخافون منه بل يتمردون عليه ويتجرأون على معصيته. فالإنسان عندما يتصور الله سبحانه وتعالى في مواقع عظمته وكبريائه وجبروته يخافه، ولذا جاء في الحديث ((خف الله خوفاً لو أتيت بحسنات الثقلين لعذبك وأرج الله رجاء لو أتيت بذنوب الثقلين لعفا عنك))^(٢). وفي الحديث ((ما من مؤمن إلا وفي قلبه نوران: نور خيفة ونور رجاء لو وزن هذا ما زاد عن هذا ولو وزن هذا ما زاد عن هذا))^(٣). ومن هنا نعرف معنى قوله تعالى «إنما يخشى الله من عباده العلماء» فخشيته من خلال معرفتهم لقدره.

(١) الكليني: الكافي. ج. ٣. ص ١٥٦. ح. ٣.

(٢) الكليني: الكافي. ج. ١٦. ص ١٦٥. ح. ٣٢.

(٣) الكليني: الكافي. ج. ٢٢. ص ١٠٣. ح. ٢١.

نسبة الأعمال:

□ من المعاني الإيمانية الرفيعة أن يرجع الإنسان الفضل كله لله فيقول مثلاً شكري لله هو بذاته نعمة تستوجب الشكر، أو أنه يقول لولا توفيق الله لما قمت بهذا العمل، لكننا عندما نناقش الآخرين عن الاختيار والجبر نقول بأن للإنسان إرادة يفرق فيها بين الخير وبين الشر، فإلى أي حد يمكن للإنسان أن يوفق بين المعنيين؟ وهل يحق له أن ينسب بعض الأعمال لنفسه؟

■ صحيح أن الأعمال كلها لله ولكن الله أعطانا الإرادة في خلقنا وفي وجودنا لتحقيق هذا العمل أو ذاك، وهذا هو الأمر بين الأمرين أي لا جبر ولا تفويض. والله سبحانه وتعالى أعطانا الحرية ولم يفوض الأمر كله إلينا فقد ترك الخيط بيده، وهو الذي أعطانا القوة وأعطانا الإرادة والحرية في استعمال هذه القوة. ولهذا يمكن أن ننسب العمل لله باعتباره سبب الأسباب وواهب القوى وهو العمق في ذلك كله، ويمكن أن ننسبها إلى أنفسنا باعتبارها صادرة عن إرادتنا التي خلقها الله لنا.

العمل الصالح والشفاعة:

□ إذا كان المنقذ الوحيد للإنسان يوم القيامة هو عمله الصالح، كما هو صريح الآيات، فلماذا جعلت الشفاعة وسيلة للمغفرة؟

■ في آخر حياة النبي ﷺ عندما نعت إليه نفسه خطب الناس فقال ((لا يتمنّ متمن ولا يدعي مدع ألا إنه لا ينجي إلا عمل مع رحمة)). وهي رحمة الله التي وسعت كل شيء، فالعمل هو الأساس وهو الذي يؤكد استحقاقك للعذاب إن كان سيئاً وللثواب إن كان حسناً، ولكن رحمة الله تأتي بعد ذلك إما بطريقة الشفاعة أو بطريقة المغفرة، ولكن «وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى»^(٤). فالشفاعة بيد الله وهو الذي يشفع أنبياءه وأوليائه حسب الخط الذي رسمه لهم.

الإيمان بالأنبياء ﷺ:

□ كما هو معلوم لدى جميع المسلمين أن الأنبياء ﷺ (١٢٤) ألف نبي، والمعروف منهم فقط هو ٢٥ نبياً ذكروا في القرآن الكريم، ويشترط علينا

كمسلمين أن نؤمن بهم جميعاً، ونحن لا نعرف من أخبارهم إلا القليل، وأما الآخرون فلا نعرف حتى أسماءهم، فكيف يتم الإيمان بهم؟

■ نحن نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى أرسل رسلاً قصصهم على رسوله ورسلاً لم يقصصهم عليه، أي أننا نؤمن بهم إيماناً إجمالياً «لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ»^(٥). فنحن نؤمن بالرسول كلهم، وبالرسالات كلها، وإن لم نكن نعرفها بالتحديد والتفصيل، فالله لا يكلفنا معرفة ما لم يرد أن يعرفنا من الرسل الذين لم يقصصهم على رسوله ﷺ فَلَمْ نَكَلِّفْ أَنْفُسَنَا بِذَلِكَ؟

عقوبة الخلود في النار:

□ كيف يعاقب الإنسان بالخلود في النار بناء على معصيته في فترة معينة محددة زمنياً، فالمنطق يقتضي أن يعاقب العاصي حسب الفترة التي عصى فيها مثلاً (٥٠) سنة أو (٦٠) سنة لا أن يخلد في النار أبداً؟

■ هل يريد السائل أن يقول إنه لا بد أن نقيس زمن العقوبة بمدى الزمن الذي ارتكبت فيه المعصية؟ فإذا قتل شخص شخصاً فإن عملية القتل قد لا تستغرق لحظة بحيث يطلق عليه الرصاص فيسقط لحينه ميتاً، فلماذا يحكم على القاتل بالإعدام أو بالسجن المؤبد؟ أليست العقوبات في الدنيا - من حيث الزمن - أطول من فترة ارتكاب الجريمة؟

صحيح أن الخلود في الدنيا هو أقل من الخلود في النار في الآخرة ولكن الجريمة في عالم العقاب لا تقاس بحجم الزمن، وإنما تقاس بحجم النتائج السلبية التي تترتب عليها وعلى حجم التجاوز على القانون الإلهي، ولذلك يختلف العقاب باختلاف الجريمة، والله سبحانه وتعالى قد بين للناس أن لكل جريمة عقاباً، فهو سبحانه يقول «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا»^(٦). وهو قتل لنفس واحدة ولكن لفساد الجرم شبه القرآن القتل من غير قصاص أو فساد بقتل الناس أجمعين، ولذا فإن ما يترتب على انتهاك حرمة النفس المحترمة أن تكون العقوبة جسيمة.

(٥) البقرة: ٢٨٥.

(٦) المائدة: ٣٢.

وهناك نقطة أخرى يجب أن نعرفها وهي أن الآيات والأحاديث التي تتحدث عن الخلود في النار إنما تشير إلى عالم الاستحقاق، أمّا في عالم الفعلية فقد تدرك رحمة الله تعالى العبد في أية لحظة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٧). وما يدري الإنسان فقد تأتيه الرحمة والمغفرة أو لا تأتيه ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٨). والله العالم.

في الجبر والتفويض:

□ ما معنى ((لا جبر ولا تفويض بل هو أمر بين أمرين))^(٩)؟

■ لا جبر لأنّ الله أعطى الإنسان الاختيار، ولا تفويض لأنّ الله سبحانه لا يزال مهيمنا على الإنسان وقادرا على أن يمنعه من الحركة، ولذلك فإنّ هناك نوعا من أنواع التفويض باعتبار أنّ الله ترك للإنسان حرية الاختيار، وشيئا من الجبر لأنّ قدرة الإنسان لا تزال تحت قدرة الله تعالى، وبهذا التوازن بين الحركتين: التفويض والجبر تستقيم حركة الحياة، وإلاّ فكيف ستكون الأمور لو رفع الله يد القدرة عن الكون والحياة وترك للإنسان يتصرف بهما بقدرته بشكل مطلق؟!

القسمة والنصيب في الزواج:

□ هل للقسمة، كما عند العرف، دخل في التزويج؟

■ القسمة هي ما قدرّ الله تعالى للإنسان أن يحصل عليه في مستقبل حياته، ولكن قد تكون باختيار الإنسان، فقسمتك تعني أنّ الله قسم لك ذلك بالأسباب الموجودة بين يديك، أو الموجودة في الواقع. وقد تكون الأسباب اختيارية في بعض الحالات وقد لا تكون اختيارية، فالقسمة لا تمنع الاختيار، ولذلك فنحن نؤمن أنّ هناك رزقاً تسعى إليه وآخر يسعى إليك، وقد يكون الرزق الثاني كإثابة دنيوية على بعض الأعمال الصالحة كالبر بالوالدين أو صلة الرحم وما إلى ذلك، وقد قلنا بأنّ الزواج اختيار، وهذا ما أكّد عليه الحديث الشريف ((تخيروا

(٧) النساء: ٤٨.

(٨) الأعراف: ١٥٦.

(٩) الكافي، ج ١، ص ١٦٠، ح ١٣.

لنطفكم فإن العرق دسّاس)).

البلاء الذي يصاب به المؤمن:

□ عن أبي عبد الله الصادق (ع) ((ان البلاء على المؤمن أسرع من المطر إلى قرار الأرض))^(١١) ونحن نرى أنّ المؤمن في كلّ عصر يتعرض إلى أنواع من الابتلاء، فما هو البلاء الذي يعيشه المؤمن في هذا العصر؟

■ ليس هناك بلاء محدد في هذا المجال فالمؤمن معرض لجميع الابتلاءات ولكنه لا يبتلى في إيمانه ولا يبتلى في عقله كما ورد في بعض الأحاديث، ولكن قد يبتلى بماله أو بأهله أو بعوارض الدنيا الكثيرة كما هو الابتلاء بالصحة كابتلاء أيوب (ع) أو الابتلاء بفقدان الأحبة كابتلاء يعقوب (ع)، أو الابتلاء بحاسد يحسده كابتلاء يوسف (ع)، فلا تجد مؤمناً خالياً من الابتلاء، بل حتى النعمة قد تكون ابتلاء بمعنى أنّ الله سبحانه يختبر بها من يسبغها عليه ليرى هل يشكر أم يكفر؟! وأمّا ابتلاء المؤمن في هذا العصر فبثباته على دينه، وصبره على مواجهة التحديات، وتحملّه للمسؤوليات.

وأمّا وسيلة الثبات والنجاة فهي أن يكون الإنسان على ثقة من إيمانه العميق فإن من الطبيعي أن يتجاوز الامتحان بنجاح، فالله أراد للمؤمن أن يصبر على البلاء حتى يواجه الحياة من خلال المسؤولية، يقول تعالى ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(١٢).

قدسية الحجر الأسود:

□ ما هو منشأ قدسية الحجر الأسود الموجود في الكعبة؟

■ قدسيته ناتجة من أن الله جعله مقدساً، وهناك روايات تتحدث عن أنه جيء به من الجنة، لكن قدسيته هي بأن الله تعبدنا به ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(١٣). سواء فهمنا ما وراء ذلك أو لم نفهم.

(١٠) الكافي، ج ٢، ص ٩٢، ح ٢٠.

(١١) لقمان: ١٧.

(١٢) الأحزاب: ٣٦.

شدة احكام المرتد:

□ ما هو وجه الحكمة في أن احكام المرتد أعظم من احكام الكافر؟
 ■ ذلك لأن المرتد يمكن أن يوجد نوعاً من أنواع الاهتزاز والارباك للمجتمع المسلم، أي أنه إذا كان مسلماً وارتدّ، مثلما كان اليهود يفعلون حيث يؤمنون وجه النهار ويكفرون آخره، فربما كان للارتداد هنا دور في خلخلة طبيعة النظام .. وليس له دخل في حرية الفكر، فهو يوجب إخلالاً في النظام، والإسلام لا يمانع إذا كان الإنسان مرتدّاً بنفسه، ولكن إذا لم يعلن ارتداده فليس عليه شيء، اما عند إعلان الارتداد فالعلماء مستعدون لأن يجلسوا معه ليحاوروه، فإذا أقنعوه فيها وإن لم يقنعوه فلا حجة عليه.

ظن الكافر:

□ لماذا يخلق الله الكافر وهو يعلم أنه يذهب إلى النار؟
 ■ لقد خلق الله سبحانه وتعالى الكافر كأبي مخلوق آخر فالخلق لا يؤدي إلى ذهابه إلى النار، فقد جعل الله له إرادة وعقلاً وبعث له الأنبياء ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ فأبي ظلم في هذا؟ ولتقريب الفكرة لنفرض أن تلميذاً أدخل إلى المدرسة ولم يدرس جيداً فرسب في صفه، فهل نقول إن الحق على الناظر؟ فما دامت الإرادة موجودة والله أعطاه عقلاً فلا ظلم في هذا.

الأقوام التي لا يصلحها نذير:

□ ما هو حكم الأقوام التي لم يصلحها نذير؟
 ■ يقول تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(١٣). فإذا لم يصل لشخص نذير لم يكن لديه طريق للمعرفة فالله يحاسبه على ما يتوصل إليه عقله.

التقية في زماننا:

□ هل التقية واجبة في الزمان الذي نعيش فيه؟
 ■ إن التقية هي الأسلوب الذي تحمي فيه نفسك أو خطك وهذا يختلف

من زمان لزمان ومن مكان لمكان، فقد تكون في أماكن واجبة وقد تنتفي في أخرى.

من وصله الإسلام بشكل خاطئ:

□ هناك من وصل إليه الإسلام بصورة سيئة جداً حيث ينفر كل من سمع هذه الصورة، فما مصيره يوم القيامة؟

■ إذا كان قادراً على أن يبحث وأن يتفحص وأن يتعلم فلا عذر له ((يؤتى بالإنسان يوم القيامة فيقال له لِمَ لَمْ تعمل؟ فيقول لم أعلم، فيقال ألا تعلمت؟))^(١٤) فكل من كان قادراً على البحث والتعلم والاستقصاء فله الحجة عليه يوم القيامة، أما الشخص الذي يعيش في متاهة أو في أماكن نائية وليس عنده مجال للتعلم كلية فإله سبحانه وتعالى يحتج عليه بما عرف ولا حجة له على ما لم يعرفه.

صفة العدل كاستثناء:

□ لماذا صفة العدل التي هي من صفات الله سبحانه وتعالى استثنيت من بقية صفات الله كالحق والرحمن والسلام وغيرها وعدت عند الشيعة من أصول الدين؟

■ إن التركيز على العدل كصفة من صفات الله سبحانه وتعالى باعتبار أن هناك خلافاً بين الأشاعرة وبين العدلية في مسألة الحسن والقبح العقليين، أي هل للعقل أن يحكم بحسن الأشياء وقبحها؟ أو أن العقل ليس له دخل في ذلك؟ فالحسن ما حسنه الشرع والقبح ما قبحه الشرع. وعلى هذا الأساس طرحت هذه المسألة فالأشاعرة يتساءلون: هل يقبل الحكم بالظلم على الله أم لا؟ والعدلية يقولون: إنّه يقبح عليه ذلك لأنّ العقل يحكم بقبح الظلم من الله. فالأشاعرة يستبعدون العقل عن ذلك ولا يقولون بظلم الله لكنهم ينفون العقل كمعيار لذلك، أي أنّ العقل لا يستقل بهذا الجدل حول الحسن والقبح العقليين. ومسألة العدل والظلم إحدى مفرداته، فسمي هؤلاء بالعدلية لقولهم لأنّ العقل يحكم بالعدل والظلم. وهذه المسألة ليست من أصول الدين بالمعنى الذي يخرج

الإنسان عن الدين بعدم اعتقاده بها فهي نظرية فكرية.

محاسبة الله الناس على قدر عقولهم:

□ ما هو الدليل على أن الله عز وجل يحاسب الناس على قدر عقولهم؟ وكيف يكون ذلك ورجال العلم أنفسهم أحياناً قد يوصلهم تفكيرهم إلى الكفر بالله؟

■ أما ما هو الدليل فأولاً: هناك الدليل العقلي وهو أن العقل حجة الله على الناس، كما ورد في الحديث ((إن الله عندما خلق العقل قال له: اقبل فاقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعزاً أو أحب إليّ منك إياك أمر وإياك أنهى وبك أثيب وبك أعاقب))^(١٥) لأن طبيعة العقل تفرض أنه هو الذي يحرك الإنسان في أفعاله كلّها، فأنت تعمل بقدر حجم عقلك، ووعيك للعمل وقيّمته هو أكبر من العمل ذاته، ولذا جاء ((ركعتان يصليهما العالم أفضل من عبادة سنة يصلّيها العابد))^(١٦) أي من الذي يصلّيها وليس عنده معرفة بالله.

العصمة لا تتجزأ:

□ تقولون بالعصمة للنبي والأئمة قبل تسلّم منصب الإمامة وبعد ذلك، في الأحكام الشرعية والموضوعات الخارجية، باعتبار أن الشخصية لا تتجزأ، ولكننا نرى أن الإمام تارة يغضب لله عند الحرب، وتارة يتلطّف إلى المؤمنين حتّى يطمع فيه الأعداء، ألا ترى أن الغضب، تارة والحلم تارة أخرى يجرئ الشخصية؟

■ لا، لا تتجزأ الشخصية وكذلك العصمة، لأن الغضب في موضع، والحلم في موضع آخر، لا يعني أن العصمة تتجزأ، فالإنسان إذا غضب في مواضع الغضب فهو مما تقتضيه طبيعة الأشياء، كما في الحرب والغضب للحق، وإذا حلم في مواقع الحلم كما لو حلم عن المسيء، فهو أيضاً مما تقتضيه الأمور، وهذا ما نسميه بالتوازن، وهذا هو ما نغنيه بالشخصية الموحدة التي لا تتجزأ. نعم، لو غضب في غير محل الغضب وحلم في غير مواضع الحلم كان ذلك من الإخلال

(١٥) بحار الأنوار. ج. ٩. ب. ٢٣. ص. ١٢٤. ح. ٧.

(١٦) بحار الأنوار. ج. ٣. ب. ١٢. ص. ٢٣٤. ح. ١٢.

بالشخصية وعلامة على عدم توازنها. ولذلك كان الإمام عليّ عليه السلام يقول: ((الذليل عندي عزيز حتى أخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى أخذ الحق منه)).

عوام الكفار وعلمائهم:

□ يقول الإمام الخميني عليه السلام في (كتاب البيع) ((إن الكفار كجهال المسلمين، منهم قاصر وهم الغالب، ومنهم مقصر، والتكاليف أصولاً وفروعاً مشتركة بين جميع المكلفين، عالمهم وجاهلهم، قاصرهم ومقصرهم، والكفار معاقبون على الأصول والفروع لكن مع قيام الحجة عليهم مطلقاً، فكما أن المسلمين معاقبون على الفروع ليس معناه أنهم معاقبون عليها، سواء كانوا قاصرين أو مقصرين فالكفار كذلك)). وقد ذكر الإمام الخميني أن الكفار عوامهم وعلمائهم قاصر إلا ما ندر، وذلك بحكم النشأة والتربية، فما هو تعليقكم؟

■ هذا صحيح، لأن القاصر على قسمين، فهناك قاصر ليس له وسيلة للتعلم، مثل الناس الذين يعيشون في مجاهل أستراليا وأفريقيا، بحيث لا يصل إليهم شيء من الحضارة أو العلم، ولا يعرفون أن هناك اختلافاً بين الناس، وهناك القاصر الغافل، وهو الذي نشأ معتقداً أنه على حق مائة بالمائة، ولا يحتمل ولو بنسبة ضئيلة بأنه على غير الحق وأن الحق مع غيره. والغافل قاصر، لأن الإنسان الذي يعتقد بصحة عقيدته لا يمكن أن يقول له عقله عليك أن تبحث، وعليه، فلم تقم عليه الحجة من عقله، أما قضية أن الكفار مكلفون بالأصول والفروع معاً، فهذا مورد خلاف بين الفقهاء، ورأينا ورأي أستاذنا السيد الخوئي أن الكفار ليسوا مكلفين بالفروع وإنما هم مكلفون بالأصول، وإن آمنوا فهم مكلفون بالفروع، وهذا بحث فقهي لا مجال لبحثه على نحو مفصل في المقام.

أهل السماء لا يبقون:

□ وعندما ودع الإمام الحسين عليه السلام زينب عليها السلام في يوم العاشر من محرم قال لها ((اعلمي أن أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون))^(١٧)، فلماذا قال لها إن أهل السماء لا يبقون، ولم يقل لا يموتون؟ وما الفرق بين أهل السماء وأهل

الأرض؟

■ ربَّما باعتبار أنَّ الموت واقعٌ حسي بالنسبة لمن في هذه الدُّنيا، أمَّا أهل السَّماء فهم لا يبقون، لأنَّ البقاء لله وحده، ولكن فناءهم وزوالهم ربَّما على غير ما هو المألوف من الموت الإنساني. والله العالم بحقيقة الحال.

حضور الله في زحمة القوانين:

□ إذا امتلأت الساحة الكونية، بما فيها ساحة المجتمعات البشرية، بالسنن والقوانين، واستطاع الإنسان أن يستجلي معالمها ومعانيها، فأين حضور الله في نفسه؟ وكيف ينعكس ذلك على الوظيفة الإلهية في نظره؟

■ تحكَّم السنن والقوانين في الحياة الكونية عموماً، والبشرية خصوصاً، لا يعني تغيب الله سبحانه وتعالى، كيف وهو القائل «سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا»^(١٨) وكون هذا العالم يسير وفقاً لسنن الطبيعة، والحركة البشرية تسير وفقاً لسنن تاريخية، لا يعني أنَّها تعمل بمعزلٍ عن إرادة الله سبحانه وتعالى، بل يعني أنَّ هذه السنن وهذه القوانين إنَّما تعمل بمشيئة الله، وتدبيرٍ منه تعالى، فإنَّ حكمته تعالى اقتضت أن يكون عمل جسم الإنسان كما هي خلقته التي نعرفها، واقتضت حكمته أن تكون ولادة الإنسان بهذه الطريقة، وكلَّ ذلك من آيات الله

وفي كلِّ شيء له آية تدل على أنَّه واحد

وكلَّ ذلك يدل على حضوره، وعندئذ فلا معنى لتساؤل من هذا القبيل، ليُقال أين الله؟ لأنَّه هل غاب حتَّى يُقال ((أين الله؟))، وكما قال الإمام الحسينؑ في دعائه ((عميت عين لا تراك عليها رقيباً)).

فائدة العروج إلى السَّماء:

□ ما هي الفائدة من العروج بالنبِيِّ ﷺ إلى السَّماء؟

■ ليريه الله آياته، ولا إشكال أنَّ هناك حكمة في اطلاعه على عالم السَّماءات والأرضين، فيُصبح أكثر معرفة، فإذا كان في إسرائه وهو من مكة إلى بيت المقدس ((لنريه من آياتنا))، فإنَّ ذلك من باب أولى في عروجه إلى السَّماء

واطلاعهم على العوالم الأخرى. هذا مع أنَّ تحديد الحكمة مما يرجع إلى الله تعالى ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^(١٩).

الأحاديث الضعيفة عند السنة والشيعية:

□ السنة يقولون إنَّ الأحاديث الموجودة عند الشيعة كلها ضعيفة وباطلة إلا القليل. ما صحة ذلك، وكيف تخالف الشيعة كلَّ شيء من مذهب أهل السنة، وما هي الأحاديث الضعيفة؟

■ هذا مما لا يختص به فريق، فعند السنة أحاديث ضعيفة وأحاديث صحيحة، وعند الشيعة أحاديث ضعيفة وأحاديث صحيحة. أمَّا أنَّ الشيعة يُخالفون كلَّ شيء عند السنة، فليس صحيحاً، لأنَّ الشيعة والسنة متفقون بالفقه وبكثير من القضايا بنسبة كبيرة. نعم هناك خلاف في عدد من المسائل كما هو الخلاف بين المذاهب نفسها، ولا يصح أن يُقال إنَّ كلَّ ما عند السنة غير صحيح أو يُقال إنَّ كلَّ ما عند الشيعة غير صحيح. هذا كلام غير علمي وهو كلام ناشئ من العصبية الطائفية ولا يستند إلى معايير علمية.

علل الأحكام:

□ لماذا لم يبين لنا الإسلام سبب حرمة بعض الأشياء؟ هل أراد لنا أن نكتشف هذه الأسباب؟

■ الله سبحانه وتعالى بيَّن بعض الأشياء وأراد لنا أن نطيعه في ما بيَّنه وفي ما لم يبيَّنه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^(٢٠)، وربما أراد لنا أن نكتشف بعضها من خلال الدراسة العميقة للمصالح والمفاسد المترتبة على الأحكام، أو من خلال ما ورد من السنة في ذلك. هذا بالإضافة إلى الفكرة الإيمانية، وهي أنَّ أحكام الله تابعة للمصالح والمفاسد في متعلقاتها مما يعلمه الله فيما يعلمه من غيب الأشياء.

(١٩) الأنبياء: ٢٣.

(٢٠) الأحزاب: ٣٦.

سقوط الذنوب:

□ شخص عنده ذنوب وذهب إلى الحج وقد تاب توبة نصوحاً، فإذا غُضرت ذنوبه ومضت عدة سنين ورجع إلى ذنوبه السابقة، فهل ترجع إليه الذنوب التي غُضرت له؟

■ لا، فهو عندما يتوب من ذنوبه، فإنَّ ((التائب من الذنب كمن لا ذنب له))^(٢١)، ولكنه عندما يذنب مرة أخرى فإنه يحتاج إلى توبة جديدة.

قتل النفس لا ينافي العصمة:

□ النبي موسى ﷺ قتل نفساً وهو من الأنبياء أولي العزم، فهل ينافي هذا العدل الإلهي، حيث يقول الله عز وجل: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا»^(٢٢)؟

■ ما خالف العدل الإلهي هو قتل النفس بغير حق، وموسى ﷺ قتله في مقام الدفاع عن الشخص الذي أستجد به، وقد اعتدى عليه المقتول.

الشعور الديني:

□ كيف السبيل إلى تحريك الشعور الديني وتوجيه الناس نحو دين الله في منطقة تبتعد كل البعد عن الله عز وجل، أو هي غافلة عن طريق الله؟

■ يقول الله تعالى: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ»^(٢٣)، فالدعوة هي الأسلوب الذي يجتذب قلوب الناس وعقولهم إلى الإسلام، فلندرس عقلية الناس والظروف النفسية التي يعيشونها، وعلى الداعية أن يحاول الدخول إلى الناس من خلال قلوبهم ليصل إلى عقولهم. وقد قال الله «اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى»^(٢٤)، فالدعوة إنما تقوم على اللطف واللين في الوعظ والإرشاد، ومن ذلك أيضاً الصبر على النتائج السلبية.

(٢١) بحار الأنوار، ج ٤٤، ب ٢٣، ص ٢١، ح ٤.

(٢٢) المائدة: ٣٢.

(٢٣) النحل: ١٢٥.

(٢٤) طه: ٤٤٣.

العلماء و الحجود:

□ يقولون أن الفكر هو الذي يدننا على الله وعلى أمور كثيرة ولكن هناك الكثير من العلماء الذين أفنوا حياتهم في العلم والتعليم وفي النهاية نراهم يجحدون وجود الله، فهل يدل الفكر دائماً على الله أم أن هناك نواحي أخرى للفكر؟

■ الفكر قد ينحرف، فهناك الفكر الذي ينطلق من فطرة الإنسان «فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ»^(٣٥) وكما في قوله ﷺ ((كل مولود يولد على الفطرة إلا أن أبويه يهودانه وينصرانه)) أي لو ترك الإنسان إلى فطرته لاهتدى إلى الله وهناك فكر ينطلق من التعلم، وقد يشوب التعلم شائبة ما أو شبهة أو تأثيرات معينة ولذلك قد ينحرف الفكر ويؤدي إلى الجحود.

التظف عن الطاعة:

□ هل أن الإنسان الذي لا يرتكب المعاصي ويساعد الناس ويبتعد عن الشر ويحاول دائماً فعل الخير ولكنه لا يصلي ولا يصوم هو إنسان سيئ؟

■ أي سوء أعظم من ذلك، وهو يكفر بنعمة الله؟ فهل يحسن بالإنسان أن يعمل الخير ويتكر لخالقه أو يتكبر عليه، عندئذ فهو يستهين بالله، لأن الصلاة والصوم وغير ذلك من العبادات كل ذلك من ألوان الشكر والطاعة، فكيف يتخلف عن شكر نعمة خالقه بحجة الإحسان إلى الناس. ألا يجدر به أن يحسن إلى الله أولاً خالقه، بل إلى نفسه هو. ولكن للأسف بعض الناس يتذرع بذلك، مع أن ((الصلاة عمود الدين فإن قبلت قبل ما سواها وإن أردت رد ما سواها))^(٣٦) ولذلك فهي علامة المسلم وجنسيته.

الغيب والتطيل:

□ هناك نظرية تقول ((إن الغيب ليست قاعدة أساسية في التحليل)) فهل ترون صحة هذه القاعدة وخصوصاً إذا علمنا أنهم يقصدون بذلك أن الإنسان لا

^(٣٥) الروم: ٣٠.

^(٣٦) بحار الأنوار ج ٩١ ب ٣١ ص ٤٠٠ هـ.

يمكنه أن ينطلق في تحليل الظواهر والأحداث الواقعة من خلال أداة لا يمتلكها وهي الغيب التي جعلها الله من ملكه واختصاصه وهكذا؟

■ هذا صحيح. بمعنى أن الغيب إذا كان ملحوظاً في أصل القضايا وذلك لجهة أن هذه الأشياء من إبداع وخلق الله سبحانه فهذا أمر يرجع إلى أصل العقيدة وكون كل ما في الكون من تدبيره سبحانه وتعالى وتحت نظره، وأما إذا كان الملحوظ هو تفسير هذه الأشياء أو المخلوقات أو الظواهر من حيث عملها وعلاقة بعضها ببعض الآخر أو طبيعتها فإن هذا لا يفسر غيباً بل أن تفسير ذلك يرجع إلى قوانين أودعها سبحانه وتعالى في الكون والحياة، سواء كان ذلك في الساحة الطبيعية أو الكونية أو التاريخية والمعبر عنها بالسنن أو القوانين التاريخية. وقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٢٧) وقال ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾^(٢٨).

التفكير في الله:

□ عندما نبحث في العقائد صفات الله الذاتية ونثبت أن صفاته هي عين ذاته وأن ذاته تعالى بسيطة غير مركبة، فهل يعتبر هذا من التفكير في ذات الله؟

■ لا يعتبر من التفكير في ذات الله، بل هذا من التفكير في صفاته تعالى.

هل السوء من طبع الإنسان؟

□ قال تعالى ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٢٩) وقال ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^(٣٠) وقال ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٣١)، هذه الآيات تدل على الإنسان هو الذي يختار أي الطريقين ولكن يقول تعالى ﴿إِنَّ النِّفْسَ لِلْإِمَارَةِ بِالسُّوءِ﴾ ألا يدل هذا على أن الإنسان مطبوع على السوء؟

(٢٧) القمر: ٤٩.

(٢٨) الطلاق: ٣.

(٢٩) البلد: ١٠.

(٣٠) الشمس: ٧-٨.

(٣١) الإنسان: ٣.

■ لا يدل ذلك على أن الإنسان مطبوع على السوء، لأن النفس باعتبار الغرائز الموجودة فيها توحى إلى السوء، وذلك عندما تستيقظ فيه هذه الغرائز، وتحيط به عوامل الإثارة فتوحى له بالسوء، ولكن الله خلق له عقلاً بحيث أن النفس عندما تأمر بالسوء فإنها لا تشل قدرة الإنسان، وأن الله خلق له العقل الذي يستطيع أن يميزه بين الحسن والقبيح، وأنزل الوحي على الإنسان من خلال الرسول ﷺ، من أجل أن يحذّر الإنسان وينذره ويبشره، وأعطاه الإرادة التي يستطيع من خلالها، أن يؤكد سيره في خط الخير بل أن الإنسان مفطور على الخير، ولذا قال النبي ﷺ: ((كل مولود يولد على الفطرة إلا أن أبويه يهودانه أو ينصرانه)) ونحن نقول دائماً إن الظروف المحيطة بالإنسان لا تشل قدرته، فهناك أناس عاشوا في بيئة شديدة الفساد وصاروا خيرين، وهناك أناس عاشوا في بيئة شديدة الصلاح وصاروا سيئين، والظروف المحيطة قد تهتئ أجواء الإنسان لما يتجمع فيها، ولكنها لا تشل قدرة الإنسان بل يبقى للإنسان الكثير من عوامل الممانعة للظروف السلبية في الاتجاه الإيجابي السليم .

أصناف الشيعة:

□ ورد عن الإمام الصادق ﷺ كما في كتاب كشف الغمّة ((أن شيعتنا على أصناف ثلاثة: صنف يأكلون الناس بنا، وصنف كالزجاج يتهشم، وصنف كالذهب الأحمر كلما تعرضوا للنار ازدادوا جودة)) فهل بالإمكان بيان هذه الأوصاف بشكل مختصر؟

■ ذلك يعني أن الناس على أصناف، فهناك أناس لا يعيشون آفاق أهل البيت ﷺ وخطهم وإيمانهم، بل انهم يستغلون محبة الناس لأهل البيت ﷺ، وربما يكذبون عليهم لغرض استغلال الموقع الذي للأئمة ﷺ في قلوب الناس لاجتذابهم والحصول على الأموال والجاه فهم يتاجرون بالأئمة ﷺ، وهو مما نشهده في الذين يأتون بالخرافات حتى يوحوا للناس، بأنهم مخلصون لأهل البيت ﷺ لأن المهم عندهم هو أن يحصلوا على المال. وهناك أناس يعيشون الإيمان بشكل سطحي، ولذلك إذا داهمتهم أية فتنة فإنهم يسقطون، وهذا أمر واقع في كل العصور وفي كل المسلمين ولا يختص بالشيعة، وهناك كلمة للإمام الصادق ﷺ

مضمونها في كلام طويل له إنه قد يكون الرجل كثير العمل بلا تقوى وقد يكون الرجل قليل العمل مع التقوى، قالوا كيف ذلك؟ قال كالرجل الذي يعمل وإذا فتح له باب من الحرام دخل فيه، فهو تقي لأنه لا يجد طريقاً للشر، والذي له من العمل القليل ولديه التقوى، فإنه إذا انفتح له باب من الحرام لم يدخل فيه، كما في قوله تعالى ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۖ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ﴾^(٣٢)، وكما في قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(٣٣). وأما الصنف الثالث فهم كالذهب الأحمر لأنهم الذين تعمقوا في الإيمان وأخلصوا إلى الله، وأخلصوا لخط أهل البيت ﷺ وهو الخط الإسلامي الأصيل. ولذلك كلما ازدادت عليهم المشاكل ازدادوا قوة، وقد قال الله تعالى ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(٣٤).

(٣٢) الأعراف: ١٧٥-١٧٦.

(٣٣) الحج: ١١.

(٣٤) آل عمران: ١٧٣.

الفصل الثالث

مسائل السيرة

أ- الرسول الأكرم ﷺ:

شريعة النبي (ص) قبل بعثته:

□ ما هي الشريعة التي كان يتبعها الرسول ﷺ قبل نزول الوحي؟ وما هي الأفعال التي يؤديها من العبادات؟

■ كان على الدين الحنيفي دين إبراهيم ﷺ الذي يجمع الأديان كلها كما ورد في بعض الأخبار، وأما نوعية العبادة فلم يرد في ذلك تفصيل.

تفضيل النبي الأمامي ﷺ:

□ لماذا فضل الله النبي محمد ﷺ على غيره من الأنبياء مع أنه أُمِّي؟

■ هذه هي عظمته، فهو أُمِّيّ جاء بما أعجز العلماء والقراء والكتّاب، فأُمِّيّة النبي محمد ﷺ ليست جهلاً وإنّما هي أُمِّيّة قراءة وكتابة لأنّ النبي ﷺ كان واعياً أكثر من كلّ الناس من حوله إنّما أراد الله له أن لا يقرأ ولا يكتب إكمالاً لرسالته ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾^(١).

فهي أُمِّيّة أراد الله من خلالها أن لا يتهم النبي ﷺ بأنه جاء بالرسالة نتيجة ثقافة سابقة من خلال قراءة أو كتابة أو ما أشبه ذلك، وإلا فهو قد علّم كلّ الأميين وكلّ العلماء وعلم الإنسانية كلّها ومازال العلماء في حديثهم وقراءتهم للسنة النبوية الشريفة وللكتاب ينهلون من علمه الذي فاض في عهده ويفيض مع الأيام.

إنّ الحاجة إلى القراءة والكتاب تنبع من الحاجة إلى العلم والثقافة والمعرفة، فإذا أوتي الإنسان ذلك من غير هذه الوسائل فتلك معجزته التي يتفرد بها والتي يستغنى بها عما يحتاجه الناس من تلك الوسائل، ولم يكن النبي ﷺ يعيش العقدة في ذلك فلقد طلب - كما في السيرة - أن يعلم الأسير من أسرى بدر عشرة من المسلمين القراءة والكتابة ليطلق سراحه تقديراً منه لاهميتها في تعليم المسلمين.

معنى الرسالة المحمّدية:

□ أقبلت علينا ذكرى ميلاد الرسول ﷺ فلماذا لم نتطرق في ندوتنا إلى

مناقشة معنى الرسالة؟

■ ترى عن ماذا كنّا نتحدث؟ ألم تكن نتحدث عن عمق الإيمان وعمق الالتزام بالرسالة وما إلى ذلك؟ وهل ثمة حديث في ذكره ﷺ أرجح من هذا؟ نحن نعتقد أنّ ميلاده ﷺ ليس يوماً من الأيام بل هو الزمن كلّهُ ونحن نعيش معه في كلّ ما جاء به مما يمتدّ مع الحياة في مواقعها كلّها، ونرى أن حضوره ﷺ هو أبلغ من أي حضور آخر، ولذا فإنّ مناقشة معنى الرسالة حاضر في ندواتنا كلّها وليس في ذكرى المولد فقط.

السقو في الموضوعات الخارجية:

□ سئل بعض الأعلام حول سهو النبي فنفاه إلا بالموضوعات الخارجية،

فما المقصود بالموضوعات الخارجية؟

■ كان بعض الناس يقولون إنّ النبي لا يسهو في التبليغ لكنّه يسهو في الصلاة، ثم بعد ذلك يرجع. وقد وردت في ذلك بعض الروايات والمعروف عند علماء الشيعة بشكل عام أنّ النبي ﷺ لا يسهو إطلاقاً لأنّ الشخصية النبوية المعصومة لا تتجزأ، لكنّ بعض العلماء المتقدمين مثل الشيخ الصدوق كانوا يقولون بسهو النبي في الموضوعات وليس بالتبليغ بالأحكام، ووافقهم على ذلك بعض المتأخرين، والمراد من الموضوعات الخارجية هي الأفعال التي تتعلق بها الأحكام أو الأمور المتنوعة في شؤون الإنسان والحياة.

التبليغ السابق على الغدير:

□ يفهم من هذه الآية الكريمة «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ

رَبِّكَ»^(٢). ومن سبب النزول أن رسول الله ﷺ لم يبلغ أمر ولاية علي ﷺ قبل نزول

هذه الآية، في حين أن السنة تؤكد على أن رسول الله ﷺ أكّد ذلك في أكثر من

موقع وفي أكثر من رواية؟

■ ربما كان التأكيد الأول المتنوع في مواقع خاصة، ولكن لموقع الغدير خصوصية أخرى، باعتبار جمع المسلمين الغدير حيث كانوا عائدين من حجة الوداع وقد قدموا من كل حذب وصوب، لذلك فإن من الممكن جداً أن يكون التبليغ من خلال طبيعة هذا الجمع، وباعتبار أن الموقع الزمني هو موقع ترقب المسلمين لوفاء النبي ﷺ حيث كان المسلمون يعيشون في ظرف يعطي للمسألة امتداداً وحيوية أكثر، والله العالم.

صحة دعاء:

□ هل الحديث الآتي صحيح السند عندنا ((من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والدرجة الرفيعة وآته المقام المحمود الذي وعدته))؟

■ لا بأس به سواء كان صحيح السند أو غير صحيح فهو دعاء لطيف للنبي ﷺ بأن يصلي الله عليه لأنه كان السبب في هداية أمة.

روايات (ميزان الحكمة):

□ الروايات التي ترد في محاضراتكم والمأخوذة من كتاب (ميزان الحكمة) هي هل صحيحة السند؟

■ في مسألة توثيق الحديث لديّ طريقان: الطريق الأول: وهو وثاقة الراوي، والطريق الثاني وهو وثاقة الرواية من حيث انسجامها مع المفاهيم القرآنية العامة وغير ذلك، لذا فأنا اعتمد الخبر الموثوق سواء في هذا الكتاب أو في غيره من الكتب الجامعة للحديث.

ب - الإمام علي عليه السلام :

علم الإمام عليه السلام :

□ هل تدخل العلوم الحديثة كالتيكنولوجية مثلاً ضمن العلوم التي يحيط بها الإمام عليه السلام أم أن علم الإمام منحصر في العلوم الإسلامية خاصة؟

■ الإمام عليه السلام يعلم كلّ ما تحتاجه رسالته من العلم، ولو كان حياً في هذا الوقت لأخذ بأسباب العلم الراهنة، ذلك أنّه صاحب رسالة ودعوة لتلك الرسالة،

والداعية يأخذ بكل العلوم التي تصبّ في خدمة رسالته حتى يوصلها بأفضل وسيلة الى الناس.

بنو هاشم والظافة:

□ أصبحت الخلافة بعد رسول الله ﷺ قضية عصبية، فأين كان بنو هاشم آنذاك عن نصرة علي عليه السلام حيث إنّ الأنصار نصروا سعد بن عبادة؟
■ نحن نفهم من كلام الإمام علي عليه السلام أنه لم يكن لديه مجال للنصرة ((وظفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء))^(٣). كما أنّ الإمام عليه السلام كان مشغولاً في الحفاظ على الإسلام وهو القائل: ((حتى إذا رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يريدون محق دين محمد ﷺ فخشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم هذه التي إنّما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما زال كما يزول السراب أو كما ينقشع السحاب، فنهضت فيها حتى زاح الباطل وزهق واطمأنّ الدين وتنهه))^(٤) وقال: ((لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن بها جورٌ إلا علي خاصة))^(٥).

مقام الإمامة:

□ هناك خطيب راح يثبت أنّ مقام الإمامة أعلى وأسمى من مقام النبوة أو الرسالة مستنداً على ذلك بنصوص القرآن، فما هو تعليقكم؟
■ إن عظمة الإمام علي عليه السلام أنّه كان تلميذ رسول الله ﷺ وهو يتكلم عن ذلك ((كنت اتبعه اتباع الفصيل أثر أمه وكان يلقي إلي في كل يوم خلقاً من أخلاقه))^(٦) والإمام الباقر عليه السلام كما في كتاب (الكافي) يقول ((أفيكفي الرجل أن يقول احبّ علياً وأتولاه ثم لا يكون فعلاً فرسول الله خير من علي أفحسب الرجل أن يقول احبّ رسول الله ثم لا يعمل بسنته))^(٧) رسول الله ﷺ هو نبي علي

(٣) شرح نهج البلاغة. ج. ١٠. ص ١٢٣. ب. ٣.

(٤) شرح نهج البلاغة. ج. ١١. ص ١٢. ب. ١.

(٥) شرح نهج البلاغة. ج. ٤. ص ٩٧. ب. ٧.

(٦) شرح نهج البلاغة. ج. ٣. ص ٢٣٤. ح. ٩.

(٧) أصول كافي. ج. ٣. ص ٢٣٤. ح. ١٢٣. ب. ٢٣.

ﷺ ونبي الأئمة ﷺ كلهم وعظمة علي ﷺ انه تلميذ رسول الله ﷺ. وقول هذا كقول بعض الناس إن الزهراء ﷺ اعظم من رسول الله ﷺ فلقد وصل الغلو والتخلف بالبعض إلى هذا المنحدر حتى قال قائل، إن رسول الله ﷺ دعا فلم يستجب له حتى قالت الزهراء آمين فاستجاب الله دعاء رسول الله بتأمينها، هل يعقل هذا؟ أن يصل بنا الغلو إلى هذه الدرجة؟ فيا أبناء مدرسة علي التوازن التوازن، فأهل البيت ﷺ يقولون ((ما خالف كتاب الله فهو زخرف)) وعلي ﷺ مأمور بأن يطيع رسول الله ﷺ وهو الذي جعله خليفته بأمر الله ((من كنت مولاه فعلي مولاه))^(٨).

هدم الآبار:

□ لقد هدم النبي ﷺ الآبار قبل بدر الكبرى ومنع الماء عن جيش قريش، ولكن علياً سمح لجيش معاوية بذلك، فكيف نوفق بين الموقفين؟
■ هذا غير صحيح لأن النبي ﷺ لا يهدم الآبار، بل كانت السيرة على العكس من ذلك كما يذكر عن الإمام علي ﷺ أنه كان يحضر الآبار لينتفع بها الناس.

منازلة عمرو:

□ في (معركة الخندق) نادى رسول الله ﷺ بالمسلمين الخروج الى عمرو بن عبد ود عدة مرات حيث قال من يخرج إليه وأنا أضمن له الجنة فلم ينهض من المسلمين الا علي ﷺ فلم لم يخرج صحابة الرسول ﷺ أمثال أبي ذر وعمار والمقداد وسلمان رغم أنهم كانوا من الرجال المشهود لهم بالشجاعة؟
■ لا إشكال بأن هؤلاء من كبار الصحابة، ولكن الإنسان قد يضعف في بعض المواقف، فشخصية عمرو بن عبد ود من الشخصيات التي كانت تثير الرعب في النفوس، وقد يضعف حتى أبو ذر أو عمار في مواجهتها في تلك المرحلة، وان كانوا قد ازدادوا قوة بعد ذلك. فعمرو كان يعدّ بألف فارس وكان يستعرض عضلاته من خلال قدرة مشهودة في جندلة الأبطال، وخصوصاً أنه استطاع أن يعبر الخندق في مواجهة المسلمين، ويمكن أن نفهم مستوى شجاعته من خلال كلمة الرسول ﷺ عنه أنه ((الشرك كله)) فكما أن علياً ﷺ كان يقف

ممثلاً للإيمان كله في بطولته وثباته وشجاعته، كذلك كان عمرو بن عبد ود في الطرف المقابل، ولعلّ هذا هو السبب في إحجام المقاتلين المسلمين في مبارزته، والله العالم.

كيف نعيش مع علي ؑ؟

□ كيف نعيش هذه الأيام مع الإمام علي ؑ والفساد يزداد يوماً بعد آخر؟
■ علينا أن نسمع كلام الإمام علي ؑ وهو يقول ((لا تستوحشوا في طريق الحق لقلّة سالكيه فإن الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير وجوعها طويل))^(٩) فليس المهم أن تكون لوحده أو مع أناس قلائل؟ فحن قد نرى في أوروبا تظاهرة تخرج في بعض الأحيان بشخصين أو شخص واحد يحتج على هذا الموضوع أو ذاك، وعلينا أن نبقي على خط الحق حتى لو لم يكن معنا عدد كبير لأن الإصرار عليه سوف يدفع الكثيرين إلى اكتشافه والالتزام به.

دورنا في غياب الإمام علي ؑ:

□ إن كل الذي ذكرتموه في حق علي ؑ هو تاريخ مضى وانتهى، فما هو دورنا الآن ونحن نعيش الفرقة بين السنّة والشيعّة ولا نجد أي جسر يمدّ بيننا للتآلف؟

■ ليس ما يذكر عن سيرة علي ؑ ومواقفه وكلماته تأريخاً مضى وانقضى، بل هو موجود بيننا، ونهج علي ؑ مطروح بين أيدينا، وعلينا أن نعمل كما عمل الآخرون، وإذا لم يعملوا فيجب أن نقوم بواجبنا ولا نتأثر بالذين يشيرون بالفرقة والفتنة، ويجب أن نتعلّم درس علي ؑ ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١٠). فالإمام الصادق ؑ رائد الوحدة الإسلامية حينما يسأله أحد أصحابه: ((ما نصنع بيننا وبين خلطاننا من الناس ومن لا يرون رأينا؟)) فإنه يدعوهم إلى الاشتراك في عباداتهم وقضاياهم الاجتماعية: ((صلّوا جماعتهم وعودوا مرضاهم وشيعوا جنائزهم، حتى يقولوا رحم الله جعفر بن

(٩) شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ٣٢٤، ح ٢٩.

(١٠) الانعام: ١٠٨.

محمد فلقد أدب أصحابه، كونوا زينا لنا ولا تكونوا شيئا علينا))^(١١) فلنلتق على ما اتفقنا عليه كما قال الله تعالى لنبيه ﷺ في التعامل مع أهل الكتاب «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ» وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى وربما المجوس «تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَنَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ»^(١٢). هناك الكثير من الفواصل بيننا وبين أهل الكتاب ولكن الفواصل بيننا وبين أهل السنة ليست بهذه الكثرة ما عدا قصة الخلافة وأمور خلافية أخرى هنا وهناك، بل إن أهل السنة يختلفون فيما بينهم في قضايا فكرية كثيرة، ومع ذلك فإن المنهج الاسلامي يبحث في مواقع اللقاء مع الآخر ويحاول من موقع اللقاء لا من موقع الخلاف، وهذا هو منهج القرآن.

لقد بتنا نتج مواقع الفراق والفتنة. فلقد شغلتنا عصبياتنا وطائفياتنا وذاتياتنا عن الجرد الاسرائيلي - كما في قصة كليله ودمنة - الذي يقرض حبل وحدثنا، وعن التتين الاميركي الفاجر فاه لابتلاعنا وابتلاع واقعنا، أليس كذلك؟ فما زلنا مشغولين في تكفير وتضليل وشتيم بعضنا البعض، وما زلنا دولا، ولكن كما يقول (علي الشرقي):

لو جمعت لم تك أوطاننا دويلة فكيف صارت دول؟
وكما قال ذاك الشاعر:
المستشار هو الذي شرب الطلا فعلام يا هذا الوزير تعريد؟

فهم الواقع الحاضر لعلی ﷺ:

□ كان علي ﷺ القمة في الفكر والقمة في الشجاعة، وكان العامل والعالم والورع والزاهد، وكان يتحرك مع الاسلام بما يحب الله ورسوله ﷺ فلماذا لا يفهم الناس علياً في هذا الزمن مع أنه كان الحق؟

■ إن قصتنا مع علي ﷺ كقصّة ذاك الذي كان يسمع الإمام علي ﷺ يقول ((سلوني قبل أن تفقدوني))^(١٣) فيقوم ويقول له: كم شعرة في رأسي؟ إن بعض الناس قد يطرحون أسئلة كهذه، ولو ذهبنا الى القضايا الدينية فما هي القضايا

(١١) أصول الكافي. ج ٣. ص ١٨٩. ح ٤٠.

(١٢) آل عمران: ٦٤.

(١٣) أصول الكافي. ج ٣. ص ١٠٢. ح ٣.

التي تشغلهم يا ترى؟ وما هي القضايا التي يسألون عنها؟ وما هي القضايا التي يتصارعون فيها؟ وما هي القضايا التي يحارب بعضهم البعض فيها؟ إننا نرى انها قضايا لا تمثل أسساً في العقيدة ولا في الشريعة، فاكثرها تجريدي يخلق في الفضاء ولا ينزل الى الأرض. ولذا نعتبر أن هناك معركة حامية كما كانت هناك معركة حامية في عصر علي عليه السلام بين الوعي وبين التخلف، وإلا فإن الإمام عليه السلام هو كما قال عنه أحد المستشرقين ((لو كان علي موجوداً في هذا الزمن لكان مسجد الكوفة مملوءاً بالقبعات الغربية ولن تجد فيه موطاً قدم لعربي واحد)) ذلك لأن العرب لم يستفيدوا منه سوى أنه قتل مرحباً وقدّ نصفين، وقتل عمرو بن عبد ود وغيرهم من صناديد الشرك، ولكن تلك بطولة نادرة في دائرة الزمن، أما فكر علي عليه السلام وسيرته فهي بطولة في امتداد الحياة. هذا هو الفرق. ونحن غالباً ما يعجبنا التاريخ فنستغرق فيه، فلو جاء الإمام علي عليه السلام الآن ورشح نفسه للانتخابات بخطته المعروفة التي قال عنها عمر بن الخطاب ((لو وليها علي لحملهم على المحجة البيضاء)) أي أنه يقول للأبيض أنت ابيض وللأسود أنت اسود، فكم يا ترى من الأصوات سيحصل علي عليه السلام؟ إن علياً عليه السلام الآن هو في التاريخ ولسنا مبتلين به ولو ابتلينا به غداً فماذا تكون الصورة؟ إننا نرى الآن أن هناك من يمثلون عشر معشار علي عليه السلام ولا يتحملهم الناس، فكيف سيتحملون الإمام علي عليه السلام وهو الخشن في ذات الله؟

صحة خطب نهج البلاغة:

□ يقال إن بعض كلمات وخطب (نهج البلاغة) غير مسندة أي لم تصل بطريق صحيح، فأوضحوا لنا صحة ذلك؟

■ النهج برواية الشريف الرضي بدون أسانيد، ولذلك لا يعتبر على هذا الأساس أحاديث مسندة في دائرة الصحة الحديثية، وهناك من العلماء من كتبوا في مصادر (نهج البلاغة) ووثقوا الكثير منها.

نسبة حديث إلى الإمام علي عليه السلام :

□ ما صحة نسبة الحديث للإمام علي عليه السلام ((ما جمع مال قط إلا من شح أو حرام))^(١٤) ؟

■ هذا وارد على نحو الغلبة، بمعنى أن المال إنما يجتمع في الغالب من الشح والبخل، كما ويجتمع من الحرام وعدم إخراج حقوق الناس وحق الله سبحانه وتعالى، وهو نظير قوله عليه السلام ((ما جاع فقير إلا بما متع به غني))^(١٥) .

ج - فاطمة الزهراء عليها السلام :

العصمة الاجتماعية :

□ ذكرت في إحدى كتبكم إن عصمة الزهراء عليها السلام هي عصمة اجتماعية، فما معنى ذلك ؟

■ ليس هذا صحيحاً، فلقد قلت أن عصمة الزهراء عليها السلام كعصمة الأئمة عليهم السلام ولعصمة الزهراء ثلاثة أدلة، وهذا مذكور في أكثر كتبني، أولاً: إنها من أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وهذا دليل عصمة أهل البيت عليهم السلام جميعاً. والثاني: أنها سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة ولا يمكن لسيدة نساء العالمين إلا أن تكون معصومة. وثالثاً: إن حياتها تدل على عصمتها أيضاً إذ لم ينقل عنها أنها أخطأت في قول أو فعل أو فكر، ولكن بعض الناس وبعض المشايخ يقولون إن السيد لا يرى عصمة الزهراء عليها السلام.

د - الإمام الحسن عليه السلام :

قاما أو قعدا :

□ قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا)) . فماذا يقصد النبي صلى الله عليه وآله بالقيام والقعود ؟ وهل أن المقصود بالقيام والقعود هو الثورة والهدنة ؟ وهل هناك علاقة بين تلك الثورة وتلك الهدنة ؟

(١٤) شرح نهج البلاغة. ج. ٣. ص ٣٢. ب. ٢.

(١٥) شرح نهج البلاغة. ج. ١٣. ص ٧٧. ب. ٩.

■ الظاهر من الرواية أنّ قضية إمامتهم ﷺ لا تأخذ الشرعية من حركتهم، فهم يملكون الشرعية من الله، وبذلك فإنّهما يسيران على منهج الله لأنّ الله عندما اختارهما للإمامة، فإنّه يعرف أنّهما يعيشان الإمامة فكراً وروحاً وحركة وجهاداً، وأنّهما يفتحان على خط الإسلام بالقعود ان كانت مصلحة الإسلام هي في القعود، وعلى القيام إن كانت مصلحة الإسلام في القيام، وكلاهما قاما وكلاهما قعدا تبعاً للمرحلة.

فالإمام الحسين ﷺ قعد طيلة تلك المدة السابقة على ثورته، وكان مع أخيه الحسن ﷺ ووقع الصلح معه، وكان يدافع عن موقف الإمام الحسن. والحسن ﷺ قبل أن تدور الدوائر كان ثائراً وقد انطلق بالثورة ودفع بالجيوش لمحاربة معاوية ولكن الأمور سارت بغير الاتجاه الصحيح. ولذلك كان الحسن ﷺ قائماً ثائراً، وكان قاعداً مصالحاً تبعاً للمرحلة في ما هي المصلحة الإسلامية. وكان الحسين ﷺ قائماً وقاعداً أيضاً تبعاً للمصلحة الإسلامية. ولذلك عاش الحسن ﷺ روح الثورة مع الحسين ﷺ عندما وقف في مواجهة معاوية، وعاش الحسين ﷺ مع الحسن ﷺ عندما وقف معه في مسألة الصلح.

وخلاصة القول إنّ الإسلام هو العنوان الكبير للقيام هنا وللقعود هناك، وهذا المعنى ينبغي أن نفهمه جيداً وهو أنّ الثورية هي ليست في الاندفاع والانفعال، فقد تكون ثائراً وأنت هادئ لأنك تخطّط وتنتظر استراتيجيتك في النهايات، وقد تكون ثائراً في البداية ولكنك لست ثائراً في معنى الاستراتيجية، في حين أنّ بعض الناس ينظرون إلى التكتيك فقط فيما كان الحسن ﷺ والحسين ﷺ ينظران إلى الاستراتيجية، وإذا كان بعض الناس ينظرون للحاضر فقط فقد كانا ﷺ يرصدان المستقبل أيضاً، ولذا ينبغي أن نكون المستقبليين.

الفتنة التي زرعها معاوية في جيش الحسن ﷺ:

□ هناك نقطة تعتبر من أهم أسباب الصلح ولكن لم يركّز عليها فيما كتب من الموضوع، وهي أنّ معاوية استطاع أن يزرع الفتنة في أوساط اتباع الإمام الحسن ﷺ وإلى هذه النقطة أشار ﷺ في كلمته إلى (المسيب) ((اني أردت صلاحكم وكفّ بعضكم عن بعض)). ولذلك استعجل الحسن ﷺ الصلح لكي لا تقع حرب

أهلية بين جماعته، ألا ترون أنه صالح بدافع الحفاظ على الجماعة؟

■ إن أصحاب الإمام الحسن ؑ الذين هم أولياؤه لم تقع الفتنة فيهم، ولكن الذين وقعت الفتنة بينهم هم الذين كانوا مع الحسن ؑ على السطح ومع مصالحيهم في العمق، تماماً كما هي القضية عند الحسين ؑ عندما قال له (الفرزدق) ((قلوبهم معك وسيوفهم عليك)) هذه هي المسألة.

أمّا قضية ((كف بعضكم عن بعض)). فكان ؑ يلاحظ فيها الواقع الإسلامي، لأنّ المسألة عندما تتحرك باتجاه استمرار الحرب من دون أن تكون هناك أية ظروف واقعية للانتصار في الحرب فقد تكون الحرب انتحاراً. ولذا فقد كانت الظروف الواقعية إبان عهد الإمام الحسن ؑ تقتضي أن تنتهي المعارضة كلّها، وأنّ الحسن ؑ يُقتل والحسين ؑ يقتل وبنو هاشم والصحابة أيضاً يقتلون، ومن هنا فقد كانت المسألة خسارة مستقبلية فادحة، ولذلك كانت ظروف الحسن ؑ تختلف عن ظروف الإمام الحسين ؑ في مرحلته، وقد أشار الذين كتبوا في صلح الحسن إلى هذه النقطة.

هل كان الحسن مزوجاً؟

□ هناك من يقول بأن الإمام الحسن ؑ كان مزوجاً حتى أنّه عند وفاته

كان أكثر مشيعيه من نسائه، فكيف نردّ على هذه الشبهة؟

■ نردّ عليها بالقول إنّ مسألة الزواج في ذلك الزمن لا تعتبر غريبة عن السياق الاجتماعي، فليس من الضروري دائماً أنّ الزواج والطلاق يعبران عن حالة ذاتية، بمعنى استسلام الإنسان للذة والشهوة، بل قد تكون هناك مصالح معينة تترتب على الزيجات. وقد ورد أن الحسن ؑ كان يطلق بعض زوجاته - هذا إذا صحت الرواية - ولما قال الإمام علي ؑ عن الإمام الحسن ؑ انه مطلق قالوا سنزوجه لأننا نتشرف به، ونريد أن نتشرف بانتسابه إلى رسول الله ﷺ وما إلى ذلك.

هذا من خلال الفكرة العامة التي تريد أن تستكر ذلك وتستغريه. وأمّا الفكرة الأساسية فهي أنّ الإمام الحسن ؑ إذا كان مثلما قيل أنّه تزوّج (١٠٠) أو (١٥٠) مرة فأين هم أولاده؟ فعلى الأقل يكون قد ترك عشرات الأولاد، في حين

أن أولاد الإمام الحسن عليه السلام كما نعلم محدودون، فأين ذهب الباقيون؟ والشيء الأهم من هذا وذاك أن بني أمية أثاروا هذه المسألة ضده بقولهم انه ليس صالحاً للخلافة ولإدارة الدولة، كما تحدث معاوية في جوابه للإمام الحسن عليه السلام عن بعض هذه الأمور، ولذلك أثاروا ضده هذه الاشكالات، وفي الحقيقة لم يكن زواج الإمام الحسن عليه السلام بهذا المستوى الموصوف في بعض الروايات المفرضة، بل كان كزواج رسول الله صلى الله عليه وآله من خلال بعض المصالح التي لا تبتعد عن المعنى الأخلاقي ولا المعنى الروحاني للإمام الحسن عليه السلام. ولذلك فإنّ الاشكالية كانت رشحة من رشحات الدعاية الاموية السوداء سواء في ذلك الزمن أو في التاريخ حتى يصوروا أنّ معاوية هو المؤهل للخلافة وليس الإمام الحسن عليه السلام.

هـ - الإمام الحسين عليه السلام:

الانتماء العاطفي للحسين عليه السلام:

□ يصفنا البعض بأننا ننتمي إلى الحسين عليه السلام انتماءً عاطفياً فقط وذلك من خلال المسيرات في حين أن الأمم تحيي ذكرى عظمائها من خلال الاحتفالات ونحن نحيي ذكرياتهم من خلال اللطم، فما هو قولكم؟

■ إنّ العاطفة في الأساس إنسانية ولا ضير في أن يعبر الإنسان عن عواطفه، نعم اذا اقتصرنا على ذلك فيصحّ الكلام المذكور، ولكن اذا عشنا الجانب العاطفي في التعبير عن تعاطفنا مع الامام الحسين عليه السلام من غير أن ننسى الجانب العقلي والسياسي والاجتماعي، فلا مشكلة. أمّا إذا لطمنا على الحسين عليه السلام وعشنا مع يزيد، كما يفعل بعض الناس، فتلك مشكلة. فالحسين عليه السلام هو قضية وذلك هو قوله ((إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي اريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر)) فالشخص الذي يعمل المنكر ليس مع الحسين عليه السلام والشخص الذي يترك المعروف ليس معه، والذي يشجّع الفساد ويترك الإصلاح ليس معه. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(١٦) ولذا نكرر دائماً ان الانتماء لعلي عليه السلام وللحسين عليه السلام ولأهل البيت عليه السلام

بصفة عامة يكلف الكثير وهو متعب، وقد قال عمر ((لو وُلِّيتُها علي لحملهم على المحجة البيضاء)) فعلي عليه السلام ليس لديه لون رمادي وإنما لديه لون ابيض فقط، فأَن تمشي على الخط الابيض وهو الخط المستقيم أمر صعب.

ذلك أَن الولاية ليست نبضة قلب ولا خفقة احساس وإنما هي عمل وخط وموقف: وهي أَن تقف حيث وقفوا وَأَن تتحرك حيث تحركوا.

تفريغ النهضة الحسينية من محتواها:

□ نحن على أبواب شهر محرم الحرام، فما هو الموقف تجاه بعض أصحاب

المنابر الحسينية الذين يفرغون النهضة الحسينية من محتواها الأساسي؟

■ الأمر يتطلب من أصحاب المنابر أَن يتقَفَّوا أَنفسهم وَأَن يطرحوا العناوين الحسينية للنهضة أَكثر من طرحهم المأساة الحسينية، وليس معنى ذلك أَنَّا نتكَّر للمأساة فأنَّا من القائلين إِنَّه لا بد أَن تبقى الفكرة الحسينية مشبوبة العاطفة، ولكن علينا أَن نعرف كيف نستخدم أساليب العاطفة، لأنَّ أساليب العاطفة تتطور مع الزمن، ولذلك يمكن أَن تكون بعض الأساليب متوارثة منذ مئة سنة وربما كانت مفيدة في حينها ولكنها أصبحت الآن مضرَّة، فأولاً لا بدَّ من أَن يكون هناك تجديد في الأساليب، فأنَّا مثلاً أدعو إلى تغيير الشعر الحسيني إلَّا قصائد معينة، لأنَّ هذا الشعر قد نظم من خلال بيئات سابقة كانت تحاول أَن تصوِّر القضية الحسينية بطريقة تتناسب مع تقاليد وذهنيات ذلك العصر، ونحن نحتاج إلى شعر حسيني، سواء كان شعبياً أو قريضاً، يتناسب مع المرحلة التي نعيشها ومع ذهنيات الشباب والجيل المعاصر في إثارة العاطفة، كما نحتاج إلى تنقية المضمون بإبعاد الخرافة عن السيرة الحسينية، فالبعض يحاول دائماً أَن يقدم السيرة بشكل خرافي جداً وربما خارق للتصوُّر أو منافع للعقل والمنطق لمجرد إثارة العاطفة. ولذا نحتاج إلى أَن نوثق الأحاديث بنحو لا نتحدث إلى ما تتسابق العقول إلى تكذيبه، فلو كان لدى الخطيب ذوق أدبي وكان عنده فن أدبي وكان يستطيع أَن يطرح الاشياء الصحيحة في عاشوراء ويصوِّرها تصويراً فنياً وأدبياً مؤثراً فإنه يمكن أَن يجعل الناس ييكون من دون إضافة أشياء أخرى من غير الحق. ألم نقرأ روايات أو نشاهد أفلاماً ليس لها علاقة بعقيدتنا ولا بتأريخنا ولا

بحياتنا ونبكي عند مشاهدتها؟ إنَّ العاطفة لها أسلوب خاص فيجب أن تعرف كيف تحرّك العاطفة بحيث يستشعر الانسان الحزن ويعيش القضية حيّة حارّة مما يخلق لديه وعياً لا تخلّفاً. ولذلك فقد أصبح المنبر الحسيني يحتاج الى ثقافة من أعمق ومن أوسع الثقافات، فلا يكفي أن يحفظ الخطيب بعض القصائد ليرددها على مسامع الناس الذين فيهم المثقفون وفيهم أناس من مذاهب أخرى ومن أديان أخرى، فلا يجوز ان نأتي بأشخاص جهلة متخلفين لقراءة مجالس الحسين ﷺ لأننا بذلك نقوم بتشويه صورة الاسلام من حيث لا نقصد، فالكثير من الخطباء مخلصون لكنهم تعوزهم الثقافة التي تجعلهم بمستوى مهمتهم.

تطوير أداء الشعائر الحسينية:

□ تدعون منذ سنين عديدة لتطوير أداء الشعائر الحسينية ونحن معكم في هذه الدعوة من الأعماق، ولكن لماذا لا تبادرون شخصياً للمساهمة، علماً أن لديكم الموهبة الأدبية العالية؟

■ من قال إننا لم نبادر؟ لقد تحدثنا أكثر من مرّة، وبحسنا ذلك في أكثر من كتاب، وحاولنا أكثر من محاولة على الأرض حتى أننا أصدرنا الفتاوى في إدخال عاشوراء إلى المسرح بالطرق الفنية المبدعة العالية، ودعونا بعض الذين يملكون الفنّ المسرحي إلى أن يأخذ ببعض التجارب الأدبية كالتي صدرت في مصر من قبيل مسرحية (عبد الرحمن الشرقاوي) (الحسين ثائراً والحسين شهيداً) مع إصلاح ما فيها. وهكذا رخصنا في دفع الحقوق الشرعية لتمويل التجارب المسرحية لعاشوراء أو التجارب التي هي على مستوى الفيديو، وما إلى ذلك، وإذا كان المراد بالموهبة الأدبية القابلية على كتابة الشعر فلقد كتبته في الحسين ﷺ وثورته في سياق ما تسمعونني أتحدّث به ولكننا ننشد المزيد ونحن ماضون في ذلك.

ولذلك فإننا نقول دائماً إنَّ ما تعارف عليه الناس من وسائل ربّما كانت نافعة أو مفيدة في عصور مضت، ولكن العالم يتطوّر، ألا ترون أنكم لم تعودوا تركبون الحمار والخيول والإبل؟ فلماذا طوّرتم وسائل سيركم؟ لماذا طوّرتم وسائل حياتكم باستخدام البرادات والغسالات والتلفازات وغيرها؟ لماذا لا تطوِّرون

وسائل تعبيركم عن العاطفة؟ لقد تطوّرت حتى أساليب المجاملات الآن وأصبحت وسائل التعبير عن المواساة في مآثم شخص أكثر معقولة، فلماذا كلّ شيء يتطوّر إلا أساليب التعبير عن قضية الإمام الحسين (ع) حيث ما زالت تراوح في عصور سائلة خاصة وأنّ هذه الوسائل لم يقل بها النبي (ص) ولا الأئمة (ع) ولا الكتاب؟ وما نرى أنفسنا إلا أننا نقلد شخصاً تركياً هزّته العاطفة فشجّ رأسه، ومن الغريب أن البعض يقول إذا تركنا هذه الأمور فإن قضية الحسين (ع) سوف تموت، وإذا تركنا التطبير اليوم فإنكم ستأتون غداً لتقولوا لنا اتركوا المواكب.

أيها الأحبة: إن قضية الحسين (ع) تملك من الحيوية ما يمتد في الزمن كله، وستفرض نفسها اليوم وغداً كما فرضت نفسها بالأمس وليس التطبير^(١٧) أو الزنجيل^(١٨) هي التي جعلت قضية الإمام الحسين (ع) حية. فإذا كنّا نريد أن نبقى متخلّفين فلم ركوب السيارات واستعمال البراد والغسالة والتلفاز؟ لنبق كما كان آباؤنا، أما إذا أردنا أن نكون حضاريين فلا بدّ من أن نستعمل وسائل تعبير حضارية. إن الأدب قد تغيّر فلقد كان سجّاً واصبح عندنا الآن شعر التفعيلة مثلاً، ولقد تغيّرت أساليب التعبير في كلّ شيء ألا ترون أنكم عندما ترون مشهداً مأساوياً من فيلم أو فيما يحدث في العالم من مأسٍ تكون؟ إن الإنسان يبقى إنساناً مهما كان أسلوب التعبير عن العاطفة سواء بالكلمة أو بالحن أو بالتمثيلية أو ما أشبه ذلك، ولذلك نقول يجب أن يكون لدى الخطباء ثقافة فنية أدبية بحيث يستطيع الخطيب أن يصوّر الواقعة تصويراً حياً يستثير العاطفة والعقل معاً.

إنّ ما نقوله ليس تنظيراً إنّما نعمل في هذه الاتجاه ما وسعنا ذلك ﴿وَلَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾، ولقد دفعنا ضريبة تصدينا لذلك بأن كفرنّا البعض وضلّلنا ولكننا لسنا الوحيديين في هذا المجال فلقد نال السيد محسن الأمين (ع) بعض ما نالنا.

الاقتداء بسيرة الحسين (ع):

□ كيف يتم الاقتداء بسيرة الحسين (ع) حين قال ((لا أرى الموت إلا سعادة

(١٧) التطبير: ضرب الرأس بالسيف.

(١٨) الزنجيل: ضرب الظهر بالسلاسل.

والحياة مع الظالمين إلا برما)) بينما نرى المسلمين اليوم يهادنون الظلم الواقع على إخوانهم في أغلب أرجاء العالم؟

■ لا أتصور أن الواقع الإسلامي كما يصفه السؤال، وإلاّ كيف نفسّر واقع المسلمين في فلسطين؟ كيف نتصوّر واقع المسلمين في لبنان أيام الاحتلال وحتى الآن؟ كيف نتصور واقع المسلمين في العراق الذين يواجهون الطاغية؟ وكيف نرى واقع المسلمين الآن في مقدونيا كما كان في كوسوفا وفي البوسنة والهرسك وكما هو الآن في كشمير والشيّشان؟ إن غاية ما هناك أن المشكلة هي أن لكل بلد إسلامي شغلاً بمشاكله عن مشاكل بلدان العالم الإسلامي الأخرى، فلقد شغل الاستكبار العالمي المسلمين عن المسلمين بما خلق في كلّ بلد إسلامي من مشاكل استهلك كل نشاطه. صحيح إنه لا بد أن يقف المسلمون وقفة واحدة مع كلّ قضاياهم لكن علينا أن ندرس القضايا حتى لا نعطي حكماً ارتجالياً غير مدروس «ولا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا».

ونحن لا ننكر أن هناك تقصيراً ولكن ليس بهذا المستوى الذي يتحدث عنه السؤال، فأنا أعتقد أنه لا تزال لدينا روح إسلامية يتحسسها المسلمون، وهذا ما نعيشه الآن مع القضية الفلسطينية وما عشناه أيام البوسنة والهرسك ولكن بعض المسلمين لا يعرفون حقيقة بعض القضايا، فأنا أعتقد مثلاً أن القضية العراقية ومأساة الشعب العراقي سواء مأساته في الداخل من خلال قمع النظام الذي يحكمه أو مأساته في الخارج من خلال الحصار الذي يسيطر عليه غير واضحة لدى الكثير من الناس، ذلك أن أغلب الناس في العالم الإسلامي أو العربي لا يعرفون ما يجري في العراق على حقيقته، ولا يتصورون أن أسلوب الاستكبار العالمي الأميركي والبريطاني في قصف المواقع العراقية بين وقت وآخر تجعل من حاكم العراق البطل القومي أو الإسلامي عند كثير من الشعوب، فهناك تقصير فوق العادة في شرح القضية العراقية لأكثر من شعب إسلامي وشعب عربي، لأن هناك فريقاً من المعارضين مشغولين بأنفسهم مع كلّ محبتنا للمخلصين منهم.

عدم التحاق الصحابة بركب الحسين:

□ كيف تفسرون عدم التحاق عدد من الصحابة والتابعين وفيهم محمد بن الحنفية وابن عباس بركب الإمام الحسين ؑ وهو الإمام المعصوم في ضوء ما ورد من أن ((من سمع واعيتنا أهل البيت ثم لم يجبنّا..))؟

■ ليس من الضروري أن كل من كان من أقرباء الحسين ؑ كانت له مسؤوليات في الحرب، فبالنسبة إلى محمد بن الحنفية كان الحسين ؑ يحتاج إلى شخصية في مستواه من الناحية الاجتماعية، ومن جهة النسب العلوي الهاشمي، لكي تبقى في المدينة، حتى روي أن تلك الشخصية يراد لها أن تكون عينا له بحيث تدرس الوضع من بعده وتحفظ التوازن عندما ينطلق بنو أمية في إشاعات كاذبة أو في تشويه صورة حركة الحسين ؑ ولم يكن غير محمد مؤهلاً لذلك. وأما ابن عباس فربما كان في وضع صحي لم يسمح له بالالتحاق، بل حتى محمد بن الحنفية يقال أنه كان في وضع صحي صعب، وكان يمكن للحسين ؑ أن يستفيد من ابن عباس وابن الحنفية فيما لو فرضنا أنهم ذهبوا معه إلى الحرب للاشتراك فيها، لكنّه أفاد من بقائهما أكثر للإعلام والتخطيط وإدارة الوضع، فالخطاب ليس موجهاً لامثال هؤلاء.

وصية في الأربعين:

□ بماذا توصون أولادكم في مناسبة أربعين الإمام الحسين ؑ من حيث إحيائها، ومن حيث الإفادة منها روحياً وفكرياً؟

■ عندما نعيش أربعين الإمام الحسين ؑ كما عشنا عاشوراء الإمام الحسين ؑ فإن علينا أن نفتح على الحسين ؑ من حيث هو النموذج الأمثل الذي يمثل أعلى القيم الإسلامية، والذي يمثل أعلى درجات الوعي الإسلامي والمحبة للمسلمين جميعاً والمسؤولية الكبرى في كل قضاياهم بالمستوى الذي اندفع فيه في ظروف معقدة كانت لا توحى بالانتصار، بل ربّما توحى بغيره، ولكنّه كان يتحرّك لأنّه سمع صرخات المسلمين المخلصين من الواقع الذي كانوا يعيشون فيه، ولهذا انطلق ؑ ليقول ((إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي))^(١٩)

وليفيّر الواقع بالرغم من كلّ النتائج السلبية التي ربما تنعكس عليه.

كان يعيش الرسالة بكلّ، كان يعيشها بعقله وبقلبه وبمشاعره وأحاسيسه، وكان يفتح على الله بكلّ هذه الروحية الإنسانية التي بلغت أعلى درجة في الإحساس الإنساني بالناس ((فمن قبلني بقبول الحق فإله أولى بالحق)) فليست المسألة أن يقبلني الناس لشخصي لأنّ الحق الذي أتحدث به وعنه وأدعو له هو الذي يرتبط بالله ((ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ))^(٢٠) ((ومن ردّ عليّ أصبر)) فأنا لا أقاتل الذين يردون عليّ ((حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ))^(٢١) لأنّ مسيرتي هي مسيرة داعية تختزن الدعوة في خطّ الثورة، أي في معنى تغير الواقع بالطريق السلمي إن أمكن للواقع أن يفتح على السلم، أو بطريق العنف أو الحرب عندما لا يكون هناك مجال إلاّ للحرب، وذلك عندما قالوا له ((إنزل على حكم بني عمك)) وحينذاك قال ((لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد))^(٢٢) لأنّه هو الذي يمثّل الشرعية الإسلامية، ولذلك فليس مستعداً أن يعطي الشرعية لمن لا شرعية له، ولهذا قال ((ألا وإن الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين بين السلّة والذلة وهيهات منا الذلّة))^(٢٣). إنني - أنا الحسين الثائر المغيّر - أريد للمسلمين جميعاً أن يتحدوا تحت راية إسلامهم. ونحن إنّما نطرح الحسين ﷺ كعنوان للوحدة الإسلامية لأنّ الحسين ﷺ هو الانسان الذي يلتقي المسلمون على محبته ومحبة أخيه الحسن ﷺ لأن رسول الله ﷺ قال ((اللهم إني أحبهما فأحبهما واحب من يحبهما))^(٢٤) وعندما ندرس الإمام الحسين ﷺ فإننا ندرس الإسلام كلّ، وندرس القضية الإسلامية في حركتها في الواقع عندما ينحرف المسؤولون عن خط الإسلام، فتتبري القيادة من أجل أن تصحح الانحراف وأن تقومه.

(٢٠) الحج: ٦٣.

(٢١) هود: ٩٧.

(٢٢) أصول الكافي، ج ٢٣، ص ٣٥٦، ب ٣، ح ١.

(٢٣) أصول الكافي، ج ٥٦، ص ١٥٤، ب ٦، ح ٣.

(٢٤) بحار الأنوار، ج ٨، ص ١٧٧، ح ٩، ب ٢.

لذلك خذوا من الحسين ﷺ كل معنى الحسين مما يمثل من النموذج الإنساني الأمثل، وخذوا الحسين بأن تكونوا أصحاب القضية.. لقد مضت كربلاء مع التاريخ وبقيت دروسها وإحياءاتها، وبقيت خطوطها وحركيتها، ولنا - أيها الأحبة - في هذا العصر أكثر من كربلاء في مواجهة الاستكبار العالمي والصهيوني وفي مواجهة أكثر من استكبار محلي .. لا تكتفوا بأن تعطوا الحسين ﷺ دموعكم .. ولا تكونوا الحيايين الذين يلعنون يزيد في التاريخ ويخضعون لألف يزيد في الواقع، والذين يحتجون على قتل الحسين ﷺ في التاريخ ولكنهم يقتلون أكثر من حسين في الواقع قتلا ماديا أو معنويا لمصلحة أكثر من يزيد ..

إن الحسين ﷺ قضية، فإذا أردتم ان تكونوا مع الحسين ﷺ فليكن كل واحد منكم قضية وبذلك يتحول الى نشاط في عمق القضية وامتدادها ولا يسجن نفسه في داخل ذاته. إن مشكلتنا هي أننا نعيش الحسين ﷺ دموعا قد تكون باردة، ونعيش الحسين ﷺ دماءً قد تكون ضائعة، ونعيش الحسين ﷺ تقاليد قد تكون بالية ومتخلفة لأن ذلك لا يخسرنا شيئا، أما القضية فربما تكلفنا حياتنا، ولذا أقول لكم - أيها الأحبة - إن الانتماء إلى الإسلام يمثل مسؤولية ثقيلة، والانتماء إلى أهل البيت ﷺ يكلف تعباً كثيراً، ولكن بعض الناس لا يحبون أن يتعبوا في الحاضر ولكنهم يستغرقون في التاريخ لأن التاريخ لا يخسرهم شيئا، فلو برز الحسين الآن ﷺ فكم يا ترى سيحصل من الأصحاب لدى الذين يحركون السيوف على رؤوسهم ولا يحركونها ضد أعدائهم.

هذه هي القضية، فلقد أدمنّا التخلّف وقدّسناه، ومن أصعب حالات الأمة وأزراها أن يكون الجهل عندها مقدساً، وأن يكون التخلّف مقدساً، وأن تكون الخرافة مقدسة، وأن تسقط القداسات الفعلية الحقيقية في ظل ما ابتدعه العقلية الخرافية من قداسات.

ثورة الحسين ﷺ الهدف والبرنامج:

□ فيما يخص ثورة الإمام الحسين ﷺ، هل يجوز أن ننسب إلى ثورة الإمام الحسين ﷺ أهدافاً غير متوقعة الحدوث، أو قل غير محتملة أصلاً، كطلب الحكم والسلطة حتى ولو لأجل بناء الإسلام، أم أنه شعار تعبوي كي لا تصبح ثورة الإمام

الحسين ﷺ أشبه بالانتحار وإلقاء النفس بالتهلكة كما عبّر بهذا الرأي الشهيد السيد محمد باقر الصدر^٩

■ الاستغراق في المأساة أسهم في تكوين رأي لا ينسجم وثورة الحسين ﷺ، ومن ذلك أنّ خروج الحسين ﷺ من المدينة إلى مكة ومن ثمّ إلى العراق لم يكن إلّا بداعي القتل، وهذا غير صحيح، لأنّ للحسين برنامجاً السياسي، وكان يملك من خلال الله سبحانه وتعالى على لسان رسول الله ﷺ شرعية الحكم، ولا شرعية لغيره، فالحسين ﷺ إذاً انطلق من خلال إمامته، ولم ينطلق كشخص يعيش الثورة ومزاج الشهادة ليقتل وحسب.

الأمر ليس كذلك، ومن خلال قراءة نداءات الإمام الحسين ﷺ نعرف أنّ الإمام الحسين ﷺ صاحب برنامج، وهو تغيير الواقع السياسي القائم يومذاك، ولعلّ أوّل بيان لثورته قوله: ((من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً بعهده، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عبادته بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه. أو فلم يغير عليه. بقول ولا بفعل كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرّموا حلاله وعطلوا الحدود))، ولنلاحظ في فقرة أخرى ((وأنا أحقّ من غير)) أي جئت للتغيير، والتغيير هنا هو تغيير كلّ الواقع، ومنه الحكم في أعلى المستويات، وبالتحديد رأس الحكم الذي أعلن أنّه حكمٌ غير شرعي ((اتخذوا عباد الله خولاً ومال الله دولا)) يعني تقاسموا مال الله، واتخذوا الناس عبيداً، وهم عباد الله.

ثمّ في كتابه لأهل الكوفة وكتابه لأهل البصرة نراه ينقد الواقع السياسي ويشير الناس ضدّ هذا الواقع عبر خلق وعي سياسي ينهض بالمسلمين ويحملهم مسؤولياتهم، وهو القائل ﷺ: ((إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ أصبر حتّى يحكم الله وهو خير الحاكمين))^(٢٥). وهو الذي لم يترك فرصة إلّا ودعا إلى هذه المبادئ التي أعلن الثورة لأجلها، فحاجّ الحرّ بن يزيد الرياحي وجماعته حين التقاهم في

الطريق، وأخرج لهم الكتب المرسلة إليه من أهل الكوفة، وأقام عليهم الحجة ((لم أت حتى أتتني كتبكم أن أقدم علينا فقد اخضر الجنب وأينعت الثمار)). وكم وقف خطيباً في كربلاء يستتقذ حتى أعداءه من الانحطاط، ولم تنته الأمور إلا عندما قيل له انزل على حكم بني عمك، فقال: ((لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد))، ((ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة وهيهات منّا الذلة))، وعليه فقد خرج الحسين طالباً لحكم الإسلام، وليس في ذلك ما يتهم به، فإنَّ خروجه للحكم لا يعني أنه خرج تلبيةً لطموحاته الشخصية، فالحسين ﷺ أعظم من ذلك، والله خصّه وأهل الكساء بقوله «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»^(٢٦). وهم الطهارة كلّها والصفاء كلّ والنقاء كلّ والمثالية والسمو الروحي كلّ.

لكنَّ الحسين مثل أبيه، فعليّ ﷺ لم يطلب الحكم لذات الحكم، وهو القائل عن الإمرة: ((إنّها أعظم من إمرتكم هذه إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً)) أي لا أريد السلطة لنفسي، وقوله ((ليس أمري وأمركم واحداً، إنني أريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم))^(٢٧). وللأسف لا زلنا لا نفهم الحسين ﷺ، فيكتفى بالجانب المأساوي، حتى وصل الأمر إلى أن يكون عندنا الحديث عن الحسين ﷺ مقتصرأً على النعي وإثارة الدموع وحسب، وهو أمرٌ حسن ومهم كما ذكرنا مراراً، لكن نحتاج إلى التفكير بمبادئ الحسين ﷺ وبرنامجه ثورته.

ليلة باسم زينب ﷺ

□ بعض ليالي عشرة عاشوراء معنونة ببعض الرموز، فلماذا لا تعنون ليلة لزينب ﷺ وهي لا تقل شأنًا عن تلك الرموز لينطلق منها الحديث عن المرأة في كربلاء؟

■ إن زينب ﷺ كانت قد عاشت مع كلّ الرموز الثورية والاستشهادية في كربلاء، لذلك فلا نستطيع أن نذكر أي رمز في عاشوراء إلا ونجد أن زينب تمثل عمق هذا الرمز وهي رفيقة هذا الرمز.

(٢٦) الأحزاب: ٣٣.

(٢٧) شرح نهج البلاغة، ج ١٢، ب ٣٤، ص ٢٤٥.

وعلينا دائماً أن نذكر زينب أمام قضية المرأة في العالم، وهي من القضايا التي أصبحت تشغل أذهان العالم، كما في مسألة العنف ضد المرأة، ومسألة حقوق المرأة السياسية والاجتماعية، وحقوق المرأة في الأسرة، ورفع مستوى المرأة من الناحية العلمية سواء في (يوم الأم) أو في (يوم المرأة العالمي) أو في أي وقت آخر.

إنّ علينا كمسلمين أن نطلق من أجل أن نتحدث عن دور المرأة، ونستطيع أن نستفيد الشيء الكثير من دور المرأة المسلمة في بداية الدعوة، ومن شخصية السيدة العظيمة فاطمة الزهراء عليها السلام وشخصية السيدة زينب عليها السلام وكثير من الشخصيات النسائية الأخرى. لكن مع الأسف فإن زينب عليها السلام في عاشوراء - وبحسب تقاليدنا - ما هي إلا مجرد نائحة تتنقل من خيمة إلى خيمة ومن شهيد إلى شهيد وهي تندب عشيرتها.

إن زينب - أيها الأحبة - أعظم من ذلك، فموقفها في كربلاء هو موقف الإنسانية القائدة التي لم تذرف إلا بعض الدموع كما في السيرة الحسينية الصحيحة، فلقد كانت صامدة كصمود الحسين عليه السلام. وعظمة زينب تتجلى في مجلس ابن زياد، وفي خطبتها بأهل الكوفة وفي موقفها عندما كانت تأخذ الخبز والطعام من فم الأطفال لأنها ترفض الصدقة، وعظمة زينب عليها السلام تتمثل أيضاً في خطبتها في الشام في مجلس يزيد ((فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فإنك لن تمحو ذكرنا ولن تميت وحيانا)). هذه هي زينب وليست النادبة ((إهنا يا أهل الشيم هذا محلکم)). وإلى آخر ما هناك مما يسيء إلى شخصيتها العظيمة، حتى لقد صورها بعض الشعراء والخطباء كامرأة من البدو تتحدث بلغة البدو عن ذلك، وإذا سألتهم قالوا: هذا لسان حالها؟ وإننا لنتساءل: كيف يوصف لسان الحال إذا لم تعرف شخصية زينب عليها السلام؟ إن لسان حال زينب عليها السلام هو القوة والبطولة والعنفوان، ولسان حالها هو لسان آل بيت محمد عليهم السلام.

و - الإمام الصادق عليه السلام:**الصادق عليه السلام وإقبال الدنيا:**

□ يقول الإمام الصادق عليه السلام ((إن الدنيا إذا أقبلت فأحقّ الناس بها اختيارها))^(٢٨) أرجو بيان التحليل المنطقي للإقبال والأحقية هل هي لحملة العلم؟

■ إنها لحملة العلم الذين يأكلون المال الحلال ولا يكون المال والدنيا كلّ همهم، وللذين لا ييخلون بعلومهم على الناس فيتحركون من بيت إلى بيت ومن موقع إلى موقع ليثقفوا الناس، ولحفظه القرآن الذين يحفظون القرآن ويتلونه إذا كانوا بحاجة إليه، وللفقراء المتعففين. والمهم أن الإنسان إذا قام بواجبه وأدى رسالته وكان في طاعة الله فهو أحقّ بالدنيا من الذين يعصون الله ولا يقومون بواجبهم.

ز - الإمام المهدي عليه السلام:**عصر ظهور الإمام عليه السلام:**

□ البعض يعتقد أن هذا العصر هو عصر ظهور الإمام الحجة عليه السلام فهل يمكن لنا أن نعتقد بذلك؟

■ يقول تعالى ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾^(٢٩). ولكن كما أكدنا أكثر من مرة أن هذا ليس مسؤوليتنا فالله الذي جعل حكمته في غيبته سوف تظهر حكمته أيضا في ظهوره. أما مسؤوليتنا فهي كيف نحضّر الأجواء المناسبة له، السنا نقول ((اللهم أنا نرغب إليك في دولة كريمة تعزّ بها الإسلام وأهله وتذلّ بها النفاق وأهله وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك)) فكيف ذلك دون أن ندرس؟ ودون أن نقرأ؟ ودون أن نتشقى؟ كيف تصبح داعية وأنت لم تتوافر على شروط الدعوة إلى الله؟ كيف تنتظره وأنت لا تدعو زوجتك ولا أبنائك إلى طاعة الله؟ وليس لديك ثقافة الدعوة الاجتماعية والدينية والحركية؟

(٢٨) أصول الكافي. ج ٥. ص ٦٥. ح ١.

(٢٩) المعارج: ٦-٧.

((والقادة إلى سبيلك)) بأن تجعل نفسك مشروع قائد بأن تنمي عناصر القيادة في نفسك. ((وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة)) فعلينا أن نتحرك بالطريق الذي يأتي به الإمام عليه السلام وهو إنما يأتي ليملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وعلينا أن نكون مع خط العدل فهو يأتي من أجل العدل العالمي، فمن منا يفكر بالعدل في بيته؟ ومن الذي يقوم بحقوق زوجته بالعدل؟ أو هل أن الزوجة تقوم بحقوق زوجها بالعدل؟ ومن العادل مع أولاده ومع جيرانه؟ هل نكون كبعض من يقول ((يسقط الظلم يعيش العدل)) وأهل بيته أشقى الناس به؟ هل نعدل مع بعضنا البعض حتى نمهد الطريق لظهور العدل المنتظر؟

علامات الظهور:

□ هل تعتبر أحداث العالم حالياً من علامات ظهور الحجة عليه السلام، وهل يمكن استعلامها لتوضيح عالمية الإسلام والعودة إلى القرآن؟

■ نحن لا نملك معرفة العلامات القريبة وبشكل واضح، ولكن ((إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَرَأَاهُ قَرِيباً))^(٣٠)، والقضية - كما بينت لكم في هذه الندوة وفي غيرها - من غيب الله سبحانه وتعالى، هو اختار له عليه السلام الغيبة وهو الذي يظهره، ولذا ينبغي أن نلتفت إلى مسؤولياتنا، وأن نكون على استعداد لاستقباله، وأن لا نكون أول من يتخلف عنه، وأن ننصره ولا نخذله، ولذلك لا بُدَّ أن نبدأ بأنفسنا، فتمهّد للعدل الذي يعمل له، لأنه ((يملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً))^(٣١) فليس من المعقول أن نفتش في هذا الكتاب أو ذاك، ونتخلف عن تكليفنا الحقيقي، ونتنكر للعدل الذي يهدف الإمام عليه السلام إلى إقراره في العالم.

ويقال: إن شخصاً كان قد التزم بعض الأوراد والأعمال التي يمكن معها أن يتشرف بلقاء المهدي عليه السلام، فكان أن أنهى هذه الأعمال وأخذ ينتظر لقاءه، فإذا به عليه السلام يدخل عليه داره، فرحب به وأخذ يظهر له الولاء، لكن فوجيء عندما قال له الإمام عليه السلام إن البيت الذي يسكنه وقف لا يجوز له سكناه، وإن زوجته أخته من الرضاعة فلا بُدَّ أن يفصل عنها، فلما سمع بذلك، أخذ يفكر في التخلص من

(٣٠) المآرج: ٧٦.

(٣١) بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٢٣٤، ب ٥٤، ج ٧.

الإمام عليه السلام، فهل يكون حالنا حال هذا الرجل. وهذه القصة من باب المثال، ولكن لها واقعاً، ولذلك لا بُدَّ أن نستعدَّ لعدل الإمام عليه السلام ونكون من أنصاره حقيقة. فكيف نكون من أنصاره ومنّا من يظلم زوجته ويظلم جاره وأولاده ويظلم شريكه. هل ينسجم هذا مع مشروع الإمام المهدي عليه السلام؟

نحن في ظل غيبة الإمام المهدي (ع):

□ أليس وضعنا اليوم كوضع بقية المذاهب في غياب إمام معصوم، حيث الأحاديث الضعيفة والمتضاربة في كتبنا والاختلاف بين فقهاءنا، فما الذي يميزنا كأماميين؟ وكيف نستطيع إثبات استمرار النبوة بالإمامة في ظل غياب المهدي عليه السلام؟

■ ورد في التوقيع الشريف الصادر عن الإمام المهدي عليه السلام قوله ((وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا)) وغير ذلك مما ورد عن الأئمة عليهم السلام إذ بينوا كل ما يحتاجه الناس فهو مما يرجع فيه إلى الفقهاء، وفقاً لما ورد عن الأئمة عليهم السلام، مما أسسوه من قواعد ومعايير وسهروا على صيانتهم وحفظه. أما بالنسبة للإمامة والحاجة إليها ومسألة غيبة الإمام المهدي عليه السلام فهي مما استُدلَّ عليها مفصلاً مما لا مجال للحديث عنه في المقام.

الفصل الرابع

المسائل الفكرية

موقف الإسلام من الحظ:

□ ما هو موقف الإسلام من الحظ، وما تفسير قوله تعالى «وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ»^(١) ؟

■ الحظّ هو عبارة عن النصيب، فلكلّ إنسان نصيبه، لكن من أين يأتي نصيب الإنسان؟ إنّه يأتي من الأسباب الموجودة في الكون، فالله سبحانه وتعالى جعل لكلّ شيء سبباً، فقد يعيش شخص في ظروف بلد مجذب وآخر في بلد خصيب، وقد يعيش شخص في بلد تتوفر فيه ظروف العمل والظروف الصحية المناسبة. فهذه قضايا تتطلق من خلال طبيعة النظام الكوني فيما يخترنه من أسباب، وطبيعة النظام العام للناس، وأمّا قوله تعالى «وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ». فالظاهر - والله العالم - أنّه ذو حظّ عظيم من الوعي ومن الإيمان وذلك من خلال ما سبق هذه الآية «وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ»^(٢). فالأسلوب الذي يحول الأعداء إلى أصدقاء يحتاج من الإنسان أن يصبر على عصبياته وأن يكون عنده حظّ عظيم من الوعي ومن الإيمان.

إنتاج الحضارة:

□ متى نعود نصنع حضارة كما صنع أسلافنا؟ متى نصبح منتجين للحضارة لا مستهلكين؟ فمازلنا إلى الآن نتغنّى بالتراث والحضارة؟

■ إنّ الفرق بيننا وبين الجماعة الماضين انهم كانوا لا يسألون أنفسهم متى نصنع الحضارة بل كانوا يبدأون بصنع الحضارة، وكانوا يجربون أن يصنعوا ما يمكنهم من عناصر الحضارة، وأن يأخذوا بأسبابها، بينما نحن نقضي وقتنا بالسؤال وبالتمنيات على طريقة ذلك الشاعر الذي يقول:

منى إن تكن حقاً أعذب المنى والأ فقد عشنا بها زمناً رغداً

(١) فصلت: ٣٥.

(٢) فصلت: ٣٤.

علينا أن لا نقضي الوقت بالتساؤل، بل علينا أن نقضي الوقت بالعمل، ذلك أن مشكلتنا هي أننا نتلهى بالهوامش ونحاول أن نسقط الذين يريدون أن يوجهونا نحو الحضارة لأنها تكشف تخلفنا للآخرين، فالمتخلفون عندنا هم الذين يقودون أكثرية الساحات، وهم الذين يعطون لأنفسهم قداسة، ومن المؤسف أن تأتيهم القداسة من دون قداسة.

عدم تقبل العنوان الإسلامي:

□ نحن أمام واقع يفرض نفسه علينا بقوة ويستحيل فيه أن نستعمل المفردات الإسلامية لأنها لا واقع لها اليوم، فالأرضية غير مهيئة لتقبل العنوان الإسلامي في ظل الغزو المعلوماتي والفضائيات وليس الدعاة والمبلغون إلا كباسط كفيه إلى الماء ليلبغ فاه؟

■ هذا أول وأخطر الهزيمة وهو بأن ننهزم نفسياً. فالفضائيات هي أجهزة بث واستقبال والانترنت هو كذلك شبكة معلوماتية وهي فن جديد يمكن أن نتحرك من خلاله فلماذا لا يتعقد الآخرون من هذه الأجهزة المتقدمة ويحاولون أن يستفيدوا منها في بث ما لديهم ولا نحاول نحن ذلك؟ كيف يكون دعاة التبليغ كباسط كفيه إلى الماء والانترنت والفضائيات بين أيدينا؟ ولكننا - مع كل الأسف - مستعدون أن نبذل الملايين لبناء حسينية بين كم كبير من الحسينيات أو مسجد في كثافة من المساجد لكن لسنا مستعدين أن نبذل الملايين لإنشاء فضائية إسلامية عالمية لأنّ الذهنية السائدة ذهنية ضيقة.

واعتقد أن هناك تجارب إسلامية من جهات مسلمة سنية وشيعية بدأت تستفيد من الفضائيات ومن الانترنت وتتحرك في خط المعلوماتية، لكن المسألة هي أن هناك مراكز قوة لا نملكها، ولكن ليس معنى ذلك أن ننسحب من الساحة بل أن نحرك قوتنا بحسب ما نستطيع، ومن الممكن جداً أن يعيد التاريخ نفسه، فالنبي ﷺ كان واحداً وكانت كل القوة مع المشركين وأصبحت القوة معه عندما بدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجا.

المهم أن تتق بنفسك وبدينك وأن تدخل التجربة ولا تقف في أول الطريق لتتدب حظك لأن الآخرين يسيرون وقد سبقوك فيه أشواطاً.. حاول أن تخطو

الخطوة الأولى وسوف تجرّك إلى الخطوة المليون لأنّ المهم أن تقرر الحركة، لكن المشكلة أن الكثيرين منّا يخافون أن يصيروا أقوياء لأنهم أدمنوا الضعف، ولأنّ القوة تتعب، ولهذا فهم يحبون دائماً أن يبقوا تحت ضغط الطفلة، وتحت ضغط التخلّف يرددون ((اللهم اعطنا خبزنا كفاف يومنا ونجنا من الشرير)).

إنّ أمتنا يراد لها أن تعيش إرادتها في حركية القوة عندما يبدأ الناس ممارسة القوة، ولقد طرحت معادلة ما زلت أكررها في الصحافة وفي الأحاديث العامة وهي أن في الضعف عنصر قوة وإن للقوة عنصر ضعف فليس عندنا ضعيفٌ بالمطلق وليس عندنا قويٌّ بالمطلق، وعلينا أن نواجه القوي في نقاط ضعفه، لكنّ الذي نعمله الآن هو أننا نواجه قوة القوي بنقاط ضعفنا، وعلينا أن نلاحظ تجربة المجاهدين في لبنان وتجربة المجاهدين في فلسطين فإسرائيل أقوى من الناحية المادية من المجاهدين في لبنان وفلسطين، ولكنّ المجاهدين في لبنان وفلسطين اكتشفوا عناصر ضعف العدو وعناصر قوتهم فضربوه في مناطق ضعفه بعناصر قوتهم فانتصروا. ولذلك لا بدّ أن نفهم الحياة ولا نبقي مستغرقين في الأحلام والخيالات، فنحن - مع الأسف - نعيش في غيبوبة، وكثير من الذين يخطبون ويوجهون وينظرون يعمّقون هذه الغيبوبة التي اختصرها الإسلام بكلمة «لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ»^(٣).

أسلوب الحوار القديم والجديد:

□ ما الفرق بين أسلوب الحوار في الماضي وأسلوب الحوار العصري، بيننا

لنا ذلك ببعض الأمثلة؟

■ الأساليب القديمة كانت أساليب رائدة مما يحتاجه العصر، وأساليب الحوار الآن تعرف ذهنية العصر وحاجاته وتطلعاته، ثم تحاول أن تقدم الإسلام من خلال انه الدين الذي يستجيب لمشاكل الانسان المعاصر، وهذا الأمر يخضع للثقافة التي يملكها المحاور، لانك لا تقدر أن تحدد مفردات الحوار الاّ من خلال طبيعة المحاور الآخر من حيث ثقافته ومن حيث القضايا التي يثيرها وما إلى ذلك.

الافتخار بالقومية:

□ هل حرام عليّ بأن افتخر أنني من القومية العربية؟

■ عليك أن تفتخر بالقيم الموجودة في الأمة العربية لا أن تحوّل قوميتك إلى صنم تعبد، وأن لا تكون قوميتك قومية متعصبة تنكر على الآخرين قوميتهم. فلا مانع في الإسلام من أن يعيش كلّ واحد قوميته، فأنا عربي ولا أنكر عروبيتي، وللعرب فضائل وقيم ولهم أيضاً رذائل كما لكلّ الشعوب الأخرى. ولكن الإمام زين العابدين عليه السلام حدّد حدود القومية والانتماء إليها والتعامل معها فيما روي عنه انه قال ((إنّ العصبية التي يَأْثُم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين)) وهذا قول البعض يعني: الشرير فينا أحسن من الخير فيهم ((وليس من العصبية أن يحبّ الرجل قومه ولكن أن يعين قومه على الظلم))^(٤) فعندما يدخل قومك في ظلم الآخرين عليك أن تكون مع مبادئك ضد الظلم وضد قومك اذا كانوا ظالمين. وقد ورد أنّ شخصاً سأل النبي صلى الله عليه وآله عن هذه الكلمة وهي كلمة ليست نبوية بل كانت موجودة في الجاهلية وكانوا يتداولونها والنبي صلى الله عليه وآله أراد أن يغيّر له معناها وهي: ((أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً))^(٥) قال يا رسول الله قد عرفت كيف أنصره مظلوماً، ولكن كيف أنصره ظالماً؟ قال ((أن تمنعه عن الظلم بأن تنصره على نفسه)) وعلى شيطانه وعلى عصبيته.

تمجيد ماضي العرب وحاضرهم:

□ العرب دائماً يتكلمون عن كرمهم وشجاعتهم في الماضي وحتى الحاضر،

فهل هذا فيه نوع من العجب أو السمعة أو الرياء؟

■ لقد استهلكنا مع الأسف كلّ كتب الحماسة، فعندنا من دواوين الحماسة الكثير (حماسة البحتري) و(حماسة ابو تمام) وغيرهم ممن ملئوا أشعارهم وخطبهم حماسة، في حين كان اليهود يحاولون ان يمتلكوا الشجاعة مما جعل العرب ينسحبون من الحرب لأنّهم يغطون في النوم على أمجاد ماضيهم، فمنذ البداية قالوا لنا نحن مع السلام الاستراتيجي ولا نريد أن نحارب فأسقطوا

(٤) أصول الكافي، ج ٢، ص ٣٠٨، ح ٧.

(٥) بحار الأنوار، ج ١٢، ص ١٢١، ب ٢١، ح ٢٢.

الحرب. وقالوا نريد أن نعطي (شارون) فرصة ونعطي لفلان فرصة والأعداء يحاربون ويستعدون باسم السلام، والعرب يقدمون كل التنازلات باسم السلام ويتغنون بأمجاد الماضي، هذه هي المسألة.

إنّ الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من قال كان ابي

نعم، فالمجاهدون الذين يجاهدون هم الذين يمثلون نقطة الضوء في الواقع العربي، أمّا عالم الأنظمة ومن يتحركون في خطّ الأنظمة فانهم يمثلون الجماعة الخاضعة للاستكبار العالمي. وإذا تحدّثنا عن الكرم العربي فإنّ علينا أن نتحدّث عما يقدّمه العربيّ فرداً أو دولة للعربي الآخر لتلبية حاجاته الاقتصادية أو العسكرية أو التربوية أو الاجتماعية في حال السلم أو الحرب، فهذا هو التعبير القيمي عن الكرم في معنى أخلاقية الأمة خصوصاً أن الواقع العربي يعاني من مشاكل كثيرة في حاجاته الحيوية، بينما يعيش البعض على مستوى الدول أو الأفراد الثراء الفاحش في إمكاناته المادية التي لا يحركها في ضرورات الأمة بل في أوضاع الترف الفارغ، أو في حاجات المستكبرين، أو في خط توجيهااتهم السياسية حسب مصالحهم الاستكبارية.

الحوار المذهبي:

□ في هذه الظروف الصعبة التي تمرّ بها أمتنا هل علينا حفظاً لوحدة الأمة تجنّب الحوار المذهبي حتى لو كان هادئاً وهادفاً؟ أم بالعكس تكون خطورة الظروف ملزمة لنا بالمصارحة وترك المجاملة والصدق مع النفس؟

■ عندما تكون الأمة في حالة طوارئ بمعنى أنّ العدو يريد أن يسقط كلّ كيانه فمن الطبيعي أن نجمّد كلّ خلافاتنا إلّا ما يتصل منها بالقضايا المصيرية، وليس معنى ذلك أن نستهيّن بالتزاماتنا الفكرية سواء كانت التزامات دينية أو مذهبية أو سياسية، فلكلّ إنسان الحق أن يلتزم فكره من خلال اقتناعه به، وله الحق أن يدافع عن فكره. لكن عندما يؤدّي هذا النوع من الحوار المذهبي إلى إثارة الحساسيات فإنّ العدو يمكن أن ينفذ من خلال ذلك.

ونحن نعلم أنّ المسلمين منذ ١٤٠٠ سنة وهم يتناقشون مذهبياً ولم تحل المشكلة حتى الآن، بقطع النظر عن الأسباب الكامنة وراء ذلك، فلا بد من أن

نجمّد خلافتنا حتى نستطيع أن نتنصر على العدو. فنحن نلاحظ مثلاً أنّ الخلافات بين اليهود هي أشدّ من خلافاتنا المذهبية، واللّه تعالى يقول «بِأَسْهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدُ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى»^(٦). ولكنهم اتحدوا ضد المسلمين.

لذلك علينا أن لا نستغرق في زنازيننا التي وضعنا أنفسنا فيها، وعلينا أن نجمّد هذه الخلافات حتى نتنصر في معاركنا المصيرية خصوصاً في هذه المرحلة التي هي من أصعب المراحل على الإطلاق.

وقد روي أن الإمام علي عليه السلام عندما كان يريد الحرب في صفين مع معاوية قيل له إن ملك الروم يمكن أن يستغل هذه الحرب بينك وبين معاوية ليهاجم على المسلمين قال ((إذا أكون أنا ومعاوية عليه)) ولذا علينا أن نرتفع إلى مستوى علي بن أبي طالب عليه السلام الذي يقول ((فخشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم هذه))^(٧). وهو صاحب الحق، لكننا - في الغالب - معقّدون ومتخلّفون ومستعدون أن نهدم الهيكل على رؤوس الجميع بشرط أن ننفس عن تعقيداتنا الموجودة في داخل نفوسنا، فأى إسلام إسلامنا هذا الذي يقول عنه شاعر مسيحي:

إسلام ويحكمهم يهود وآساد وتحكمهم ضباع ١٩

فهل يعقل أننا مليار ومئة مليون مسلم و(٢٥٠) مليون عربي واليهود لا يمثلون شيئاً في الحجم العددي، ولهم الغلبة علينا؟ ولكن المسألة هي أن أكثر حكام العرب لا يدرون ماذا يفعلون مع شارون وكانوا قبله لا يدرون ماذا يصنعون مع باراك، فنحن متخلّفون سياسياً وثقافياً وغارقون في التجريد ولا نحدق في الواقع، ولقد ذكرنا مراراً أنه عندما دق الفاتح القسطنطينية كان حكاموها يتنازعون: هل البيضة أصل الدجاجة أم الدجاجة أصل البيضة؟ ويدور النزاع هل الملائكة ذكور أم إناث؟ ونحن اليوم كذلك وإن اختلفت الصيغ فالروحانية واحدة، ولقد فتح الغازي القسطنطينية وهم مشغولون بهذا النزاع الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، ونحن الآن مشغولون أيضاً بخلافاتنا فهذا يقتل هذا وهذا يكفر هذا وهذا يضلّ ذاك والعدو يخطّط.. وحدهم مجموعة من الشباب المؤمن الذين

(٦) الحشر: ١٤.

(٧) شرح نهج البلاغة، ج ١٧، ب ٦٢، ص ١٥١.

حدّقوا في العدو ولم يحدّقوا في غيره استطاعوا أن ينتصروا مع كونهم الأقلية.

تشويه سمعة الدين:

□ تدور في الساحة - وللأسف - من خلال بعض المحسوبين على الإسلام محاولات لتشويه سمعة الدين، فهل أن هذه الممارسات تقع ضمن فتن آخر الزمان التي وردت في أكثر من مصدر قبل ظهور الحجّة ﷺ؟ وكيف تتم معالجة الأمور لتوحيد كلمة الإسلام في ظل ظروف نحن بأمس الحاجة فيها إلى توحيد الكلمة ورص الصفوف؟

■ إنّ المشكلة هي أن الإسلام لا يمثل شيئاً عندنا فنحن متعصبون ولسنا مسلمين، ولو كنّا مسلمين لحافظنا على قوّة الإسلام في نفوسنا وفي مجتمعاتنا. ومن الطبيعي أن تشويه سمعة علماء الإسلام والمجاهدين منهم، وإشغال الأمة بالهوامش حيث يتكلّم هذا ضد ذاك، وذاك يدافع عن هذا، والعدو يخطّط للإطاحة بالجميع، فأية محبة للإسلام هذه؟

ولذلك فنحن نهدم الإسلام بأساليبنا وبتخلّفنا وبأحقادنا وعصبياتنا، ولو اطلعت على قلوب بعض المسلمين لرأيت أنهم يحملون للمسلمين الآخرين - حتى الذين في داخل مذهبهم - حقداً لا يحملونه للكافرين. فنحن للأسف عندنا روح تدميرية نتربّي ونربّي عليها أبناءنا، أمّا قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٨). قلنا عنها شأن يغنيانا!!

معالجة القضايا الإسلامية:

□ خلال ما نشاهده ونقرأه ونسمعه فإن أغلب موضوعاتكم هي لمعالجة الحالة اللبنانية مع أن وظيفة المرجعية هي أن تعالج قضايا الأمة والشعوب، فما هو ردكم؟

■ في كلّ أحاديثي السياسية - لو كان السائل يتابع ذلك - أتحدث عن أغلب قضايا المسلمين كما في خطب الجمعة وهي - في غالبيتها - تتعلق بالقضية الفلسطينية، كما تناولت في عدة خطب ولقاءات صحفية ومتلفزة قضايا البوسنة والهرسك والمسلمين في مقدونيا وفي العراق وإيران وتركيا. وأعتقد أن السائل لم

يطلع على بعض أحاديثي المسموعة أو المكتوبة أو المرئية التي تتناول معالجات لقضايا المسلمين، فلقد تحدثت بشمولية عن ذلك كله وعن كل ما يجري في بلاد المسلمين من هموم وقضايا .

ضوابط الحوار مع المسيحيين:

□ تدعون للحوار والانفتاح على المسيحيين، فهل يمكن إعطاء ضوابط وحدود لهذه العلاقة من الناحية الاجتماعية والفكرية؟

■ في كتابنا ((في آفاق الحوار الإسلامي - المسيحي)) هناك تفاصيل حول هذا الموضوع لأنّ هذا الكتاب يمثل نماذج تجريبية مع المسيحيين سواء مع علمائهم أو مع صحفهم أو ما أشبه ذلك، ويمكن الرجوع إليه لمعرفة إمكانيات وحدود هذا الحوار.

المشورة والمخالفة:

□ اذا كانت المرأة مؤهلة للتقليد والمرجعية ألا يتعارض ذلك مع ما روي عنها في الحديث ((شاورهن وخالفوهن))^(٩)؟

■ أي ربط بين هذا وذاك؟

أولاً: لفهم معنى كلمة ((شاورهن وخالفوهن)) على حقيقتها، فبعض الناس يفهم منها أنّك إذا أردت أن تعرف الحقّ فشاور امراًتك فإذا أشارت عليك بأمر - حتى لو كان حقاً - فخالفها على ضوء هذا الفهم الخاطئ. فإذا لم يكن يصلّي وقالت له امرأته صلّ، أو كان يشرب الخمر ونهته عنه، فهل يخالفها؟

إن معنى الحديث هو أن تعودوا النساء على المخالفة فيما يضعف دينكم وقراراتكم المصيرية ليتخلص الانسان من مسألة الخضوع للجانب الغريزي، وهذا مثل القول: ((لا تطيعوهن في المعروف كي لا يطمعن في المنكر))^(١٠) أي لا تطيعوهن في بعض موارد المعروف البسيطة حتى لا يطمعن في بعض موارد المنكر الكبيرة، وليس معنى ((شاورهن وخالفوهن)) إعطاء قاعدة مطلقة في إن على الانسان إذا كان يريد أن يعرف الحقيقة أن يشاور المرأة ثم يخالفها بعد

(٩) بحار الأنوار. ج. ٧٧. ص ١٦٧. ح. ٢. ب. ٧.

(١٠) بحار الأنوار. ج. ٣٢. ص ٢٤٧. ح. ١٩٥. ب. ٤.

ذلك، فقد تكون بعض النساء أعقل من الرجال وأتقى وأفضل. فالإمام علي عليه السلام كان يشاور السيدة الزهراء عليها السلام فهل كان يخالفها؟ أو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يشاور خديجة، فهل كان يخالفها؟

ان المرأة قد يكون لها فكر، وقد يكون عندها علم، وقد تكون ذات إبداع، وكما أن عندنا نساء عاطفيات، فان هناك كثيرا من الرجال عاطفيون أيضا، وكما أن عندنا نساء متخلفات، فكذلك عندنا رجال متخلفون أيضا. فالحديث يريد أن يقول إن الانسان يخضع لغريزته من خلال ما يبيديه من ضعف إزاء المرأة، ولذا فإننا نقرأ في كتب المذكرات، كما في الحرب العالمية الثانية، بأن أجهزة المخابرات تستعمل النساء الحسنات لأغراض الجاسوسية كما في بريطانيا حتى أن هناك رجالاً سياسيين استقالوا من الوزارة لأنهم كانوا خاضعين لامرأة جاسوسة أو ما أشبه ذلك. فالحديث إذاً يراد به أن يعصم الرجل من الخضوع للاغراء، أي عودوهن على المخالفة في بعض الموارد فليس كل ما تطلبه المرأة صحيح، ويصح هذا حتى على الرجال، فعندما تشاور الناس أدرس عقل الانسان الذي تشاوره، فإذا رأيت عقله راجحاً وعميقاً فخذ بمشورته والآن فدعها.

أما فيما يخص علم وفقاهة المرأة، فإذا كانت عالمة فالفقه علم مثله مثل الطب والهندسة والقانون، ألسنا نرجع للنساء الطبييات اللواتي يمكن أن يكن في أعلى درجات الطب؟ فالتقليد هو رجوع الجاهل إلى العالم، وقد يكون لدى امرأة ثقافة فقهية عالية أعلى بكثير من ثقافة بعض الرجال فيمكن حينئذ أن نأخذ بفتاواها، غاية الأمر أن العرف العام لا يقبل هذا الشيء إلا فمن حيث الأصل تقليدها جائز، ولقد قال بذلك عدد من العلماء من بينهم السيد محسن الحكيم عليه السلام (المستمسك). فالقاعدة إذاً يجوز تقليد المرأة لان التقليد هو من باب رجوع الجاهل إلى العالم، مع ملاحظة مهمة وهي أن الحديث الذي يذكره السؤال لم تثبت صحته.

الانفتاح الفكري:

- تتكلمون كثيراً عن الانفتاح الفكري وغيره، فما هو الانفتاح؟
- هو أن ننفتح على الأديان الأخرى وعلى الأفكار الأخرى، وأن نحاورهم ولا تنغلق بوجه الأفكار والأديان الأخرى، وذلك من أجل أن يفهموا ديننا وفكرنا ونفهم دينهم وفكرهم، وإلا فالإنسان المغلق لا يفيد نفسه ولا يفيد غيره.

تقييم الوضع الثقافي:

- ما هو تقييمكم للوضع الثقافي للساحة؟ وهل تعيش ساحتنا أزمة ثقافة أم أزمة وعي؟
- إذا أريد بالثقافة معنى الثقافة الإسلامية، فنعم نحن نعيش أزمة ثقافة إسلامية، لأننا نعيش تخلف ذهنيات من يمثلون الإسلام بشكل رسمي، وكذلك هناك أزمة وعي، ولكننا لا نعدم المواقع الثقافية الجيدة ولا مواقع الوعي الجيدة.

ركائز بناء الشخصية:

- ما هي أهم الركائز المطلوب تحصيلها لبناء شخصية إسلامية متكاملة؟
- علينا أن نأخذ بالمناهج الإسلامية والثقافية والأخلاقية والروحية، وأن نكون كما ورد في حديث بعض زوجات النبي ﷺ عندما سئلت عن خلقه: ((فقالت: أوجز أم أطنب؟ فقل لها: أوجزي، قالت: كان خلقه القرآن))^(١١). فعلى أن نعيش الخطوط العامة للقرآن التي ركّز فيها معالم الشخصية الإسلامية.

الموت والعلم:

- ألا يمكن أن يتقدم العلم فيمحو ظاهرة الموت؟
- لا، لا يمكن ذلك، لأنّ المادّة في الدنيا ليس لها قابلية للخلود.

العلوم العقلية:

- هناك من ينظر إلى العلوم العقلية نظرة سلبية، فماذا تقولون له؟
- هناك في العلوم العقلية السلب وفيها الإيجاب أيضاً، فلا يصحّ التعميم.

موقع للوحدة الإسلامية:

□ نقوم حالياً بإنشاء موقع على شبكة الانترنت والهدف هو الوحدة الإسلامية بصورة عامة والوحدة الشيعية بصورة خاصة، فهل نستطيع الاقتباس من بعض كلماتكم؟

■ أكون شاكراً لكم، فكلما كنا حينما نكتبها أو نقولها فإننا نكتبها ونقولها لكل الناس. كما أن لنا موقعاً على الشبكة يهدف إلى التوعية والوحدة الإسلامية والوحدة الشيعية بل والوحدة الإنسانية.

تسمية الديانات:

□ ما سبب تسمية كل من الديانات السماوية باليهودية والمسيحية والإسلامية؟

■ أمّا اليهودية فلقوله تعالى ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾^(١٢). يعني أقبلنا عليك، وأمّا المسيحية فباعتبار نسبتها إلى السيد المسيح ﷺ وأمّا الإسلام باعتبار ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١٣) ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾^(١٤).

تلبية دعوات القنوات الفضائية:

□ هل هناك ضرورة لتبليبتكم دعوة بعض القنوات الفضائية مع أنها معروفة بالانحراف، ألا يؤدي ذلك الى الخدش في مقامكم، أم أن في ذلك مصلحة؟

■ إنّ المصلحة في ذلك ليست شخصية، فما دمت تستطيع أن تتكلم في الإسلام لمدة ساعة أو ساعتين وبكل ما تريد فلم لا تفعل والفرصة متاحة؟ نعم، هناك سلبيات لا تنكر ولكن الايجابيات اكثر بكثير. وقد طلبت احدى المجالات النسوية من الشهيد مطهري أيام الشاه حديثاً إسلامياً عن المرأة، وفي المجالات النسوية - في العادة - صور فاضحة، فقليل له: هل أنت مستعد لنشر بحث حول المرأة في الإسلام؟ فقال بعد أن فكّر بالأمر: أنا مستعد، لأنه رأى أن المجلة إذا

(١٢) الأعراف: ١٥٦.

(١٣) آل عمران: ١٩.

(١٤) الحج: ٧٨.

كانت تطبع (٢٠) ألف نسخة أو يزيد، فإن قراء المجلة من النساء والرجال الذين ليس لديهم فرصة للاطلاع على نظرية الإسلام في المرأة سيطلعون على ذلك، ولما كانوا مستعدين لطرح كل ما تقوله أو تكتبه، فلم الإحجام؟ هل يترك هذا الأمر لأن هناك من يقول إن في ذلك عيباً، أو أن هناك من ينتقد ان تشر صورة العالم إلى جوار صور الفانات؟

إن هذا هو طريق من طرق الدعوة الى الله. فحينما تأتي مجلات نسوية كمجلة (الحسناء) التي تطبع (٥٠) ألف نسخة، وتطلب مني مقابلة حول نظرية الاسلام في تعدد الزوجات أو المرأة أو الحجاب أو في المتعة، قد يكون ذلك غير لائق، ولكن عدم اللياقة شيء ومسؤوليتي أمام الله شيء آخر، المهم ان ابْلغ رسالة ربي، وهذا ما يسمّى في الفقه بباب التزام، فاذا كان لديك مصلحة ٧٠٪ ومفسدة ٣٠٪ فالمصلحة تغلب المفسدة.

فنحن نحتاج إلى الدعوة إلى الله والتبليغ من خلال هذه القنوات الإعلامية، فالتقاليد التي كانت للمرجعية سابقاً قد انتهت الآن، فلا بد من أن نطل اليوم على العالم ونوصل صوتنا إليه.

الإسلام ومجتمع الجزيرة العربية:

□ يقول كاتب غربي إن من أسباب نجاح دعوة رسول الله ﷺ هو الانحطاط والتخلف الفكري في المجتمع الذي دعا فيه، فما هو تعليقكم على هذا القول؟
■ يرد على هذه الدعوى عدة ردود:

أولاً: إن المجتمع الذي انطلق فيه النبي كان مجتمعاً يملك ثقافة جيّدة، ولا أدل على ذلك من وجود عدد من الشعراء والأدباء والحكماء. وعندما ندرس النثر الجاهلي في ذلك الوقت، نجد أن هناك انفتاحاً فكرياً قادراً على مناقشة هذه الأفكار على أقل التقادير. ثم إنه كيف تبني العرب الإسلام وحملوا رايته وفيه ما فيه من شمولية التشريع والعقيدة والأخلاق، ألا يدل ذلك على مدى فهمهم واطّلاعهم؟ ولم ينقل إلينا أنهم لم يكونوا يستوعبون أو يتفهمون ذلك.

ثانياً: إن امتداد الإسلام في زمن النبي ﷺ إلى أماكن فيها مظاهر الحضارة كانت قائمة، فكيف قبلت الإسلام وتبنته.

هذا مضافاً إلى المقولات الفكرية التي طرحها النبي ﷺ، وهي مقولات حضارية قائمة حتى الآن، من قبيل حوار الآخر، وتحديد أهل الكتاب في ذلك الزمان، وكان أهل الكتاب موجودين، ولهم ثقافتهم ومعرفتهم، وكان لليهود وجود في المدينة وفي أنحاء أخرى من بلاد الجزيرة.

وثالثاً: لنفترض خلوّ المنطقة العربية ومرحلة النبي ﷺ من مظاهر الحضارة والثقافة، ولكن لننظر كيف أضحى حال الإسلام بعد عشرين أو ثلاثين سنة من ظهوره، أي بعد أن انفتح على الثقافات الأخرى، وامتدّ إلى سائر أنحاء العالم، بقدر ما اتسعت له حركته؟ وكيف آمن به المثقفون والعلماء من سائر الأديان؟ كيف اتّبع هؤلاء الإسلام؟ وكيف انتشر الإسلام في أوساط المثقفين؟ فكيف يُقال إنّ سبب نجاح الإسلام وجوده في عصر الانحطاط الثقافي، وهو الذي استطاع أن يصنع نهضة علمية ثقافية تمكّنت من أن تكشف الكثير من أسرار الطب والكيمياء وما إلى ذلك، ونبّهت الإنسان إلى أنّ التجربة من مصادر المعرفة، حتّى وصل الإسلام إلى الأندلس ونقل إلى الغرب حضارته، فكيف ولقد قال رئيس وزراء الهند الأسبق (جواهر نهرو) في كتابه (لمحات في تاريخ العالم) ((إنّ الحضارة الإسلامية هي أمّ الحضارات الحديثة))، وذلك لجهة أنّ الأسس التي ارتكزت عليها الحضارات الحديثة، وهي حركة المعرفة من خلال التأمل العقلي ومن خلال التجربة، هي التي استطاعت أن تحرّك الحضارة، وهي أسس نبّه عليها الإسلام وكرّسها في حياة الإنسان. ثمّ ما هو السرّ في هذا النزوع نحو الإسلام، بحيث يعتنقه المثقفون والعلماء والفلاسفة من قبيل روجيه غارودي وغيره من المفكرين؟

أظنّ أنّ الكاتب الغربي المشار إليه لم يقرأ الإسلام ولم يقرأ التاريخ، وإلّا فما هو دليله ومستنده؟ «قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»^(١٥).

لقد عاش العالم الإسلامي في مدى أكثر من ألف ومائتي سنة لا يحكم فيه إلّا الإسلام، ولا تشريع إلّا تشريعه، ولا قيم إلّا قيمه، منذ ما يُعرف بالخلافة الراشدة إلى الخلافة العثمانية، بغضّ النظر عن الملاحظات والتحفظات التي

نسجلها على هذه الخلافات. فكيف عاش هذا الإسلام؟ وكيف نما؟ وكيف يمكن أن يستغل الأمة على مدى قرون عديدة من دون أن تتنبه إلى ذلك.

مقومات الحضارة الإسلامية:

□ كيف تردُّون على الذين يقولون إنَّ الإسلام متأخر حضارياً من حيث الصناعة والطب ولا يركِّز على حاجيات النَّاس مادياً؟

■ لم يقتصر الإسلام على الجانب الروحي فقط، ولذلك برز علماء الإسلام في ميادين مختلفة، فكان ابن سينا وكتابه (القانون) في الطب، وابن النفيس الذي اكتشف الدورة الدموية، وابن حيان أستاذ الكيمياء، مازالت كتبهم تدرِّس في الغرب، غاية الأمر أنَّ الإسلام لم يعد له سلطة سياسية، ولذلك لم يعد القرار قراره في العالم، وإذا أردنا أن نعرف أنَّه متأخر أو متقدِّم حضارياً، فيلزم أن ندرس عناصر حضارته، وما هو مركز العقل وقيمة التفكير في هذه الحضارة، وهو الذي جعل العقل العنصر الأساس، وجعل العلم أيضاً أساس القيمة، وجعل العدل كذلك، وهو أساس الديانات، وهذه هي العناصر التي يتقدِّم بها المجتمع.

دور الشباب:

□ نرجو منكم أن ترشدونا. نحن الشباب. إلى الطريق الصحيح، ونحن نعيش جواً يعصف بالمتناقضات والوشايات والألغاب، ولا يخلو الهواء الذي نتنفسه من الآثام والضلال؟

■ إذا كان هناك من الآثام والضلالات ما يملأ الدُّنيا، فإنَّ هناك ما يمكن به مقارعة هذه الآثام، وذلك بالفزع إلى الله سبحانه، ومن خلال أوليائه والعارفين به ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١٦)، وعلى الشاب أن يفتح على مصيره وأن يفكر فيه فلا يخضع لما حوله، بل يُحاول أن يفتح على من يمكن له أن يدلّه على الطريق، ثمَّ يُحاول أن يصطف إلى أصحاب الدين، فينأى بنفسه عن الانحراف وأهله. يقول الله تعالى ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا

ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ❖ يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلاً»^(١٧) بمعنى يا ليتني لم أتخذ فلانا صديقاً، «لقد أضلني عن الذكر» عن ذكر الله وهو كناية عن دينه في التزاماته العقيدية والعملية «بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً»^(١٨)، أي أنه يورطه بالانحراف ثم يتبرأ منه «كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين»^(١٩).

الحياة في الكواكب:

□ ورد في بعض الأخبار أن هناك كائنات حية في بعض كواكب المجموعة الشمسية أو غيرها، ما مدى صحة هذه الأخبار؟

■ هذه الأخبار تتحدث عن شيء ممكن، ولكنها لا تشير إلى الموقع أو إلى غير ذلك، وعلماء الطبيعة اليوم لا ينفون ذلك، بل هم الآن بصدد البحث عن وجود الحياة في عدد من الكواكب، ولذلك من الممكن أن تكون هناك كائنات حية في هذه الكواكب، ولكننا لا نجزم به.

مراتب الجهاد:

□ فيما نقلتم عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قوله: ((قد تخلص عن الهموم كلها إلا هما واحداً)) ونحن اليوم نرى الثلة المؤمنة من المقاومين الإسلاميين الذين يتنفسون عطر الشهادة في سبيل الله ويفوح منهم عبق الإيمان قد تركوا أزواجهم وأبناءهم وكل ما يملكون وخلفوا الدنيا وراء ظهورهم في سبيل الله، فهل يمكن لنا ونحن نهتز أمام أقل بلاء من الدنيا أن نصل إلى درجاتهم؟

■ لكل موقع جهاده، ولا إشكال أن الجود بالنفس أعلى مراتب الجود، ولكن الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، فهناك إنسان يتحرك في خط الجهاد البدني، وهناك إنسان يمكن أن يتحرك في خط الجهاد الفكري، بل أن المجاهدين والمقاومين هؤلاء يحتاجون في جهادهم إلى غير حملة السلاح، فهناك الأطباء، والمهندسون وغيرهم، وهؤلاء جميعهم يسهمون في رفد حركة الجهاد، ويخططون

(١٧) الفرقان: ٢٨-٢٧.

(١٨) الفرقان: ٢٩.

(١٩) الحشر: ١٦.

لها، ولولا هذا أو ذاك لم يكن بمقدور المقاومين الاستمرار بجهادهم. ولذلك علينا أن لا نستعين بجهاد المجاهدين من غير حملة السلاح، وإن كان الجهاد بالنفس والجود بها أقصى غاية الجود. يقول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾^(٢٠)، ولذلك فالجميع مدعوون إلى الإسهام في حركة الجهاد والأخذ بأسباب القوة وعدم الوقوع في الضعف ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ❖ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٢١).

موقع الفكر الإسلامي:

□ ما هو برأيكم موقع الفكر الإسلامي بين ما هو مطروح اليوم من أفكار ونظريات في ساحة الفكر العالمي؟

■ للإسلام شخصيته الفكرية التي قد يلتقي بها مع بعض الخطوط الفكرية القائمة في العالم وقد يختلف عنها، لذلك نقول: الفكر الإسلامي فكر أصيل وفكر مستقل، ولهذا فإننا عندما نريد أن ندرس الفكر العالمي، علينا أن ندخل في مقارنة بين الفكر الإسلامي وبين الفكر العالمي.

تمثيل الإسلام:

□ من يملك الحق في تمثيل الإسلام؟ وكثير من الناس يدعون تمثيل الإسلام وتنعكس نتائج أعمالهم على الإسلام؟

■ هؤلاء كما يقول الشاعر:

كلُّ يدعي وصلاً بليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا

فكل واحد يقول أنا الإسلام، والذي يخالفني يخالف الإسلام، مع أن الإسلام واحد، وهناك وجهات نظر وفهم متعدد للإسلام، فإذا كان ثمة مخالفة

(٢٠) التوبة: ١١١.

(٢١) آل عمران: ١٣٩-١٤٠.

فهي مخالفة لوجهة نظر إسلامية، إلا أن تكون من القطعيات أو الأمور الواضحة، وكما قال الشاعر:

قل لمن يدعي بالعلم معرفة حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

فليس هناك من يملك الحقيقة كلها، ولكن بعض الناس يأخذهم الغرور بأنفسهم، فيحسب أن كل من يخالفه الرأي ضالاً وخارجاً عن الإسلام، مع أن رأيه قد يكون هو البعيد عن الإسلام، خاصة مع بعده عن روح الإسلام وحقيقة الإسلام. وهو حينما يدعي أنه يملك الحقيقة، فهو إنما يسوق الجهل باسم العلم، ويسوق الضلال باسم الهدى، ولذلك لا يملك أحد أن يدعي تمثيل الإسلام بالمطلق، وإنما نحن ندرس فكر هذا الإنسان ونتعرف على دليله ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢٢) فإذا كانت البراهين والحجة تثبت أن هذا الفكر ينسجم مع مصادر الإسلام الحقيقية، فهو يمثل الإسلام في هذا الفكر، وقد لا يمثل الإسلام في جانب آخر، وإلا كيف نفسر اختلاف المجتهدين، فهذا يفتي بكذا، وذاك يفتي بأمر آخر، فأحدهم يفتي بأن اللزوم عليك الصلاة قصراً، وآخر يرى التمام، وهناك من يفتي بأن أهل الكتاب نجسون، وآخر يقول طاهرون، ولا إشكال أن الحكم واحد، ولا بد أن أحدهم مخطئ والآخر مصيب. والحال كذلك في العقيدة، فهناك اختلاف في وجهات النظر، وهذا يعني أنه لا يملك أحد ادعاء تمثيل الإسلام بالمطلق.

ولكن المشكلة أننا متعصبون، فإذا أحببنا فلاناً أحببناه مائة بالمائة ورفعناه إلى السماء، وإذا أبغضناه أنزلناه إلى الأرض، مع أن النبي ﷺ يقول: ((إنما المؤمن الذي إذا رضي. أي أحب. لم يدخله رضاه في إثم ولا في باطل)) فإذا أحببت إنساناً لا تمدحه أكثر مما يستحق ولا تعطه ما لا ينبغي، أو لا تتعصب له على حساب الحق ((وإذا غضب لم يخرج غضبه عن قول الحق)) فإذا اختلف مع الآخر فإن اختلافه هذا لا يدعوه إلى التكرار لقول الحق، وقد قال تعالى ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمَ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾^(٢٣) والقرآن صريح في لزوم العدل ولو مع العدو.

وللإمام زين العابدين عليه السلام ما يؤكد هذا المعنى في دعائه إذ يقول: ((اللهم ارزقني التحفظ من الخطايا والاحتباس من الزلل في حال الرضا والغضب، حتى أكون بما يرد عليّ منهما . أي الغضب والرضا . بمنزلة سواء، عاملاً بطاعتك، مؤثراً لرضاك على ما سواهما في الأولياء والأعداء، حتى يأمن عدوي من ظلمي وجوري)). وهنا محل الشاهد . حتى ليقال إن فلاناً عدوي ولكنه مؤمن لا يظلمني ((ويأس وليي (صديقي) من ميلي وانحطاط هواي)) فيقال إن فلاناً صديقي ولكنه لا يبيع دينه من أجلي.

قيمة صندوق الاقتراع:

□ ما هو رأي الإسلام في صندوق الاقتراع للاختيار بين الإسلام وغيره من الاتجاهات في الحكم واستلام السلطة؟

■ صندوق الاقتراع لا قيمة له عندما يُراد للإنسان أن يقتصر بين الحق والباطل ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾^(٢٤) فليس هناك خيار بين الحق والباطل، فإذا كان الترجيح للحق صار مشروعاً وإلا فليس مشروعاً، لأن الاقتراع في هذه الأمور لا يقدم لا يؤخر، وقد قال الله تعالى ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢٥)، فالإسلام هو الحق وهو الحقيقة سواء، بصندوق الاقتراع أو بغير صندوق الاقتراع، وسواء بالحياة الديمقراطية أو بغير الحياة الديمقراطية لأنه دين الله وليس نظاماً موضوعاً من قبل الإنسان.

مدى حرية المرأة:

□ عقدت على رجل ولا زلت أسكن في بيت أهلي ولم يحصل الزواج ولم انتقل إلى دار زوجي، وهو في هذه الحالة يمنعني من الخروج مع أهلي فهل له ذلك؟ وبعد الزواج هل يحق له ذلك؟ وما حدود منعه؟ وهل لي نفقة في هذه الحال؟

(٢٤) الكهف: ٢٩.

(٢٥) آل عمران: ٨٥.

■ ليس له المنع في وقت لم تنتقل المرأة إلى داره، وإذا انتقلت المرأة إلى دار زوجها فإنَّ للزوج الحقَّ في منعها من الخروج إذا كان ذلك منافياً لحقَّ الزوج الاستمتاعي. أمَّا النفقة فليس لها نفقة وهي في دار أهلها، لأنَّ هناك شرطاً ضمنياً في عدم الإنفاق قبل الزفاف، لا سيَّما أنَّ النفقة مشروطة بالتمكين من الاستمتاع الجنسي، وهو غير حاصل غالباً قبل الزفاف.

دور الشعب الأمريكي سياسياً:

□ قلتم إنَّ مشكلتنا هي مع الإدارة الأمريكية وليست مع الشعب الأمريكي، وهنا يرد الإشكال التالي: أنَّ الشعب الأمريكي هو الذي يدفع الضرائب لتمويل الإرهاب الصهيوني والطغيان الأمريكي، لذلك يكون شريكاً في الجريمة، وعليه أن يمتنع عن دفع الضرائب لتحقيق هذا العدوان للضغط على حكومته؟

■ هذا صحيح، ولكنَّا لم نعمل من أجل تصحيح نظرة الشعب الأمريكي للأحداث في وقت يسيطر فيه الإعلام اليهودي على الذهنية الأمريكية، إلى درجة أصبح معها الشعب الأمريكي - في الأعم الأغلب - يعتبر الفلسطينيين معتدين، وأنَّ اليهود هم المظلومون. بل حاول الإعلام اليهودي أن يستغل بعض الأفكار الدينية في المحيط المسيحي، فأخذ اليهود في ترويج ما يدعى من الوعد الديني لعودة اليهود إلى فلسطين، وأنَّ ذلك تحقيق لإرادة الله وفقاً للتفسير البروتستانتي. ولذلك نلاحظ أنَّ المجتمع الأمريكي بشكل عام غير مكترث بالسياسة الخارجية، ولذلك فهو يجهل الأحداث لأنَّه هو مشغول بحياته اليومية، ليسقط أمام الإعلام المشبوه، ولذلك فإنَّ مسؤولية تغيير الذهنية الأمريكية تقع بمقدار ما على المسلمين.

تراجع المعرفة الفكرية:

□ قد يكون تراجع المعرفة الفكرية لدى الشعوب العربية بسبب اعتمادهم على الكتب التي يكتبها المفكرون العرب واغلبهم درسوا في الغرب فتكون أفكارهم اغترابية. ما رأيكم بذلك ؟

■ لا أتصور أن هذا الكلام دقيق ، قد يكون فيه شيء من الصحة بالنسبة للمفكرين المتغربين ، والذين عاشوا ثقافة الغرب ، ولكن الشعب العربي

يقرأ كتب علماء آخرين فيقرأ كتباً إسلامية، ويقرأ كتب التاريخ الإسلامي، ومصادر الفكر الإسلامي كلها، ولذلك لا نستطيع أن نقول إن هناك تراجعاً فكرياً، لأن التراجع من جهة عناصر التخلف التي استهلكها الإنسان العربي في القرون المظلمة، وفي حالات الجهل وما إلى ذلك، وليس من جهة أن المعرفة انطلقت في خط واحد، فالمعرفة كانت متنوعة ولا تزال، ولذلك نرى تنوع المعرفة عند الإنسان العربي، فهناك أناس يعيشون التغرّب في ثقافتهم بسبب استغراقهم في ثقافة الغرب، وهناك أناس اخذوا شيئاً من ثقافة الغرب وشيئاً من الثقافة الإسلامية، فيما يمكن أن تتفاعل فيه الثقافات، فتوازنت ثقافتهم.

مسلمات الإسلاميين:

□ يقول (محمد اركون) إن هناك خطاباً عاماً مشتركاً بين جميع الحركات الإسلامية، يستند على مسلمات وهي افتراضات غير مبرهن عليها لا تقبل أية مناقشة أو أي فحص، ومن هذه المسلمات أن الله واحد وهو الحي والمتعالي والعاقل، أوحى إلى البشر بوصايا وجعلهم خلفاء في الأرض؟

■ أولاً: إن القول إن الحركات الإسلامية تنطلق من مسلمات غير مبرهن عليها، غير واقعي، لأن الحركات الإسلامية لا تمثل جميعها القاعدة الثقافية الإسلامية الواحدة. لأن هناك حركات إسلامية تستغرق في الجانب السياسي، وهناك حركات إسلامية تعيش على السطح الثقافي الإسلامي ولا تتعمق فيه، ولكن هناك حركات إسلامية تملك الثقافة بأعمق ما تكون، كما أن هناك كثيراً من العلماء المسلمين والمتقنين المسلمين الذين تستمد بعض الحركات الإسلامية الواعية الثقافة منهم، وهؤلاء عندما يؤكدون على كلمة (الله الواحد) فإنهم لا يعتبرونها مسلمات بلا برهان، بل يعتمدون على البرهان، بل إن القرآن نفسه برهن على ذلك، بطريقة وجدانية ولكنها تركز على أسس فلسفية، كما في قوله تعالى ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾^(٣٦)، وقوله تعالى ﴿إذا لذهب كل إله بما

خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ^(٢٧).

كلمة (الحي) فإن مسألة أزلية الحياة في الله أيضاً هي محل استدلال عند علماء الفلسفة الإسلامية، وهكذا كلمة (المتعالى) لأن الربّ الخالق يكون في الموقع الذي لا يدانيه فيه أحد، فكلّ شيء مخلوق له فهو مريبوب له. ومن الطبيعي أن المخلوق هو أسفل من الخالق. وهكذا فكرة العدل لأن الظلم ينطلق من ضعف وعندما نرفض وجود خالق-بالدليل الذي نستدل عليه - فمن الطبيعي أن يكون عادلاً لأن الظلم عقدة ضعف والقوي لا يحتاج إلى الظلم وأما قوله أوحى للبشر بوصاياه فإن المسلمين يتحدثون عن الوحي بالدليل، ولذلك لا بد للنبي يعتبرون أن يأتي بمعجزة، وقد تناقش أنت في هذه المعجزة. لكن العلماء أن قضية الوحي تتطرق من دليل يؤكد العقل.

ازمة النموذج:

□ ومن مسلمّات الإسلاميين كما يقول أركون أن حياة محمد ﷺ والدولة التي أسسها هي عبارة عن نموذج أعلى للوجود البشري أي أنه لا يجوز تجاوزه، وينبغي لكل مؤمن أن يقلده بكل دقة وصرامة؟

■ هذا أيضاً غير صحيح على إطلاقه، وقال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٢٨)، وقال ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٢٩) فإن مضمونها هو اتباع الرسول ﷺ في القيم الروحية والأخلاقية والإنسانية المتمثلة في سيرته بالإضافة إلى الخط الشرعي الذي يمثله سلوكه في الأمور العامّة والخاصّة، فليست المسألة مسألة اتباع في عناصر الذات في ذاتياتها الشخصية ولكن ما نتبع به الرسول هو ما أنزله الله عليه من شريعة وما أوكل إليه من تلك الشريعة التي تمثل قانوناً يجتهد فيه العلماء في فهمه. وأما طبيعة الحياة التي عاشها الرسول ﷺ فليس من المفروض أن نجعل تلك الحياة بكلّ مفرداتها نموذجاً أعلى، فنركب الجمال ونقاتل بالسيف أو نلبس العمام. فنحن نأخذ من النبي ﷺ ما

(٢٧) المؤمنون: ٩١.

(٢٨) الحشر: ٧.

(٢٩) الأحزاب: ٢١.

أمرنا به من العدل الذي قامت به الرسالات، وما ركّزه من احترام العقل، واعتبار العقل حجة على خلقه وحجة للخلق أمام ربهم، ونأخذ من النبي ﷺ أنه ركز على العلم. وقد قال تعالى ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣٠)، وقال تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٣١)، ونحن نعرف أن حركية العقل لدى المفكرين المسلمين استطاعت أن تُغني أوروبا بالمنهج الثاني للمعرفة وهو التجربة، وأن تنشئ حضارة على مدى مائة سنة، قال عنها بعض المفكرين أنها أم الحضارات الحديثة. ونحن لا نريد أن ننقل نفس تلك الحياة التي تخضع لكثير من خصوصيات الزمن والمرحلة، إنما نأخذ الشريعة التي ثبتت بحجة عن النبي ﷺ، وبما قرأناه في القرآن، ثم بعد ذلك يجتهد المجتهدون، ونأخذ فوق ذلك بأسباب العلم ونتفاعل مع كل الحضارات في العلم والتكنولوجيا وفي التجربة الإنسانية وما إلى ذلك، مما لا يصادم الحقيقة الإسلامية في هذا المجال، ولذلك فالكلام إننا نقلد تلك الحياة بتفاصيلها وجزئياتها الواقعية في خصوصيات الزمن في وسائله وأساليبه المحدودة، ليس صحيحاً.

الجيل المميز:

□ ومن مسلمات الإسلاميين كما يقول أركون: إن صحابة النبي ﷺ يشكّلون جيلاً مميزاً فجميعهم مزودون بذاكرة معصومة ومقدرة عقلية وفكرية مثالية يؤهلهم لأن ينقلوا الآيات القرآنية والأحاديث التي شرحتها بكل دقة وإخلاص وأمانة.

■ هذا أيضاً غير صحيح، إذ لا نعتبر الصحابة معصومين، بل هم يخطئون ويصيبون، وقد تحدّث القرآن الكريم عن كثير من نقاط الضعف في الصحابة، فهم ليسوا معصومين. ولا نقول بعدالة الصحابة، بل نقول إن فيهم العادل وغير العادل، وفيهم الثقة وغير الثقة، وهذا ما لاحظناه فيما كانوا يختلفون فيه مع بعضهم البعض، ويقتلون بعضهم البعض، ويقاثلون بعضهم البعض، لذلك نحن لا نؤمن بأن صورة الصحابة هي الصورة المثالية المطلقة التي لا يمكن أن تخطيء و

(٣٠) الزمر: ٩.

(٣١) طه: ١١٤.

لا يمكن أن تسقط، بل هم بشر مثل بقية البشر في نقاط قوتهم وضعفهم. نعم هناك جهة متميزة بالعصمة وهم أهل البيت ﷺ لدى المسلمين الشيعة بأدلتهم الخاصة. ومنها ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٣٢).

الموثوقية المطلقة:

□ ويقول أركون: وبهذا النقل الأمين بشكل كلي فإن المؤمنين يملكون قرآناً صحيحاً وموثوقاً، إنه يمثل ملاذاً مستمراً ونهائياً؟

■ هذا صحيح فإن القرآن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه، وقد أكد المسلمون ذلك وآمنوا به وفقاً لأدلة قطعية، وقد وصل القرآن إلى المسلمين بطريق التواتر الذي لا يبقى معه شك. ومن كانت له مناقشة فنقول له كما قال تعالى ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣٣)، فإذا كان هناك دليل على التشكيك بنص القرآن الكريم فتحن مستعدون لأن نستمع إليه ونناقشه، ومستعدون لأن ندخل في حوار. وليس كل إنسان يشكك في نص ترجمه بالحجارة، بل إننا نقول ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ونقول ﴿هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣٤). بل أن القرآن نفسه أثار الشبهات التي كانت توجه إلى القرآن. فآثارها بشجاعة تامة، بحيث نقل لنا الأشياء التي كانت توجه إلى النبي ﷺ بالمستوى الذي يسقط نبوته، أو القرآن بالمستوى الذي يسقط الوحي ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾^(٣٥) كيف تقولون إنه تعلم من هذا الرومي الذي كان يصنع الحديد؟ وقالوا عن النبي ساحر، وقالوا كاهن، وقالوا شاعر، وقالوا عنه مجنون ﴿وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(٣٦)، فالقرآن هو

(٣٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣٣) البقرة: ١١١.

(٣٤) آل عمران: ٦٦.

(٣٥) النحل: ١٠٣.

(٣٦) الفرقان: ٥.

نفسه الذي أثار كل هذه الشبهات التي كان يثيرها المشركون تجاه القرآن وتجاه النبي ﷺ، بما يسقط قداسة القرآن وبما يسقط نبوة النبي ﷺ وأغلب الشبهات التي تثار حول النبي ﷺ وحول القرآن هي من الأمور التي تحدّث عنها القرآن مما يدلّ على أنه أراد للناس أن يدرسوها ويناقشوها ويطلّعوا على الملاحظات النقدية التي وجهها للذين أطلقوها في وجه الرسالة والرسول.

الصحاح المقدسة:

□ ويقول أركون أيضاً: وكذلك الأمر فيما يخصّ تعاليم النبي ﷺ وأعماله، فقد تعرّضت أيضاً لعملية نقل موثوقة ومضمونة وحظيت بالتدوين في مدونات رسمية أخرى، وهي ما يدعى بكتب الحديث والصحاح كصحيح البخاري والكليني وابن بابويه؟

■ ليس عندنا صحاح، عندنا القرآن فقط. أما الصحاح فإنّ فيها الحديث الموثوق وغير الموثوق، سواءً كان ذلك في كتاب البخاري أو مسلم، أو الكافي، أو من لا يحضره الفقيه. إن هذه الأحاديث رويت عن النبي ﷺ عن أشخاص فيهم الثقة وفيهم غير الثقة، وفيهم من اختلف في وثاقته وعدم وثاقته، ولذلك لا بدّ لنا من أن ندرس كلّ حديث، من حيث رواته: هل هم موثقون؟ أو غير موثقين؟ وندرسه في مضمونه: هل يوافق القرآن؟ أو يخالف القرآن؟ وهل يوافق أو يخالف العقل؟ وقد ورد في الحديث الشريف ((ما خالف كتاب الله فهو زخرف)) وما خالف العقل القطعي يضرب به عرض الحائط. وعلى هذا الأساس فكيف ينسب إلى المسلمين جميعاً مثل ذلك مع ملاحظة أخرى وهي أن الحديث إذا ثبتت صحته من خلال وثاقة الرواة وسلامة المضمون واستقامته الفكرية مع الحجّة القطعية كان الأخذ به حالة إيجابية في ميزان الوعي لأن الاعتقاد برسالة النبي ﷺ ورسوليته، وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى، ليفرض ذلك كله بلحاظ الدليل الذي دلّ على رسالته، فهو ليس اتباعاً أعمى بل اتباع منفتح على الحجّة والدليل.

الفصل الخامس

المسائل التربوية

التبرج والتظاهر بالفسق:

□ هل يعتبر التبرج والسفور من التظاهر بالفسق؟ وهل تجب مقاطعة المسافرين المتبرجات اجتماعياً لغرض الردع؟

■ التبرج والسفور حرام، والتظاهر به تجاهر بالفسق والإصرار عليه كبيرة، ولكن الردع عن الحرام قد يكون بالمقاطعة الاجتماعية، وقد يكون بمواصلة الوعظ والإرشاد، فقد تكون بعض النساء متبرجة لأنها عاشت في بيئة غير مؤمنة وغير متدينة، فالوسيلة الطبيعية في جعلها ترتدع هي أن نوعيها وأن نفهمها علّها تعود الى الطريق الصحيح.

العاصية بعدم الالتزام بالحجاب والصلاة:

□ ما حكم المرأة التي تعصي زوجها بعدم الالتزام بالحجاب وعدم الصلاة؟ وماذا يعمل زوجها إذا لم تطعه في هذين الأمرين؟ هل يجوز طلاقها إذا لم تلتزم؟

■ عليه أن يحاول معها بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا يحرم عليه طلاقها، ولكن يجب أن يدرس القضية من خلال طبيعة الأسرة وتماسكها ويبقى يجرب فعسى ولعل.

رد السلام:

□ بعض الأحيان يأتي شخص ويسلم على صديقه وأنا قريب من صديقه وصديقه لم يرد السلام عليه وأنا لم أعرفهما، فهل يجب علي أن أرد السلام؟

● إذا كان السلام موجهاً لك فردّه واجب عليك، وإذا لم يكن لك فليس الردّ واجباً.

العولمة والألاق:

□ التاريخ كسجل للأحداث نراه قد سجل لنا تطوراً في مختلف المجالات والعلوم المادية، والعالم الآن يمرّ بما يسمى بمرحلة العولمة والتي حولته إلى قرية صغيرة، فلماذا لم نشهد مواكبة لهذا التطور على الصعيد الروحي والعقائدي والأخلاقي؟

■ هناك موازين قوى موجودة في العالم، فالعالم المستكبر يملك إمكانات على المستوى الاقتصادي والعسكري والاجتماعي والثقافي وما إلى ذلك مما لا يملكه الخط الإسلامي الأصيل، ولكن مع ذلك ومع كل هجوم النظام العالمي الجديد أو ما يسمّى بالعولة نجد أنّ هناك في أكثر من بلد إسلامي وحتى في بلاد الغرب من يأخذ بالقيم الروحية والاخلاقية لأنّ الجانب المادي جعل الكثير من الناس وجهاً لوجه أمام الجدار، ولذلك كانوا يلجأون إلى ما يعطيهم النبض الروحي، وعلى ذلك فالمسألة ليست بهذا السوء، كما أنها ليست مقتصرة على هذه المرحلة التي تفرضها التمنيات، بل أنّ مشكلتنا هي المساحة بين ما يمكن أن يكون وبين ما ينبغي أن يكون.

هذا من الإسراف:

□ بعض الشباب يشترون كلّ اسبوع ملابس وفي الأسبوع الثاني يهملونها ويشترون غيرها؟ فهل هذا من الإسراف؟

■ إذا لم يكن هذا إسرافاً فما هو الإسراف؟ ففي كلمة للإمام الصادق عليه السلام يقول ((إنّ القصد (الاقتصاد) أمر يحبه الله وإنّ السرف أمر يبغضه الله حتى طرحك النواة فإنّها تصلح لشيء وحتى صبك فضل شراك))^(١). يقول لك الإمام عليه السلام إنّك تستطيع أن تستفيد من النوى في تصنيعه بحيث تحصل منه على فائدة، أمّا إذا رميته في الشارع فأنت مسرف، والماء أيضاً، فإذا كنت تريد أن تشرب نصف كأس فاملاً نصفه ولا تملأه كلّهُ؟ نحن مسرفون والإمام عليه السلام يؤكّد واقع الاقتصاد العام، فالعالم الآن يستفيد من النفايات فيصنّع منها الورق وغيره، وأكثر من هذا فهناك نكتة متداولة في بريطانيا وهي أنّه حينما يقدم لك كأس من الماء يقال لك هذا ماء مشروب سبع مرات فلقد تحوّل الماء إلى بول ثم تمت تنقيته وأعيد كماء صالح للشرب عدة مرات، فالعالم يحاول أن يستفيد من أي شيء يمكن أن يصنّع منه مادة لفائدة البشرية.

كما أننا نسرف في موائدنا، فقد تستضيف عشرة أشخاص وتطبخ لعشرين أو أكثر بحجة أنّ هذه كرامة لهم، فهل الكرامة هي بالأكل؟ إنّ الكثير

مما يطبخ يرمى في صناديق القمامة، فلو ندرس الأشياء التي نرميها كنفايات والأشياء التي نهدها من الماء والكهرباء لرأينا أننا ننسى أن هذه كلّها طاقة، فأنت تستهلك الكهرباء طول الليل والنهار بدون فائدة أحياناً وهذا يؤثر على حاجة الناس لذلك كلّ، وهو من الإسراف.

الاخلاف بالوعد:

□ إذا واعدت شخصاً لكي اشترى منه بضاعة ما ولكن وجدت بضاعة أرخص منها عند غيره فهل يحق لي أن أخلف الوعد؟

■ الإخلاف بالوعد فيما إذا كان الإنسان مصمماً أن يخلف، أما إذا كان الوعد على أساس معين فإنه يستطيع أن يعتذر منه لأنّ هنالك بضاعة أرخص من بضاعته ولا ضير في ذلك.

إجزاء السلام:

□ هل يجزي ردّ السلام بـ(السلام عليكم)؟

■ نعم ولكنه يخسر بعض الحسنات لأنّ الحديث الشريف يقول: ((للسلام سبعون حسنة تسع وستون للمبتدأ وواحدة للراد فإن احسن فعشر))^(٢) فمثلاً إذا قال: السلام عليكم، وقلت له: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فلك عشر حسنات.

السكوت على الغيبة

□ لي صديق يستغيب أو يبهت صديقي الآخر وقد نصحته ولكن لا فائدة، فهل أقول لصديقي المظلوم أم أسكت لكي لا تقع الفتنة؟

■ عليك أن تسكت إلا إذا كان في غيبة ذاك بعض ما يسيء إلى مصلحة الآخر في حياته، فهذا يكون من باب النصيحة.

الحق المقدس

□ ذكرتم أن بعض الناس يتحدث عن الحقد المقدس وقلتم لا ندري كيف يمكن أن يأخذ الحقد القداسة في حين أن القداسة هي المحبة، ألا يمكن اعتبار

الحقد على الأشرار والظالمين الذين يظلمون العباد كالأصهاينة حقداً مقدساً؟
 ■ نحن نقول إنّ علينا أن نحبّ هدايتهم، والحقد المقدس باب مغلق، فلو رأينا كيف كان النبي ﷺ يتعامل مع أذى المشركين له حيث كان يقول ((اللهم اهد قومي إنهم لا يعملون))^(٣) لعرفنا كم هو مضرّ التعامل بالحقد، فلو حقد عليهم لما استطاع هدايتهم وفتح قلوبهم للإيمان، فالإنسانية والتعامل برفق وشفقة ولين وعطف يفتح القلوب أولاً لتفتح العقول بعدها، فدعاء النبي ﷺ كان لهم ولم يكن عليهم بأن يهتدوا وبأن يسيروا على الخط الصحيح.

واذكر انه جاء في (كتاب الإقبال) للسيد (ابن طاووس) * في أعمال ليلة (٢٣) من شهر رمضان والتي يغلب أنها ليلة القدر قوله : رأيت أنّ أفضل الأعمال هذه الليلة الدعاء فأردت أن أدعو إلى أكثر الناس حاجة إلى الدعاء ففكرت بأبي وأمي فقلت انهما مؤمنان مسلمان، وقد يكون لهما بعض المعاصي ولكن الله يغفر لهما، وفكرت في أقربائي وكلّ من حولي كذلك فرأيت الأمر نفسه، إلى أن وصل تفكيري إلى الكافرين الذين لا يتعلّقون برحمة الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٤). فقضيت ليلة القدر بالدعاء لهم أن يهديهم الله. هذه هي الروحية الإيمانية، وأنا أقول دائماً إذا كان قلبك غير مفتوح للناس فلن تقدر أن تهديهم، فالذين قلوبهم معتمة ومظلمة لا يمكن أن يضيئوا قلب أحد، وهذا ما نفهمه من كلمة الإمام علي عليه السلام ((احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك))^(٥). لكن الإمام علي عليه السلام شيء ونحن شيء آخر.

من مقتضيات الإيمان:

□ جاء في الحديث النبوي المشهور ((لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه)). فهل معنى ذلك أن المؤمن الذي لا يتصف بهذه الصفة تنتفي عنه صفة الإيمان كلياً أم المقصود انتفاء صفة الإيمان الحقيقي ويبقى المؤمن يحتفظ بالإيمان بصفته العامة؟

(٣) الفقيه ج ٢، ص ٥٤٩، ب ٢.

(٤) النساء: ١١٦.

(٥) شرح نهج البلاغة ج ١٨، ب ١٨٠، ص ٤١١.

■ هو مؤمن بالمعنى التقليدي ولكنه ليس مؤمناً بالمعنى العميق للإيمان، والسبب هو أنني عندما أكون مؤمناً فإن إيماني بالله وبرسوله واليوم الآخر يدفعني إلى اعتبار هذا الإيمان هو الذي يحكم علاقتي بالآخرين كما يحكم حياتي، فإذا كان هناك مؤمن مثلي يحمل نفس الإيمان فطبيعة إخلاصي للإيمان بكلّ مستلزماته تفرض عليّ أن أخلص لهذا الإنسان باعتبار أن الإيمان يقوّي العلاقة بيننا وبين الآخرين، فإذا كنت لا أحبّ له ما أحبّ لنفسي وأعيش الأنانية فلست مؤمناً، ذلك أن المؤمن لا يكون أنانياً أمام المؤمن الآخر، بل لابدّ أن يخلق الإيمان عندك حالة شعورية توحد شعورك تجاه المسلمين جميعاً ((من لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم))^(٦). وهذا يعني أن يعيش الإحساس بآلام المسلمين وبمشاكلهم.

الصفاء وما يكدّره:

□ كلما استمعنا إلى المواعظ نجد أن قلوبنا قد مالت إلى الصفاء والروحانية فينتج لدينا من ذلك العزيمة والإقلاع عما يبعدنا عن الله والارتباط بكلّ ما يوصلنا به ولكن ما أن تعرض لنا بلية، كما يذكر ذلك الإمام زين العابدين عليه السلام في بعض أدعيته، حتى ترانا نسقط ويغلب علينا الهوى، فبماذا يمكن أن نعالج هذه الحالة؟

■ إن الله سبحانه وتعالى حل لنا هذه المشكلة في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٧). وهذا يعني أنّه عندما يأتيك الشيطان فيطوف في عقلك ليخرّب عقلك، أو يطوف في قلبك ليخرّب قلبك، أو يطوف في حياتك ليفسدها، تذكر الله ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٨). وفي آية أخرى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٩). فهذا كلّهُ هو الذي يعيد لك هذه الروحانية والصفاء.

(٦) أصول الكافي. ج ٢. ص ١٦٤. ح ٤.

(٧) الأعراف: ٢٠١.

(٨) الحشر: ١٩.

(٩) الرعد: ٢٨.

سبّ الآخرين:

□ هناك أناس يسبون ويشتمون الآخرين بسبب أو بغير سبب، فهل يذهب من حسناتهم شيء إلى هؤلاء المظلومين؟

■ طبعاً، ففي يوم القيامة عندما يؤتى بأحدهم - كما في الرواية - وحسناته مثل الجبال، ويأتي أصحاب الحقوق يطالبون بحقوقهم من العدل الحكيم، فإن الله تعالى يقول للملائكة: خذوا من حسناته وأضيفوها اليهم، فيقول الملائكة بعد أن تنفذ حسناته: يا ربنا لقد فنيت حسناته وطالبوه كثيراً؟ يقول: أضيفوا من سيئاتهم على سيئاته.

غير المستطيع أداء صلاة الليل:

□ إنني شاب في مقتبل العمر وأحاول أن أحافظ على الصلاة المفروضة كلها وبعض السنن، ولكنني عندما أقوم لصلاة الليل فإني غالباً لا أستطيع أن استيقظ عند صلاة الفجر، علماً أنني أعمل في دوامين: نهاري وليلي، فأيهما أصلح؟

■ إذا كانت صلاة الليل تؤثر على صلاة الفجر بحيث تفوتك الثانية، فالأولى أن تصلي الفجر، وأما إذا كان المقصود هو عدم التمكن من القيام في وقتها المحدد بعد نصف الليل فيمكن أن تصلي قبل نصف الليل، إذ يمكن لمن لا يستطيع السهر باعتبار أن عنده دوامين أو ما شاكل من الأعمال التي تحتاج إلى وقت أطول من الراحة أن يصلي قبل النوم كما هو مرخص للشاب الذي تمنعه رطوبة رأسه من أدائها قبيل الفجر، فله أن يقدم صلاة الليل على نصف الليل ويثاب عليها إن شاء الله.

□ إذا قمت لصلاة الليل أحياناً أشعر بابتعادي عن قراءة القرآن فنصحني أحدهم بقراءة القرآن في هذه الصلاة من المصحف، فهل يجوز أن أضع المصحف على الكرسي وأقرأ منه في الصلاة؟

■ يجوز ذلك بحيث تقرأ سوراً معينة من القرآن بشرط أن لا تخرج به عن صورة المصلي.

التعهد بعدم ضرب الزوجة:

□ هل يجوز للرجل أن يتعهد لزوجته أن لا يضربها أبداً؟

■ لنسأل قبل ذلك هل يجوز له أن يضربها أصلاً؟

إنَّ بعض الناس قد يتصور أنَّه ما دام قد تزوّج فانه يمكن أن يجرب عضلاته في زوجته إذا لم تعجبه طبخة معينة، أو إذا كان الولد يبكي في الليل، أو إذا جاء ووجدها نائمة وما الى ذلك. ولقد قلنا مراراً إنَّ زوجتك هي زوجتك في الجسد وهي أختك في الإيمان فلا يجوز لك الاعتداء عليها، والعقد الزوجي لا يجوز للزوج أن يضرب زوجته أو يشتمها أو يسيء إليها أو يسخر منها أو يطردها من بيتها إلا في حالة واحدة وهي فيما إذا منعه من حقّه الجنسي، وحتى في هذه الحالة هناك خطوات متدرجة «وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ» هذا أولاً، والوعظ ليس فقط كلمة بل عليه أن يقنعها ويعضها بالنتائج السلبية على حياتها وعند الله، أي أن يذكرها أن ذلك معصية «وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ» وهو حالة من التأديب النفسي، فإذا لم تنفع الموعظة ولا الهجران «وَأَضْرِبُوهُنَّ» ضربة غير مبرح «فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً»^(١٠). فليس هناك فرق بين أن تضرب زوجة جارك وبين أن تضرب زوجتك، فأنت تعاقب كما يُعاقب كل ظالم.

وهذا هو معنى عقد الزواج الذي لا يجعل لك سلطة على زوجتك إلا بالحق الزوجي، والمشهور من العلماء يقولون هو أن لا تخرج من بيتك إلا بأذنك، وهناك رأي يقول بأنَّ حق الخروج إذا نافي حق الزوج فلا يجوز وليس كل خروج. وباختصار فإنَّ الزواج لا يجعل زوجتك أمة عندك «وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ»^(١١). ليس درجة الضرب «فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيقٌ بِإِحْسَانٍ»^(١٢). هذه هي حجة الله، أمّا إذا تصوّر الرجل نفسه عترة بعد الزواج فذاك أمر آخر، ولكن عليه أن يتذكر عندما تقف الزوجة يوم القيامة

(١٠) النساء: ٣٤.

(١١) البقرة: ٢٢٨.

(١٢) البقرة: ٢٢٩.

وتقول يا عدل يا حكيم أحكم بيني وبين زوجي فقد ضربني وطردني وانتهك حرمتي، فهل ستفعله عنترياته في يوم الفصل ١٩.

صلاة من لم ينته عن الفحشاء:

□ هل تصح صلاة المصلي الذي لم ينته عن الفحشاء والمنكر أم لا حسب منطق القرآن الذي يقول ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١٣)؟
■ تصح جسداً ولا تصح روحاً لأن الله لا يقبل للإنسان من صلاته إلا ما أقبل عليه منها بقلبه، ولا يقبل الإنسان إلا إذا ارتفع في صلاته إلى مواقع التقوى، وقد ورد في الحديث ((من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً))^(١٤).

إغتياب المتجاهر بالسيئات:

□ إذا كان أهل بيت الرجل يصفون أباهم بأنه بخيل وأناني وكذاب ومراء، وهو متجاهر بهذه الصفات وغيرها، فهل ذكره بهذه الصفات من وراء ظهره يعتبر غيبة؟

■ ما هي الغيبة إذا لم تكن هذه غيبة؟ فإذا كانت هذه العيوب مستورة لا يعرفها إلا أهل بيته فمن الطبيعي أنهم إذا ذكروها أمام الآخرين فإن هذا يعتبر غيبة، لأن ((الغيبة هي ذكرك أخاك بعيب مستور)) فكيف إذا كان هذا الأخ أباً؟ نعم، إذا كان ذكره بهذه الصفات يردعه عنها، بمعنى أنك تذكره بها من أجل إصلاحه والضغط عليه ضغطاً اجتماعياً لأجل أن يرتدع ولئلا تنتشر هذه الصفات بين الناس، ففي هذه الحال ليست هناك مشكلة.

صالحة ولكن لا تصلي:

□ زوجتي امرأة صالحة ولكنها لا تصلي، وقد نصحتها مراراً ولم تستجب، فماذا أفعل؟

■ من يقول إنها صالحة؟ فالشخص الذي لا يصلي شخص غير صالح لأن من يتمرّد على الله، ومن لا يشكر الله، ولا ينحني لله، ولا يطيع الله فيما أمره

(١٣) العنكبوت: ٤٥.

(١٤) بحار الأنوار، ج ٨٢، ص ١٩٨، ب ١.

إنسان غير صالح ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(١٥). و((الصلاة عمود الدين أن قبلت قبل ما سواها وان ردت رد ما سواها))^(١٦) فعليك أن تحاول هدايتها ما أمكنك ذلك.

لا يستطيع ترك التدخين:

□ قد أفتيتم بحرمة التدخين، كما أفتيتم بعدم جواز التبويض في هذه المسألة، فما هو حكم من لا يستطيع الامتنال؟

■ ليس هناك إنسان لا يستطيع ترك التدخين، نعم، هناك إنسان لا يريد ترك التدخين، ألا يرى هذا أنه يترك التدخين في شهر رمضان؟ فهو يستطيع لكنه لا يريد والمسألة مسألة تحمل، وفي الحديث عن علي بن الحسين عليه السلام ((ما ضعف بدن عما قويته عليه النية))^(١٧). ولقد كان السيد الخوئي (رحمه الله) مدخنا من الطراز الأول وكان يرى جواز التدخين، وحينما عرف من طبيبه أن التدخين يضر به ضرراً بالغاً تركه الى غير رجعة. وقد نقلت لكم تجربتي مع التدخين حينما كنت في أول شبابي في النجف حيث كنت أدخن في اليوم الواحد ستين سيجارة، وكنت أقول الذي ينصحني بالترك انك بذلك تريد تعطيل دراستي، ثم رأيت ضررها فتركت التدخين في أول محرم الذي هو موسم توزع فيه السجائر مجاناً بحيث أن الذي لا يعرف التدخين يتعلمه في محرم، ومع ذلك تركته من دون يمين، وها قد مرّ أكثر من (٤٥) سنة على تركي التدخين ولم أعان من أية مشكلة. ولذا فإنني حجة على المدخنين في ذلك.

ويذكر أن هناك ملكاً معتاداً منذ الطفولة على أكل التراب طلب من الطبيب دواءً يخلصه من مرضه، فقال له: - عزمة من عزمات الملوك دواؤها. ونحن نقول لكم: عزمة من عزمات الرجال دواؤها.

(١٥) البينة: ٧.

(١٦) بحار الأنوار. ج. ١٠. ص. ٣٩٤. ح. ١. ب. ٢٥٥.

(١٧) بحار الأنوار. ج. ٧٠. ص. ٢٠٥. ح. ١٤. ب. ٥٣.

براءة ذمة المستغيب:

□ كثير من الناس يستغيبون إخوانهم، وإذا قلت لهم لماذا تستغيبون؟ يقولون إنهم يبرؤون لنا الذمة. فهل صحيح أن براءة الذمة تكفي؟ أم أن في ذلك معصية؟

■ لا يجوز لمؤمن أن يقول أنا أرخصك في أن تستغيبني، لماذا؟ لأن في الغيبة هتكاً لحرمة المؤمن، فلا يجوز للمؤمن أن يهتك حرمة نفسه بشكل مباشر أو غير مباشر. ثم أن الغيبة فيها حقان: حق عام وحق خاص أي حق الله وحق الناس. فإذا أنت استغبت إنساناً وسامحك بعد ذلك يبقى حق الله، لأنك عصيت الله الذي يقول «وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا»^(١٨). فأنت عصيت الله في اغتياك وأساءت لحق أخيك فإذا سامحك أخوك فالله لا يسامحك لأنك عصيت الله في ذلك.

الطف كذباً:

□ إذا لعبت مع أصدقائي الألعاب المسلية وهم دائماً يسبون أو يحلفون صدقاً وكذباً في أثناء اللعب، فهل يحق لي أن العب معهم؟

■ إن على الإنسان عندما يكون في مجلس يعصى الله فيه أن ينكر ذلك، وأن ينسحب إذا لم يستطع أن يردع عن هذا.

حدود النقد للآخر:

□ ما هي حدود النقد للآخر لكي لا أدخل في أجواء الغيبة؟

■ الغيبة هي أن تذكر أخاك بعيب مستور، أمّا أن تتقد بعض أفكاره بطريقة علمية موضوعية فلا مشكلة، أو تكون في مقام النصيحة، فالغيبة في مقام النصيحة أو في مقام رفع الظلم جائزة «لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ». فهذه من مستثنيات الغيبة، وهناك مستثنيات أخرى مذكورة في كتب الفقه.

متى يجوز التشهير؟

□ إذا لم يلتزم الذي عليه الحق بقرار أو حكم المرجع في قضية ما، فهل يجوز التشهير به في المجالس العامة؟

■ إذا كان صاحب الحق مظلوماً من قبل هذا الإنسان فالله سبحانه وتعالى رخص للمظلوم أن يتحدث بشكل سلبي عن ظالمه ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً﴾^(١٩) فإذا كان الهدف من التشهير به هو ردعه عن المنكر، ودفعه إلى أن يعطي الحق لصاحبه، فيجوز.

مواضع العفو والمسامحة:

□ في أي الأشياء ينبغي لنا أن نسامح ونعفو عن الناس، وفي أي الأمور يجب أن لا نعفو عن الناس ونغضب عليهم لغضب الله؟

■ هناك حديث للإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق يقول فيه ((وإمّا حقّ من ساءك فإن تعفو عنه لأنّ الله يقول ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى﴾^(٢٠). فإذا رأيت أنّ العفو عنه يضرّه)) يعني إذا عفوت عنه ورأيت أنّه يتضرر بعفوك كما هو حال بعض الناس عندما يراك تعفو عنه فإنّه يتجرّأ على الناس أكثر، وربّما يؤدي إلى نتائج مدمّرة بالنسبة له فاترك العفو. وينقل في هذا الصدد أن شخصاً أتى لرئيس عشيرته ودار بينهما خلاف فقام الشخص المسيء وضربه فما كان من هذا إلا أن وضع عباءته على رأسه ومشى ولم يردّ الضربة بضربة مماثلة وتجرّأ المسيء بعد ذلك فجربّ مع شخص ثانٍ أيضاً ولكن المعتدى عليه أطلق عليه الرصاص فجاؤوا إلى الأول وقالوا له إن فلانا (القاتل) عنده غيرة أكثر منك، فقال: كنت أعرف أنّي إذا سامحته فإنّه سيتجرّأ على غيري فيقع في حفرة إساءته، فبعض الناس كهذا إذا عفوت عنه سيزداد اضراراً بالناس على طريقة ذلك الشاعر:

وإن انت اكرمت اللئيم تمرّداً

إذا أنت اكرمت الكريم ملكته

خيانة إفشاء السر:

□ لقد ذكرتم في إحدى الندوات أن من الخيانة إفشاء سر أخيك المسلم وذلك عندما يكون هذا السر أو هذا الأمر مفسدة للمسلمين أو لتطبيق شرع الله؟

■ عندما يكون هناك ضرر أكبر فعند ذلك يعتبر إفشاء السر خيانة. فإذا فرضنا أن هذا السر الذي اطلعت عليه لم يعرف به الناس، وإذا طلّعوا عليه فربما يؤدي إلى فتنة وإلى سقوط موقف الإسلام، فهذا خيانة كبيرة.

الكذب لصالح المظلوم:

□ في بعض الأحيان يغتاب الناس شخصا فأقوم بعكس العيب الذي فيه لكي لا تسقط شخصية هذا الإنسان، وأنا في الواقع اكذب لصالح هذا المظلوم، فهل هذا العمل صحيح؟

■ ليس لك أن تكذب ولكن عليك أن تتكرر المنكر في كلامهم عنه.

الكذب على الزوجة:

□ هل يجوز الكذب على الزوجة، علماً بأن الكذب يبعد الشخص عن المشاكل المترتبة بقول الحقيقة؟

■ لو فرضنا أن الزوجة تسأل: هل يجوز الكذب على الزوج لتتفادى مشاكله؟ فهل تقبلون أن تكذب زوجاتكم عليكم؟ ((عامل الناس بما تحب ان يعاملوك))^(٢١) فعلى الإنسان أن يكون صادقا؟ فالمسألة ليست في الشخص الذي تصدق أو تكذب عليه، فالصدق والكذب إنما يتصلان بصدقك وأمانتك بأن تكون من الصادقين، وفي الحديث ((لا يكذب الكاذب وهو مؤمن)) نعم، بإمكان الإنسان في بعض الحالات أن يتكلم بطريقة يكون فيها كذب في الظاهر وصدق في الواقع وذلك في أسلوب التورية إذا كانت هناك حالة ضرورية.

الخطأ بعد التوبة:

□ عندما يتوب الإنسان ثم يخطئ، فهل يقبل الله توبته؟

■ يقول تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾^(٢٢).

(٢١) بحار الأنوار، ج. ٤، ص ٤٣٢، ٤٥٥، ح. ٩٠.

(٢٢) الشورى: ٢٥.

ويقول ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي تجاوزوا الحدّ في ارتكاب المعصية ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٣).

تأديب الأم للطفل:

□ إذا كان يحقّ لوالد الطفل تأديب طفله الصغير، فهل يحقّ لوالدته أو لإقاربه ذلك؟

■ لا يجوز ذلك، فالولاية للأب، كما لا يجوز تأديب الطفل إلاّ بالتي هي أحسن، فحتى الأب لا يجوز له أن يضرب طفله ضرباً مبرحاً، فتأديب الطفل مثل الدواء فإذا قال الطبيب أعطه ملعقة دواء فلا يصح أن تعطيه خمس ملاعق. إنّ الله لم يسلطك على ولدك، فإذا كانت الكلمة تؤثر فالضرب حرام، وإذا كانت الضربة الأولى تؤثر فالضربة الثانية حرام، ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن الأدب وقت الغضب. نعم يحقّ للأب أن يأذن للأم أو للمعلم أو للأقارب في ذلك لكن ضمن الحدود الشرعية لا بحسب المزاج، ولا يجوز للأم ولا للأقرباء أن يؤدّبوا الإبن إلاّ بإذن الأب، وإذا لم يكن الأب موجوداً فيرجع إلى الحاكم الشرعي.

لا حياء في الدين:

□ هل القول ((لا حياء في الدين)) هو قول معصوم أو قول مأثور؟
■ إنّهُ قول مأثور ومعناه أنّ الإنسان يجب أن يسأل عن كلّ شيء حتى الأشياء التي يستحي منها.

مقاطعة المنافق:

□ هل يجوز مقاطعة شخص منافق مع انه مسلم وشيعي؟
■ إذا كانت مقاطعته من باب النهي عن المنكر فيجب ذلك. وإلاّ إذا كانت هناك مصالح معينة فليس واجباً.

انفعال الزوجة:

□ هناك مؤمن كلما دخل مع زوجته في نقاش لأمر عائلي تتحوّل إلى بعض المظاهر الانفعالية كالصرخ وتنتهي بشقّ جيبها، فما حكم الزوجة التي تشقّ جيبها؟

■ لا يجوز لها ذلك وعليها أن تأخذ بأخلاق الإسلام بأن تستمع إلى زوجها وتحاوره، وإذا كان لديها وجهة نظر أخرى فعليها أن تناقشه بهدوء وبعقلانية، لأنها بهذا الأسلوب الانفعالي لن تقنع زوجها ولن تحل مشكلتها، إذا كانت هناك مشكلة.

التطّق بأخلاق الله:

□ في الحديث الشريف ((تخلّقوا بأخلاق الله)) فما معنى ذلك؟

■ أخلاق الله هي الرحمن الرحيم الكريم العفو الغفور وغير ذلك، فهي أخلاقه التي ذكرها في صفاته، وعلينا أن نتعلم أن نكون الرحيمين الكريمين العافين والمتخلّقين بأخلاق الله كلّها بمقدار ما نستطيع.

عدم تطبيق التعليمات:

□ كثير من الأشخاص يسمعون محاضراتك وينصتونها إليها لكنهم لا يطبقونها حرفاً منها، فهل يعتبر هذا الشيء من النفاق؟

■ ليس ضرورياً أن يكون نفاقاً ولكن هؤلاء ربما لا إرادة لديهم، وعليهم إذا اقتنعوا بالشيء أن يأخذوا به في حياتهم، والله تعالى يقول ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾^(٢٤) لأنّ الله غداً يجعل هذا الكلام الذي تسمعه حجة علينا ﴿لَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ❖ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾^(٢٥) وعلينا غداً أن نحضّر لكلّ سؤال جواباً ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾^(٢٦).

(٢٤) الزمر: ١٨.

(٢٥) الملك: ٩-٨.

(٢٦) النحل: ١١١.

ذكر الموتى بالخير:

□ يقال ((اذكروا موتاكم بالخير)) ونرى الامام علي ؑ يذكر في (نهج البلاغة) الخلفاء بالسوء، فما هو ردكم؟

■ معنى أن يذكر الموتى بالخير أن تذكر محاسنهم، ولكن عندما تكون القضية قضية حق وباطل وعدل وظلم فالله لم يذكر فرعون وغيره والظالمين بالخير، فاذا كان الميت قاتلاً ومعانداً ومجرماً فعلينا ان نذكره بسوء حتى لا يتكرر الموقف مع غيره مثله، فهل ترانا نذكر يزيد بالخير مثلاً؟

أخلاق جيلين:

□ ما حدود ما قاله الإمام علي ؑ ((لا تخلقوا أولادكم بأخلاقكم))؟

■ المراد بذلك ليس الأخلاق الإسلامية مثل الصدق والعفة والامانة، بل المراد الأخلاق الاجتماعية أي الأخلاق المتحركة لا الأخلاق الثابتة الأساسية، لأن الأخلاق الثابتة ليس لها زمان فالصدق صدق منذ ان خلق الله الدنيا إلى آخرها، والعفة والامانة كذلك. أما في وسائل الحياة العصرية وطرق التعامل التي تتاسب العصر فهي تتغير من جيل إلى جيل فلا يصح التعصب للوسائل القديمة.

التقصير في التربية:

□ إذا ذهب شخص إلى الغرب ورى أولاده كما ينبغي أن يربيههم في الدول الإسلامية لكن الأحفاد تأثروا بالغرب، فهل يلحق بهذا الشخص حرام، أم الحرام يلحق أولاده فقط لأنهم قصرُوا في تربية أولادهم؟

■ عليه أن يعمل حتى مع أحفاده «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ»^(٢٧). أي بحسب طاقته وحسب قدرته.

إقبال القلوب وإدبارها:

□ يقول الإمام علي ؑ ((إنَّ للقلوب إقبالاً وإدباراً)) فهل إقبال القلب وإدباره من صفاء القلب؟ وماذا إذا كان القلب في حالة إدبار؟

■ المقصود بالإقبال التوجه ففي بعض الأوقات يكون الإنسان مشغولاً أو متعباً فلا يتوجه قلبه للعبادة، ولذا قال ((فيذا أقبلت فاحملوها على النوافل وإذا أدبرت فاقتصروا بها على الفرائض))^(٢٨) أي أن هذا كقول القائل: فخادع نفسك بالعبادة وخذ عفوها ونشاطها، بمعنى أن الإنسان يرى حالته النفسية وعليه أن ينمي الطاقة الروحية في نفسه مهما أمكن.

المغفرة للميت بإحسان صديق:

□ إذا كان هناك شخص غير صالح ثم مات، ولديه صديق صالح حي، وكان يدعو ويستغفر له وصام وصلى وحج نيابة عنه، فهل يغفر الله لهذا الميت؟

■ إن الله سبحانه وتعالى غفور رحيم وهو القائل ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٢٩). ولكن نحن بخلاء نريد أن نتدخل في أعمال الله فنوزع الناس على الجنة وعلى النار توزيعاً كيفياً ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ أي لو جعل الله مفاتيح الرحمة بأيديكم ﴿إِذَا لَأْمَسَكُمْ خَشْيَةُ الْإِنْفَاقِ﴾^(٣٠). وهناك حديث يقول ((إن لله رحمة يوم القيامة يتناول لها عنق إبليس)). فلعل رحمة الله تدركه لما يرى من رحمته للناس. ألم يقل الإمام علي عليه السلام في الدعاء ((ولو لا ما حكمت به من تعذيب جاحديك وقضيت به من إخلاء معانديك لجعلت النار كلها برداً وسلاماً وما كانت لأحد فيها مقراً ولا مقاماً)).

صله بذلك واترك لله الرحمن الرحيم أن يشيئه على ما تعمله من أجله.

الظن والاتهام:

□ ظنّ السوء بالآخرين، قد يظهر إلى الخارج، كما لو نقل الشخص ظنه إلى الآخرين وتكلم به، فهل يصبح تهمة؟

■ يقول الله سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾^(٣١)، يعني أن لا تحكم بالظن ولا تتهم على أساس الظن.

(٢٨) بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ١٣٤، ب ٣٢، ح ٧٨.

(٢٩) الأعراف: ١٥٦.

(٣٠) الإسراء: ١٠٠.

(٣١) الحجرات: ١٢.

استثناء من الجهر بالسوء:

□ إذا شكى لي صديق شخصاً قد ظلمه ولم أستطع مساعدة صديقي، هل يحق لي أن أسمع كيف ظلمه؟

■ نعم، لأنَّ لصاحب الحقَّ مقالاً، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ﴾^(٣٢). ولكن الأحوط أن يذكر المظلوم ظالمه بالسوء الذي ظلمه به عند من يرجو قدرته على دفع ظلمه عنه.

الحشمة من شروط الحجاب:

□ ألا ترون أنَّ لبس البنطلون للنساء لا يُعدُّ حجاباً معنوياً، وهل للعرف العام دخل في الحكم الشرعي في تحديد الألبسة من مجتمع إلى مجتمع آخر؟

■ قلنا: إنَّه لا يجوز للمرأة أن تخرج إلى المجتمع المختلط بما يوجب الإثارة، وبعبارة أخرى، يلزمها أن تخرج كأنسان لا كأنثى، وهذا هو الخطُّ العام. أمَّا العُرف فله دخل في تحديد موضوع الحكم الشرعي، وهو يختلف من محلٍّ إلى آخر، فما يعتبر تبرجاً في محل قد لا يعتبر كذلك في محل آخر. كما أنَّ البنطلون نفسه ليس واحداً، وينبغي أن يعلم أنَّ هذه القضايا تفصيلية، والفقيه يعنى بالحكم الكلي، بمعنى أنَّه يُعطي الضابط العام، وهو أن تكون المرأة في حجابها مستورة الجسم مع الاحتشام، إذ لا يكفي الستر من دون الاحتشام.

غضب والدتي:

□ والدتي تُبدي معارضتها بسبب التزامي الديني، وتؤكد أنَّها تغضب وتدعو الله عليَّ إذا أنا سعت لتوسيع ثقافتي القرآنية، أو التحدُّث مع الآخرين عن أوامر الله ونواهيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهل لدعائها هذا أثر عند الله سبحانه وتعالى؟

■ لا أثر لهذا الدعاء، يقول تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣٣)، ((ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق))^(٣٤) لأنَّك في هذه

(٣٢) النساء: ١٤٨.

(٣٣) العنكبوت: ٨.

الحالة لم تكن عاقباً لوالدتك، ولذلك لا قيمة لدعائها، ولكن عليك أن تستعمل معها الأساليب التي يمكن أن تردّ لهفتها عليك بطريقة وبأخرى، وحاول أن تهديها وتوعظها وترشدها. ولعلّ الله يفتح قلبها لتعينك على التزامك الديني. وفي هذا المجال كن الحكيم مع أمك، فحاول أن تستجلب عاطفتها، فإنك وإن كبرت لكنك لا زلت الطفل بعينها، فكن كذلك معها في إقناعها وإرشادها إلى أن الإخلال بالالتزام الديني يُوجب الضياع وغضب الله وسخطه، وهو مما يعرّض الإنسان إلى النار، وهل ترضى أم لابنها أن يكون في النار يوم القيامة؟! وفي المثل الغربي ((الأسلوب هو الرجل)) بمعنى أن قيمتك وقيمة فكرك وعلمك بأسلوبك. ألا يعنى الناس الآن في مظاهرهم والتجّار والباعة في طريقة عرضهم للبضاعة وبما يقنع الناس للشراء وغير ذلك، فكن مع أمك على هذه الحال.

بين اعتزال المجتمع والاندماج به:

□ كيف يتمّ التوفيق بين ما دعا إليه المعصومون ﷺ من اعتزال الناس واستحباب الانعزال والبعد عن مخالطة الناس كعلامة إرشادية في طريق العرفان، وبين الجهاد العملي بالقول والفعل في كافة نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وما يتطلبه ذلك من حضور شخصي ومشاركة الآخرين قولاً وعملاً، وأيهما أفضل الانعزال أم الانخراط؟

■ نحن مكلفون بالعمل ومكلفون بالدعوة لله سبحانه وتعالى، ومكلفون بالسعي من أجل العيش وكسب الرزق، ومكلفون بالتواصل مع المجتمع. وليس الانعزال إلّا من جهة مجاهدة النفس وترويضها، وإلّا فلسنا مأمورين بالانعزال، ولم يكن دأب الأنبياء والأئمة ﷺ الانعزال عن المجتمع، بل كانوا جزءاً منه، وإذا كان الانعزال لجهة الابتعاد عن الرذيلة وعن الانحراف فإنّ ذلك لا يعدّ من البطولة، لأنّ البطولة أن تكون في قلب المجتمع وفي خطّ المواجهة، بحيث لا تسقط ولا تتحرف، وكما قال الشاعر:

ليس البطولة أن تموت من الظما

إن البطولة أن تعب الماء

ويقول أحد الشعراء:

وحدة الإنسان خير من جليس السوء عنده
وجليس الخير خير من جلوس المرء وحده

تعليم الدين من الصغر:

□ يقول أحد المفكرين ((إن ترك تعاليم الديانة في المدارس يجعل الشاب يتعلم الدين عندما يكبر، فيحدث لديه نضج واعتقاد بأهمية دينه، وليس مثل ما يعتقد الشبَاب الآن))، فما هو تعليقكم؟

■ ترى ما هو رأي هذا المفكر في تعليم الوطنية والقومية وتعليم الأخلاق، بمعنى أن لا يتعلم الإنسان إلا بعد أن ينضج فكرياً؟

هذا الرأي خاطئ، فنحن عندما نعلم الشاب الدين فأئنا نهئى فكره، ونهئى مشاعره وأحاسيسه للانفتاح الديني، وكلما تقدم في العلم أكثر، ونضج في الفكر أكثر، استطاع أن ينضج تصوّره وسلوكه الديني أكثر، والحضارة تقوم على هذا، فنحن نربي الأطفال على مفردات الفكر والسلوك والحركة، ثم نحاول أن نهئهم تدريجياً لتنمو هذه المفردات فيهم.

أمّا على هذا الرأي، فأئنه يقتضي أن لا نعلم الطفل القيم ولا نتصدى لتربيته، مع أن تعليم الأطفال وتربيتهم على هذه القيم من الأمور التي درج عليها الناس والمجتمع، لأنّه يزرع فيهم بذور الإنسانية. وقد ورد ((قلب الحدث كالأرض الخالية كل ما ألقى فيها قبلته)) وعندما يتصدى الإنسان لتعليم ابنه وتربيته إسلامياً، فإنّ ذلك لا يعني أنّه يُجبره على الإسلام، لأنّه سيكبر ويسمع وجهات النظر الأخرى، ولكنّه بهذه التربية سيكون قادراً على مواجهة الأفكار الأخرى، وسيدخل معها في حوار ونقد وتفكير.

ردع بصوت عال:

□ قلت إن الذين لا يحسنون قيادة السيارة لا يجوز شتمهم بل اللازم تنبيههم، هل إذا نهبناهم بعصبية أو بصوت عالٍ يعتبر ذلك ذنباً؟

■ يقول تعالى ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٣٥) فما دمت تتصحه وأنت بصدد تفهيمه، فلا بُدَّ من اتباع الأسلوب الهادئ. نعم إذا توقف ردعه عمّا

يؤدي إلى الإضرار بالناس على هذه الطريقة المذكورة في السؤال فيجوز ذلك.

البغض والحقد القديم:

□ هناك رأي يقول إن هذا الحقد وهذه البغضاء التي بدت من أفواه الناس والحكام في الغرب ضد الإسلام كان موجودا سابقا ولكنه الآن ظهر للعلن، فما هو تعليقكم؟

■ كان موجودا من خلال بعض الأفكار، ولكن قلما كنا نسمع أن أمريكا أو أوروبا اعتدى على مسلم أو على عربي بشكل سافر، لأن ما حدث شجع في أنفسهم العداوة وعمقها، وذلك لأن الأحداث الأخيرة أعذرتهم وقدمت لهم حجة، فأخرجت مخزون الأحقاد التاريخية المختزنة في النفوس.

التقاعس عن الأمر بالمعروف:

□ هل أن حديث رسول الله ﷺ للمؤمن عن تغيير المنكر بقلبه على أنه وهذا أضعف الإيمان، ساهم في تقاعس الأمة؟

■ لا، هذا معناه أن النبي ﷺ يقول إنه لا بد لك أن ترفض المنكر من خلال الظروف المتاحة لك للرفض، وإذا كنت قادرا على ما هو ممكن فليكن التغيير به ((ومن رأى منكم منكرا فليغيره بيده))^(٣٦) أي إذا استطاع، فإذا كانت الظروف المحيطة بك تسمح لك باعتماد وسائل تغييرية على المستوى الإيجابي فهو مطلوب، ((فمن لم يستطع فبلسانه، فمن لم يستطع فبقلبه)) وإلا فالهم أن تكون رافضا بقلبك، وهذا الرفض القلبي الذي يظهر بوجهك من خلال معاشرتكم وما إلى ذلك، كاف بلحاظ عدم قدرتك على ما هو أكثر تأثيرا.

التبعض:

□ هل تجيزون التبعض عند الضرورة فقط أو حتى في غير الضرورة؟

■ نجيزه في حالة الحرج والحاجة الملحة.

الدعاء للتعبئة الروحية:

□ إذا كانت نية الدعاء هي لأجل التعبئة الروحية والتقرب من الله والراحة النفسية، فهل يستجاب لي في قضاء الحوائج التي طلبتها؟ أم أنني إذا أردت ذلك يجب أن يكون هدف دعائي لأجل هذه الحوائج؟

■ كل الدعاء لله، فهو يريد منك أن تطلب منه الراحة النفسية، وقضاء الحوائج وغير ذلك، لأن الله تعبّدنا بذلك كلّ، فقال «وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ»^(٣٧)، وقال «فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»^(٣٨) فهو تعبّدنا بأن نطلب منه الجنّة، وأن نتعوّذ به من النار وما إلى ذلك.

الإسلام والعنف:

□ لدى مناقشة موضوع الإسلام والعنف من خلال مطروحات سماحتكم أشكل علينا بعض الناس في تفسير فتح الأندلس واعتبروه نشرًا للدين عن طريق القوة حيث لم يكن حرياً دفاعية، فما هو تعليقكم؟

■ الحرب على نوعين. فمنها ما هو دفاعي كما لو هوجمت ديار المسلمين من الغير، وهناك الحرب الوقائية التي تمنع من وقوع حرب أو فتنة أو حيل بين الإسلام والناس أو هدد مصالح المسلمين ولذلك فقد تشرّع بعض الحروب لهذه الجهة. هذا أولاً، وثانياً فإننا نتحفّظ على بعض الفتوحات من حيث الشرعية في طبيعتها ووسائلها وأحداثها لأن بعضها كان من فعل الأمويين، هذا مع أن فتح الأندلس تحديداً لم يؤدّ إلى إرغام الناس هناك إلى دخول الإسلام حيث بقي عدد كبير منهم على دينه وهذا يفسّر الموقف الإسلامي من الدعوة إلى الإسلام بالقوة.

(٣٧) غافر: ٦٠.

(٣٨) البقرة: ٢٠٠-٢٠١.

تعدد زوجات النبي ﷺ:

□ تعدد زوجات النبي ﷺ محط انتقاد بعض الأشخاص ولا أجد جواباً مقنعاً أدافع به، فهم يقولون إن تعدد الزوجات اليوم هو محط انتقاد بشكل عام؟

■ ما هو الأساس في الانتقاد المذكور، فلربما ينتقد البعض تعدد الزوجات، لأن الغرب لا يألف تعدد الزوجات الآن، والغرب ينطلق من خلال الذهنية المسيحية، وإلا ففي الغرب الآن يبحثون في تعدد العشيقات، ولكل واحد منهم أكثر من عشيقة وهي في بعض القوانين الغربية كالزوجة من حيث الحقوق، فلماذا يكون هذا حلالاً وذاك حراماً مع أن الإسلام فرض أربع نساء وفرض العدل بينهما؟ ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾^(٣٩)، ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾^(٤٠) يعني الميل القلبي، فالتعدد أصبح واقعاً، بل أن تعدد الزوجات أكثر عضة واتزاناً في وقت يخرج فيه الغرب على كل ذلك. وقد بحثنا هذا الموضوع في أكثر من كتاب، كما في كتاب (تأملات إسلامية حول المرأة) أو (دنيا المرأة) أو في تفسيرنا (من وحي القرآن).

التقييم والغيبة:

□ هل يعتبر تقييم شخص ما والحديث عنه من الغيبة؟

■ إذا كان تقييماً لمصلحة إسلامية فليس من الغيبة، وإلا كما لو كان مجرد تقييم شخصي فإنه يعتبر غيبة. ويجب الحذر من ذلك لأنه قد يشوب ذلك الهوى والرأي الشخصي فيلزم التريث والاحتياط.

كفارة الكذب:

□ ما هي كفارة الكذب؟

■ الاستغفار.

(٣٩) النساء: ٣.

(٤٠) النساء: ١٢٩.

براءة الذمة:

- هل طلب البراءة من الآخرين يعتبر شرطاً للتوبة على التناول عليهم والتعرف لهم؟
- إذا استطاع المكلف أن يطلب البراءة ممن تعرض لهم فيها وإلا فليستغفر لهم.

القسوة على اليتيم:

- كنت أعيل يتيماً وكنت أقسو عليه ووصل بي الأمر إلى الضرب وعندما وافاه الأجل بدأت أشعر بتأنيب الضمير، فما الكفارة في ذلك؟
- عليك أن تستغفر الله في ذلك .

الشكر العملي:

- دائماً يقال: ينبغي أن نحمد الله وأن نشكره على النعم، هل الحمد والشكر باللسان؟ أم بالعمل؟ أم بكليهما؟
- باللسان وبالعمل معاً «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ»^(٤١) ومن الشكر إظهار النعمة فيما أحبه الله سبحانه وتعالى وقد ورد ((أقل ما يلزمكم لله أن لا تستعينوا بنعمة الله على معاصيه))^(٤٢) وورد أيضاً ((لو لم يتوعد الله على معصية لكان يجب أن لا يعصى شكراً لنعمه)) وقد قيل لرسول الله ﷺ ((إنك تجهد نفسك في العبادة فقال أفلا أكون عبداً شكوراً))^(٤٣) والصلاة تعبير عن الشكر لله سبحانه وتعالى.

نية القرية:

- أكثر الناس لا يدرسون كما يدرس طلبة الحوزة، وهم يقومون بأعمال كثيرة مثل زيارة المرضى ومساعدة الناس ولا يعرفون أن ذلك يحتاج إلى نية القرية، فهل هم مأجورون؟

(٤١) إبراهيم: ٧.

(٤٢) بحار الأنوار، ج ٨٥، ب ٢٥، ص ٢٣٤، ج ١.

(٤٣) بحار الأنوار، ج ٥٥، ب ٨، ص ٣٦٨، ج ٣.

■ أساساً نية القربى أمر طبيعي في الناس، فلماذا الإنسان يزور المريض، هل يأخذ منه مالاً؟ لا، بل يحب الزيارة ويعرف أن الله يحب هذا العمل ولذلك فإن نية القربة هي نية مخترنة في كل فاعل خير، لأنك إذا سألته، يقول أقوم بالعمل في سبيل الله، لذلك القربة لا تحتاج إلى التكلف، ويكفي الإنسان أن يعمل الخير، لأنه يحب الخير، خصوصاً إذا كان مؤمناً، وذلك ليحرز رضا الله عنه، فلا يحتاج إلى التكلف اللفظي في النطق بالنية، حتى في الصلاة والصوم والحج، لأن الإنسان يعرف أنه إما يقوم بهذه الأعمال لأن الله أمره بها أو لأنها واجب، فإن النية هي عبارة عن الدافع نحو العمل.

الفصل السادس

المسائل الفقهية

- أولاً: المرجعية والتقليد
- ثانياً: النجاسات والطهارات
- ثالثاً: الوضوء والصلاة
- رابعاً: الصيام والكفّارات
- خامساً: الخمس والزكاة
- سادساً: الحج والعمرة
- سابعاً: الزواج والطلاق
- ثامناً: أموال وبنوك
- تاسعاً: السلوك والمعاملات

أولاً: المرجعية والتقليد

تحريف الفتوى:

□ إن تحريف الكلم لا يقتصر على الطعن بل يمتد لتمرير وتبرير الأهواء كما في مسألة ارتداء البنطال عند النساء التي تفتشت بدعوى أنكم تجيزون ذلك، فما هو ردكم؟

■ أنا لم أقل إن البنطلون حلال ولم أقل إنه حرام، بل قلت إن الحجاب له وجهان: الوجه الاول مادي وهو ستر الجسد بأية كيفية بحيث يصح لها أن تصلي به، لأن الصلاة لا يشترط فيها إلا ستر الجسد. والوجه الثاني معنوي، وهو أن لا تظهر المرأة كأنثى تثير الغرائز «فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ»^(١). والآية لا تتضمن القول فقط بل تشمل أيضاً كل ما يُطمع الرجل بالمرأة سواء كان بنطالاً ضيقاً أو غيره، فإذا فرضنا أنه كان بنحو مثير فهو حرام، وإذا لم يكن مثيراً فليس حراماً، وإن كان الأفضل للمرأة الاحتشام، أما هل أنه مثير أو غير مثير، فأنا لست من أهل الخبرة في ذلك، فالفقيه يعطي الخط العام، كما هو حال كل الفقهاء فهم مثلاً يقولون: يجوز لك النظر بدون تلذذ أو ريبة، أما كيف يكون ذلك فهذا يرجع للناس أنفسهم.

العنوان الثانوي:

□ يكثر في هذه الأيام استخدام العناوين الثانوية حتى أصبح العنوان الثانوي كأنه الأصل، ألا يعني ذلك أن الإسلام يواجه صعوبة في سريان أحكامه الأولية؟ ألا نتوقع في المستقبل أن نستغني عن القرآن والنص ونتسلح بالعناوين الثانوية؟

■ إن العناوين الثانوية هي من الإسلام، فالحكم ((لا ضرر ولا ضرار)) ما شرع إلا ليحل مشكلة للمسلمين، فمثلاً أنت يجب عليك أن تتوضأ بالماء، ولكن إذا فرضنا أن الوضوء يضرّك فإنه يسقط عنك في هذه الحال. كما أن هناك حرجاً

في أشياء كثيرة، والله يقول ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(٢). فالتشريعات ليست حرجية والرسول ﷺ يقول ((أتيتكم بالشريعة السهلة السمحة)). وهكذا بالنسبة إلى المواقع الأخرى، فلو فرضنا أنه يجوز لك إذا دخل مؤمن أن تبقى جالساً فإنه إذا لزم هذا هتك حرمة المؤمن، وفي الإسلام لا يجوز هتك حرمة المؤمن، فإن جلوسك وعدم قيامك له يعدّ - بالعنوان الثانوي - هتكاً لحرمته، فلا يجوز ذلك.

فالإسلام فيه عناوين أولية تتعلّق بالحالات الطبيعية في الواقع، وهناك العناوين الثانوية وهي الحالات الطارئة للواقع، وهو كما شرّع للحالات الطبيعية شرّع للحالات الواقعية. ولا يعني الأخذ بها أن نترك القرآن والنصّ لأننا عندما نأخذ بالعناوين الثانوية فإننا نأخذها من القرآن والسنة ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾. ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾^(٣). هذه كلّها عناوين ثانوية.

الظاف بين المقلدين:

□ من المعروف أن قوة المسلمين في إجماعهم وليس في تفرّقهم، فلماذا نلاحظ أن هناك اختلافات كثيرة بين مقلدي زيد وعمر من المراجع؟

■ لأنّ هناك تخلفاً؟ والأف لماذا لا نختلف إذا أراد أحدها أن يذهب إلى هذا الطبيب أو ذاك؟ لماذا لا نختلف إذا ذهب أحدها لهذه الجامعة وذهب الآخر لتلك الجامعة؟ إن هناك عصبية وعبادة للشخصية، والأف التقليد هو رجوع العالم للجاهل، فإذا كنت معتقداً بالمرجع الفلاني فما دخلك بي إذا كنت معتقداً بالمرجع الآخر؟ ما هذه العصبية النكراء؟ إنّ هذا ليس ديناً، فكلّ الذين يهاجمون بعضهم البعض، ويسبّون بعضهم البعض، ويقاطعون بعضهم البعض بسبب تقليد هذا العالم أو ذاك، وكلّ الذين يفتابون هذا المرجع أو ذاك المرجع ويشهّرون بهم ليسوا بمتدينين بل هم متعصبون والعصبية من الشيطان و((العصبية في النار)) وكما جاء في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ ((من تعصّب أو تُعصّب له فقد خلع

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) النساء: ٤٣.

ريقة الإيمان من عنقه))^(٤).

إجازة الرجوع إلى مرجع آخر:

□ ما هو رأيكم بالنسبة لمقلدي الشهيد السعيد آية الله محمد صادق الصدر رحمته الله الذين يرجعون اليكم في المسائل، علماً أن العراقيين لا يمكنهم أن يعلموا حكم المسائل، فهل تجيزون الرجوع إلى مجتهد آخر؟

■ اعتقد أن (فقه الشريعة) بالنسبة إلى العراقيين في الداخل قد انتشر، وكذلك (المسائل الفقهية) انتشرت هي الأخرى بشكل واسع، فإذا لم يمكنهم ذلك فلا مانع من ذلك.

صلاحية أهل الخبرة في الحكم:

□ في شهادتكم المتأخرة قلتم إن الإسلام يريد حفظ النظام للناس ولا يتوقف هذا على ولاية الفقيه في الحكم بل ربما يتولى أهل الخبرة الحكم والسياسة والاقتصاد مع وجود مستشارين فقهاء يراقبون العملية الإسلامية، فمن الذي يحدد صلاحية أحد الفريقين خصوصاً إذا رأى كل واحد منهم الأصلحية لنفسه؟

■ أولاً: لم تثبت عندنا ولاية الفقيه العامة بالأدلة الاجتهادية، ولذا نقول إذا توقف حفظ النظام عليها فهي واجبة على قاعدة وجوب حفظ النظام العام، وهذا ما يتفق الفقهاء المسلمون جميعاً عليه وهو أن كل ما يؤدي إلى حفظ النظام فهو واجب، وكل ما يؤدي إلى اختلال النظام فهو حرام. وأما من الذي يحدد هذا الشيء فهم أهل الخبرة في السياسة، وإذا فرضنا وقع خلاف فله حلوه، ولكننا نتكلم من حيث المبادئ، أما كيف هي إدارة المسألة على أرض الواقع، فإذا اختلف الناس الذين يحكمون بطريقة وبأخرى فلا يحكمون بمزاجهم، بل حتى الولي الفقيه لا يجوز له أن يحكم بمزاجه فيما لا خبرة له فيه إذا لم يكن عنده تخصص بالاقتصاد أو شؤون الدولة الأخرى مما يجب معه الرجوع إلى أهل الاقتصاد والخبرة، فالاختلاف في القضايا التفصيلية يرجع فيه إلى هؤلاء.

■ بإمكانها أن تطمئن من خلال اطمئنانك بمرجع معين وتتعرف على الأحكام الشرعية من خلال ما تعطيهما أنت من الأحكام التي يمكن أن تترجمها لها، كما أن لدى بعض المراجع رسائل عملية باللغة الأجنبية، فنحن مثلاً لدينا (الفتاوى الواضحة) باللغة الإنجليزية.

الطبيب وفتوى التدخين:

□ أنا طبيب وأعرف من مضار التدخين ما لا يعرفه عالم الدين حتى أن أضراره تتجاوز أضرار الخمر، فهل يحق لي إصدار فتوى بأنها أشد حرمة من الخمر وأعدّها بمثابة إحدى الموبقات السبع؟

■ لا تصدر فتوى بل قل إنّه على حسب دراستي وخبرتي إذا كانت الخمرة محرّمة لإضرارها فالتدخين هو أشد ضرراً من الخمر. وهذا هو الذي جعلنا نحكم بتحريم التدخين مطلقاً للمعتاد ولغير المعتاد «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافَعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا»^(٥). وليس في الدخان نفع أساساً.

فتاوى حرمة المسابقات:

□ صدرت بعض الفتاوى من الأزهر الشريف بحرمة المسابقات التلفزيونية وخصوصاً برنامج (من سيربح المليون)، فما هو مورد الحرمة في رأيكم؟

■ لقد قرأت الفتوى والحيثيات التي ذكرها المفتي عنها فلم أر فيها أساساً للتحريم، لأنّ في المسألة جانبين: جانب المهاتفة والخسائر المترتبة عليها دونما نتيجة، وهذا ليس قماراً، فأنت قد تستعمل الهاتف الذي تستفد منه شركة الهاتف وليس الأشخاص القائمون على البرنامج، وذلك من أجل أن تحصل على فرصة معينة، وهذا أمر عقلائي، فالإنسان قد يدفع مالاً في سبيل احتمال كسب، وهذه طريقة التجار كلّهم، فقد يدفعون أموالاً ويخسرون على احتمال أن يربحوا. وأمّا قضية (من سيربح المليون) فالمال يدفع في قبال جائزة لمن يجيب أجوبة معينة، فالربح مشروط في الأساس بأن يمتلك المشارك الإجابة فيدخل ذلك في باب الجعالة أو في باب الجائزة، أمّا القول أنه أكل مال الباطل فليس صحيحاً،

فالمشارك في البرنامج لا يدفع مالاً معيناً في سبيل أن يحصل على مال، ولذا فهذا ليس من أكل المال بالباطل، ولذلك فمن خلال دراستي لحديثيات هذه الفتوى لم أجد هناك ما يؤكد الحرمة من الناحية الشرعية.

مصادر استنباط الحكم الشرعي:

□ ما هي مصادر الاستنباط التي اعتمدتم عليها في الأحكام الشرعية؟
 ■ نفس المصادر التي يعتمدها المجتهدون الآخرون وهما الكتاب والسنة، أمّا العقل والإجماع فالعقل إنّما هو كاشف عن السنة وليس دليلاً مستقلاً، والإجماع أيضاً كاشف عن السنة لأنه قولٌ عن المعصوم. وغاية الأمر أننا نفهم بعض الآيات القرآنية بطريقة تختلف عن فهم الآخرين، كما نفهم بعض القواعد بطريقة معينة تماماً كما يختلف المجتهدون في فهم الكتاب والسنة.

حقّ وكيل المرجع:

□ هل يحقّ لوكيل المرجع أن يأخذ شيئاً من الحقوق الشرعية من خمس وما شابه، لأننا سمعنا بعضهم وخاصة الذين يعيشون في الغرب أن له حقّ الثالث؟

■ هو كبقية الفقراء يأخذ إذا كان فقيراً. نعم باعتبار أنه يقوم بجهد فيأخذ من الحقّ مقابل جهده. لكنّ الحقوق الشرعية ليست وسيلة من وسائل الإثراء.

خطأ في التشخيص:

□ كنت أرجع الناس لإحدى المرجعيات وظهر أنّي على خطأ في التشخيص، فهل عليّ إثم في ذلك؟
 ■ ليس عليك إثم ولكن عليك أن تبين خطأك.

تحريم العمل بالإستشعادي:

□ حرّم البعض العمل الاستشعادي الانتحاري، فعلى ماذا استند في هذه الفتوى؟

■ ربّما كان بعض هؤلاء المشايخ يفكّرون بأنّ هذا نوعاً من إلقاء النفس

بالتهلكة، وأنّ الجهاد هو أن يقتل الإنسان بيد العدو عندما يهجم على العدو، أمّا أن يقتل الإنسان نفسه بيده فهذا مصداق قوله تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٦). وهو عمل انتحاري، لكنّ هؤلاء لم يتعمّقوا في الفرق بين الانتحار وبين الاستشهاد، فالانتحار هو أن يقوم الإنسان بقتل نفسه انطلاقاً من حالة ذاتية، كمن يفشل في دراسته كالكثير من المراهقين، أو كمن يفشل في حبه العاطفي أو كمن يخسر في صفقة تجارية أو يعيش في حالة كآبة نفسية فوق العادة. فالانتحار هو أن يقتل الإنسان نفسه على أساس دوافع أو أسباب ذاتية فيمكن أن يقال ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾.

أما الجهاد فهو إلقاء النفس بالتهلكة من أجل هدف سام ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾^(٧). لكن الفرق بين الجهاد كإلقاء النفس في التهلكة بالحرب وإلقاء النفس في التهلكة في الحالات الفردية، هو أن الجهاد هو أن تقتل نفسك في سبيل قضية كبرى على أساس شرعي. ولذا نقول إنّ هذه العمليات التي يقوم بها هؤلاء المجاهدون سواء في لبنان أو في فلسطين استشهادية، والذين يقومون بها شهداء لأنهم فجّروا أنفسهم بالعدو من أجل القضية الشرعية الكبرى، إذ ما الفرق بين من يبرز للمعركة من أجل أن يقتل العدو بسيفه ليقّتل العدو بسيفه وبين من يفجّر نفسه بالعدو، فهذا جهاد وهذا جهاد، واللّه سبحانه وتعالى لم يحدّد للمجاهدين آلية الجهاد بل إنّهم رخص لهم أن يقاتلوا العدو بكلّ الوسائل التي تحقّق الهدف، فإذا كانت العمليات الاستشهادية تحقّق الهدف فإنّها عمليات استشهادية جهادية، ونحن نقرأ في واقعة كربلاء عندما صلّى الإمام الحسين عليه السلام الظهر أنّ هناك شخصاً وقف أمام الحسين عليه السلام وهو يصلّي وكانت السهام تنهال عليه من كلّ جانب والرجل ينزف وانتهى الحسين من صلاته وسقط الرجل وهو يقول: هل وفيت يا بن رسول الله؟ قال: نعم، أنت أمامي في الجنة. أليست هذه عملية استشهادية؟ وفي حرب الجمل أعطى الإمام علي عليه السلام لأحد جنوده القرآن حتى يعرضه أمام الجمهور قائلاً تعالوا نحتكم إلى كتاب الله فقتله الجمهور وهذه

(٦) البقرة: ١٩٥.

(٧) التوبة: ١١١.

عملية استشهادية أيضاً.

فهؤلاء الذين يقولون بهذه الفتاوى لا يعلمون معنى الجهاد لأنهم لم يعيشوا قضية الجهاد، فلا يفهم الجهاد إلا من يعانيه، وبعض هؤلاء لا يعيشون القضايا الكبرى ولا سيما إذا كانوا موظفين عند السلطان يعطونه فتوى بالسلم عندما يريد السلم وفتوى بالحرب عندما يريد الحرب، أولئك وعاظ السلاطين وما أكثرهم.

قياس درجة الاجتهاد:

□ ما هو مقياس درجة الاجتهاد؟ ومن هو الذي يمنحها؟ وهل يشترط بالمجتهد أن يكون ممن درس في الحوزة علماً أننا نرى أن هناك أشخاصاً كالجابري واركون يفهمون النص أحسن من كثير من المجتهدين، فأنا أستاذ في قسم الاستشراق واعرف بعض المستشرقين ممن يفهمون النصوص الإسلامية فهماً جيداً، فلم يختص ذلك بالحوزات؟

■ نحن لا نقول إن الاجتهاد مختصّ بالحوزات، بل يمكن لغير المسلم أن يتخصّص في ذلك. ولكن هناك نقطتان: الأولى فهم النصوص، والثانية معرفة القواعد. فالفقه يرتكز على قواعد في علم الأصول، وكذلك لابد من معرفة الموازنة بين النصوص.

ومع أن بعض الأساتذة والمستشرقين لديهم ثقافة جيدة ولكن لا نستطيع القول إنهم مجتهدون على الطريقة العلمية في الاجتهاد كما هي الطريقة العلمية في الأدب والقانون والعلوم الأخرى، فلكل علم أصوله، والثقافة في جانب لا تعني امتلاك الثقافة في كل الجوانب، فعالم الاجتهاد فن ويحتاج إلى أهل الخبرة حتى يفهموه، كما هو شأن العلوم الأخرى التي تحتاج إلى خبراء في مجالاتها.

شرط العلمية والحياة:

□ هل ترون شرط العلمية وشرط الحياة في مرجع التقليد أم لا؟

■ رأينا أنه لا يشترط العلمية، أمّا الحياة فكنت أرى جواز تقليد الميت ابتداءً ولكننا سجلنا بعد ذلك احتياطاً من جهة المصلحة العليا بالعنوان الثانوي.

الرجوع إلى الميت في العدول:

□ كنت من مقلدي الشيخ (محمد أمين زين الدين) ﷺ لمدة طويلة وبعد وفاته بحوالي السنة قلّدت فقيهاً آخر لكنّ بعض الناس قالوا لا يجوز العدول لمقلد سواء كان حياً أو ميتاً إلا إذا كان يرى المقلد الأول أن لا مانع لديه من تقليد غيره، فأصبحت في حيرة، فما هو حكمي؟

■ هذا الكلام غير صحيح، لأنّ البقاء على تقليد الميت لا يرجع فيه للميت بل يرجع فيه إلى الحي، ولذلك فإنّك عدولك أو بقاءك برأي الحي هو الصحيح.

إيضاح حول الاستنساخ:

□ سبق أن ذكرتم أنّ الاستنساخ من خلية الأم يجعل الأم هي الأم والأب في آن واحد، ألا يخالف هذا العرف والشريعة؟

■ صحيح، أنّ ذلك يخالف العرف لكنّه لا يخالف الشريعة، فالأصل الإباحة، فهذا ولد من أم دون أب ولقد أوضحنا كيفية ذلك فبعد أن أخذوا خلية من الأم وزرعوها في داخل البويضة بعد تفريغ البويضة من الكروموسومات ولد الولد من هذه الأم، وهذا مثله مثل عيسى ﷺ لكن ذاك كان بالقدرة المباشرة لله وهذا بما ألهم الله الإنسان معرفته في هذه الطريقة، لذلك نحن لا نرى أنّ هناك حرمة في ذلك. نعم نحن نناقش في قضية الاستنساخ البشري من خلال إمكانية أن يسيء إلى كثير من الأوضاع الاجتماعية وأن يخلق فوضى من هذه الناحية، ولكن أصل المبدأ لا يوجد دليل على حرمة.

المنهج الأصولي الأخباري:

□ ما هو الفرق بين المنهج الأصولي والمنهج الأخباري؟ وهل هناك اثر في ذلك على مستوى العقيدة؟

■ ليس هناك أي أثر، فهؤلاء مسلمون مؤمنون اثنا عشريون، وأولئك مسلمون مؤمنون اثنا عشريون، هؤلاء يأخذون بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ وكذلك أولئك، ولكن هناك مسائل علمية اختلفوا فيها حتى أنّ بعض الإخباريين يأخذ بآراء الأصوليين، ولكنّ العصبية جعلت الأخباري ينظر للأصولي وكأنه رجل خارج عن الدين، والأصولي ينظر إلى ذاك بنفس النظرة، وكل هذا من نتائج الجهل

والتخلف والعصية.

هل الفقهاء أطباء نفسانيون؟

□ يصف الناس الفقهاء بأنهم أطباء نفسانيون، فلماذا القول بوجوب

التقليد إذا كان بإمكانني الذهاب إلى أي طبيب أشاء؟

■ أولاً: الفقهاء ليسوا أطباء نفسانيين بل أطباء فقهيين شرعيين - إذا جاز التعبير- فقد يكون عند شخص ثقافة نفسية يداوي بها مرضاه، وقد يكون محتاجاً إلى مداواة نفسه، فهذا ليس له دخل في مسألة الفقه، وإنما هي اختصاص قائم بذاته في مجال الطب. أمّا التقليد فكما قلنا مراراً هو كذهابك إلى الطبيب المختص، ألسنت تقلد الطبيب فيما يصفه لك من دواء؟ فهو من باب رجوع العالم إلى الجاهل، فكما أنه ليس عندك معرفة في الطب فكذلك الرجوع إلى الفقيه من باب أنك ليس عندك اختصاص بالشرعية فهو يقول لك إن حكمك الشرعي هو هذا، فإذا سألك الله غداً، لماذا فعلت كذا؟ تقول له لأنك طلبت مني أن أسال ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٨). وأنا سألت أهل الذكر.

الألمعية السياسية:

□ من منطلق ولاية الفقيه والتقليد، هل الألمعية السياسية شرط في

التقليد؟ وإن وجد هل يجب اتباعه أو يشترط في التقليد الألمعية الفقهية؟

■ التقليد هو عملية ثقافية، وهو رجوع غير المختص إلى المختص والخبير،

وربما تحتاج بعض الفتاوى إلى معرفة بالسياسة عندما تتعلق الفتوى بالأمور السياسية، والألمعية ليست شرطاً عندنا.

إحراز عدالة الإمام:

□ هل تجوز صلاة الجماعة خلف إمام مجهول العدالة؟

■ لا بدّ من إحراز عدالة الإمام الذي يصلّي خلفه جماعة، نعم يمكن في

بعض الأحيان الاعتماد على بعض القرائن، كما لو كان المصلون كثيراً وفيهم الصلحاء على نحو لا يمكن اجتماعهم من دون إحراز عدالة الإمام، فإذا حصل

الاطمئنان ولو من خلال هذه الجهة يجوز.

فتوى أسية فهمها:

□ لدي صديق يسكن بلاد الغرب وكان قبل أن يذهب إلى هناك يفرض على زوجته حجاباً إسلامياً كاملاً وهي العباءة، لكن هذه المرة خرجت معه زوجته ترتدي البنطلون الذي يظهر مفاتن المرأة ووضعت على رأسها حجاباً لا يستر إلا الشعر، ويظهر فيه عنقها، ولما كانت لي معه صحيفة سألته: ماذا تغير في الأمر؟ قال لي بأن هذا حجاب شرعي حسب فتوى السيد فضل الله، هل صحيح هذا يا سيدي؟

■ لا، هذا غير صحيح، ثم إنه لا يجوز لأحد أن ينسب لي فتوى لم يطلع عليها تفصيلاً. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن الحجاب على قسمين حجاب مادي وهو الحجاب المطلوب في الصلاة، بمعنى أن المرأة لو فرضنا أنها لبست ما يستر جسمها، وكان الثوب ضيقاً مظهراً لمفاتنها، فإنه يجوز لها أن تصلي فيه. أمّا الحجاب الذي تظهر فيه المرأة في المجتمع فهذا يشترط فيه أمران - كما قلنا مراراً وتكراراً - الستر والحشمة، بمعنى عدم التبرج، وأن لا تخرج المرأة بما يظهرها كأنثى ومما يثير الشهوة، سواء من جهة اللون أو تفصيل الثوب أو طريقة اللبس وغير ذلك.

ثبات الحدود وتغيرها:

- الحدود الشرعية، هل هي ثابتة أم متغيرة؟
- حدود الله لا تتغير وهي ثابتة. نعم التعزيرات متغيرة.

العدول في موارد الاحتياط:

- هل تجيزون العدول في المسائل التي فيها احتياط وجوبي بشكل مطلق؟

■ في الموارد التي فيها احتياط وجوبي يجوز العدول.

مهام الأنبياء والعلماء:

- الأنبياء والرسل والأئمة المعصومون ﷺ لهم دور تاريخي في تبليغ

الرسالة للعالم ودورهم في الحياة ليجسدوا عبودية الإنسان لخالقه، فما هو رأيكم ببعض العلماء المشغولين بالطهارة والنجاسة وهم يختصرون المشاكل بهذه المسائل؟

■ هذا من اختصاصهم أيضاً، والأمة تحتاج إلى ذلك، إلا أن ذلك لا يعفيهم من مسؤولياتهم الأخرى.

التبعيض في التقليد:

□ هل غيرتم فتواكم بشأن التبعيض فأصبح الآن جائزاً في حالة الحرج والحاجة الملحة فقط، فنحن نرجع إليكم في كثير من الأمور، وفي أمور نرجع إلى مراجع آخرين بسبب اقتناعنا السابق بأنكم تجيزون التبعيض بين المراجع في جميع الأقوال وهو أمر هام جداً ويتناسب مع خطك لأنه يعطي للفرد حرية في الرجوع لمن يقتنع بفتواه وينفس الوقت لا يخرج عن القاعدة الشرعية بسؤال أهل الذكر والرجوع إليهم؟

■ نحن لا نريد الفوضى في هذا المجال، فإنما نحن نجوز التبعيض كما لو قلّد مجتهداً واقتنع بفتاويه. ولكنه في بعض المسائل قد يحتاج إلى فتاوى الآخرين، فنحن نجيز ذلك، بشرط أن لا تصل المسألة إلى حد الفوضى والمزاجية.

تقليد الأعلام:

□ قلدت أحد فقيهين بناء على شهادة أحد الأفاضل بأن فلاناً الأعلام ولكن ظهر لي أن الآخر هو الأعلام، وقد ظهر لي ذلك يوم وفاة هذا الآخر، فما هو حكم تقليدي؟

■ إذا قلدت مجتهداً وأنت مقتنع به فليست هناك مشكلة، خصوصاً وأن مسألة تحديد الأعلام من الصعوبة بمكان، ونحن نرى أنه لا يجب تقليد الأعلام.

مسائل التبعيض اجتهادية:

□ هل أن مسألة جواز التبعيض هي من المسائل التي يستطيع أن يؤمن بها المكلف بلا تقليد، بمعنى لو اطمأن قلبي بأنه يجوز التبعيض، فهل يصح

مَنِ التَّبْعِيضُ؟

■ مسألة التبعض من المسائل الاجتهادية التي يجب أن تقوم عليها حجة شرعية وذلك لا يتاح إلا للمجتهدين.

ثانياً: النجاسات والطهارات:

دخول الحائض للمرقد المقدس:

□ هل يجوز للمرأة الحائض أن تدخل للمراقد المقدسة لغير المعصومين كمرقد السيدة زينب ﷺ؟

■ يجوز ذلك إذا لم يكن مسجداً، فالاحتياط المعروف عند العلماء هو لمراقد الأئمة ﷺ فيجوز الدخول إلا إذا كان المقام مسجداً فحكمه حكم المسجد، أما إذا كان المقام غير مسجد كما في مرقد السيدة زينب الذي يعدّ جانب منه مسجداً فيجوز الدخول في القسم الذي لا علاقة له بالمسجد، وإلا فبشكل عام يجوز للحائض وللجنب أن يدخلوا لمراقد أبناء الأئمة ﷺ.

كفارة دخول الحائض إلى المسجد:

□ دخلت مسجد الكوفة عمداً وكنت في العادة الشهرية، وقد حصل ذلك حياءً من أن يشاهدني الآخرون في الخارج، فما هي كفارتي؟

■ إذا كنت في حرج شديد لا يتحمل عادة فالله سبحانه وتعالى قد يعذرك، وإذا ابتليت بذلك مستقبلاً فعليك أن تتخلّصي من الإحراج الذي لا مبرر له، فإن تكون المرأة في العادة الشهرية ليس عيباً.

إحراق جثث الموتى:

□ يعمل أخي في مستشفى بعض الجامعات، ويحكم عمله فإن عليه أن يحرق جثث الموتى لأبناء الطائفة الهندوسية، فما حكم عمله؟

■ الأفضل أن لا يقوم بذلك، ولكنه ليس محرماً، فاحترام جثة الميت إنما هو مختصّ بالمسلمين، أمّا لغير المسلمين فلم يؤكّد الإسلام هذه الحرمة، لا سيما وأن الهندوس يرون أنّ إحراق الجثث هو إحسان إلى الموتى.

البيرة وتعليب لحم الخنزير:

□ في بعض دول اللجوء كالنرويج يخبرون اللاجئ في العمل في مصانع البيرة أو تعليب لحوم الخنزير، وعند رفض العمل من قبل اللاجئ يقطع عنه الراتب؟

■ في حال لم يكن بإمكانه أن يختار عملاً آخر فليقدم التعليب لأنه يجوز عندنا تقديم لحم الخنزير لمستحله.

غسل الجنابة من حرام:

- هل يجزي عن الوضوء الغسل من الجنابة من حرام؟
- كل غسل من الجنابة يجزي عن الوضوء سواء كانت الجنابة من حرام أو حلال.

مياه المجاري في مزرعة:

- عندي مزرعة وقد فاضت عليها مياه المجاري في يوم واحد، فهل يجوز الأكل من هذه المزرعة؟ وكيف نظهرها؟
- يجوز الأكل منها، ويمكنك أن تجري عليها الماء الطاهر.

الأغسال والترتيب:

- هل غسل الجمعة مثل غسل الجنابة من حيث الترتيب؟ وهل يغني عن الوضوء؟

■ لا فرق في كل الأغسال من حيث الترتيب بين الرأس والرقبة ثم الجسد كله، وليس هناك ترتيب بين الشق الأيمن والأيسر، وإن كان الأحوط استحباباً. فغسل الجمعة يجزي عن الوضوء وكل غسل ثبت استحبابه شرعاً يغني عن الوضوء وليس الجمعة فقط.

غسل دم الميت:

- هل يغسل الميت مرة ثانية إذا خرج منه دم؟
- كلا، بل يطهر محله.

دم ماذا؟

- أجريت لزوجتي عملية ولادة ولهذا السبب أصبحت ترى الدم لأكثر من شهرين، فهل يعتبر من دم الحيض أم النفاس؟
- إذا جاءها الدم في أيام العادة فهو حيض والباقي استحاضة، ودم النفاس أيضاً لا يزيد عن العشرة وأما الزائد عن العشرة فيكون استحاضة.

الماء المضاف:

- عند غسل بعض الملابس يصطبغ الماء بلون يخرج منها، فكيف نعرف ما إذا أصبح الماء مضافاً أو غير مضاف؟
- تستطيع أن تحمل الماء بكفك فترى أنه غير ملوّن لأنه عندما تنتشر أجزاء الماء قد يبدو ملوّنًا وهذا شيء عرفي.

تطهير السجّاد:

- عند غسل السجّادة كلّها أسكب الماء عليها فيخرج منها ماء بلون بني من أثر التراب، فكيف أطهرها؟
- التطهير يتمّ بإجراء الماء بحيث يصل إلى كلّ أجزائها وكبسها لإخراج الغسالة منها.

هل الحائض تنجّس؟

- هل تنجّس الحائض المكان الذي تجلس فيه؟
- الحائض طاهرة ولا ينجس منها إلا المكان الذي فيه الدم، غير أن بعض الناس يتصورون أن جسد الحائض أو الجنب نجس في حين أن الجسم طاهر ولكن موضع النجاسة هو النجس.

حكم دم:

- ما هو حكم الدم النازل بعد العادة الأولى لأقل من عشرة أيام وله نفس مواصفات دم العادة واستمر نزوله أكثر من ثلاثة أيام؟
- إذا كان الدم بصفات دم الحيض فإنّه حتى لو تجاوز أوقات العادة بشرط أن يقف عند العشرة فهو حيض، لأنه إذا تجاوز العشرة حتى لو كان بصفات دم الحيض فإنها تستقطع مدة عادتها وتعتبر الباقي استحاضة.

تذكية غير المسلم:

- سألني أحد الكتابيين ذات مرّة: هل يكون الذبح حلالاً إذا ذبح الذبيحة مسيحي وكان متجهاً للقبلة فأجبتّه بأنّه يشترط بالذابح أن يكون مسلماً، فسألني ما الحكمة من ذلك؟

■ المشهور بين علماء المسلمين الشيعة أن ذبيحة غير المسلم لا تحلّ حتى لو سمّى، فلا بدّ أن يكون الذابح مسلماً كما أنّ اليهود لا يستحلون الذبح إلا إذا كان الذابح يهودياً، وربما كانت الحكمة في ذلك أنّ في الذبح شيئاً من الجانب الروحي بالإضافة إلى الجانب المادي، ولذلك فإنّ المسلم هو الذي يعيش التسمية لا بشكل لفظي بل بصورته الحقيقية. ولكنّ هناك رأياً آخر لبعض العلماء القدامى والمعاصرين في هذه المسألة، فهم يقولون إنّ الله لم يذكر إلا التسمية ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾^(١). ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾^(٢). وقد ورد عن أهل البيت (ع) ((إنّ الذبيحة إسم ولا يؤمن عليها إلا مسلم)). فإذا أمانا غير المسلم فيجوز ذلك، وهذا الرأي نستقر به كما يستقر به الشهيد الثاني (رحمه الله) وعلماء معاصرون، ولكن الأحوط أن يكون الذابح مسلماً.

بيع المتنّس:

□ بعت قبل فترة طويلة شراباً متنّساً لأحد المسلمين، ما هي الكفّارة الواجبة عليّ؟

■ لا كفّارة سوى الاستغفار.

الحشرات في أماكن النجاسة:

□ ما حكم الحشرات الموجودة في بيت الخلاء، وخاصة عندما تلامس بدن الإنسان وهو في بيت الخلاء؟

■ لا تتّجسه، إلّا إذا فرضنا أنّ النجاسة موجودة على جسمها بحيث تنقل له النجاسة، فبهذه الطريقة يتّجس وإلّا فلا. وهناك علماء يقولون إنّ بدن الحيوان لا يتّجس، أو أنّه يطهر بزوال النجاسة.

منشأ الاضطياط في لحم الأرنب:

□ ذكرتم في رسالتكم العملية (فقه الشريعة) أنّه يحرم الاغتذاء بالأرنب على الأحوط وجوباً، فما هو منشأ الاحتياط الوجوبي، ولو بشكل مختصر؟

(١) الأنعام: ١٢١.

(٢) الأنعام: ١١٨.

■ روي عن الإمام الصادق عليه السلام روايات صحيحة بأن النبي ﷺ كان عزوف النفس وأتي بالأرنب فكرهها ولم يحرمها. ولكن لما كان هناك شبه إجماع يدّعي حرمة أكل لحمه، فإننا نفتي بالاحتياط الوجوبي، بمعنى أنه بالنتيجة يحرم أكله احتياطاً، ولذلك لا نفتي من خلال البحث العلمي بالجواز.

المتجنس الثاني:

□ نرجو من سماحتكم إعطاء أمثلة على المتجنس الثاني الذي لا ينجس فإن زوجي يتهمني بأني مصابة بالوسواس وينجس البيت متعمداً ويقول إنه لم ينجس؟

■ لو فرضنا خرج الدم من يده وذهب عين الدم، فيده متجنس أول فإذا كانت يده رطبة، وأصابته اليد الثانية فاليد الثانية متجنس ثاني، واليد الثانية لا تنجس ما تلاقيه.

الدم في البيضة:

□ ما حكم البيضة التي فيها نقطة دم؟ هل تترك أم يجوز أكلها بعد إزالة نقطة الدم؟
■ يجتنب على نحو الاحتياط.

غسل مس الميت:

□ لماذا يجب الغسل عند مس الميت، نرجو تفسيراً علمياً وفقهياً؟
■ تعد المسألة من المسائل التعبدية ولا نملك تفسيراً علمياً أو فقهياً لذلك. وقد يفسر لجهة الإحساس بزحف الموت للإنسان الملامس للميت فيزيله بالغسل.

ثالثاً: الوضوء والصلاة:**الإلتزام بمن لا يحسن القراءة:**

- هل تصح الصلاة خلف الإمام الذي لا يحسن القراءة؟
- لا يجوز أن يصلي خلف من لا يحسن القراءة.

الجمعة مع غير مذهبنا:

- إذا كنت في منطقة لا يوجد فيها جامع تقام فيه صلاة الجمعة من قبل أتباع أهل البيت ﷺ فهل يكفي أن أصلي مع المذاهب الأخرى إذا نودي للصلاة؟
- لا مانع من ذلك ولكن يأتي بصلاة الظهر بعد ذلك إحتياطاً.

المنع من الصلاة معهم:

- أنا مواطن عراقي أعيش في أستراليا ولكن لدي أخوة يمنعونني من الصلاة والذهاب إلى المساجد الإسلامية فماذا أصنع؟
- لا بد أن تذهب إلى المساجد الإسلامية كما يقول الأئمة ﷺ ((صلوا معهم)) حيث ينبغي أن يحضر المساجد هناك حتى يقوي إيمانه وحتى يستطيع أن يعيش جواً إيمانياً حتى مع إخواننا من غير مذهبنا.

صلاة المتابعة:

- حبذا لو توضّح لنا صلاة المتابعة للدخول في صلاة الجماعة دون أن تصلي مع الإمام لأسباب ترجع الى المأموم؟
- المتابعة هي أن يقرأ المأموم لنفسه خصوصاً في الصلاة الإخفائية ويصلي كأنه يصلي جماعة حتى لا يسيء إلى كرامة الإمام، أمّا الصلاة الجهرية ففيها إشكال.

سجدتا السهو قبل تسليم الإمام:

- هل يجوز للمصلي خلف الإمام أن يأتي بسجدتي السهو قبل تسليم الإمام إذا كان قد حصل عنده السهو؟

■ يجوز له ذلك لأنه بعد تسليمه هو ينفصل وينفرد ويمكن أن يأتي بسجدة السهو قبل تسليم الإمام.

الصلاة إلى غير القبلة:

□ يوجد في المكان الذي نعمل فيه مكان للصلاة، ومنذ شهرين اكتشفنا أننا نصلي إلى غير القبلة حيث أن القبلة إلى جهة المغرب ونحن نصلي إلى جهة الجنوب فهل تجب علينا الإعادة، علماً أننا نعلم أنه إذا خرج الوقت فلا تجب الإعادة؟

■ تارة يكون هناك استدبار للقبلة ففي هذه الحال تجب الإعادة، وكذا إذا كان إلى الشرق أو إلى الغرب، وتارة يكون المصلي بين المشرق والمغرب، فلا مشكلة في هذه الحال، فهذه هي القاعدة العامة.

المعوذتان في الصلاة:

□ يذهب بعض العلماء إلى عدم قراءة سورة المعوذتين في الصلاة لكونهما منزلتين بصيغة الدعاء، وانهما لا تجزيان، فما هو رأيكم؟

■ يجوز قراءة أية واحدة منهما بعد الفاتحة في الصلاة.

إظهار المرأة للقدمين في الصلاة:

□ هل يجوز للمرأة إظهار القدمين في الصلاة للمحارم؟

■ رأينا هو أنه لا يجب ستر القدمين، فيجوز للمرأة أن تكشف وجهها وكفيها وقدميها في الصلاة وفي غيرها، وهناك من العلماء من لا يجوز ذلك في غير الصلاة ولكن لا يوجب سترهما في الصلاة إلا إذا كان هناك ناظر محترم من غير المحارم.

تأخير الصلاة:

□ قلتم إن الذي يؤخر صلاته عامداً إلى ما بعد منتصف الليل فإنه يصلي لا أداء ولا قضاء، فكيف تكون نية صلاته؟

■ تكون بداعي الأمر المتوجه إليه.

هل هذا استحاضة؟

□ إذا تجاوزت النفساء أكثر من عشرة أيام ولا زال السائل أصفر مائلاً إلى الاحمرار، فهل هو إستحاضة؟

■ نعم، هذا الدم دُمُ استحاضة، وعليها أن تعمل أعمال الإستحاضة وتصلّي وتصوم، والحكم هنا أنه إذا تجاوز الدم عشرة أيام تأخذ عاداتها فتجعلها نفاساً، وتحكم على الباقي من العشرة، وما زاد فتجعله استحاضة.

الصلاة في بيوت عبادة غير المسلمين:

□ هل يجوز للمسلم الصلاة في بيوت عبادة غير المسلمين؟
■ يجوز ذلك.

الحركة أثناء الصلاة:

□ ما هو حكم من يتحرك أثناء الصلاة كأن يصلح عمامته أو عباءته؟
■ لا بدّ للإنسان أن يحافظ على الطمأنينة في الصلاة، وقد ذكر أن بعضهم كان يعبث بلحيته: فقال الرسول ﷺ: ((لو خشع قلبه لخشعت جوارحه))^(١).

تعارض الدوام والجمعة:

□ كنت موظفة ودوام وظيفتي في لبنان لم يكن يسمح لي بالذهاب إلى صلاة الجمعة مع أنني من مقلديكم، وقد توقفت عن العمل منذ شهر تقريبا وخلال هذا الشهر لم اذهب إلى صلاة الجمعة مع أنني أتابع خطبتي الصلاة في المنزل، فهل أنا مأثومة بذلك بسبب إهمالي؟

■ لا يجب على المرأة حضور الجمعة، ولذلك فلا مشكلة هناك سواء كنت في عذر من عملك أو لم تكوني في عذر، ولكنك اذا حضرت صلاة الجمعة فتجزي عن الظهر وصلاتك صحيحة إن شاء الله، ولك الأجر في ذلك.

صلاة النساء بين الزّوّار:

□ كثير من النساء يصلين في الصحن الشريف لمرقد السيدة زينب ؑ وبين جموع الزّوّار، فهل يجوز ذلك؟

■ نعم يجوز، فهن كالثلاثي يصلين في المسجد الحرام مع جموع الحجّاج لا فرق في ذلك، لاسيما إذا كانت المرأة المصلية تصلّي بحجابها الشرعي وبالشكل المناسب الذي لا يسيء إلى شخصيتها الإيمانية، فلا يحرم ذلك، ولكن الأفضل للمرأة أن تصلّي في مكان منعزل أو مختصّ بالنساء تفادياً لأي إحراج.

التخليل في مسح القدم:

□ هل يجب التخليل في مسح القدم كثيفة الشعر في الوضوء؟

■ على الإنسان المتوضئ أن يمسح قدمه بشكل طبيعي ولا يجب التخليل إلا إذا كان الشعر كثيفاً لدرجة غريبة غير عادية بحيث لا يصدق عليه مسح القدم إلا بالتخليل.

بين الجهر والإخفات:

□ عند قرائتي لسور قرآنية في الصلاة الجهرية انتبه في نصف السورة إلى أنني قرأتها إخفاتاً وبالعكس أحياناً، وقد أخفت في سورة الحمد وقد انتبه بعدها إلى أن الصلاة جهرية، فهل علي إعادة القراءة أم إعادة الصلاة؟

■ في الأثناء لا يبعد أن تعيد القراءة.

الغفلة عن خطبة الجمعة:

□ أثناء خطبة الجمعة أسهو عن سماع مضمون الخطبة، فهل أنّ صلاتي صحيحة علماً أنّني أحاول جهد الإمكان الانتباه للخطبة ولكنني في أكثر الأحيان أسهو وينصرف ذهني؟

■ صلاتك صحيحة.

إخفائية أم جهرية؟

□ كيف تؤدى صلوات النوافل جهراً أم إخفاتاً؟

■ الإنسان مخير بينهما.

قضاء ما في الذمة:

□ في أثناء قضاء الصلوات عما في الذمة، هل يجب أن نقضي كل فرض في وقته؟

■ يجوز لك أن تقضي كل فروض اليوم دفعة واحدة صباحاً أو ظهراً أو مساءً، فالوقت يراعى فقط في حالة الأداء، أما في حال القضاء فلا وقت محدد.

الصلاة بحجاب ناقص:

□ أنا شيعي وزوجتي على مذهب أهل السنة ولكنّها تعمل أغلب تكاليفها الشرعية وفقاً لما عليه الشيعة غير أنّها تصلي بدون حجاب كامل، فهل تصحّ صلاتها؟

■ لا تصحّ صلاتها لا عند السنة ولا عند الشيعة فحتى السنة يوجبون تغطية الجسد في أثناء الصلاة.

سبق الإمام:

□ عندما أصلي جماعة فأحياناً أسبق الإمام بقراءة التسيّحات، فهل في ذلك إشكال؟

■ ليس فيه إشكال، فالمهم أن لا تسبقه في الركوع والسجود.

معرفة الإمام:

□ صليت خلف إمام جماعة ولكنني لا أعرفه ولا أعرف أحداً من المصلين، لكن بعد الصلاة حصل عندي اطمئنان بالإمام، فما هو حكم صلاتي؟

■ إذا كان عادلاً واكتشفت أنه عادل وتحقّق منك قصد القرينة فصلاتك صحيحة.

الفرادى والجماعة:

□ أدخل المسجد فأجد مع انعقاد صلاة الجماعة كثرة المصلين فرادى وفيهم المتدينون فأشكّ في إمام الجماعة: فهل أصلي جماعة أم فرادى؟ وهل تعتبر صلاتي صحيحة في حال انعقاد الجماعة؟

■ إذا كنت لا تعتقد بعدالة الإمام سواء من خلال الناس الذين يصلون فرادى أو من غير ذلك فلك أن تصلي منفرداً، ولكن الانفراد في حال انعقاد الجماعة إذا كان يؤدي إلى إعطاء انطباع عند الناس الذين يرونك منفرداً بأن الإمام ليس عادلاً فلا يجوز ذلك لأن فيه هتكاً لحرمة المؤمن، والصلاة في هذه الحالة باطلة.

قصراً أم تماماً؟

□ صلى شخص العشاء تماماً في موضع يتوجب عليه القصر وهو لا يعلم بذلك ثم عاد ليلاً إلى محل إقامته قبل انتهاء وقت صلاة العشاء، فهل يعيدها قصراً أم تماماً؟

■ لا بد أن يعيدها تماماً إذا عاد إلى وطنه أو محل إقامته.

قراءة العزائم أثناء الصلاة:

□ قرأت في الصلاة الواجبة سورة تشتمل على السجدة فهل أسجد خلال الصلاة أم عند نهاية الصلاة؟

■ بل تومي بالسجود عندما تقرأ السجدة، وعموماً لا يجوز قراءة سور العزائم في الصلاة.

صوت الإمام عبر المكبر:

□ المتعارف عندنا في النجف وغيرها أن قراءة الإمام وكل أجزاء صلاته يجب أن لا تكون بمكبر صوت فيصل إلى الشارع وأحيانا أبعد من ذلك، أضف إلى ذلك أن العلماء وأئمة الصلاة لم يدرجوا على ذلك في صلاتهم، فهل يجوز ذلك؟

■ ما المانع من ذلك في الصلاة الجهرية خاصة في صلاة الجمعة؟ ألم تكن صلاة الجمعة ترفع في مسجد الكوفة رحم الله صاحبها ومؤسسها لأنه أعطى خيراً كثيراً لصلاة الجمعة؟ ولو فرضنا أن هناك (٥٠٠) ألف مصل أو يزيدون فكيف نوصل الصوت إليهم وفي الصلاة قراءة للقرآن ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٢). أي يجب على المصلين أن يستمعوا لقراءة الإمام

في صلاة الجماعة، فلماذا لا يجوز ذلك؟

ولقد كنّا في النجف أيام المرحوم السيد محسن الحكيم وكان صوته ضعيفاً وكان يحضر درسه تقريباً (٢٠٠) أو (٤٠٠) طالب في (مسجد عمران) فاقترحوا أن يجلبوا ميكرفوناً فحدثت ضجة في النجف واعتبره البعض من المزمّار، وبعد ذلك سارت الأمور سيراً طبيعياً حتى شاع استخدامه في الدروس وفي الصلاة. لكن مشكلتنا هي أننا نرفض كلّ جديد إلى أن يفرض نفسه علينا، في حين أنّ علينا أن ندرس الجديد لنرى هل يتناسب مع الأحكام الشرعية أم لا؟ فإذا كان يتناسب نأخذ به، ولكننا غالباً نتعصّب لما نألف حتى لو كان ما نألف غير جيد، وهذا ما عبّر عنه المتنبّي بقوله:-

لفارقت شيبي موجه القلب باكيا

خلقت ألوفا لو رجعت إلى الصبا

فالألفة تحسّن القبيح وتقبح الحسن.

قضاء فترة الارتداد:

□ كنت مسلماً وبعدها أصبحت ملحداً لأربعة أشهر لاقتناعي بنظريات الإلحاد، وبعدها عدت وعملت بالإسلام، فهل يجب عليّ قضاء الصلاة والصيام لأربعة أشهر؟ أم أنّ الإسلام يجب ما قبله؟
■ ((الإسلام يجب ما كان قبله))^(٢) إذا كان كافراً أصلاً، أمّا المرتدّ فعليه أن يقضي ما فاتته إذا عاد إلى الإسلام.

تغيّر النية:

□ نويت الإقامة في السفر فصلّيت تماماً، وفي اليوم التالي تغيّرت النية، فهل تكون صلاتي قصراً أم تماماً؟
■ إذا كنت متأكداً ١٠٠٪ وبعدها عدلت في النية وصليّيت تماماً فابق على صلاة التمام ما لم تسافر.

صلاة الوتر:

□ أصليّ صلاة الوتر بقراءة الفاتحة وسورة قصيرة وفي القنوات أدعو ((اللهم أجرنا من النار)) وهذه الصلاة تختلف عن الصلاة المعروفة، فهل صلاتي

صحيحة ؟

■ هذه كلها مستحبات فيمكن أن تصلي بهذه الطريقة ولكن ذلك ليس من خصوصيات صلاة الوتر.

الزيادة في التشهد:

□ هل يصح ذكر الصلاة الإبراهيمية في التشهد بأن نقول كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين؟
■ لا يجوز ذلك على الأحوط.

المعرفة المتأخرة بعدم عدالة الإمام:

□ ثبت لي بالدليل أن أحد أئمة الجماعة الذي كنت أصلي خلفه غير عادل، فما حكم صلاتي التي كنت أصليها؟
■ صلاتك صحيحة، لأن المراد بالعدالة في صلاة الجماعة هو العلم بالعدالة لا العدالة الواقعية.

التقدم إلى الإمام في الجماعة:

□ لو نويت صلاة الجماعة وياشرت الصلاة، وقد تقدم الذي أمامي إلى الإمام وأصبح محلي شاعراً، فهل يجوز أخذ محله بالتقدم إلى الإمام؟
■ إذا سكت ولم تقرأ أو تذكر وتقدمت من دون أن تتحرف عن القبلة وتلتحق فلا مانع من ذلك.

ماء جديد في الوضوء:

□ عند الوضوء قد تسقط قطرات الماء من شخص قريب على أيدينا عند المسح فيختلط الماء عند ذلك، فما هو حكمه؟
■ الماء الجديد مشكل.

في صلاة الجماعة:

□ يوجد في الجامعة مصلى للمسلمين، فهل تجوز الصلاة مع الجماعة من غير مذهبي؟
■ يجوز أن تصلي معهم وتقرأ لنفسك ولك ثواب الجماعة.

عدالة الإمام:

□ إذا ذهبت إلى أحد المساجد ووجدت إماماً يصلي ولا اعرف عنه شيئاً ولكن اعرف أن هذا المسجد يقع في منطقة كلها من الشيعة، فهل صلاتي صحيحة؟

■ المهم أن تحرز عدالة الإمام لكي تصلي الجماعة خلفهم.

تحديد الغروب:

□ في بريطانيا حيث الجو في الغالب غائم يصعب عليّ تحديد وقت الصلاة، فهل يجوز الصلاة والافطار على توقيت المساجد لغير مذهبي؟

■ يجوز ذلك لا سيما أن هناك رأياً يقول أن وقت الغروب عندنا كما هو وقت الغروب عندهم كما عند السيد الخوئي وعندنا أيضاً أن الغروب يحصل عند سقوط القرص، وإذا أراد الإنسان أن يحتاط مثلاً فيؤخر الوقت عشرة دقائق أو ربع ساعة عن وقت الأذان المذكور.

سبق المأموم للإمام:

□ ما هو المقصود من عدم سبق المأموم للإمام؟

■ السبق بمعنى أن لا تركع قبل أن يركع وان لا تسجد قبل أن يسجد، أي لا تسبقه في الأفعال.

القيء أثناء الصلاة:

□ ما هو الحكم لو تقيأ المصلي بشيء يسير وأرجعه إلى معدته؟

■ إذا لم يخرج عن حالة الصلاة فلا مشكلة في ذلك.

الصلاة أثناء العمل:

□ تفوتني صلاة المغرب عادة، فوقت عملي من الساعة الرابعة إلى الساعة الثانية عشرة ليلاً؟ وأنا مضطر للعمل، فما هو حكمي؟

■ عليك أن تحاول أن تأخذ فرصة تصلي فيها كمن يطلب فرصة ليقضي حاجة أو يرتاح لفترة معينة، ويمكنك أن تصلي بعد نصف الليل وتأتي بالصلاة بداعي الأمر المتوجه إليه إذا لم تستطع الأداء قبل ذلك، وعلى الإنسان أن لا

يعمل عملاً يضطر به إلى ترك صلاته في وقتها .

المأموم أثناء الإخفائية:

□ ما هو تكليف المكلف المأموم في صلاة الجماعة الإخفائية، فهل يسكت أم يسبح في الركعتين الأوليين؟

■ هو مخير بين أن يسكت ويفكر، أي يتذكر الحمد بأن يعيش في نفسه معاني سورة الحمد، أو معاني التوحيد في سورة الإخلاص، أو معاني أية سورة أخرى، أي إذا كان لا ينطق بلسانه فهو ينطق بفكره وبروحه، أو أن يسبح. والمهم أن يعيش روحية الصلاة.

تفوتها الصلاة في الجامعة:

□ أنا طالبة جامعية واسكن في محافظة تبعد مسافة طويلة عن مقر سكني ولا يوجد في الجامعة جامع فتفوتني الصلاة، فما هو الحكم في ذلك؟

■ ليس من الضروري الصلاة في الجامع فلك أن تصلّي ولو في الجامعة، فإذا كانت ثيابك تستر جسدك فإنك تستطيعين أن تتحي جانباً من الجامعة وتصلين.

التبعض في الصلاة:

□ هل يجوز التبعض في التقليد في الأبواب الفقهية في الباب الواحد مثل الصلاة بحيث أقلد أكثر من واحد في الباب الواحد؟

■ يجوز التبعض بما لا يؤدي إلى التلاعب في الأحكام.

السجود على السجادة الصناعية:

□ طبيعة دراستي تحكم عليّ الصلاة في المدرسة، فهل يجوز الصلاة على السجادة الصناعية من باب التقية؟

■ إذا كانت المسألة مسألة تقية يعني أنك تخاف الضرر إذا صليت على ما يصحّ السجود عليه فنعم يجوز، أمّا إذا لم تكن تخاف من الضرر فضع ورقة أو سجادة من القش وما أشبه ذلك.

في التسبيحات:

□ نقول في الركعة الثالثة والرابعة من الصلاة (سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر) وفي تسبيح الزهراء ؑ نقول (الله أكبر - سبحان الله - الحمد لله) فهل التسبيح حكم وقفي أم مذهبي؟
■ إنه إسلامي وقفي في الصلاة.

ثواب صلاة القضاء:

□ هل تعتبر صلاة القضاء أقل ثواباً من الصلاة فيما إذا أداها المكلف في وقتها؟

■ من الثابت أن الصلاة في وقتها أكثر ثواباً، باعتبار أن المكلف يحصل في الواجب على ثواب الصلاة وثواب الوقت معاً، لذلك يقال إن الصلاة في أول الوقت جزور وفي آخر الوقت عصفور، فكيف إذا صليت في خارج الوقت، إذا لم تكن معذوراً؟ لا شك أن ذلك ينقص من أجرك فهذا أنت تصلّي القضاء وتعاقب على عدم أداء الصلاة على وقتها، وإذا فرضنا أنك كنت معذوراً في ذلك، كما لو كنت قد غلبك النوم، فعند ذلك تفقد ثواب الوقت.

الصلاة بساعة مطلية بالذهب:

□ هل يجوز للرجل الصلاة بساعة مطلية بالذهب؟
■ يجوز ذلك لأن المحرم هو لبس الذهب، أمّا الساعة المطلية بالذهب فلا تعتبر ساعة ذهبية، ولذا فلا مانع.

الصلاة على النبي ﷺ أثناء الصلاة:

□ قام إنسان للصلاة وسمع شخصاً ينادي بالصلاة على محمد ﷺ فهل يقطع صلاته ويقول اللهم صل على محمد وآل محمد؟
■ لا مانع أن يقول ذلك في الصلاة، فالدعاء جائز في الصلاة في أي موضع، فله أن يقول اللهم صل على محمد وآل محمد لأنه يجوز له أن يذكر الله ويدعوه في كل حالات الصلاة ومن الدعاء أن يدعو الإنسان ويقول اللهم اغفر لي ولوالدي، واللهم ارفع درجة محمد وآل بيته، اللهم صلّ عليه وعليهم، فلا مشكلة

ولا يحتاج أن يقطع صلاته.

صلاة الخرساء:

- لدي بنت خرساء لا تؤدّي الصلاة بانتظام، فما هو حكمها؟
- واجبها أن تصلي بحسب ما تستطيع، وعليك أن تأمرها بذلك بالتي هي أحسن.

العمل أثناء الجمعة:

- أعمل في يوم الجمعة فتفوتني صلاة الجمعة، فماذا أفعل؟
- إذا كان الإنسان غير قادر على حضور صلاة الجمعة، وإذا كان حضورها يلزم عليه الحرج فيجوز ترك ذلك.

الدم والوضوء:

- هل أن خروج الدم من الجسد يفسد الوضوء؟ وهل أن خروجه يبطل الصلاة لأنه يعتبر من النجاسات؟
- إن خروج الدم من الجسد لا يفسد الوضوء، فيمكن للإنسان أن يطهر الدم وتنتهي المشكلة، أمّا اذا خرج الدم في أثناء الصلاة بأكثر من المقدار المعفو عنه في الصلاة فعليه أن يعيد صلاته لأنها باطلة.

ترك الصلاة لعدة سنين:

- تركت الصلاة لأكثر من أربع سنين، وكنت أصلي فريضة واحدة في كل يوم إلى أن اصبح بدمتي سبع سنين صلاة، فما هو العمل؟
- عليك أن تقضيها ((من فاتته فريضة فليقضها كما فاتت)).

القصر من حين السفر:

- نويت الإقامة عشرة أيام في السيدة زينب بدمشق ثم نويت الذهاب إلى بيروت، فهل النية وحدها توجب قصر الصلاة؟
- يجب القصر من حين السفر.

قضاء الغفيلة:

- هل يجوز قضاء صلاة الغفيلة في اليوم التالي في حال نسيانها؟
- يأتي بها برجاء المطلوبة.

السجود على الأحجار الكريمة:

- هل يجوز السجود على الأحجار الكريمة إذا كان من قبيل المعادن؟
- لا يجوز.

صلاة المرأة بدون حجاب:

- سمعت من بعض الأخوات أنه يجوز للمرأة أن تصلّي بدون حجاب، فهل هذا صحيح؟
- من قال ذلك؟ لابد للمرأة من الحجاب أثناء الصلاة.

الصلاة الخاطئة:

- شخص وجبت عليه الصلاة فصلّى مدة لا يعلمها بصورة خاطئة ثم اهتدى إلى الصلاة الصحيحة، فهل يجب عليه قضاء الصلاة بشكل تقديري؟
- إذا كان يعرف بشكل مؤكد أنّ صلاته باطلة فعليه الإعادة بحسب التقدير.

الصلاة في المنزل أم في الحرم؟

- في ظل الازدحام أيام الموسم والزيارة أيهما افضل بالنسبة للمرأة الصلاة في المنزل أم في الحرم الزينبي؟
- لا أعتقد أن المشكلة بهذا الشكل لأنّ هناك مدخلاً للرجال وآخر للنساء، وإذا كان ذلك يوجب الحرج فلا يصح للإنسان أن يأخذ بالمستحب الذي مقدمته حرام.

قضاء ٢٠ سنة صلاة:

- أنا امرأة عليّ قضاء حوالي (٢٠) سنة ولا أقدر أن اقضي كل تلك المدّة لأنّ عندي ثمانية أطفال وظهري يؤذيني كثيراً وأشكو من عدة أمراض، فماذا أفعل؟

■ صليّ بمقدار ما تستطيعين.

الخطأ في تعيين القبلة:

- سألت في الفندق عن القبلة فذكروا لي جهة معينة ولكن تبين لي أن القبلة مختلفة، فهل صلاتي صحيحة؟
- إذا كنت واقفاً بين المغرب والمشرق فلست ضد اتجاه القبلة وصلاتك صحيحة، أي إذا كان الانحراف طفيفاً فلا مشكلة.

الحركة أثناء الصلاة:

- نرى بعض الاخوة أثناء الصلاة يكثرون من الحركة فما هو تأثير ذلك؟
- من شروط صحة الصلاة الطمأنينة، وقد نقل أنّ شخصاً رآه رسول الله ﷺ وهو يعبث بلحيته فقال ((لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه، أما لو مات هذا الرجل على مثل هذه الصلاة ليموتنّ على غير ديني)).

إظهار القدمين في الصلاة:

- هل يجوز للمرأة أن تظهر قدميها في الصلاة؟
- نعم يجوز ذلك، ورأينا الجواز حتى في غير الصلاة وهذا رأي مختلف بين العلماء.

المرور أمام المصلين:

- ما حكم من يصليّ والناس يمرون من أمامه؟
- لا مشكلة في ذلك إلا أنه يكره المرور أمام المصلي، ولكنه لا يضرّ بصحة الصلاة.

دم أثناء الوضوء:

- في أثناء الوضوء يخرج دم من اللوزتين كالخيط ومن الأسنان وبالرغم من المضمضة عدة مرات يبقى شيء من الدم، فهل يبطل ذلك الوضوء؟
- لا يبطل الوضوء إذا بقيت أعضاء الوضوء طاهرة.

السُرعة في الصلاة:

□ إذا كانت صلاتي عادة سريعة ولا أريد من يراني أصلي كذلك فأحاول أن أصلي وحدي، فهل ابتعادي هنا الحفاظ على سمعتي، وهل تبطل صلاتي؟

■ هذا تهرب من النقد وفي الحديث ((يَحْشُرُ النَّاسَ عَلَى نِيَاتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))^(٤) فَإِنَّ اللَّهَ يَطَّلِعُ عَلَى نِيَّتِكَ، إذ ما هو مقصودك من ذلك؟ هل لكي لا يراك تصلي صلاة خفيفة؟ أم لسبب آخر؟

الكلام أثناء خطبة الجمعة:

□ هل يجوز الإتيان بالصلاة أثناء خطبة الجمعة؟

■ لا يجوز ذلك، بل يجب على المصلين أن يستمعوا إلى خطبة الجمعة، بل ولا يجوز حتى أن يسبحوا أو يتحدثوا مع بعضهم البعض أو يقضوا صلاتهم أو يؤدّوا النوافل، فالخطبة جزء من الصلاة.

الإلتزام بإمام يصلي قصراً:

□ في صلاة الجماعة هل يجوز للمأموم أن يأتّم بإمام يصلي قصراً؟
■ نعم، إذا كان الإمام مسافراً والناس أحبّوا أن يصلّوا خلفه فهو يسلمّ وهم يقومون لإتمام صلاتهم.

ملامسة النساء:

□ هل ملامسة الرجل للمرأة أو بالعكس يبطل الوضوء؟

■ لا يبطل الوضوء، فالمقصود بقوله تعالى «لَا مَسْئَمَ لِّلنِّسَاءِ»^(٥). كناية عن العملية الجنسية وليس ملامسة اليد لليد أو ملامسة الجسم للجسم، فهذا المصطلح القرآني وراد على نحو الكناية، كما في قوله تعالى «لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ»^(٦). أي تدخلوا بهن من خلال العملية الجنسية.

(٤) بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢٣٤ ب ٣٤٤ ح ٣.

(٥) النساء: ٤٣.

(٦) البقرة: ٢٢٦.

الصلاة الماضية:

- كنت أتعبّد على غير فقه أهل البيت ﷺ فهل أقضي الصلاة الماضية؟
- إذا كنت على غير مذهب أهل البيت ﷺ فلا يجب عليك قضاء الصلاة.

الجماعة بدلاً من الجمعة:

- أنا ممن تجب عليه صلاة الجمعة، فهل يمكنني أن أصلي جماعة إذا كنت لا أستفيد من خطبتي الجمعة لكونهما لا تشتملان على الأوضاع السياسية؟
- تجب عليك صلاة الجمعة، وإذا أردت أن تعرف الأوضاع السياسية فاقرأ الصحف وتابع الإذاعات، واللّه تعالى يقول ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٧). فأنت تسعى لذكر الله سواء كان في صلاة الجمعة خطبة سياسية أو ليس فيها خطبة سياسية لأنك بذلك تؤدّي تكليفك الشرعي.

قطع الاتصال بالإمام:

- إذا انفصل الشخص الذي خلف الإمام كمن يصلي قصراً في الصف الأول أو غيره من الصفوف، وكان عدد المنفصلين كثيراً بحيث يقطع الاتصال بالإمام، فهل يخلّ بالاتصال؟
- نعم، إذا كانوا كثيرين بحيث تفرقوا فعلى الباقيين الانفراد.

غسل أكثر من حدّ العضو:

- قلتم في الوضوء يجب غسل أكثر من حدّ العضو أي زيادة عن الحدّ المطلوب للإطمئنان، فهل هذا وارد في الغسل أيضاً؟
- قلنا ذلك من باب الاحتياط، أمّا في الغسل فليس هناك حد لأن الجسد كلّه يجب أن يغسل.

في كيفية الغسل:

- في الغسل هل يمكن أن نغرف الماء باليد ثم نمسحها على أعضاء الجسم حتى لو لم يصل الماء مباشرة من خلال للمسح؟

■ إنَّ المطلوب هو الغسل وليس المسح.

البنطلون كحجاب في الصلاة:

□ هل يُكتفى بالبنطلون في الحجاب أم لابد من السترة؟

■ في الحجاب الصلاتي أي السترة يكتفى به، وفي الحجاب الاجتماعي يجب أن لا يكون مثيراً.

قراءة السورة الكاملة:

□ ما هي الحكمة من قراءة سورة كاملة في صلاة الفرض وجزء من السورة

في النوافل؟

■ على رأينا لا يشترط قراءة السورة كاملة في الفريضة، بل يُكتفى بقراءة بعض الآيات. وربما الحكمة - بناءً على اشتراط قراءة سورة كاملة - هي أهمية الفريضة.

فوات صلاة الفجر بالنوم:

□ إنني أعمل في التجارة ويستمر عملي حتى منتصف الليل، وفي بعض الأحيان عندما أعود متعباً أنام حتى طلوع الشمس ولا أستيقظ لصلاة الفجر، فهل أكون آثماً؟

■ ما غلب الله عليه فهو أولى بالعذر، فبالنسبة إلى صلاة الفجر التي يسأل عنها السائل لا يَأْثَمُ لو تركها لجهة غلبة نومه عليه، وأمّا صلواته الأخرى التي تقع في وقت عمله، فلا يجوز له تركها بحجة العمل، إذ لا يجوز له أن يستغرق بعمله على نحو يفرط بها ويتركها.

اقتداء الأولاد بالأم جماعة:

□ هل يجوز اقتداء الأولاد في صلاة الجماعة بأمهم؟

ج: إذا لم يكونوا بالغين فيمكن، والاقتداء هنا هو من قبيل التمرين، وإلا فلا تؤم النساء الرجال، نعم تأتم البنت بأمها.

التطوع بالعبادة:

□ في ذمتي قضاء صلاة وصوم، فهل أصلي وأصوم استحباباً؟

■ من كان عليه صلاة وصوم في ذمته لا يتبرع، ولكن يجوز له ذلك، لأنَّ الأولى أن يفرَّغ ذمته مما اعتبر واجباً في ذمته.

ظل الوضوء وتأثيره على الصلاة:

□ والدتي كبيرة السن، ولظروف معينة لم أرها منذ سنين طويلة، والآن بعد أن رأيتها اكتشفت أن هناك خللاً في وضوئها وفي صلاتها، ما حكم صلواتها للسنوات الماضية؟

■ إذا كان الخلل مبطلاً للوضوء فتجب إعادة الصلاة، لكن يحسن أن يُعلم أنَّ المسألة تحتاج إلى تدقيق، فربَّما ما حسبته خللاً ليس خللاً، أو يمكن تصحيحه.

العجز عن بعض التكاليف:

□ ما هو حكم المسنِّ إذا لم يستطع أن يصحح الأخطاء في قراءته في الصلاة، ولا يمكن تعليمه؟

■ إذا كانت الأخطاء مما يمكن تجاوزها فلا ضرورة للتعليم والإجهاذ عليه، ولذلك لا بُدَّ من دراسة التفاصيل. وفي حال العجز عن التعلُّم يُكتفى منه بالمقدور.

شكل صلاة الجماعة:

□ ولدي وأمه يصلون خلفي جماعة في البيت، كيف يكون وقوفهم؟ هل يقف الولد عن يميني وأمه خلفه أو يقف خلفي وأمه خلفه؟

■ على رأينا لا مانع من وقوفهم خلفك في مستوى واحد، ولكن الأحوط أن يكون هناك فاصل ولو كان شبراً.

عدم إعادة السجدة إلى مطعاً:

□ بسبب الزحام في بعض الصلوات كما في صلاة الجماعة، عندما نفرغ من الصلاة نضع السجدة في غير الموضع الذي خصص لها، هل يجوز ذلك؟

■ ليس هناك مشكلة، المهم أن لا تُخرجها من المسجد.

الأمراض المعدية والصلاة جماعة:

- يتعرض الإنسان لبعض الأمراض المعدية كما في النزلة الصدرية، هل يجوز حضور صلاة الجماعة في هذه الحال، وهل يجب حضور صلاة الجمعة؟
- إذا كان ذلك يؤدّي إلى عدوى الآخرين بشكل مباشر فيحرم الإضرار بالمصلين وغيرهم أيضاً، أمّا إذا كان يُمكن التحفّظ وتجنّب المصلّين العدوى، فإنّ ذلك لا يُبرّر ترك الصلاة جماعةً، أو التخلّف عن صلاة الجمعة.

فوات الخشوع في الصلاة:

- يطرأ على المصلّي بعض الأفكار بما يذهب الخشوع، هل يبطل ذلك الصلاة؟
- لا يُبطل ذلك الصلاة، ولكنّه يقلل من روحانيّتها، لأنّ الله يقبل من الصلاة ما أقبل عليها الإنسان بقلبه، وليُحاول المصلّي استحضار كلّ المعاني التي تولّد الخشوع.

غسل أعضاء الوضوء:

- كنتُ بعد غسل اليدين أضعهما تحت الماء، فهل الوضوء باطل حتّى مع الجهل بالحكم الشرعي؟
- نعم، إذا كنت تضعهما تحت الماء بعد أن تغسلهما، وتمسح بالماء الجديد، فإنّ الوضوء باطل وصلاتك باطلة أيضاً.

قراءة الأحاديث في القنوت:

- هل يجوز قراءة الأحاديث المنقولة عن النبي ﷺ والأئمّة ؑ في قنوت الصلاة؟
- قنوت الصلاة بمعنى الدُّعاء، فإذا كانت هذه الأحاديث تشتمل على الدُّعاء فيجوز.

الجهر والإخفات في التكبيرة:

- ما هي صورة تكبيرة الإحرام من حيث الجهر والإخفات؟
- لا يجب الجهر وإن كان الأفضل الجهر.

صلاة الغفيلة:

□ هل تجوز صلاة الغفيلة في غير السورة والقنوت المذكورين في ((مفاتيح

الجنان))؟

■ إذا كانت الصلاة مستحبة بخصوصيتها فعلى المكلف أن يأتي بخصوصيتها، والصلاة صحيحة حتى لو لم يقرأ المأثور في صلاة الغفيلة، ولكن لا يصدق عليها الغفيلة بحسب خصوصيتها.

ترك صلاة الصبح:

□ هناك شخص يُصلي الأوقات الخمسة، وكذلك زوجته، ولكنهما تصلي

الصبح قضاءً أكثر الأحيان تعمداً، حيث تتكاسل وهو يقنعها وينصحها ولا تكثر، فما هو تكليفه؟

■ تكليفه أن يعظها ويرشدها على الدوام، ويبين لها أنها ماثومة شرعاً في

ترك الصلاة في وقتها على نحو العمد.

الصلاة في غير موارد القصر:

□ أخي يعمل في منطقة تبعد عن مدينتنا المسافة الشرعية وذلك من

ثلاث سنوات، فهو يذهب في الصباح ويعود في المساء، ما حكم صلاته في تلك المنطقة إذا كان ذهابه لقصد الزيارة خارج العمل، فهل يقصر أم يتم؟

■ في رأينا أنه يتم في جميع ذلك.

صلاة الجمعة:

□ لو أقيمت صلاة الجمعة، هل يحسن أن تصلي صلاة الظهر أيضاً، وإن

كان ذلك من باب الاحتياط؟

■ صلاة الجمعة تغني عن صلاة الظهر، والاحتياط إن كان فهو

استحبابي وليس وجوبياً.

التظف عن صلاة الجمعة:

□ كنت في إحدى البلدان لمدة أربع سنوات ولم أصل صلاة الجمعة طيلة

هذه المدة وكنت أصلي في البيت وذلك لعدة أسباب فما هو الحكم الشرعي؟

■ إذا كانت هذه الأسباب تصلح عذراً لعدم المشاركة في صلاة الجمعة كما لو كنت لا تعتقد عدالة الإمام أو ما أشبه ذلك فأنت معذور.

إمام الجماعة يصلي بالنيابة:

□ هل يصح للإمام أن يصلي جماعة بالناس وهو يصلي نيابة عن الغير؟
■ إذا كان هذا الغير الذي ينوب عنه إمام الجماعة يجزم بفوات هذه الصلوات عليه، وليس من باب الاحتياط فإنه يجوز للإمام النائب عنه أن يؤم المصلين وإلا فلا يصح أن يصلي جماعة بهم.

النّية في الصلاة:

□ في كثير من الحالات أشرد في الصلاة بحيث إذا سألتني سائل ما هي الصلاة التي أصليها لا أستطيع الإجابة فوراً وإنما احتاج إلى التفكير قليلاً لمعرفة ما هي الصلاة التي أصليها، فهل يجب أن يكون اسم الصلاة حاضراً في الذهن بشكل فوري أم أنه يمكن استحضاره بالتفكير قليلاً لايجاد بعض القرائن التي تساعد على معرفة أي صلاة، وما هو الحكم بالنسبة للوسواسي؟
■ يكفي أنك بدأت صلاتك على أساس تحديد الفريضة التي تصليها، ولم تقطعها بنية أو فعل وإذا حصلت حالة شرود فليست هناك مشكلة، ولكن يجب أن لا تبقى إلى آخر الصلاة، بحيث تشعر كما لو أنك لم تكن تصلي. أما الوسواسي فلا أثر لوسوسته وعليه أن لا يعتني بها.

الجمع بين الصلاتين:

□ هل يوجد رواية عن المعصومين بصحة الجمع بين الصلاتين؟
■ هناك رواية عن رسول الله ﷺ أنه كان يجمع بين الصلاتين في حال الحضر والسفر، وفي حال الرخاء والشدة، وعندنا في ذلك رواية حتى من أهل السنّة في (البخاري) وغيره كما ورد ذلك عن الأئمة المعصومين ﷺ الذين تنطلق أحاديثهم من رسول الله ﷺ، ومن أراد التفصيل فليقرأ كتاب (مسائل فقهية) للمرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين وهو متوفر في المكتبات.

التساهل في صلاة الجمعة:

□ صاحب محل لا يغلق محله وقت صلاة الجمعة، فأرشدته إلى ما في (سورة الجمعة) من أمر بإغلاق المحل وترك البيع ولكن بلا فائدة، فلم أعد أشتري منه ولم أعد أسلم عليه لأنني إذا سلّمت عليه فيجب أن أشتري منه؟

■ لا يحرم السلام عليه، فقد يكون مقلداً لبعض الفقهاء الذين لا يرون وجوب صلاة الجمعة عيناً بل تخييراً بينها وبين الظهر، ولكنه يخسر الكثير، حتى أن بعض الناس أتى إلى الرسول ﷺ فقال له: إني أحبّ الحج، ولكني لا أستطيع، فقال عليك بصلاة الجمعة فإنها حج المساكين. وهكذا ورد عن الباقر عليه السلام: ((من ترك ثلاث جمع بلا عذر كان ممن طبع على قلبه))^(٨) يعني بالنفاق.

وقت صلاة الفجر:

□ وقت صلاة الصبح عندنا يبدأ مع طلوع الفجر وهكذا الصوم فهل هذا الوقت نفسه عند إخواننا أهل السنة؟

■ لا فرق في الوقت بيننا وبين إخواننا من أهل السنة، نعم هناك من يحتاط لعدم إحراز طلوع الفجر ولا فرق من هذه الجهة بين المؤذن الشيعي والسني، وهكذا لا فرق بيننا لا في الفجر ولا في الظهر ولا في العصر، نعم في المغرب بلحاظ الرأي الفقهي الذي يعتبر الحمرة المشرقية لتحقق الغروب لأن السنة يقولون بسقوط القرص فربما هذا هو الفرق في ذهاب الحمرة المشرقية لتحقق الغروب وعدمه. أما رأينا فعدم اعتبار الحمرة المشرقية وهو الرأي العلمي للسيد الخوئي وإن كان في الرسالة العملية يعتبر ذهاب الحمرة المشرقية لتحقق الغروب على سبيل الاحتياط.

حكم دمشق وريفها:

□ هل تعتبر مدينة دمشق وريفها مدينة واحدة؟ وهل يتم صلاته من يذهب إلى دمشق أو يأتي منها إلى السيدة زينب وبالعكس؟

■ ليست مدينة واحدة بل أن هذه الأماكن متعددة فلو أقام المسافر في دمشق فإنه يقصر لو خرج إلى الريف قبل الإقامة عشرة أيام، ولكن الذي يسكن دمشق، ويأتي للسيدة زينب لا يقصر، لأنه ليست هناك مسافة وكذلك العكس.

رابعاً: الصيام والكفّارات:

الصوم في بلد يستمر النهار فيه شهراً:

- ما هو حكم الصوم في مدينة يستمر فيها النهار شهراً من السنة وفي مدينة يستمر فيها الليل شهراً من السنة؟
- في هذه الحال يكون الإنسان غير مكلف بالصوم فعليه أن يقضي حيث لا يوجد شهر رمضان في هذا البلد. أمّا الصلاة فيكتفي بخمس صلوات يختار وقتها كيفما شاء.

انقطاع عن الصوم بسبب الربو:

- توفي والذي بسبب مرض الربو وقد انقطع عن الصوم مدة عشرين عاماً لتحذير الأطباء له، ولكنه لم ينقطع عن الصلاة، فما هو الحكم في صيامه؟
- ليس عليه إلاّ الفدية في هذه الحال وليس عليه القضاء، فيمكن إذا لم يكن قد دفع الفدية أن تدفع عنه.

من لم يدفع زكاة الفطر:

- ما هو حكم من لم يدفع زكاة الفطر في شهر رمضان لسبب ما؟
- الأحوط أن يدفعها بعد ذلك.

التدخين والصيام:

- التدخين حرام شرعاً، فكيف لا يفطر الصائم؟
- إنّ الغيبة حرام ولكنها لا تفطر، والنظر إلى الأجنبية حرام ولكنّه لا يفطر، ومن يسرق في رمضان فإنّ السرقة لا تفطر. فليس كلّ شيء حرام يفطر.

اليوم الأول من الشهر القمري:

- إذا تولّد الهلال فلكياً وكان قابلاً للرؤية قبل أذان الفجر بدقائق معدودة، فهل يعتبر النهار الحاصل بعد الفجر لليوم الأول من الشهر القمري؟
- لا بدّ أن يكون التولّد وإمكانية الرؤية عند الغروب.

صيام نذر:

□ نذرت صيام ثلاثة أيام ولكن الظروف أجبرتني أن أستأجر مكاناً حاراً جداً وغير مريح، فهل أؤجل الوفاء بنذري لحين رجوعي إلى العراق، علماً أن سفري يستغرق أكثر من شهر؟

■ إذا كان النذر معيناً في ثلاثة أيام محددة فيجب وفاء النذر في وقته، إلا إذا كان الصوم في الأيام التي حددت فيها أداء النذر حرجياً فيجوز لك أن تقضيها في وقت آخر.

إمكان الرؤية:

□ بما أنكم تعتمدون التولد الفلكي للهلال بالنسبة لدخول الشهر القمري فتحتاطون في احتساب دخول الشهر عند الرؤية، فما معنى إمكان الرؤية؟

■ المراد بإمكان الرؤية أن الفلكيين يقولون إن القمر بعد خروجه من المحاق إذا وصل إلى مستوى من كمية النور بحيث إذا لم تكن هناك عوارض خارجية فيمكن أن يُرى.

الاجتزاء بولادة الهلال:

□ هل ترون الاجتزاء بولادة الهلال فلكياً؟

■ نعم، مع إمكان الرؤية، فالهلال يولد فلكياً وتمضي على ولادته ١٣,٥ ساعة بحيث يخزن كمية من الضوء تمكّن من رؤيته من حيث القواعد العامة وإن كان لا يُرى من جهة العوارض.

الإفطار المتعمّد:

□ في أيام شبابي، وبسبب الامتحانات النهائية، لم أستطع الصيام، فكنت أفطر في بعض الأيام وأقطع المسافة الشرعية، وفي بعض الأحيان لا أستطيع الذهاب خارج البلدة فأفطر متعمداً، ولا أذكر كم تبلغ هذه الأيام، وكنت لا أستطيع صيام هذه الأيام قبل حلول شهر رمضان في العام المقبل، وبعد مدة أصبت بقرحة الإثني عشري ونهيت عن الصوم من قبل من أثق به من الأطباء، ومرت علي سنوات وأنا لا أستطيع الصيام، وبعد ذلك جربت الصوم واستطعت، ولكن في الصيام الذي بعده أصبت بنكسة، وهكذا كلما مر علي شهر رمضان أكون

في صراع مع نفسي؟

■ لا يجوز لك الصيام في ظرف إصابتك بالمرض إذا كنت تخاف الضرر،
وعليك أن تدفع كفارة إطعام ستين مسكيناً لكل يوم مما تعمّدت إفطاره وفدية
لعدم قضائك، والأحوط أن توصي به بعد ذلك، وبالنسبة للأيام الواجب صيامها،
فيمكن أن تبني على الأقل، وإذا أحببت الزيادة فلا بأس.

اثر النسيان على الصوم:

□ لقد نويت صوم القضاء، ولكنني قبيل الغروب نسيت فشربت الماء، فهل
صومي صحيح أم تجب إعادته؟
■ كل صوم ينسى فيه الإنسان نفسه ويأكل ويشرب فصومه صحيح. فلو
فرضنا أن شخصاً نوى الصوم واستيقظ صباحاً وأكل الإفطار وتغدى ظهراً، وكان
ذلك نسياناً فصومه صحيح.

خروج الدم من فم الصائم:

□ في أغلب الأحيان يخرج الدم من فمي وخاصةً عندما أستيقظ، وهذا
ما يسبب لي مشكلة وخاصةً أثناء الصيام، ولا أستطيع القيام ببصقه لأنه
يؤدي إلى جفاف الحلق، فهل يؤثر ذلك على الصوم؟
■ لا بدّ من بصقه، وجفاف الحلق غير متحقّق، لأنه فرض غير واقعي،
لأنّ الغدد تفرز اللعاب من جديد، وأمّا بالنسبة إلى تأثيره على الصوم فإنّه
يؤثر ويفسد الصوم في حالة بلعه.

الإمساك للصوم قبل الأذان:

□ في الصيام، هل الإمساك عن الطعام والشراب قبل أذان الفجر
بخمس دقائق هو من باب الاحتياط الوجوبي، أم من الممكن الأكل والشرب
حتى سماع الأذان؟
■ من الصعب تحديد الفجر بدقّة، وغالب المؤذنين إنما يؤذنون بعد
الفجر، ولذا كان الاحتياط على هذا الأساس.

تعطر الصائمة:

□ يجتمع عدد كبير من النساء في شهر رمضان وذلك لقراءة القرآن، وقد تتصاعد روائح غير طيبة نتيجة الازدحام، فهل يمكن أن نطلب من النساء وضع عطر خفيف، وهل يؤثر على الصيام؟

■ لا يؤثر على الصيام ولا مانع من ذلك.

خامساً: الخمس والزكاة:

المسؤول عن إخراج الخمس:

- يعمل الأولاد مع الأب في عمل واحد، والأب هو الذي يُشرف عليهم. من المسؤول عن إخراج الخمس؟ وهل يحقّ للولد أن يكون له ماله الخاص؟
- نعم، يحقّ للولد أن يكون له ماله الخاص، يعني يقول لأبيه إنّي أعمل عندك بالأجرة، وهو مسؤول عندئذٍ عن معاشه، أمّا إذا فرضنا أنّ الأب هو الذي يملك المال وكان الأبناء متبرعين بعملهم ويعاونون أباهم، فالخمس على الأب.

خمس الزائد عن المؤنة:

- قلتم إن الزائد عن المؤنة يجب دفع خمسه والمؤنة تختلف حسب ثروة الناس فهل يحسبون المؤنة بشكل معدل أو يجب أن يكون لكل شخص حساب لمؤنته بدون إسراف؟
- المقصود بالمؤنة ما يصرفه الإنسان في سنته وليس الذي يتركه جانباً، فما يصرفه على نفسه وحاجاته فهو من مؤنته والفاضل منه يخمس، ولو قتر الإنسان على نفسه ولم يصرف على احتياجاته وبقي منه بقية فيجب عليه أن يخمسها.

صرف سهم الإمام ؑ:

- هل يجوز لمقلد السيد محمد الصدر ؑ صرف سهم الإمام ؑ لمساعدة عوائل الشهداء والمعتقلين ومساعدة الفقراء؟
- بل حتى بالنسبة لمقلدي السيد الخوئي ؑ عليهم أن يستجيزوا من الحاكم الشرعي الموجود كما كانوا يستجيزون من الشهيد محمد الصدر ؑ صحيح أنّ سهم الإمام ؑ يعرف في موارد معينة لكن لا بد لتظيم المسألة من استجازة الحاكم الشرعي.

في تخميس مبلغ:

- كان عندي خمس مقداره (١٠٠) دولار فبعثت به إلى أهلي وخاصة إلى أخي لأنّه كان بحاجة إلى (٥٠) دولار كي يكمل دراسته، أمّا النصف الآخر فقد

أعطيته إلى سيد محتاج جداً لأنني وجدته مديناً ولا يملك المال؟
■ نحن نجيز ذلك.

فائض الراتب:

□ أنا موظف ولي راتب محدد ولكن بعض الأحيان قد يفيض من راتبي بعض الشيء فاشتري به ذهباً لزوجتي أو هدايا أو أثاثاً للبيت، فهل عليّ خمس؟
■ إذا اشتريت بفائض الراتب ذهباً أو هدية أو أثاثاً فلا شيء عليك، إلا إذا مرّ الحول بعد ذلك على ما اشتريته ولم تكن قد استعملته.

مصرف الخمس:

□ امرأة متزوجة من أحد الهاشميين ولديها أربعة أطفال تعيلهم، فهل يجوز لها أن تصرف الخمس الذي يصل إلى أطفالها على نفسها وعلى أطفالها؟
■ هي تصرف على أطفالها، وباعتبارها تخدمهم فيمكنها أن تأكل معهم.

دفع الخمس للزوجة العلوية:

□ لي زوجة علوية - أي تنتسب - في نسبها - إلى الإمام علي عليه السلام - وهي ربة بيت أي لا تعمل فهل يجب عليها الخمس؟
■ إذا كان مقصود السائل أن يدفع لها الخمس من فاضل مؤنته فلا يجوز أن يدفع لزوجته الخمس، أمّا إذا كان المراد هل يجب عليها الخمس إذا فضل شيء من مؤنتها، فنعم، يجب عليها ذلك.

كيفية احتساب الخمس:

□ جعلت يوماً لإخراج الخمس، علماً أنني لم أخرج الخمس لعدة سنوات، فكيف لي أن احتسب الخمس؟
■ عليك أن تدرس رأس مالك وأرباحك في اليوم الذي حددته للخمس ثم تستخرج الخمس.

نقل الأخماس:

□ في بعض المناطق الشيعية يقوم بعض الوكلاء بنقل الأخماس الشرعية إلى خارج تلك المناطق، فلماذا لا تصرف الأخماس في تنمية بعض المناطق الفقيرة؟

■ إذا كان هناك فقراء في أية منطقة فيجب أن تصرف الحقوق في تلك المنطقة لتلبية حاجات الفقراء. ولا بأس أن تقوم المرجعية بصرفها خارج تلك المناطق حسب تقديرها للمسؤوليات، فقد تصرف قسماً منها على المناطق الفقيرة وتخصص الباقي للمسؤوليات الأخرى.

سهم السادة:

□ يوجد لدي مال خمس وزكاة، فهل يجوز إنفاقه على العراقيين المحتاجين علماً أنه من سهم السادة؟

■ إذا كان من سهم السادة فالمفروض أن يصرف على فقراء السادة، ولا يجوز صرفه على غيرهم.

المصالحة على الخمس:

□ هل يجوز المصالحة على الخمس في حالة تراكمه؟

■ لا تجوز المصالحة في هذه الحال، إنّما تجوز إذا شكّ الإنسان في الخمس بين الأقلّ والأكثر، أما إذا عرف أنّ عليه عشرة آلاف دولار فلا يجوز إنقاص دولار واحد منها، ومن يقولون لكم سامحناكم في الباقي فلا تصدقوهم فالخمس ليس مالههم الخاص، حتى أنّ السيد الخوئي ؑ عندما كان يتحدث عن بعض الناس الذين يسامحون بعض الأغنياء كان يقول إنّ في هذا تضييعاً لحقوق الفقراء، فهذا غير جائز.

شراء كتب إسلامية بأموال الخمس:

□ هل يجوز لمقلديكم في العراق استخدام أموال الخمس في شراء الكتب

الإسلامية والمحاضرات وتوزيعها على المؤمنين نظراً للصعوبات التي يعيشها أغلب المؤمنين هناك؟

■ لا مانع في ذلك.

أخذ الخمس من الأسرى:

□ هل يؤخذ الخمس من الأسرى في معتقلات الأسر مع العلم أنهم يتقاضون رواتب؟

■ كل ما يغني الإنسان وما يستفيده ومرّت عليه سنة وصار من فواضل المؤنة فعليه أن يدفع خمسه من دون فرق بين أن يكون الأسر مسلماً أو كافراً.

خمس ذهب مجمّد:

□ تملك أمّي عدداً من القطع الذهبية وهي لا تستطيع أن تلبسها خوفاً من أن يراها أبي فيصرف ثمنها، فهل فيها خمس؟

■ إذا كانت قد اشترتها لا تلبسها ولا لحاجتها اليها فيجب الخمس فيها.

خمس المدين:

□ إذا كان الشخص مديناً بمال وجاء وقت التخمس، فما هو حكمه؟

■ الحكم يختلف فتارة هو مدين بمال من عدة سنين ماضية أي أن عليه ديناً قديماً، فإذا وقّى الدين أثناء السنة فإنه يعتبر من المؤنة، ولكن إذا لم يوفّه وظل عنده مال فيجب أن يخمّسه. أمّا إذا كان الدين في نفس السنة أي أنه تداين لمصرف هذه السنة وفي آخر السنة فضل عنده مال فإنه يستثنى هذا الدين، وإذا بقي شيء من الأرباح فيخمّسه.

دليل الخمس في القرآن:

□ هل للخمس دليل في القرآن؟

■ قوله تعالى ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ فلم يقل في الحرب. ثم أنّ الأئمة ؓ يتحدثون عن رسول الله ﷺ وقد حدثونا عن تشريع الخمس.

خمس الكفن المشتري:

- هل يجب الخمس من الكفن الذي يشتريه الشخص لنفسه قبل أن يموت؟
- إذا مرّت عليه سنة يخمّس لأنّه لا يدخل ضمن المؤنة.

تخميس اثاث محل تجاري:

- هل يجب تخميس ما يشتري لمحل تجاري، كالآلة الحاسبة والكمبيوتر، أي أن كلفة الشيء تصبح ٢٠٪ زيادة على الثمن؟ وفي حال كان المصروف أكثر من الربح في العام الماضي، فهل يجب تخميس كل ما اشتري؟
- كل شيء يدخل في رأس المال يجب الخمس فيه.

تخميس الارض أم البناء؟

- اشترى شخص قطعة أرض للسكن وأقام عليها مسكناً ولكنّه لم يستطع إكماله إلا بعد خمس سنوات، فماذا يجب عليه؟ هل يخمّس الأرض وقيمة البناء إذا كان لا يستطيع السكن إلا بهذه الطريقة؟
- بحسب رأي السيد الخوئي ؑ عليه أن يخمّس الأرض والبناء، ولكن على رأينا وعلى رأي السيد الخميني ؑ لا يخمّس لا الأرض ولا البناء.

هل في ذلك خمس؟

- هل على الأشياء التالية خمس ذهب الزوجة؟ وأثاث البيت؟
- ذهب الزوجة من المؤنة إن كانت تلبسه، أو كان من مهرها، فلا خمس فيه. وإذا كانت تلبسه في مناسبات اجتماعية فإنّه يصبح من المؤنة أيضاً مثل ثيابها التي ترتديها في المناسبات فلا يجب فيه الخمس. أمّا إذا كانت تلبس الذهب، وهو ليس من مهرها، وإنما تضعه في يدها لوقت الحاجة، فيجب تخميسه.
- وأمّا بالنسبة إلى أثاث البيت فلا خمس فيه إذا اشتري في أثناء السنة، والملابس كذلك، إلّا إذا اشتريت من مال مرّت عليه السنة ولم يخمّس.
- وكيف تحتسب رأس السنة للخمس؟

- رأس السنة هو أول يوم يقبض فيه المال الذي من عمله. وإذا لم يستطع تحديده فليذهب إلى الحاكم الشرعي ليرتب أمره لرأس السنة.
- وإذا كان في ذمتي دين للبنك، فهل يجب فيه الخمس؟
- إذا كان الدين من سنيك السابقة وفضل عندك مال الآن فيجب الخمس فيه، أمّا إذا كان الدين من هذه السنة فتستثيه مما فضل عندك، وإذا فضل شيء فعليك تخميسه.

خمس المال المدخر للضرورات:

- ما رأيكم في المكلف إذا كان والده يصرف عليه مصروفاً لا يكون إلا للحاجات الضرورية اليومية، فهل يجب عليه الخمس إذا امتنع المكلف عن بعض الحاجات وادخر مصروفه لحاجات أهم ومرّ على المال سنة؟
- يجب الخمس.

حق التصرف بالخمس:

- نحن من المغتربين العراقيين وقد سبق أن استفسرنا من أحد موكلينا الوافدين إلينا عن الخمس فأجابنا بأن لنا الحق في التصرف بحقوقكم كوننا عراقيين، فهل هذا صحيح؟
- نعم، ما عملتموه في حينه كان بإذنتنا، ولكننا الآن نرخص بالنصف للعراقيين في الداخل.

خمس مبلغ مودع في البنك:

- خرجت من العراق بسبب الظروف القاهرة، وقد تركت هناك في أحد البنوك مبلغاً قدره (٥٠٠) ديناراً عراقياً منذ ست سنوات، فهل على هذا المبلغ خمس؟ علماً أنني لا أستطيع الذهاب إلى العراق لسحب هذا المبلغ؟
- يجب الخمس فيه الآن بحيث يكون مخمّساً عندما تأخذه بعد ذلك، أو إذا لم تكن قادراً الآن فعندما تستلمه.

تقسيم الخمس:

- عندما يتم إخراج الخمس عند عالم من العلماء في رأس سنة الخمس ويدفع المؤمن قسماً من المبلغ ويبقى قسماً آخر إلى ما بعد رأس السنة الثانية،

فهل يجوز ذلك؟ أم يجب دفع تمام المبلغ قبل رأس السنة الخمسية؟

■ يجب عليه إذا كان قادراً قبل رأس السنة الخمسية أن يدفع كلّ ما عليه، إلا إذا كانت لديه ظروف يرى الحاكم الشرعي أو وكيله المصلحة في أن يقسّط عليه ذلك.

خمس بيت:

□ كنت أعمل مدرساً في الكويت وبنيت لي داراً في البصرة إلا أنني بعد الغزو لم استطع العودة إلى العراق، وتم تأجير البيت منذ عام ١٩٩٢ بسعر رمزي ولم نستلم من الايجار شيئاً لأنّ الايجار يوضع في البنك في العراق ولا نستطيع العودة الى العراق لاستلامه، فهل يجب علينا الخمس، علماً أنّ البيت مسجّل باسم زوجتي، وأنّي بدون عمل منذ ثلاث سنين، ونحن نعيش على مساعدات أهل الخير؟

■ إذا كان هذا البيت حاجة لك في الوقت الذي ترجع فيه الى العراق ولا تستطيع شراء بيت مماثل في ذلك الوقت فعلى رأينا أنه لا خمس فيه، ولكن على رأي السيد الخوئي يجب الخمس فيه.

مسؤولية ابن من لم يخمس:

□ شاب في العشرين من عمره وهو طالب ويعيل والده ويعلم أن والده لا يخمس ماله، فهل عليه إثم في ذلك؟ وهل صلاته صحيحة؟

■ لا إثم عليه في ذلك وإنما والده هو الذي يتحمّل الخمس.

خمس الهبات المالية:

□ يعيش شخص على الهبات المالية حيث العمل غير متوفر، فهل هناك على هذه الهبات خمس، علماً أنّ للشخص قرضاً، وأنّ هذه الهبات لا تكفي لهذا القرض؟

■ إذا وقّى القرض أثناء السنة فلا يحتسب، أمّا إذا كان القرض من سنين سابقة وليس من هذه السنة فيجب أن يخمسه.

خُمْسٌ فِي الذَّمَّةِ:

□ اقْتَرَضَ مِنِّي مَبْلَغٌ مِنَ الْمَالِ وَبَعْدَ أَكْثَرِ مِنْ سَنَةٍ أُعِيدَ لِي، فَهَلْ يَتَرْتَبِ عَلَى هَذَا الْمَبْلَغِ الْخُمْسُ، عَلِمًا بِأَنَّنِي الْآنَ مَدِينٌ أَضْعَافُ هَذَا الْمَبْلَغِ، أَمَّا فِي وَقْتِ الْإِقْتِرَاضِ فَإِنِّي لَا أَتَذَكَّرُ هَلْ كُنْتُ مَدِينًا أَمْ لَا ؟

■ أَنْتَ مَدِينٌ بِدَيُونِكَ وَمَدِينٌ بِالْخُمْسِ، لِأَنَّ الْمَالَ هَذَا لَمْ تَخْمُسْهُ عِنْدَمَا أُعْطِيْتَهُ لِهَذَا الشَّخْصِ وَمَرَّتْ عَلَيْهِ سَنَةٌ، وَهُوَ عَلَى مَلِكِكَ فِي ذِمَّةِ الْآخِرِينَ، فَيَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَخْمُسَ كُلَّ مَالٍ تَمْلِكُهُ مِمَّا يَفْضُلُ عَنْ مَوْئِنَةِ سَنَتِكَ.

الْخُمْسُ فِي الْمَالِ الْمَرْغِيِّ:

□ إِذَا زَكَّى الْمَكْلَفَ مَالَهُ الزَّكَاةَ وَكَانَ الْبَاقِي زَائِدًا عَنْ مَوْئِنَةِ السَّنَةِ، فَهَلْ يَكُونُ مَشْمُولًا بِالْخُمْسِ ؟

■ نَعَمْ يَجِبُ فِيهِ الْخُمْسُ.

التَّخْمِينُ فِي الْخُمْسِ:

□ هَلْ يَجُوزُ دَفْعُ الْخُمْسِ عَلَى نَحْوِ التَّخْمِينِ فَيُخَمَّنُ الْخُمْسُ عَلَى حَسَبِ مَا نَتَذَكَّرُ ؟

■ إِذَا كَانَ لَا يَتَذَكَّرُ الْمَكْلَفُ إِلَّا مَقْدَارًا فَإِنَّهُ يَجُوزُ دَفْعُهُ بِهَذِهِ النِّيَّةِ وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا، لَكِنْ الْأَحْوَطُ أَنْ يَصَالِحَ الْحَاكِمُ الشَّرْعِيَّ أَوْ وَكِيلَهُ.

خُمْسُ الزَّوْجَةِ:

□ إِذَا دَفَعَ الزَّوْجُ إِلَى زَوْجَتِهِ مَصْرَفًا شَهْرِيًّا أَوْ أَسْبُوعِيًّا وَادْخَرَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَبْلَغِ شَيْئًا، هَلْ يَجِبُ عَلَيْهَا تَعْيِينَ رَأْسِ سَنَةٍ مَالِيَّةٍ لِفَرْضِ الْخُمْسِ، وَإِذَا لَمْ يَجِبْ هَلْ تَحْتَاطُ ؟

■ إِذَا ادْخَرَتْ مِنْ هَذَا الْمَبْلَغِ شَيْئًا فَإِنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ تَدْخِرَهُ بِإِذْنِ زَوْجِهَا، وَإِذَا ادْخَرَتْهُ بِإِذْنِ زَوْجِهَا وَمَضَتْ عَلَى مَا ادْخَرَتْهُ سَنَةٌ فَلَا بَدَّ لَهَا مِنْ دَفْعِ الْخُمْسِ.

خُمْسُ الدِّيُونِ:

□ إِذَا كَانَ لِشَخْصٍ دِينَ مِثْلًا أَلْفِ دُولَارٍ مِنْ سَنَوَاتٍ مَاضِيَةٍ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ رَأْسُ سَنَةٍ لِأَنَّهُ لَا يُوفَّرُ مَالًا وَالْآنَ أَصْبَحَ عِنْدَهُ مَالٌ وَعَيْنُ رَأْسِ سَنَةٍ لِأَمْوَالِهِ، هَلْ

يجب عليه دفع الألف بالإضافة إلى ٢٠٠ دولار، خمساً لأن الدين من سنوات ماضية؟

■ نعم، عليه أن يخمّس الألف، ويخمّس المائتين إلا إذا كانت هذه الألف قد قبضها نفسها الآن ودفع منها فيجب أن يخمّسها هي فقط. ولكن إذا خمّسها من مال آخر يجب أن يخمّس الخمس.

سادساً: الحج والعمرة:

الغيبة أثناء الحج:

□ في آخر يوم من أيام الحج وفي موقع رمي الجمرات دار بين حاجّ وبين صديق له نقاش فاستقرّه الثاني فعمد الأول إلى أن يستغيب شخصين آخرين وهو في حالة غضب، فما هو حكمه؟ وهل يفسد ذلك الحج؟

■ عليه أن يستغفر الله من ذلك وأن يطلب السماح من الشخصين بطريقة وبأخرى، وإذا لم يستطع أن يتسامح منهما فليحاول أن يستغفر لهما ويطلب من الله أن يغفر لهما وله.

غير المستطيع:

□ إذا كانت مصاريف الحج أكثر من مصاريف العمرة، فهل يجوز لمن يعتمر أن يعتبرها بدلاً عن الحج لعدم التمكن من توفير مصاريف الحج؟

■ لا يمكن أن يعتبرها حجة بل هي عمرة يثاب عليها.

□ وهل يجوز القرض في أداء مناسك الحج والعمرة سواء له أو للنيابة عن الآخرين؟

■ يجوز القرض لكن بشرط أن يحرز القدرة على الوفاء.

كفارة التظليل:

□ عند خروجنا من (عرفات) إلى (المزدلفة) ليلاً كان الجو مترياً مصحوباً بالرياح ونقلنا بالباصات غير المكشوفة. فهل تجب علينا الكفارة أم لا؟

■ لا يجب ذلك، لأن التظليل في الليل جائز إلا إذا كان هناك مطر فيجب الكفارة عند التظليل معه على الأحوط.

مصرف كفارة التظليل:

□ عليّ كفارة التظليل فهل يجوز الأكل منها إذا دعوت الفقراء والمساكين؟

■ لا بدّ أن تعطي الكفارة بأجمعها للفقراء وليس للشخص دافع الكفارة أن يأكل منها.

قيمة كفارة التظليل:

- ما قيمة كفارة التظليل في الحج والعمرة؟
- كفارة التظليل شاة، وتكفي الشاة الصغيرة، ولكن يشترط أن تذبح وتعطى للفقراء ولا يكفي دفع القيمة، نعم يمكن أن تدفع قيمتها إلى من تثق به من العلماء والمؤمنين لشراء هذه الشاة، ثم هم يتولون إطعام الفقراء.

أكل النائب من لحم الكفارة:

- هل يجوز للنائب في الحج أكل لحم كفارات المنوب عنه؟
- الكفارات هي على النائب وليس على المنوب عنه، فهذا عندما يرتكب إحدى محرمات الإحرام فعليه أن يدفع الكفارة عن نفسه، ففي الأعمال كما في الطواف والسعي والوقوف في عرفة وفي الجمرات المسؤولية مسؤولية المنوب عنه، أما الكفارات فهي من مسؤولية النائب.

لحم الأضحية:

- هل يجوز صرف لحم الكفارات لفقراء عامة المسلمين؟
- نعم يجوز ذلك، وإن كان بعض العلماء يحتاط في ملاحظة بعض الجوانب.

الطواف في الاتجاه المعاكس:

- لماذا الطواف حول الكعبة عكس اتجاه عقرب الساعة، ولماذا لم يكن بالاتجاه الآخر؟
- لقد تعبدنا الله بأن نطوف من اليسار إلى اليمين.

إيتاء عمرتين في شهر واحد:

- هل يجوز إيتاء عمرتين في شهر واحد؟
- المشهور إنه لكل شهر عمرة، ولكننا نرى أن لا مانع من ذلك.

الظن بعدم إتيان طواف النساء:

- لقد ذهبت إلى الحج قبل ثلاث سنين وعندي ظن ضعيف بأنني لم أقم بطواف النساء للعمرة المفردة، فما هو حكمي؟

سابعاً: الزواج والطلاق:

الزوجة دائمة التنفير:

- ما حكم الزوجة دائمة التنفير لزوجها إذا كانت تنفّرهُ بحيث تمنعه من حقّه الزوجي؟
- تكون ناشزاً ولا تجب نفقتها.

الإنفاق على الزوجة:

- هل الإنفاق على الزوجة يعني أن يجعل لها مرتباً شهرياً؟
- أن ينفق عليها بأن يلبي حاجاتها ولو بالتدريج.

حرمة غير مؤبدة:

- لو قامت علاقة غير شرعية بين رجل وامرأة متزوجة ثم طلقت من زوجها، فهل يجوز للرجل الزواج منها، أو أنها تحرم عليه كما هي فتوى بعض الفقهاء؟
- المشهور عند الفقهاء أنها تحرم عليه مؤبداً، لكن رأينا ورأي السيد الخوئي (رحمة الله عليه) أنها لا تحرم عليه مؤبداً.

تدخل الأب في اختيار زوجة لولده:

- هل يتدخل الأب في اختيار زوجة لولده إذا كان هو أعرف بذلك من ولده؟
- ليس للأب ولاية على ولده البالغ الرشيد، ولذلك ليس له أن يضغط على ولده لا في الزواج ولا في غيره، نعم يمكنه أن ينصح ابنه أو يتفاهم معه، فذلك لا بأس به.

قصد الظاهر:

- إذا طلق الرجل زوجته ثلاث مرات وقال لها: تحرمين عليّ كحرمة أختي، وبعد ذلك يعقّب بالقول: لا أقصد ذلك فأنت زوجتي، وذلك بحجة أن الشيعة لا يقيمون أية أهمية لهذا الكلام، فما هو الحكم في ذلك؟

■ إذا كان قاصداً ذلك فهو من الظهار. ويرى بعض العلماء أن لا فرق في أن يقول لها أنت عليّ كظهر أمي أو أنت عليّ كأختي، فإذا كان قاصداً ذلك فعليه أن يعمل عمل الظهار.

تعارض الزوجين في الإنجاب:

□ زوجة لها طفلان وترغب بالاستمرار بالإنجاب وزوجها لا يرغب بالاستمرار، فما هو الحل المناسب؟

■ هي حرة في جسدها إذا استطاعت أن تحمل بدون رضا زوجها فيجوز لها ذلك. ولكن الأفضل التفاهم مع زوجها حول الموضوع.

الزواج أم الإعالة؟

□ تركت أهلي في العراق ووضعني المادي لا يسمح لي بالاتصال بهم ورعايتهم وأنا أفكر بالزواج، فهل أتزوج أم يجب أن ابعث لهم ما يتوفر عندي من أموال لإعانتهم؟

■ إذا كنت مضطراً إلى الزواج أو محتاجاً إليه بحيث تحمي نفسك من الحرام، أو كان في تركه حرج عليك فلك أن تتزوج، ثم إذا وفقك الله ورزقك بعد ذلك فابعث إليهم بما تستطيع.

حضانة الطفل:

□ هل يحق لأهل الزوج (أمه وإخوانه) المطلق لزوجته تربية ورعاية أطفاله الذين لم يبلغوا الحلم، علماً أن زوجته المطلقة قد تزوجت بزوج آخر، هذا مع غياب زوجها المطلق لها بسبب سفره؟

■ الحضانة هنا للأب بعد الطلاق إذا كان في مستوى الحضانة، أي في مستوى رعاية الأولاد ولو من خلال الاستعانة بأمه وإخوانه على هذا الأمر، وعليه أن يكون إنسانياً فلا يحرم زوجته من أولادها ولو بطريقة وبأخرى.

□ ثم هل يخيرون في سن الرشد؟

■ طبعاً، فبمجرد أن يبلغوا سن الرشد يصبحون أحراراً فلا ولاية لأحد عليهم، فلهم حينذاك أن يختاروا أن يكونوا مع الأب أو أن يكونوا مع الأم.

الجمع بين المرأة وعمتها:

□ شاب تزوج فتاة وأنجب منها طفلة، وبعد فترة عقد عقداً على عمتها ثم تم الدخول بها، وعندما قيل له لا يجوز الجمع بين امرأة وعمتها ادعى أنه لا يعرف الحكم في ذلك، فما هو العمل الآن؟

■ زواجه صحيح، بحسب المذهب الجعفري، فإذا تزوج العمة لا يجوز له أن يعقد على ابنة أخيها إلا برضاها، لكن إذا كان متزوجاً بنت الأخ فإنه يجوز له أن يعقد على العمة سواء رضيت ابنة أخيها أو لا، ولذا فإن زواجه صحيح ولا مشكلة في ذلك.

حضانة الأم والأب:

□ قرأت لكم في حضانة الطفل بالنسبة للمطلقة من زوجها إشارتكم بأن الحضانة للأب بعد الطلاق، وقد أشارت معظم قوانين الأحوال الشخصية إلى أن الحضانة للأم لحين بلوغ الطفل خمسة عشر سنة ومن بعده يخير بالعيش مع الأم أو الأب، أليس الطفل يفتقد حنان أمه وقد لا يكون كذلك مع الأب الذي يكون مشغولاً بالعمل بعيداً عنه؟

■ رأينا الجديد أن الحضانة للأم إلى سبع سنين للذكر والأنثى، وكان رأينا السابق أن الحضانة للأنثى سنتان، وأما قضية فقدان حنان الأم فالمفروض أنه «لا تضارَّ ولدةٌ بولدها»^(١). أي أن يكون هناك اتفاق بين الأب والأم على الرعاية المشتركة بينهما بطريقة وبأخرى، وإذا كان الأب ليس بالمستوى الذي يمكن أن يحضن ولده وربما يهمله ولا يرعاه، فيمكن والحال هذه للحاكم الشرعي أن يأخذه ويعطيه لأمه.

تطبيق الحاكم الشرعي:

□ المرأة المفقود زوجها وقد كان هناك من ينفق عليها وهي بحاجة إلى الزوج - هل يستطيع الحاكم الشرعي تطبيقها؟

■ على الرأي المشهور بين الفقهاء لا يمكن تطليقها، ولكن رأينا - وهو أيضاً رأي المرحوم الشيخ حسين الحلي ؓ من علماء النجف الكبار - أنه يمكن للحاكم الشرعي أن يطلقها.

الزواج الثاني:

□ المرأة التي تطلق في المحاكم بصورة غير شرعية جاهلة بالأمر، ثم تتزوج برجل آخر وتنجب منه أطفالاً، فهل زواجها الثاني صحيح؟

■ الزواج الثاني باطل، لكن الأولاد شرعيون لأنهم أولاد شبهة، وعلى الزوج الثاني أن يفصل عنها كزوج.

غياب الزوج لسنتين:

□ فُقِدَ رجل متزوج لأكثر من سنتين ولا يعرف له أي اثر، فما حكم زوجته؟

■ لا بدّ من انتظار أربع سنوات يفحص عنه خلالها، فإذا لم يعثر عليه ولم يكن هناك من ينفق عليها فللحاكم الشرعي أن يطلقها.

خيار الطلاق:

□ بما أن الطلاق حلال فهل يجوز للزوج أن يطلق زوجته مادام غير مقتنع بها، ولما كان المطلوب معاشرة الزوجة بالمعروف، فأيّما أفضل الاستمرار على هذه الحال أم الطلاق؟

■ لا بد أن تدرس كلّ حالة بحسب طبيعتها وملابساتها ولا يمكن إعطاء حكم عام في ذلك، وقد تكون الوساطة الحميدة «فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا»^(٢). نافعة في تسوية المشكلة العالقة بين الطرفين، ولذا لا يمكن الحكم على هذه القضايا بشكل مطلق.

عدّة اليائسة:

□ بالنسبة لليائسة من النساء هل تلتزم بالعدّة بعد انتهاء العقد؟

■ لا عدّة على اليائسة.

هل العاقر يائسة؟

□ هل يجوز اعتبار المرأة العاقرة، أو التي رفعت الرحم بعملية جراحية،

يائسة؟

■ لا تعتبر يائسة، فاليائسة هي التي بلغت سنّ الخمسين وانقطع حيضها.

مهر غير المدخول بها:

□ عقدت زواجي بواسطة والدي كوكيل عني على امرأة، ولكوني لاجئاً في

دولة أوروبية، فقد قدمت معاملة جمع الشمل إلا أنها رُفُضت وأصبح من المستحيل دخول زوجتي البلد الذي أسكنه، وكان المهر مليون دينار مقدماً و٢٠ مليون مؤخراً، وقد دفعت المقدم نقداً، فهل يتوجب عليّ دفع المؤخر بعد فسخ العقد علماً أنه لم يتحقق الدخول ولم نلتق أبداً، هذا وقد كلفتني مصاريف سفرها مبالغ أخرى؟

■ إذا طُلّق قبل الدخول فإن المهر ينتصف، أي عليه أن يدفع عشرة ملايين ونصف المليون، إلا أن يكون تراض بينهما. ولكنني أحب أن أقف عند هذه النقطة لأنتقد ظاهرة في العقود والمهور وهي أن بعض الأسر ترى المهر الغالي نوعاً من الوجاهة، ويقولون إن هذا شيء بسيط فهو مؤخر إلى أقرب الأجلين، ولكن من يدري متى يأتي أقرب الأجلين (الطلاق أو الموت)، فقد يعقد العقد ويأتي بعد عشرة أيام أو أقل من ذلك، لذلك لنكن واقعيين في مسألة المهر، فعندما يلتزم إنسان بشيء فلا بدّ من إحراز قدرته على الوفاء به، أما أن يضع في ذمته مهراً وهو لا يستطيع أن يلتزم به فهو تكليف بما هو فوق الطاقة، ولذا ورد في الحديث ((شؤم المرأة غلاء مهرها)) في حين أن العادة الجارية اليوم هي أن المهر خاضع للمعاملة كما هو التعامل حول سلعة معينة، في الوقت الذي عبّر الله تعالى عن المهر أروع تعبير «وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً»^(٣) والنحلة هي الهدية، فكأن المهر هو عطية بلا مقابل، فالمهور الغالية تعقّد الحياة الزوجية والله تعالى يريد تسهيل الحياة الزوجية حتى يمنع الانحراف.

طلاق الوكيل:

□ هل يجوز لوكيل الزوج أن يقوم بالطلاق عند إخبار الزوج وكيله هاتفياً بأن زوجتي فلانة طالق؟

■ إذا وكله وكالة فلا فرق في الطلاق سواء كان في ورقة أو هاتف، لكن عندما يراد إصدار الطلاق فلا بد من أن يصدر بوثيقة يمكن أن تثبت أن المرأة قد طلقت طلاقاً قانونياً أو شرعياً. ويجوز له إذا كان قد أعطى وكالة مطلقة أن يطلق زوجته غيابياً، كما يمكن أن يطلقها حضورياً، ولكننا لا ننصح بذلك، فحينما يتم الطلاق لابد من التفاهم بكل الأمور والمتعلقات التي يختلف فيها «فإمسأك» بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ^(٤). فالتسريح بإحسان يعني إعطاءها حقوقها كلها حتى لا يكون هناك نزاع.

الزواج العرفي:

□ يقول أحد مشايخ الإمامية في لقاء تلفزيوني إن زواج المتعة حلال والزواج العرفي حرام، فلماذا تحرم الإمامية الزواج العرفي؟ وما هو اختلافه عن الزواج العادي؟

■ قد يكون معنى الزواج العرفي هو التراضي بين الطرفين من دون عقد، وهذا حرام ليس عند الإمامية فقط بل عند كل المسلمين. أمّا إذا كان معنى الزواج العرفي الزواج غير المسجل قانونياً فهو زواج شرعي ولكنه غير موثق قانونياً، وهذا يتبع الزوجين في إرادتهما توثيق الزواج أو عدم توثيقه، فتسجيل الزواج ليس شرطاً في شرعية الزواج وإنّما هو شرط في توثيق الزواج تحاشياً للمشاكل التي قد تتجم في المستقبل.

زواج المسلمة بالكتابي:

□ نرجو إيضاح ما جاء في جوابكم حول زواج المسلمة بالكتابي، حيث كان الجواب بعدم الزواج ثم عقبتم بأن المسلمة إذا أصبحت علمانية وكذلك الكتابي فزواجهما صحيح، فما هو معنى ذلك؟

■ المقصود هو أن المسلمة لو أصبحت مرتدة، فإن لكل قوم نكاحا يحتجزون به عن الزنا، فنكاح الهندوس صحيح بمعنى أن العلاقة ليست علاقة زنا، ونكاح البوذيين صحيح، ونكاح النصارى واليهود صحيح أيضا. ولكن لابد للمسلم أن يتقيد بشروط الزواج في الاسلام، فالاسلام لا يجيز زواج المسلمة بغير المسلم، وهذا مما أجمع عليه المسلمون جميعا. فلو فرضنا أن المسلمة تزوجت من غير مسلم فهذا زواج غير شرعي والعلاقة زنا، لكن لو أصبحت المسلمة ملحدة أو ارتدت عن الإسلام والذي يريد الزواج منها كافر، فزواج الكافر بالكافرة صحيح.

حول مسألة دفع نصف المهر:

□ في السؤال حول زوج يقيم في بلاد الغرب لاجئاً وقد رفضت الدول المانحة اللجوء في قبول زوجته وسفرها إليه، وحكمتم بوجوب دفع نصف المهر لو كان ذلك قبل الدخول وهو كذلك، فما هو ذنب هذا الزوج الذي لم يكن يريد الطلاق، وإن ما حصل ليس راجعاً إليه؟

■ قلت إذا أراد أن يطلقها فعليه أن يدفع نصف المهر بحسب ما جاء في القرآن ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾^(٥) فإذا لم يرد أن يطلقها فعليه أن يوفر لها السكن وأن ينفق عليها وأن يقوم بحقوق الزوجية فلا يتركها كالمعلقة أو من دون نفقة ولا رعاية ولا علاقة زوجية ﴿فَإِمْسَاكِ بِمَعْرِوْفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ﴾^(٦).

بين نزع الحجاب والطلاق:

□ إذا خير زوج زوجته بين الطلاق وبين نزع الحجاب، فهل تستجيب له وتنزع حجابها؟

■ لا، ليس لها ذلك ف ((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق))^(٧) إلا إذا كان الطلاق حرجاً بحيث يؤدي إلى حرج لا يتحمل ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(٨). وعليها أن تقتصر على المقدار الضروري في هذا المجال بما لا يعتبر

(٥) البقرة: ٢٢٧.

(٦) البقرة: ٢٢٩.

(٧) البحار: ج ١٧، ص ٣٢٠، ب ٢١، ح ٣٣.

(٨) الحج: ٧٨.

سفوراً أو تبرّجاً، وإلا فالأصل أنّها ملزمة بالحجاب بنصّ الكتاب.

الزواج من مسيحية كتابية:

□ هل يجوز الزواج من كتابية مسيحية مع الأخذ بنظر الاعتبار أن الإنجيل الموجود ليس الكتاب المنزل الحقيقي كما أكّد ذلك الكثير من علماء الإسلام، فكيف ينطبق عليها عنوان المرأة الكتابية؟

■ المقصود من المرأة الكتابية هي التي تنسب إلى الكتاب والإنجيل الذي ليس كلّ محرّفاً، فالمراد بالكتابية أو الكتابي ذاك الذي له أحكام معينة وهو الذي ينتسب إلى الكتاب وليس بالضرورة الالتزام الحقيقي به، فالكثير من العلماء يقولون بجواز الزواج من الكتابية، ولكن هناك بعض العلماء يحتاطون في ذلك، والبعض الآخر لا يجوز ذلك، وعلى كلّ إنسان أن يتبع مقلّده في هذا المجال.

إيقاع الطلاق:

□ لو كرهت المرأة زوجها وافترقت معه على الطلاق خلعاً وبذلت له المال لكنّ زوجها حينما أوقع الطلاق أوقعه بلفظ (طلقتك) لا بلفظ (خلعتك) رغم أنه قاصد للخلع، فهل الطلاق صحيح؟

■ إذا فرضنا أنّه أنشأ الطلاق على أساس البذل صار طلاقاً خلعيّاً.

منع الحمل منذ بداية الزواج:

□ هل يجوز منع الحمل منذ بداية الحياة الزوجية؟

■ يجوز ذلك إذا كان لضرورة، ولا مشكلة باتباع الوسائل الجائزة.

في التعقيم:

□ قلتم بأن المرأة ليس لها الحق بان تقطع إنجاب الأولاد بالكامل بواسطة العملية الجراحية، والسؤال هنا: لكي لا تبقى المرأة تستخدم حبوب منع الحمل طوال حياتها هل تجيزون التبويض في مثل هذه الحالة؟

■ إن الحياة الزوجية قائمة بين الزوجين على أن يكون ثمرتها ولد واحد أو اثنان بحسب المتعارف، فإذا أراد الرجل من المرأة أن تنجب له عشرين ولداً فليس واجباً عليها موافقته في ذلك، أمّا إذا كان لديها ثلاثة أولاد فلها أن تستعمل وسائل منع الحمل الجائزة، أمّا القيام بعمليات جراحية لإزالة الرحم أو ما أشبه ذلك فهذا لا يجوز إلا في حالات الضرورة القصوى وفي حالات الخطر، أمّا من أجل منع الحمل فلا يجوز، ولا أظن أن هناك عالماً يجوز ذلك.

نعم يمكن التعقيم في ربط الأنابيب أي التعقيم المؤقت الذي يمكن إزالته في أي وقت وليس التعقيم النهائي الذي لا يمكن إرجاع الوضع فيه إلى ما كان عليه. كما يجوز تعقيم الرجل في بعض الحالات. وباختصار خذوا هذه القاعدة وهي أن الإنسان بعمومه طاقات فلا يجوز أن تقتل نفسك أو أن تقتل طاقتك، فأنت مثلاً تستطيع أن تغمض عينك ولكن لا يجوز لك أن تفقأها، وتستطيع أن تجمد لسانك ولكن لا يجوز لك قطعه، وكذلك طاقة الإنجاب فإنك تستطيع أن تجمدها لكنك لا تستطيع أن تقتلها ولذا فإنّ التحفظ الشرعي في كل ما يؤدي إلى قتل طاقة الإنسان هو الذي يحكم هذه المسألة من ناحية الحكم الشرعي.

إسقاط الجنين من علاقة غير شرعية:

□ هل يجوز إسقاط الجنين من علاقة غير شرعية؟

■ لا يجوز ذلك إلا في حالات الخوف على حياة الحامل حينما تتعرض حياتها للخطر كأن تقتل، ففي هذه الحالة يجوز، ولكن لا يجوز ذلك من حيث الأصل إذ يجب أن نعرف أنه منذ أول لحظة تحمل فيها المرأة حينما تنقطع عاداتها الشهرية لا يجوز لها إسقاط جنينها لأنّ رحلة حياته تبدأ من حين تلقيح النطفة للبويضة، أمّا حالات الخطر أو الضرر البالغ فهي حالات مستثناة.

هل هذا من التدليس؟

□ عقدت على امرأة واكتشفت بعد العقد أن في وجهها ارتخاء وكنت ظننت

ذلك من الحياء، فهل يجوز لي فسخ العقد، وماذا يترتب عليّ؟

■ إن مجرد هذا الظن لا يوجب فسخ العقد إلا إذا كان هناك تدليس، وعادة ليس هناك تدليس في الوجه حتى لو كنت تظن أنه حياء ثم تبين غير ذلك،

فالتدليس هو إخفاء عيب كان العقد مبنياً على عدم وجوده.

الرجوع في الطلاق الطلعي:

□ في الطلاق الرجعي تكون المرأة بحكم الزوجة، فإذا لم ترغب المرأة بالرجل لأنه كان يؤذيها بالضرب وكان سيئ الأخلاق معها خلال العدة ثم أراد إرجاعها، فما هو الحل بالنسبة للمرأة؟

■ إذا كانت تكرهه والزواج يخلق لها مشاكل ويؤدي إلى المعصية «فإن خِفْتُمْ ألا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ»^(٩). فإن عليها الأخذ بالطلاق الخلعي بأن تبذل مهرها، فإذا جرى الطلاق الخلعي فليس له أن يرجع فيه إلا إذا رجعت المرأة المطلقة بالبذل.

المهر ضمان المستقبل:

□ يعتقد بعض الناس إن المهر الذي يدفعه الزوج لزوجته يعد ضماناً له في المستقبل عند الشدائد بحيث يمكن أن يرجع لزوجته ليأخذه منها؟

■ لا يرضى الله له ذلك «اتَّخِذُوا لَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا» ❖ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا»^(١٠).

التبني العرفي:

□ هل يجوز لشخص يمتلك الجنسية الأمريكية أن يتبنى ابنة أخته تبنيًا عرفياً أي حبراً على ورق ليسهل عليها القدوم والعيش في أمريكا؟

■ إن حرمة هذا من جهة الكذب، أما التبني الصوري فليس محرماً، ولكن المحرّم هو «وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاكُمْ أَبْنَاءَكُمْ»^(١١). فإذا لم يكن هناك محرّم آخر فلا مانع.

عدة من رفعت الرحم:

□ امرأة أزال الرحم بعملية جراحية وطلّقت طلاقاً خلعيّاً، فهل يتوجّب عليها العدة؟

(٩) البقرة: ٢٢٩.

(١٠) النساء: ٢٠-٢١.

(١١) الأحزاب: ٤.

■ نعم يتوجب عليها العدة وإن كان لا حمل لها، فالعدة تثبت في صورة احتمال الحمل وفي صورة عدم احتماله لحكمة أخرى.

إطالة امد الخطبة:

□ لا أتمكن من الزواج فعلاً ولكن هل يجوز خطبة امرأة وإطالة الخطبة لمدة ثلاث سنوات حتى تتحسن أوضاعي المالية؟
■ إذا وافقتك على ذلك فلا مانع.

الاذن بزواج البكر:

□ امرأة بكر تزوجت بدون أن يعلم أبوها وولي أمرها، فما هو حكمها؟ وكيف تصحح زواجها؟
■ على رأي من يقول انه إذا كانت بالغة رشيدة لا يشترط إذن الأب، وان كان يستحب ذلك، فالزواج صحيح، أما على رأي من يحتاط فلا بد من إذن الأب، ورأينا صحة هذا الزواج.

الطلاق الوهمي:

□ كثر في الآونة الأخيرة الادعاء بالطلاق الوهمي في بلاد الغرب، والحكم الشرعي يحرم ذلك، فما هي الطريقة الأمثل للحد من هذه الظاهرة؟
■ عليهم الأخذ بتقوى الله، فالطلاق الوهمي أو الإيهامي الذي يُراد به خداع الدولة من أجل استلام حصتين ماليتين بدلاً من حصّة واحدة حرام لجهتين: فالدولة المضيفة تدفع لكما على أساس أنكما مستقلان، فهذا نقض للعهد «أَوْفُوا بِالْعُقُودِ»^(١٢). فلقد دخلت إلى البلاد على أساس اتفاقية معينة وأنت بذلك تتجاوزها وتخالفها، وهذا لا يجوز شرعاً. يضاف إلى ذلك أن في هذا العمل هتكاً لحرمة المؤمنين، فإذا اكتشفوا أنك قد طلقت زوجتك بهذه الطريقة وأنت تعيش معها، فإنهم سيقولون كيف يكون هؤلاء مسلمين وهم يفعلون ذلك؟

تعدّر إرسال نفقة:

- لي طفل موجود مع أمه في الوقت الحاضر فإذا لم أتمكن من إرسال النفقة له لمدة أكثر من سنتين، فهل يجوز لي أن أرسلها عندما أتمكن من ذلك؟
- إذا كنت غير قادر في الوقت الحاضر، فبالإمكان إرسالها فيما بعد، وتطلب من الأم أن تتفق عليه لحسابك ثم تدفع المرتب بذمتك في وقت الاستطاعة.

التعرّف قبل الزفاف:

- قلتّم إنّه يجوز التعرّف بين الزوجين بعد العقد وقبل الزفاف، فإذا تمّ التعرّف ورأت الزوجة أن الزوج لم يعجبها، فكيف تبتعد عنه والطلاق بيده؟
- المقصود من التعرّف بعد العقد أنهما يفتتحان على بعضهما البعض من خلال الشرع فيمكن أن يجلسا ويتفاهما ويختليا لأنّهما أصبحا زوجين كأبي زوجين آخرين. أمّا إذا كانت الزوجة تخاف منذ البداية أن ينقلب الزوج عليها، أو تخاف أن تكون مشتبّهة في قرارها فيمكن أن تأخذ وكالة الطلاق في عقد الزواج، ذلك أنّ بعض العلماء يفتون بجواز أن تكون الزوجة وكيلة في طلاق نفسها وعند ذلك تستطيع أن تطلّق نفسها إذا أخذت الشرط بشكل مطلق فالمؤمنون عند شروطهم، وإذا كان الشرط محدوداً وحصل المحذور فإنه يحقّ لها المطالبة بالطلاق لعدم الالتزام بالشرط، وهذه وكالة غير قابلة للعزل، فيمكن أن تكون العصمة بيدها ولكن بأسلوب الوكالة.

□ وما هو الحدّ الزمني للتعارف، هل هو شهر أو أقل؟

- لا يمكن للأب أن يمنع ابنته من اللقاء مع الزوج حتى يأتي وقت الزفاف لأنها بعد العقد هي زوجته والأمر بيدها وليس بيد الأب، إلا إذا كان هناك شرط ضمن العقد بينها وبين الزوج فلا يقدر أن يجبرها عند ذاك.

□ هل يحقّ للمرأة أن تأخذ من الزوج خلال فترة العقد بعض النفقة؟

- المتعارف بين الناس هو أن الزوج لا يتحمّل خلال الفترة الفاصلة بين العقد وبين الزفاف النفقة، باعتبار اسقاط النفقة في هذا الوقت، فإذا كان العرف يوجب أن ينفق عليها ولو نفقة ليست كاملة، فعليه أن يدفع لها ذلك.

خضوع المتعة للضوابط:

□ أقررتم في مقابلة تلفزيونية بزواج المتعة من حيث المبدأ، ولكن بشرط أن يخضع لضوابط معينة، فما هي هذه الضوابط؟

■ الإقرار به باعتبار أنه حلال، ولكن ربّما تخدع الفتاة، وربما يخلق لها مشاكل اجتماعية ويؤثر على مستقبلها وهكذا.. فقد يضيّع حق المرأة والأولاد لأنه من يدري أنّ فلانة متزوجة خاصة مع عدم اشتراط الشاهدين.. ولذلك يجب أن يكون هناك ضوابط لمنع المشاكل.

تعطيل العمل بالمتعة:

□ اذا كان زواج المتعة تشريعاً الهياً في القرآن الكريم ولم يعطّل إلا بعد وفاة الرسول ﷺ فلماذا لم يعد الإمام علي ﷺ هذا الأمر إلى نصابه في خلافته؟

■ لقد تحدث الإمام علي ﷺ عن هذا الموضوع في قوله ((لو لا ما نهى عنه عمر من المتعة ما زنى الا شفا)) أي نفر قليل أو ((الا شقي)) حسب رواية أخرى. وغاية الأمر أنّ الخلل هو في التطبيق العملي للمتعة في مجتمعاتنا الشيعية، فالمتعة حلال ولكن الظروف والاعراف الاجتماعية قد لا تسمح بها لخروجها عن الضوابط في كثير من الأحيان، ثم أنّ الحلال ليس من الواجب أن يعمل الإنسان به.

الزواج من الغربيات:

□ نحن شباب نعيش في أوروبا ونواجه مسألة مهمة وهي الزواج، فما هو رأيكم في الزواج من الأوروبية غير المسلمة، علماً أنّها تدخل الإسلام بعد الزواج؟

■ إذا كانت كتابية (نصرانية أو يهودية) وعُقد عقد الزواج بشكل شرعي فالزواج صحيح، ولا يجوز الزواج بغير الكتابية (من غير المسلمات) كالبودية والملحدة ونحوهما.

الام صاحبة البويضة:

□ اذا كانت الزوجة لا تنجب فهل يحق لزوجها أن يتزوج زوجة أخرى بالمتعة فتؤخذ البويضة المخصبة من هذا الزواج بموافقة الزوجة وتغرس في رحم

الزوجة السابقة التي لا تنجب؟

■ قد يجوز ذلك، ولكن هناك خلافاً في الرأي حول من هي الأم في هذه الحال؟ هل هي صاحبة البويضة أم الحامل؟ إن رأي السيد الخوئي هي المرأة الحامل، ولكن رأينا ورأي علماء آخرين أن الأم هي صاحبة البويضة لأن نسبة تكوين الولد في البويضة مماثلة لنسبته في النطفة، فالولد كما ذكرنا يتكوّن من خلية فيها (٤٦) من الكروموسومات (٢٣) في النطفة و(٢٣) في البويضة وعندما تلقح النطفة البويضة يصبح عدد الكروموسومات (٤٦).

فالولد يتكوّن من عملية التلقيح، والأم الحامل إنّما تقوم بعملية تنمية للولد وليست أساساً في تكوينه، ولذلك فإن رأينا أن الولد شرعي طالما أنه من نطفة الأب، لكن الأم هي صاحبة البويضة التي انتقلت منها إلى رحم المرأة الثانية.

الزواج من بنت الزنا:

□ عندما يتزوج شخص من بنت غير شرعية، فهل يعتبر الأولاد غير شرعيين؟

■ لا، فهم شرعيون لأنهم يأتون نتيجة العلاقة الشرعية، فحتى لو كانت الزوجة نتاج عمل غير شرعي، لكنها تزوجت زوجاً شرعياً فالأولاد شرعيون، ولا مانع من أن يتزوج الإنسان من بنت الزنا.

وراثه الولد من زواج المتعة:

□ هل يرث الولد من زواج المتعة؟

■ الولد من زواج المتعة كالولد من الزواج الدائم فهو ولد شرعي ١٠٠٪ ولا فرق بينه وبين الابن من الزواج الدائم في كلّ حقوقه وكلّ واجباته.

حكم المستنسخ من خلية الأم:

□ ما هو حكم الابن الناتج من الاستنساخ البشري إذا كانت خلية التلقيح

من الأم فقط وليس من الأب؟

■ هنا في هذه الحالة الأم هي أمّه وأبوه في نفس الوقت باعتبار أنه نتاج خلية واحدة أخذت منها ولم تؤخذ النطفة من الأب، ولذلك فهو ابن الأم فقط وليس ابن الأم والأب.

إسقاط جنين عمره شهر:

- امرأة أسقطت جنينها ولم يبلغ عمره شهراً، فهل عليها شيء؟
- عليها الدية وتقدر بأربعة دنانير في الشهر الأول.

البقاء على دين الزوجة الكتابية:

- مسلم متزوج من مسيحية وهي مصرّة على دينها، فهل لها أن تبقى على دينها؟

■ على رأي من يقول بجواز الزواج من الكتابية لأن الله سبحانه وتعالى يقول «الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الْطَيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ»^(١٣) فحتى لو بقيت على دينها فلا مشكلة، كما يرى المرحوم السيد محسن الحكيم والمرحوم السيد الخوئي وكما هو رأينا كذلك فلا مانع من أن تبقى على دينها، ولكننا لا ننصح بذلك لأنها تؤثر في تربية الأولاد لانهم بذلك يكونون موزعين بين دين أمهم ودين أبيهم ولا يكون البيت حينئذ بيتاً إسلامياً، وسوف يصبح الأولاد حائرين مذبذبين بين هذا وذاك.

الشاهدان في الزواج:

- هل الشاهدان ضروريان في الزواج؟
- في المذهب السنّي نعم، وفي المذهب الشيعي يستحبّ الشاهدان ولكنهما ليسا شرطاً في الصحة، نعم في الطلاق لابدّ من الشاهدين.

شرعية الزواج المدني:

- هل الزواج المدني المعروف عندنا شرعي وصحيح؟
- في الزواج المدني لا يشترط الشروط الشرعية في الزواج، فيمكن للمسلمة أن تتزوج من غير المسلم أو للمسلم أن يتزوج من غير الكتابية بوزية كانت أو هندوسية، وهذا لا يجوز شرعاً، وحتى على رأي من يقول بجواز الزواج من الكافرة الكتابية فإن الحكم يختصّ بالكتابية، فلا يجوز الزواج من الملحدة

المشركة أو البوذية أو الهندوسية. أما إذا عقد الزواج مدنياً بأن يقول لها: هل تقبلين بفلان زوجاً أو هل تقبل بفلانة زوجة أو جعلتكما زوجين، فعلى رأينا يجوز ذلك، وكان المرحوم السيد محسن الحكيم يقول بجوازه. إلا أن بعض العلماء يتحفظون في ذلك لأنّ عندهم شرطاً معيناً في صيغة الزواج ونحن لا نشترط ذلك بل كلّ ما يعبر عن الزواج بشكل عام يجوز، ولكن نحن لا نقر الزواج المدني كقانون لأنّ هذا القانون يختلف بأحكامه عن قانون الإسلام، ومع استجماع الشروط فلا مانع من ذلك.

الزواج بكتابية غير مؤمنة:

□ تزوجت من امرأة نرويجية زواجاً منقطعاً، وهي تؤمن بكتابها ونبياها إيماناً ليس قوياً، فما حكم زواجي هذا من جهة الشك في كونها كتابية؟
■ إذا لم تكن تؤمن بالإنجيل كما يؤمن الكتابيون، أو كان إيمانها منحرفاً فلا يجوز الزواج بها، فالزواج إمّا بالمسلمة أو الكتابية المؤمنة.

حياة الجنين:

□ كثيراً ما نقرأ ونسمع أن الجنين إذا بلغ الشهر الرابع تنفخ فيه الروح وتبدأ فيه الحركة وبذلك يعتبر ميتاً قبل الأشهر الأربعة حيث يجيزون إسقاطه عند الضرورة، فما هو الفرق بين الحياة وبين الروح؟
■ المراد بالقول قبل أن تدبّ فيه الروح أنّ الحياة بمعناها الحركي ليست موجودة ولكن النمو كما هو الحال في النبات موجود، فالنطفة تنمو وتصبح علقة والعلقّة مضغة وهكذا، فهذه الحياة يطلق عليها حياة نباتية وليست حياة إنسانية، روحية، ولكن الإجهاض غير جائز حتى في هذه الحالة، نعم، هناك بعض العلماء ممن يفرّقون بين حالات الحمل، كما هو رأي السيد الخوئي ورأينا، فإذا فرضنا أنّ الحمل كان يمثل ضرراً بالغاً بحيث يصل إلى حد الخطر فيجوز لها أن تجهض قبل نفخ الروح، أمّا بعد نفخ الروح فلا يجوز لها الإجهاض إلّا إذا أصبح الحمل خطراً على حياتها فيكون حينئذ من باب الدفاع عن النفس.

زواج في العدة:

- إذا تزوج رجل بامرأة في عدة الطلاق الخلعي واستمر الزواج وأنجب أطفالاً مع الجهل، فما هو الحكم؟
- عليه الانفصال عن زوجته، ولكن الأولاد شرعيون، لأنهم أولاد شبهة.

ولي الزوجة:

- سافرت في العطلة الصيفية إلى التبليغ وطلب مني أن أزوج إحدى البنات في المنطقة، وسألت عن وليها فقلت لي أنها بنت غير شرعية، وطلبت الإذن من شقيق الأم الأكبر وتم العقد، فهل يصح العقد أم لا؟
- إذا كانت البنت بالغة رشيدة لا مانع من ذلك.

الزواج بالإكراه:

- ما حكم الزواج الإجابري، بمعنى أن أهل الزوجة يجبرونها على الزواج بفلان وهي غير راضية، فما حكم الزواج وقد أنجبت أطفالاً؟
- إذا لم يكن الزوج عالماً بالحال وكانت مع عدم رضاها تحسب جواز بقائها مع الزوج، فالأولاد أولاد شبهة، ولكن الزواج باطل، ومع العلم بالبطلان، فالزواج باطل، ويعتبر هذا من الزنى.

عدة الطلاق:

- تزوج رجل من فتاة مؤمنة على أن يأخذها معه، لأنه يسكن في الغرب، فهجرها أكثر من سنة وقد ولدت منه، ومع ذلك فإنه قصر معها في ما تقتضيه الزوجية، ثم طلقها، فهل يجب عليها العدة وما حكمها؟
- نعم، يجب العدة مع الدخول حتى لو فارقها زوجها مدة طويلة.

الهدايا أثناء عقد الزواج:

- شخص عقد على فتاة ولم يتم الزواج، ثم طلقها وذلك بناءً على طلبها، وفي فترة العقد كان يبعث لها بعض الهدايا ومصروفها الشهري، فهل يجب عليها أن ترد كل ما بعثه إليها حين الطلاق؟

■ لا يجب، نعم الشيء الذي أهداها إياه وبقي عندها، فإذا لم تكن من أرحامه فيجوز له الرجوع بالهدية، أمّا إذا أعطها نقوداً وصرفتها أو اشترت به - مثلاً - ذهباً، فليس واجباً عليها أن تردّه له، إلّا إذا كان الطلاق بهذا الشرط وقبلت به.

الزواج بأخت الأخت من الإرضاع:

□ والدة شخص أرضعت بنتاً معه وهو يريد الزواج من أحد أخواتها، هل يجوز له ذلك؟

■ نعم يجوز له ذلك، فمثلاً عنده أخت من أبيه وعندها أخوات من أمّها، فإنّه يجوز له أن يتزوَّج أخت أخته، ولكن هذه البنت، كما في السؤال، لا يجوز لها الزواج لا منه ولا من إخوانه، لأنّها صارت بنت أبيه وبنت أمّه، فهي أخت له وإخوانه. فالفرق أنّه لا يجوز لها الزواج من كلّ أخوته، ويجوز له أن يتزوج من أخواتها.

الطلاق بغير شعور:

□ شخص تزوج من امرأة وطلقها بدون شعور أو بشهود غير عدول، وبعدها تزوجت المرأة من شخص آخر، هل يصح زواجهما؟

■ لما كانت شهادة الشاهدين العادلين شرطاً واقعياً في صحة الطلاق، فالطلاق باطل وزواجهما الثاني باطل.

الطلاق بثلاث:

□ طلّقت امرأة سنّية ثلاثاً حسب ضوابط المذاهب السنيّة، وبعد فترة أرجعها زوجها بدعوى أن هناك رأياً عند أهل السنة يجوز ذلك وهي غير مقتنعة بذلك، فما هو حكمها؟

■ بعض آراء أهل السنّة ترى أنّ الزوج لو طلقها ثلاثاً بمجلس واحد فإنّه يعتبر طليقة واحدة، وهذا رأي معروف عند أهل السنّة، فإذا قال لها: أنت طالق بالثلاث، ثمّ رجع، يكون رجوعه صحيحاً. نعم على رأي من يقول إنّ الطلاق ثلاثاً بمجلس واحد يُعتبر ثلاث طلاقات عندئذٍ لا يجوز الرجوع..

عدّة الطلاق:

□ امرأة طلقها زوجها في الشام وتريد الرجوع إلى العراق، فهل تلزمها العدّة هنا أم في العراق؟

■ تلزمها العدّة من حين الطلاق، والعدّة بمعنى أن لا تتزوج في هذه المدّة، وليس من الضروري أن تقيم في مدّة العدّة في بلد الطلاق.

مصابة الأجنبي أثناء العدّة:

□ تتمّة للسؤال السابق، وهل هناك حرج إذا صاحبها أحد أقاربها في سفرها المشار إليه؟

■ لا حرج في ذلك.

انقطاع عدة الوفاة:

□ امرأة توفي زوجها وبقيت في عدة الزواج ثلاثة أيام فتزوجت من شخص ثم انفصلت عنه بعد مدة فما هو تكليفها بالنسبة لعدة الوفاة التي قطعتها؟ وهل تستطيع إعادتها؟

■ إذا كانت المدة الباقية وهي الأيام الثلاثة التي أشير إليها في السؤال قد مضت، فإنه لا يلزم المرأة الاعتداء مرة أخرى أو إكمالها وإن كانت قد صاحب المدة المذكورة المعصية من حيث زواجها إذا كانت عالمة بذلك.

الطلاق بالثلاث:

□ رجل مسلم غير إمامي، طلق زوجته ثلاث طلقات لكنه كان في الثالثة غاضباً، ثم أنه لم يراع كون زوجته في طهر لم يواقعها فيه، فأرسله علماء مذهبه إلى علماء مذهب الإمامية، فما هو حكمه؟

■ على رأينا هذا باطل، فالمفروض أن يأخذ برأي مذهبه في هذا المقام ولا خلاف عند السنّة إذا طلق غاضباً عند السنّة، بل الخلاف عندهم في مسألة وقوع الطلاق الثلاث.

ثمناً: أموال وبنوك:

دفع الصدقة:

- هل يصح دفع صدقة لشخص بدون إعلامه قربةً إلى الله تعالى؟
■ يجوز ذلك.

رهن بدل الإيجار:

- استأجرت داراً من شخص وقد دفعت له رهناً مقداره ١٠٠,٠٠٠ ليرة سورية واكتفيت بذلك عن دفع الإيجار، ما هو الحكم الشرعي لمثل هذه المعاملة صحة وفساداً ومن حيث الإثم أيضاً؟
■ إذا فرضنا ذلك على نحو الرهن، وسامحك بالإيجار من دون شرط، فلا مشكلة.

تسجيل الوقف:

- سوف أشتري وقفاً بدل وقف سابق، ولا أنوي تسجيله رسمياً، وإنّما أشهد عليه من الأبناء والأخوان ليكون أسهل في نقله فيما بعد إذا أصبح غير صالح للوقف في موقعه من حيث الفائدة، ما هو رأيكم؟
■ لا بُدَّ من تسجيله من أجل حفظه في المستقبل، وإن لم يتوقف حفظه على ذلك، فلا مشكلة.

الدية غير التبرّع:

- دهست شخصاً ونقلتته إلى المستشفى في حادث سيارة وتمّ علاجه على نفقتي الخاصة وعند تقديمي للمحكمة رفض التنازل حتى أدفع له مبلغاً من المال، فهل يجوز لي إعطاؤه المبلغ أم لا؟
■ له الدية إذا حصل لديه كسر أو أي ضرر جسماني، وهذا الذي دفعته للمشفى هو تبرّع، إلّا إذا اتفقت معه أنّك تتحمل أجور المشفى فقط.

أخذ مال من شركة تأمين:

- توجد في أمريكا شركات تأمين أهلية وغير أهلية، فهل يجوز لي أخذ

مبلغ من المال من هذه الشركة بصورة غير رسمية، علماً أن ذلك لا يؤثر على شخص ما ولا يؤثر على صورة الإسلام، ولا يسبب أي ضرر لهذه الشركة؟

■ إنه يؤثر على صورة الإسلام في نفسك، لأنك تكتشف في نفسك أنك خائن لعقدك «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ»^(١). فبينك وبين شركة التأمين عقد ولعلك تعرف أن نظام التأمين يخضع للتعاقد فعليك أن تفي بعهدك «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»^(٢). وقد قالها علي بن الحسين عليه السلام فيما يروى عنه ((لو إئتمني ضارب علي بالسيف على السيف الذي ضرب به عليا وقبلت منه ذلك لأديت إليه أمانته))^(٣) لذا يجب أن نكون أمناء مع أنفسنا ومع غيرنا، يقول الإمام الصادق عليه السلام ((كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم ليروا منكم الصدق والخير والورع فذلك داعية)). وكل الفتاوى التي تحلل لك أكل أموال الناس بغير وجه حق ارفضها، لأن الله يقول «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»^(٤). والقسط هو العدل، ومن العدل أن لا تأكل مال إنسان بغير حق، وهؤلاء مسلمون وقد قاموا باستضافتكم واستقبلوكم، ولكن مع الأسف فإن هناك أناساً يعلمون الناس الحرام بطريقة شرعية، ويعلمون الناس الإساءة إلى الناس بعنوان شرعي.

التصرف بالسهمين:

□ إذا كان المكلف يقلدكم بالمسائل المستحدثة وهو يقلد أحد الأموات من المجتهدين في بقية المسائل فهل تأذنون له بالتصرف بالسهمين إلى أصحابها أو أحد السهمين؟

■ إن إجازة الميت قد سقطت، ونحن نرخص بالثلث في سهم الإمام ولكن بالنسبة إلى الإخوان في العراق وباعتبار الوضع العراقي الاستثنائي نرخص بالنصف، فإما أن يدفع كل سهم الإمام، أو يدفع سهم السادة أو يدفع نصفاً من

(١) المائدة: ١.

(٢) الأنفال: ٢٧.

(٣) التهذيب: ج ٦، ص ٣٥١، ح ١١٥، ب ٢٢.

(٤) الممتحنة: ٨.

هذا ونصفاً من هذا .

الحسم في البيع الحاضر:

□ أثرت في موضوع مهنة بيع السيارات في أميركا موضوع الحسم بالنسبة إلى البيع حاضراً بسعر كذا وبسعر أقساط بسعر كذا لكي لا نقع في إشكال، فكيف يتم الحسم بهذه السهولة وأنتم تعرفون أنه لا بد من استعراض كل العروض بشيء من التفصيل نظراً لمنافسة السوق؟

■ المقصود بالحسم كمن يطرح في البداية أنه يبيع نقداً بسعر كذا وبالأقساط بسعر كذا، وهناك من يناقش ويقول أنا مستعد للبيع بكذا والثالث بسعر آخر، وفي النتيجة فإن المشتري سيشتري إما نقداً أو بالأقساط، فالمطلوب شرعاً هو أنه عندما تحسم المعاملة ويراد انفاذ عملية البيع فلا بد أن يكون هناك فرضية واحدة وهو إما أن يشتري نقداً فيقال بعتك بعشرة آلاف دولار نقداً أو بالتقسيط فيقال له بعتك بالتقسيط على أن تدفع كل شهر مبلغ كذا، وحتى لو باعه بالتقسيط، فإذا لم يدفع في أحد الشهور فلا يجوز له أن يأخذ فائدة على التأخر.

□ وإذا لم يتم موضوع الحسم كيف تكون المعاملة ربوية؟

■ كما بينا يجب أن يكون الحسم على ضوء البيع النقدي أو التقسيط وليس الحسم في حال المقابلة والمناقصة وما إلى ذلك.

لقطة:

□ وجدت مبلغاً قدره (٥٠٠) ليرة سورية، فما هو حكمه؟

■ إذا كنت مفلساً فتستطيع أن تتصدق به على نفسك عن صاحبه، وإذا رزقك الله مالاً فتصدق به على أقرب فقير.

العثور على ساعة:

□ إذا رأيت ساعة في سيارة وأخذتها وسألت الناس من حولها ومن في

داخل السيارة: لمن هذه الساعة؟ فلم أجد، فلمن ملكيتها وهي موجودة الآن عندي؟

■ إذا كان بإمكانك التعريف بها ولو في المنطقة التي كانت فيها السيارة فذلك أفضل، وإلا فحكمها حكم اللقطة وهي أن يتصدق بها الإنسان عن صاحبها.

معاملة ربوية:

□ تجري في العراق الآن معاملة ملخصها أن يبيع شخص ما مبلغاً من الدولارات لتاجر بأن يقول له: بعثك مئة دولار بمبلغ مئة دولار وعشرين الف دينار لشهر واحد، فهل المعاملة ربوية؟

■ هذه المعاملة ربوية، وهي ليست بيعاً بل هي دين ولكن بعض الناس يسمونه بيعاً و((العقود تتبع القصد)) ولا إشكال أنهما قصدا الدين.

سافر وترك ملابسه:

□ كنت أعمل في كي وغسل الملابس وقد ترك عندي شخص ملابسه وبعد فترة عرفت أنه سافر إلى بلده مع العلم أنني لا أعرف عنوانه، فماذا أفعل بالملابس؟

■ إذا لم يمكنك الوصول إليه أو إيصال ملابسه له، فإنّها تصبح من المال مجهول المالك فترجع فيها إلى الحاكم الشرعي ليتصدق بها عن صاحبها.

التنازل عن حصّة الإرث:

□ ورثت امرأة عن زوجها المتوفى حصتها، وقد أجبرها أهل زوجها على التنازل عن حصتها لأولادها، فهل تعتبر حصتها مغبوبة؟

■ نعم، إذا تنازلت مكرهة فحصولها مغبوبة، حتى ولو كان بالتنازل القسري للأبناء؟

إشتراط عدم الاشتراك بالخسارة:

□ لي صديق له محل تجاري أعطيته مبلغاً من المال لتشغيله واشترطت عليه عدم مشاركتي في الخسارة ولكنّي لم أشرط أي مقدار من الربح وتركته الأمر لتقديره فهو يعطيني ما يشاء، فهل تصحّ المعاملة؟

■ لا تصحّ المعاملة بهذا الشكل، فالمعاملة هي المضاربة، وفي المضاربة لا بدّ من الاتفاق على نسبة الربح ولا يجوز اشتراط عدم الخسارة لأنّ من خصائص المضاربة أنّ الربح مشترك بين رأس المال وبين العامل، والخسارة هي على رأس المال لأنّ العامل كذلك يخسر من عمله، ومن الممكن أن تصحح هذه المعاملة على أساس إعطاء صاحب المحل التجاري أجره عمله تماماً كأني عامل يعمل لشخص بأمره من دون ذكر الأجرة فيعمل على أساس أجره المثل.

هل هذا ربا؟

□ اشترى شخص دارا بمليون ليرة سورية ديناً على أن يوفّي المبلغ لمدة ثلاثة أشهر، إلا أن المشتري عجز عن الوفاء بدينه ففرض عليه البائع تمديد المدة ثلاثة أشهر أخرى على أنّه يدفع بدل المليون مبلغاً يزيد على المليون بمائة ألف، فهل يصحّ ذلك؟

■ لا يصحّ ذلك لأنّه ربا، ولا يجوز تأخير الدين بأزيد منه.

تشغيل المال:

□ لي قريب طلب مني الاشتراك معه في مخبز في أمريكا بمبلغ (٥٠٠٠) دولار وقال لي سوف أعطيك في كلّ شهر مبلغ (٣٠٠) دولار كهدية عن هذا المبلغ علماً أنّي في بلد أوروبي وهو في أميركا ولا يمكن العمل معه فأعطيته المبلغ بصورة اشتراك، فهل هذه المعاملة صحيحة؟

■ المعاملة غير صحيحة ف(٣٠٠) دولار شهرياً هي ربا وليست هدية ما دامت ملزمة بينك وبينه، نعم إذا قال لك إدفع ٥٠٠٠ دولاراً على أساس ربع الأرباح أو نصفها فيصبح الأمر مضاربة والمضاربة جائزة.

بيع الخنازير:

□ هناك في أفريقيا قطعان كبيرة من الخنازير تحيط ببعض المدن التي تدين بالإسلام، وقد عرضت شركات أوروبية الاستفادة من هذه القطعان مقابل مبالغ أو إنجاز مشاريع يكون الأفارقة بحاجة ماسة إليها، فهل هذا جائز؟

■ بعض الفقهاء يستشكلون في ذلك، لكن ما داموا يصطادونها في مقابل دفع مبالغ معينة فيجوز بيع الخنزير لمن يستحلّه، وإنّما يحرم على المسلم شراء

الخنزير ممن يملكه ليبيعه لمن يستحله لأننا لم نجوز الشراء للمسلم ولكننا أجزنا البيع إذا حصل على الخنزير بالحيازة والاصطياد ونحوهما.

استعمال الوقوف:

□ للمسجد بعض الموقوفات مثل السلم وبعض الكراسي، فهل يسمح للغير

استعمالها؟

■ ((الوقوف على حسب ما يقفها أهلها))^(٥) فإذا كانت قد وقفت للمسجد باستعمالها لخدمات المسجد فلا يجوز استعمالها لغير ما هو مصلحة المسجد، أما إذا كانت قد اشترت لكي تؤجر لمصلحة المسجد فلا بأس.

استثمار خدمة:

□ تقوم الدولة بتوفير بعض الخدمات للمواطنين مثل الماء والكهرباء أو غيرها، فإذا قمت باستئجار أحد هذه الخدمات من أحد المواطنين بمبلغ هو أقل مما يفترض أن يدفعه للدولة، فهل أنا مأثوم بإحدى الحالتين التاليتين: في حال علمي أنه سوف يسد ما بذمته للدولة آجلاً أم عاجلاً؟ وفي حال عدم علمي أنه سيسدد؟

■ إذا كان هو يملك من خلال قوانين الدولة أن يؤجر فلا مانع من ذلك في كلا الحالتين وأما إذا علمت أنه يسرق الدولة فلا يجوز ذلك في الحالتين أيضاً.

هدايا البضائع:

□ توجد منتجات غذائية أو منزلية مغلفة بعلب خاصة وقد كتبت الشركة عليها المصنعة عبارة تقول: اشتروا ربح هدية فورية، فهل الهدية هنا مشروعة؟

■ لا مانع من ذلك، فهذا ليس قماراً، فانت تشتري البضاعة بنقودك، وغاية ما هناك أنهم يضعون هدية في داخل البضاعة، فلا مشكلة في ذلك.

نسبة الربح:

□ هل هناك نسبة ربح يحددها الشارع؟ أم هي نسبة كيفية يحددها صاحب

(٥) بحار الأنوار، ج ٨٥، ص ٩٠، ب ٢٣.

البضاعة، وقد تتجاوز حداً أكثر من سعر البضاعة؟

■ الناس مسلطون على أموالهم، فليس هناك تحديد شرعي لنسبة الربح، ولكن في النظام الإسلامي لابد من دراسة مصلحة المسلمين في ذلك.

اسعار السوق السوداء:

□ هناك مواد مدعومة من قبل الدولة تبيعها بأسعار مخفضة ولكن الناس يبيعونها بأضعاف سعرها في السوق السوداء، فما هو حكمها؟

■ إذا اشترطت الدولة على البائع أن يبيعها بسعر معين فلا يجوز له أن يبيعها بأكثر من سعرها.

التراضي حول السعر:

□ في معاملات البيع والشراء يحرصنا المشتري الذي تربطنا به علاقة قريى أو صداقة فهو يريد معرفة قيمة المشتريات، فهل يجوز ذكر سعر غير صحيح؟

■ إذا كان يريد شراء البضاعة بغية إرباحك بنسبة معينة فلا بد لك من إخباره بالسعر الصحيح، أمّا إذا أراد مجرد الاطلاع فيمكنك التورية، ولكننا لا ننصح الإنسان بالكذب حتى ولو بطريقة التورية، إذ يمكن أن تقول له نحن تجار وليس من الضروري أن اكشف لك أسعارى الحقيقية، فقد اشترى بضاعة بأقل من سعرها المعتاد، وربما اشترىها بسعر أعلى من السوق وهكذا فالتجارة تجارة والقراءة قرابة ولا دخل لهذا بذلك.

شرط عدم الخسارة:

□ لي معاملة تجارية مع شخص حسب أصول المضاربة، وبعد إجراء عقد المضاربة اشترطت شرطاً خارجياً بعدم شمولي بالخسارة، فهل يصح الشرط؟

■ لا قيمة لهذا الشرط لأن الشروط المعتبرة إنما هي الشروط التي في أصل العقد، ولا يجوز الشرط على العامل باعتبار أن حكم الخسارة في المضاربة هو أن تكون على رأس المال.

جنس النقود:

□ هل تعتبر جميع النقود، كالدولار والدينار والليرة، من جنس واحد؟ أم

أنها مختلفة الجنس؟

■ هي مختلفة، لكن البعض قد يبيع عملة بأكثر من سعرها وهذا هو دين ولكنه بصورة بيع، وقد ورد في بعض الأحاديث عن النبي ﷺ عن آخر الزمان أن أناسا يستسهلون الربا بالبيع، ونحن لا نوافق على ذلك.

الوفاء ببضاعة:

□ حصلت على فرصة للسفر في الغرب وأنا بحاجة ماسة لذلك ولكن علي

ديون والتزامات للناس وليس لدي المال الكافي للتسديد حالياً، ولكنني أملك بضاعة، فهل لي أن أدفع بها للدائنين الذين سيكونون مجبرين على قبولها؟ وهل يعد ذلك وفاءً شرعياً لما في ذمتي؟

■ يمكن لك أن تخيرهم بين الانتظار وبين قبول البضاعة، أي أن تقول لهم أنا الآن لا أستطيع أن أدفع لكم مالاً وإنما أدفع بضاعة وإلا تنتظرون وقتاً آخر أتمكن فيه من دفع المال، فإذا قبلوا ذلك فلا مشكلة.

□ وهل أن إخفاء موضوع سفري عنهم حتى أسافر ثم أبعث لهم بديونهم

لا إشكال فيه؟

■ إذا كنت قادراً على الوفاء فلا بد لك أن تعجل بالوفاء ولو بالبضاعة،

وأما إذا كنت غير قادر على الوفاء وأنت مقيم هنا ولكنك تستطيع أن تفي إذا سافرت فلا مشكلة، وليس من الضروري أن تخبرهم بذلك.

حصّة الزوجة من الأرض:

□ امرأة توفي زوجها وليس له عقب ويملك أراضي زراعية ولم تكن لديه

وصية، فما هي حصّتها من الأراضي التي يملكها؟

■ على الرأي المشهور الذي يكاد أن يكون إجماعاً عند الفقهاء الشيعة هو

أن المرأة لا ترث من الأراضي أي شيء، ولكننا نحتاط في ذلك احتياطاً وجوبياً بالتصالح بين المرأة وبين الورثة الآخرين. ولذا فعلى رأي المشهور من فتوى فقهاء الشيعة أن تركة الأراضي هي للأخ والأخت، وإذا كان له تركة غير الأراضي

الزراعية فإن المرأة ترث الربيع، وإذا كان لها مهر تأخذ مهرهما من التركة.

هل هذا من الغدر؟

□ استقرضت مبلغاً من المال من عدة أشخاص لغرض اللجوء ولكنني لم أنجح في الوصول إلى تلك الدولة، وعليّ أن أرد ما عليّ من دين لهم وكنت قد حددت لهم موعداً ولكن لم أف بذلك لأنني لم أملك المبلغ وقد خسرت كل شيء مما استقرضته، فهل هذا يكون غدرًا بهم؟

■ يقول تعالى «لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا»^(٦). ويقول في معرض تعذر الوفاء بالدين «وَأِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ»^(٧). والغدر إنّما يكون إذا امتنعت عن الوفاء وأنت قادر عليه.

المطالبة بالمال ممن يتسبب في حادث:

□ تعرّضت لإصابة وأدخلت المستشفى وتحمل المتسبب في الحادث نفقات المستشفى، فهل يجوز لي أن أطلبه بالمال في المحكمة ولا أتنازل عنه إلا في حالة دفع هذا المال؟

■ إذا كان الرجل قد دفع المال في مقابل شفائك، لا يجب عليه شرعاً أن يدفع نفقات المستشفى، فيكون قد أحسن إليك. فأنت لك عليه الدية بما تصاب به، وتقدر الدية الشرعية بحسب ذلك، أمّا أنّه قد دفع مصاريف المستشفى وأنت تطالبه بالدية فلا يصحّ ذلك شرعاً لأنك تستحق عليه إمّا الدية وأمّا دفع أجور المستشفى، وعلى الإنسان أن يكون في هذه القضايا إنساناً عادلاً بحيث لا يفكر في استغلال الآخرين.

حلية التأمين:

□ ما رأيكم بالتعامل مع مؤسسات التأمين من حيث التأمين على السيارات والممتلكات من معامل وآلات ومحلات تجارية والتأمين على الحياة؟

■ كلّ أنواع التأمين حلال بما فيها التأمين على الحياة.

(٦) البقرة: ٢٨٦.

(٧) البقرة: ٢٨٠.

التصرّف بالأمانة:

- هل يجوز التصرف بأموال الأمانة إذا أخذت أذنًا من صاحبها؟
- ما دمت أخذت أذنًا من صاحبها فيجوز ذلك، وإلا لا يجوز التصرف بأموال المسلم إلا بطيب نفسه.

التسويق خارج الوظيفة:

- ما هو الحكم الشرعي في إعطاء راتب شهري ثابت لموظف يستطيع من خلال منصبه أو وظيفته دعم وتسويق منتجات معينة؟
- إذا كان يخلص لوظيفته ويسوّق خارج وظيفته فلا مشكلة.

بيع وتأجير الأفلام الأجنبية:

- هل يحق لنا بيع أو تأجير أفلام أجنبية للزبائن إذا كانت فيها بعض اللقطات المثيرة؟
- إذا كانت تؤدي إلى الضلال فلا يجوز.

أقساط التأمين على الحياة:

- هل يجب الخمس في الأقساط التي تدفع للتأمين على الحياة في حالة استردادها؟
- الأقساط تملك لشركة التأمين، وعندما تعطيك شركة التأمين فإنّها لا تعطيك نفس الأقساط بل تعطيك ما أمّنت عليه إذا كان له وقت معين، وهذا يشبه الأرباح التي ستربحها إذا مرّت عليها سنة فيجب الخمس فيها.

نسبة على إرسال الزبائن:

- أعمل في محل تجاري وقد تمّ الاتفاق بيني وبين المحلات بأن آخذ ١٠% على كل زيون أبعثه لهم ومن بينهم شخص صاحب خلق إسلامي كريم، فهل هذه النسبة حرام أم حلال؟
- هذه جعالة وهي حلال، فإذا فرضنا أن كان هناك اتفاق مع المحل التجاري يقضي بأن تبعث لهم زبائن وتأخذ نسبة، معينة فهذا عمل تستحقّ عليه أجرًا.

بنوك إسلامية:

□ من الأولويات الاقتصادية وجود البنوك، لكن لا نرى بنوكاً تعمل تحت إدارة أو إشراف الفقهاء إلا الخمس، فما هو السبب؟

■ نحن نعيش كجزء من نظام رأسمالي، وليس جزءاً من حياة اقتصادية تجري فيها حركة الاقتصاد على ضوء الشريعة الإسلامية، ولذا فإن النظام الإسلامي الاقتصادي لا يعتمد على طريقة البنوك، فهناك طريقة المضاربة وطرق اقتصادية أخرى غيرها.

الأكل في بيت موارده محرمة:

□ هناك بعض الممارسات التي يقوم بها بعض اخواننا في بلاد المهجر من غش وتزوير والكسب الحرام، وقد وضّحت ذلك في وقت سابق، فهل يجوز أن يأكل الواحد منا في بيت هؤلاء الاخوة وأنا أعرف أن إيرادهم لا يخلو من الحرام بالصورة التي أشرنا إليها؟

■ اذا عرف أن الأكل هو من نفس هذا المال المحرّم فلا، أمّا إذا كان قد اشترى هذا الطعام بالدين أو بمال آخر فيجوز ذلك، ولا بدّ من نهيم عن المنكر.

التلاعب على الزبون:

□ أعمل في محل ونحتاج إلى جلب بعض الحاجات إلى السوق فأذهب لجلبها وصاحب المحل يقول للزبون شيئاً ويشير إليّ إشارة لجلب غير المتفق عليه، وفي أغلب الأحيان لا يعرف الزبون ذلك وفي كلتا الحالتين فأنا أقبض نفس الأجر؟

■ لا يجوز ذلك لا لك ولا لصاحب المحل لأنّه غش فهو يريد أن يشتري بضاعة معينة، ولا بد أن يعطى البضاعة التي يريدها، ولذا فان المعاملة باطلة والمال باطل.

التنازل عن الميراث:

□ في الميراث إذا أجبر شخص تحت ظروف معنوية عن التنازل عن ميراثه، فهل يعتبر ذلك تنازلاً عن حقوقه؟ وهل يأتّم للتنازل عنه؟

■ تارة يتنازل بالإكراه فإنّ المال يبقى ملكه ولا يجوز أن يؤخذ منه، وإذا كان

التنازل عن طيب نفس وفي ظروف معنوية ويريد أن يساعد هذا الشخص أو لأي اعتبار آخر ولم يكن هناك إكراه فلا مانع، وهذا التنازل صحيح ولا إثم عليه.

الصدقة على السادة:

□ إذا كانت الزوجة لا تنتسب الى بني هاشم والزوج من بني هاشم وله أولاد وهو غير موجود بل مسجون، فهل تحل الصدقة على أهل بيته علماً بأن الزوجة هي التي تقوم بالإنفاق؟

■ يجوز ذلك والصدقة المستحبة جائزة حتى على بني هاشم، ولكن الصدقة الواجبة هي المحرمة عليهم.

المقايضة:

□ هل تجوز المقايضة؟ أي إعطاء شيء بدل شيء عوضاً عن دفع ثمنه؟

■ لا مانع من ذلك.

مال الشخص مجهول العنوان:

□ في ذمتي مبلغ من المال لشخص لا أعرف عنوانه أو عنوان أي شخص يعرفه، فماذا ينبغي علي فعله؟

■ إما أن تحتفظ بالمال أو أنك تتصدق به عنه، فإذا جاء خير به بين ثواب الصدقة وبين المال لأن هذا مثل المال مجهول المالك.

التسهيلات المصرفية:

□ هل التسهيلات والقروض المصرفية جائزة أم لا؟

■ إذا كانت مبنية على الربا فلا يجوز إلا ببعض الوسائل التي يمكن للإنسان أن يخرج بها عن الربا.

التعامل مع البضائع الأميركية:

□ بالنسبة للذين يسكنون في أميركا هل يحق لهم شراء المأكولات غير الضرورية مثل الحلويات والكيك وغيره إذا لم يجدوا بديلها في الدول الثانية؟

■ لقد أفتينا بحرمة التعامل مع البضائع الأميركية ما أمكن ذلك لأننا - كما ذكرنا مراراً - شعب مستهلك ولسنا شعباً منتجاً، وقد نحتاج إلى بضائع

أمريكية ولكن لنعمل على تجنب نتجنب الشراء ما أمكن ذلك، وقد بينا أن الغرض من هذه الفتوى أن نكون شعباً محترماً وأمة محترمة.

أسواق تخصص ريعها لليهود:

□ أسواق سبنسر في بريطانيا تخصص ريع أيام السبت لليهود، فهل يجوز التسوق منها في غير يوم السبت؟

■ لو فرضنا أنه كانت هناك محلات تخصص ريعها في يوم من أيام الأسبوع للمشركون ضد النبي ﷺ فهل نشترى منها؟ بالطبع لا. فما دامت هذه المحلات تشارك في دعم اليهود لقتلنا فلا يجوز، فهل تعطي شخصاً ما لأم من أجل أن يقتلك، أو يقتل أخاك؟! ولم الشراء من هذه المحلات تحديداً، لم لا نشترى من محلات أخرى؟ فحينما يعرف أصحاب هذه المحلات أننا نقاطعهم لأنهم يعاونون إسرائيل فسوف يعيدون حساباتهم، ولكنهم يعرفون أن العرب وبسبب اهتمامهم ببطونهم وملابسهم وزينتهم لا يتخلون عن الشراء منهم، فإنهم يزدادون تعاوناً مع الكيان الصهيوني، وتلك هي المشكلة. ولو فرضنا أن اليهود في بريطانيا عرفوا أن هناك محلاً يقدم أرباحه في كل يوم جمعة إلى الفلسطينيين فهل يشترون منه؟ فلنتعلم من أعدائنا.

□ وماذا عن مطاعم مكدونالد الأميركية؟

■ أليس عندنا مطاعم سعودية وكويتية وباكستانية وعراقية ولبنانية، فلم الأكل من هذه المطاعم التي لا يعلم لحمها، هل هو مذكى أم لا؟ أليس لدينا لحم مذكى؟ أليس لدينا من يعرف الطبخ ويجيده أكثر مما يجيدونه؟ فلماذا عقدة ((كل شيء فرنجي برنجي)). ولو تأملنا لعرفنا أن طعامنا أطيب من طعامهم وطبخنا أفضل من طبخهم.

إبقاء الأمانة مصونة:

□ لي صديق أودع عندي مبلغاً من المال وكلما احتاج أخذ منه مقدارا وبقي عنده من المبلغ بذمتي حوالي الربع أو أكثر. أما الآن فقد غاب صديقي ولا أعرف مكان عائلته، فما هو العمل بهذا المبلغ؟ هل أبقيه عندي لحين العثور عليه؟

■ عليك أن تبقي الأمانة حتى ترى صديقك، أما إذا يئست من ذلك بكل

الوسائل فتصدق بها عنه بعد استئذان الحاكم الشرعي.

مرور عشر سنوات على أمانة:

□ وصلتني أمانة وهي خاصة لليتامى ومضى عليها أكثر من عشر سنوات وهي معي، فهل أعاقب على ذلك؟

■ يقول تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(٨). وعلى كل حال سارع لأن تدفعها إلى الأيتام قبل أن يأتيك الموت ويطبّق عليك الحكم، وتب إلى الله من ذلك.

استحصال الدين:

□ دفعت عربوناً لتاجر عن بضاعة ما، وفي اليوم الثاني اختفى وهرب وترك ديناً كبيراً للناس بذيئته وقد عرفت أن أحد التجار كان عنده مبلغ من ذلك التاجر فطلبت منه تسديد ديني، فهل يجوز ذلك؟

■ إذا لم يكن لك طريق لأخذ دينك إلا بهذه الطريقة فيجوز.

في تحصيل الرزق:

□ تركت بلدي رغماً عني وعندي عائلة هناك، وأنا مسؤول عنها ولم أجد عملاً مناسباً، فهل يجوز لي أخذ مبلغ بالربا والسفر إلى بعض البلدان؟ أم اتخذ طريق التهلكة في بعض الأعمال؟

■ على الإنسان أن يسعى من أجل تحصيل لقمة العيش النظيفة، ولم يجعل الله رزق الإنسان في الحرام، بل إن سبل الرزق الحلال واسعة وكثيرة.

سرقة حاجيات:

□ ما حكم من ارتكب جريمة السرقة لبعض الحاجيات منذ فترة عشر سنوات بعد سن البلوغ ولا يعرف أصحاب هذه الحاجيات التي لا يزال يستخدمها؟

■ عليه أن يدفع ثمنها ويتصدق بها على الفقراء بإذن الحاكم الشرعي لأنه مال مجهول المالك، ويستغفر الله في ذلك.

الفائدة للصغار:

□ رجل متوفي وله أطفال صغار وترى قامت بعض الجهات بإيداع أمواله في البنك لغرض الفائدة، فهل يجوز صرف هذه الفائدة للصغار علماً أن البنك حكومي؟

■ لا مانع من ذلك باعتبار أن الأطفال ليسوا الواضعين المال في البنك والبنك يعطي الفائدة على كل حال، نعم الشخص الذي اشترط الربا عليه إشكال.

البنك الإسلامي... مشاكل وتحديات:

□ التجربة الإسلامية في مجال البنوك يتعاضم شأنها وأهميتها إقليمياً وعالمياً، ولكن لا تزال هناك بعض النواقص على مستوى النظرية وعلى مستوى التطبيق، فلماذا لا تكتبون في هذا المجال لإثراء التجربة الإسلامية؟

■ مشكلة التجربة الإسلامية في البنوك أنها تعيش في مجتمع قائم على الربا، ولذلك أصبح كل النظام العالمي مرتبطاً بهذا النظام الرأسمالي، وجميع البنوك القائمة بما فيها الإسلامية ترتبط بهذا الأخطبوط الاقتصادي القائم والمهيمن على النظام الاقتصادي العالمي، ومعظم ما كتب في هذا المجال يلحظ هذا الواقع، بما في ذلك ما كتبه المرحوم السيد محمد باقر الصدر (رض)، ونعم الكتاب كتابه (البنك اللاربي في الإسلام)، لأن طبيعة حركة الاقتصاد في العالم لا تسمح بوجود نظام إسلامي مستقل تمام الاستقلال، ولذلك تعيش تجربة البنك الإسلامي تحديات كبيرة ومشاكل فوق العادة.

سرقة الهواتف:

□ في بعض البلدان هناك محلات للهواتف العامة للاتصال رخيصة جداً، ويقال إنهم يسرقون خطوطها، هل يجوز الاتصال؟

■ إذا كان يعرف بأنهم يسرقون الخطوط لا يجوز ذلك.

هل يجب الإقراض:

□ إذا جاءنا شخص يريد ديناً وهو يحتاج إليه على نحو لو لم نعطه لحقه الضرر أو يموت، هل يجب إعطاؤه ديناً؟

■ إذا كنت قادراً على أن تدفع له مبلغاً على نحو الدين، وكان في وضع

يتعرّض معه إلى الخطر في حال عدم إعطائك المبلغ الذي يطلبه، ولم يكن هناك مانع آخر، يجب عليك ذلك.

الوديعة ببنك غير إسلامي:

□ يفتي بعض الفقهاء بجواز وضع الوديعة ببنك غير إسلامي مع أخذ ربح هذه الوديعة، ولكنه لا يجوز ذلك إذا كان البنك إسلامياً يتعامل بالربا، ألا ترون أن هذه الفتوى تساعد الكفار؟

■ ليس هناك فرقٌ عندنا بين البنك الإسلامي وغير الإسلامي، أو بين البنك الحكومي وغير الحكومي، فأخذ الربا في جميع هذه الحالات حرام، نعم يمكن أن لا تشترط الفائدة، بمعنى أن تضع أموالك من دون أن تشترط على البنك أخذ الفائدة، كما لو وضعت المال في البنك كوديعة لئلا يسرق وكنت تعلم أن البنك يعطيك الفائدة، ولم تلتزم إلزاماً عقدياً ولم تسأل كم يدفع، عند ذلك يجوز لك أخذ هذه الفائدة.

شراء سندات الخزينة:

□ ما هو قولكم في (تشغيل الأموال) واستثمارها في البنوك عن طريق شراء سندات خزينة؟

■ نحن نستشكل في شراء سندات الخزينة.

زراعة (الحشيشة) :

□ ما هو رأيكم بزراعة الحشيش والمخدرات عموماً، خاصة بدعوى بيعها للأعداء فقط؟

■ لا يجوز ذلك.

توزيع الأملاك قبل الموت:

□ توفي والدي وترك لنا إرثاً كان قسّمه بيننا في حياته، فهل يلغى هذا التقسيم بعد الوفاة، ويُصار إلى التقسيم الشرعي؟

■ إذا كان هذا التقسيم على نحو التملك في الحياة فكل واحد يملك حصته فلا يكون إرثاً، وإذا كان على نحو الوصية وقبلها الورثة فذلك، نعم إذا

كان على نحو الوصية وكانت أزيد من الثلث فتتفد في الثلث ولا تنفذ في الباقي.

البيع بأسعار مختلفة:

□ هل يجوز للبائع أن يبيع بضاعته بأسعار مختلفة فتارة يرخصها لبعض المشترين ويرفع السعر لآخرين، خاصة إذا كان ذلك مسموحاً به من الناحية القانونية؟

■ الناس مسلطون على أموالهم، فيمكنك أن تُعطي سلعتك بلا مقابل، ويمكنك أن تبيعها بخسارة أو تبيعها بسعر أعلى، إلا أن تكون هناك حالات غير اعتيادية، فيمكن للحاكم الشرعي تحديد الأسعار. وذلك بعنوان ثانوي.

حرمان بعض الورثة:

□ رجل سجل داره بيعاً باسم ولدين من أولاده، وحرّم باقي أولاده بحجة أنهم يملكون شهادات جامعية تكون وسيلة لعيشهم في المستقبل، مع أن الأولاد الباقين لم يكونوا راضين عن هذا التصرف من والدهم، فما هو الحكم الشرعي في هذا المورد؟

■ الناس مسلطون على أموالهم، ويجوز للأب فعل ذلك في حياته، وإن كنا لا ننصح به، لأن من شأن هذا العمل أن يعقّد الأولاد بعضهم من بعض، ولكنه جائز على كل حال. أمّا إذا كان ذلك على نحو الوصية، فإن له الحق في أن يوصي بثلث ماله، أمّا الأكثر فلا بدّ من رضا الورثة الآخرين. والظاهر أنه سجل الدار باسم ولديه على أن يملكوه في حياته، فيجوز ذلك.

وماذا عن البيع بشرط عدم التصرف؟

□ ماذا إذا شرط الوالد عدم التصرف في الدار حتى يتزوج كل الأولاد، ولكن الولدين المشار إليهما سابقاً استغلا تسجيل البيت باسمهما بيعاً ويريدان بيع الدار، فما هو الحكم في ذلك؟

■ لا حقّ للأولاد الآخرين في الدار، ولكن إذا كان الأب قد باع الدار لولديه مسلوقة المنفعة، فليس لهم أن يتصرفوا بالدار قبل تحقّق شرطه.

بيع الوقف:

□ هل يجوز بيع الوقف إذا أعدمته مصلحته تماماً؟

■ إذا لم يبقَ للوقف أية فائدة ولو بنسبة ضئيلة فإنه يجوز بيعه، لكن يشتري بثمنه وقف آخر.

رواتب التقاعد من الفوائد:

□ هناك إحدى النقابات تقوم بفتح صندوق للموظفين، حيث يدفع كل موظف مبلغاً شهرياً تقوم النقابة بتشغيله بإيداعه بأحد البنوك، وعند انتهاء خدمة الموظف تعطي الموظف أربعة أضعاف ما أخذته منه، ويتم تأمين الأضعاف الثلاثة عن طريق فوائد الأقساط ومعونات تقدمها الدولة لذلك الصندوق، فهل يجوز الاشتراك في مثل هذا الصندوق من جهة فوائد الأقساط؟

■ يجوز الاشتراك من دون الاشتراط عليهم، خاصةً وأن الدولة تتحمل الجزء الآخر، وعندئذٍ يجوز الأخذ.

أرض موقوفة لمسجد:

□ أرض موقوفة لمسجد، هل يجوز أن تحول هذه الأرض لمصلحة مسجد آخر في نفس البلدة، إذا كان المسجد الآخر محتاجاً لها من إعمار وتوسعة وغير ذلك؟

■ إذا كان هذا المسجد الذي أوقفت له مما يحتاج إلى نماء هذه الأرض لا يجوز إعطاؤها لمسجد آخر.

تحديد سعر الوفاء:

□ كان أحد الأشخاص يملك بعض الأموال وكان في الخارج وعندما قرر العودة للوطن كان عنده أموال كثيرة وبما أن قانون تلك الدولة لا يسمح أن تعود ومعك الكثير من الأموال قرر أن يترك الأموال في تلك الدولة مع أحد الأشخاص وقال من يريد أن يقترض من الأموال فليفع، وإذا رجع إلى الوطن يسلمه لي وقد قمت أنا بالاقتراض وعندما رجعت إلى البلد لم أعرف كيف أرجعه لأنني ذهبت إلى العراق وقد أعطاني سعرين سعر الشراء وسعر البيع ولا أعرف كيف أرجعه بسعر الشراء أم بسعر البيع، أرجو منكم أن تعطوني الحل؟

■ يجب أن تعطيه بسعر الشراء لأنك تشتري وتعطيه.

مندوب شركة:

- طلبت الشركة التي أعمل بها أن أشتري بضاعة بسعر حددته الشركة فحصلت على البضاعة بسعر أقل، فهل يجوز أن أخذ الفرق بين السعيرين؟
- لا يجوز لك ذلك، لأنك وكيل عن الشركة، وعلى الوكيل أن يأخذ من الشركة بمقدار ما اشترى حتى لو اشترى بأقل.

أموال الزوج من الحرام:

- إذا كانت بعض أموال الزوج من الحرام، فما هو حكم الزوجة من حيث أنها ستأخذ منه نفقتها، فهل يحرم عليها ذلك أم أن نفقتها تحسب عند الله من الأموال الحلال؟
- إذا كانت لا تعرف أن هذا المال تحديداً من الحرام، إذ يمكن أن تكون قد اقترضته، ويمكن أن تكون قد اكتسبه من مال حلال، فإنه لا يحرم عليها أن تأخذه. وإذا كانت تعرف أنه حرام ولكنها لا تعرف مصدره فبإمكانها أن تستأذن من الحاكم الشرعي في إنفاقه على نفسها وأولادها 'بفعل الحاجة' لأنه من مجهول المالك .

البيع بواسطة الماكينات:

- يوجد عندنا في الخليج محل للبيع وهو عبارة عن آلة إلكترونية بالتلفون كواسطة للبنوك بحيث يتقدم الشخص بالبطاقة وتجري له العملية فمثلاً يريد ١٠٠٠ ريال كعمولة، فهل هذا جائز؟ أم لابد من عملية بيع وشراء مع كامل التوضيح لكي نبتعد عن الربا؟
- إذا كان يأخذها كعمولة للقرض بحيث تكون الوساطة بينه وبين البنك، فلا مانع من ذلك، أما إذا كان مقصوده أن الـ ١٠٠٠ ريال تصبح ١١٠٠ ريالاً فهذا من الربا.

التأمين:

- هناك معاملة في إحدى الدول أشبه بالتأمين وهي أن تضع مبلغاً شهرياً في إحدى البنوك، تصرفها عليك في حال احتياجك للعمليات

الجراحية مثلاً أو لشراء البيوت، وما يزيد منها خلال السنين تصرفها عليك الدولة كراتب للتقاعد باعتبار أن الدولة قامت بتشغيل هذه المبالغ في عناوين تجارية خاصة، فما حكم ذلك؟
■ مجرد هذا ليس حراماً.

تساعاً: السلوك والمعاملات:

دليل حرمة مصافحة النساء:

□ ما هو الدليل على حرمة المصافحة بين الرجل والمرأة؟

■ قامت السيرة على ذلك، وقد امتنع النبي ﷺ عن أخذ البيعة من النساء كما هي حال البيعة من الرجال، وعلّل ذلك بعدم مصافحة النساء، ثمّ ورد في الحديث عن الأئمة من أهل البيت : ((هل يصافح الرجل المرأة ليست بذات محرم؟)) قال: ((لا، إلا من وراء الثياب ولا يغمز كفها)).

مقاطعة البضائع الأمريكية:

□ إذا علمنا أنّ مقاطعة البضائع الأمريكية أمر مضرّ بالمستوى المعيشي للشعب الأمريكي، فكيف توفّقون بين دعوتكم إلى مقاطعة البضائع الأمريكية وبين ما ترونه من عدم صحة عمليات التفجير التي حدثت في أميركا؟

■ نحن ندعو إلى مقاطعة البضائع الأمريكية لتجد الشركات الأمريكية نفسها أمام الخسائر الكبيرة، وعندئذٍ تضغط على الحكومة الأمريكية لتغيير سياساتها.

حمل الخمر جهلاً:

□ أحد الأشخاص حمل بعض المؤمنين خمرأ دون علمهم، فما حكم الشرع في هذه القضية؟

■ إذا كان ذلك دون علمهم فليس عليهم شيء.

الحجرة وإلقاء النفس بالتهلكة:

□ هل أن خروج العراقيين الى بلدان مختلفة وبطريقة المغامرة يعتبر من باب إلقاء النفس بالتهلكة، وماذا اذا كانوا مضطرين الى ذلك؟

■ الكلام في ذلك ليس بخصوص العراقيين فقط، بل يشمل اللبنانيين والأتراك والأكراد والمغاربة، ولقد قرأت قبل مدة بأنّ أكراداً عراقيين ذهبوا إلى تركيا ونقلوا إلى اليونان ومنها إلى إيطاليا حيث تم وضعهم في صندوق الشاحنة

فاختنقوا هناك وقام صاحب الشاحنة برمي جثثهم، وهكذا حال الذين يذهبون إلى استراليا ويركبون البحر بكل المخاطر المعروفة حتى أنه غرق الكثير منهم، ولذا نقول إنه لا يجوز للإنسان أن يلقي بنفسه في التهلكة. أمّا حكاية أنا مضطر فأنت غير مضطر أن تلقي نفسك في التهلكة، نعم إذا كنت مضطراً إلى السفر، فعليك أن تسافر بما يؤمن لك حياتك وعملك وموقعك وبما يؤمن لك دينك، لأنّه لا يجوز السفر إلى بلاد يضعف فيها الدين.

إبلاغ السلام:

□ جئت من العراق للزيارة وقد حملني بعض الأصدقاء سلاماً إلى ذويهم ولا أستطيع إيصال هذه الأمانة، فماذا أعمل؟
■ إذا لم تستطع أن توصلها بشكل مباشر أوصلها بشكل غير مباشر، فقل مثلاً لبعض الناس الذين يعرفون هؤلاء أن ينقلوا سلام أقربائهم إليهم.

زرق المرأة للرجل بالحقنة:

□ هل يجوز للمرأة أن تزرق الرجل حقنة بالعضلة أو الوريد أو بالعكس بدون لبس قفاز؟
■ لا يجوز للمرأة أن تلمس الرجل الأجنبي، ولا يجوز للرجل أن يلمس المرأة الأجنبية إلا في حالات الضرورة ولا بأس بذلك مع لبس القفاز.

مطعم يحمل اسم شركة أمريكية:

□ أعيش في أمريكا فهل يجوز أن أشتري مطعماً يحمل اسم شركة أمريكية ويبيع لحم الخنزير علماً أن الزبائن هم من مستحلي هذا اللحم؟
■ أن يحمل المطعم اسم شركة أمريكية في حال الضرورة جائز، أما بيع لحم الخنزير لمستحليّه فهذه الفتوى للعمال وليس للتجار.

استرجاع حق مغتصب بالقوة:

□ اغتصب حقي منّي بالقوة، فهل يجوز لي استرجاعه بالقوة حتى لو أدى ذلك إلى القتل، علماً أن الطرق القانونية لا تردّ لي حقي؟
■ يجب أن تدرس المسألة دراسة دقيقة، فمن الصعب أن نوازن بين قتل

النفس وأخذ حقه، وعلى الإنسان أن يأخذ حقه بالطرق القانونية أو بالطرق التي لا تؤدي إلى هذه النتائج.

سن تحجب الفتاة:

□ في أي سن من عمر الفتاة يجب أن تتحجب؟

■ الاحتياط الآن في التاسعة، ولكن هناك رأي يقول في الثالثة عشر إن لم تحض فإذا حاضت ففي سن الحيض.

استقلال الابن والبنت:

□ في الثقافة الغربية يستقل الابن عن والديه بعد سن (١٨) فهل يوجد مثل هذا في الإسلام؟

■ بمجرد أن يبلغ الولد ويرشد يصبح مستقلاً، وبمجرد أن تبلغ البنت وترشد تصبح مستقلة وتسقط الولاية عنهما، فولاية الأب إنما تكون عندما يكون الولد قاصراً «وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ» يعني النضج الجنسي وهو سن الزواج «فَإِنْ أَنْسَلْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ»^(١) فالابن يستطيع أن يستقل عن أبيه وحتى البنت إذا كانت بالغة رشيدة، ولكن ثمة نقطة مهمة في التفريق بين استقلال الشاب في الثقافة الغربية وبين استقلاله في الثقافة الإسلامية فالشاب في الثقافة الإسلامية لا يستقل بمعنى أنه يعيش العزلة والانقطاع عن عائلته حتى ليبدو غريباً عنهم، بل يتواصل معهم ويتواصلون معه على البر والتقوى وتمتين أواصر الأسرة الصالحة بحيث يبقى الابن أو البنت يستشيران والديهما في القضايا الحساسة والمهمة من باب طلب النصيحة والمشورة لا من باب فرض الرأي عليهما، فهما كما قلنا شخصيتان مستقلتان قانونياً وشرعياً.

هل الدعاء للمجاهدين يكفي؟

□ نرى يومياً ما يجري على إخواننا في فلسطين من قتل وحرب شرسة لم يسلم منها حتى الأطفال لكننا بسبب ظروف عديدة نقف مكتوفي الأيدي عن

نصرتهم، فهل الاكتفاء بالدعاء لهم يكون مجزياً؟ ولا نأثم على ما نحن عليه من سكوت؟

■ يقول تعالى ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٢). وكما يقول ذلك الشاعر:

لا خيل عندك تهديها ولا مالٌ فليسعد النطق ان لم يسعد الحال

أمّا ما هو الموقف؟ فهو أن نقف معهم بكل ما نستطيع من صور الدعم والوقوف والمناصرة سواء بالمال أو بالموقف السياسي أو بالاعلام أو بالدعاء أو بتوعية الأمة على ضرورة الاهتمام بقضاياهم كل بحسب إمكاناته وقدراته وظروفه، فالمهم أن لا تكون سلبياً.

موت السمك في الماء:

□ عندنا في العراق سمك يدعى (الصبور) ويقال إنه يموت في الماء إلى أن

تسحب الشبكة، فهل يجوز أكله أم لا؟

■ رأينا الذي يتفق مع آراء كثير من العلماء، ومنهم أستاذنا السيد الخوئي

✽ أن السمك الذي يجوز أكله هو الذي له فلس على الأحوط وجوباً، فإذا مات في الشبكة فإنّ أكله حلال.

حسم مسألة الأغاني:

□ لماذا لم يحسم العلماء مسألة الموسيقى والغناء مع أنها محل ابتلاء

لعامة المسلمين، فأرجو تحديد الأغاني المحللة بشكل واضح؟

■ العلماء يختلفون في اجتهاداتهم وفي فهم النصوص الخاصة بهذه

المسألة، فبعض العلماء يرى أن الغناء بأجمعه محرّم حتى لو كان في مدح النبي ﷺ والأئمة ✽ ومناجاة الله، فكل شيء فيه موسيقى - لدى هؤلاء العلماء - حرام، حتى أن بعض العلماء يرون أن الخطيب عندما يكون ذا صوت شجي وصاحب طريقة في قراءة التعزية، أو الرادود الذي يمتاز بصوت جميل وطريقة إنشادية معينة فإنهم يستشكلون ويقولون بأنّ هذا من الغناء، لأنّ الغناء هو ترجيع الصوت وترديده. ولقد كان عندنا في العراق بعض قراء التعزية وقرّاء المراثي من هذا النوع بحيث أفتى العلماء بحرمة قراءتهم، فهم يرون أنّ هؤلاء مطربون بنحو ما

ولو بطريقة إثارة المشاعر الحزينة.

فبعض العلماء يصلون إلى هذا الحد إذ لا فرق لديهم بين أغاني الحزن وغناء الحنين وغناء المدائح النبوية ومدائح الأئمة عليهم السلام وحتى الترجيع في عزاء ورتاء الحسين عليه السلام بل حتى في قراءة القرآن، فلقد كان بعضهم يحرم قراءة المقرئ (عبد الباسط عبد الصمد) على أساس أنها نوع من الغناء.

وهناك رأي آخر كرأي (الفيض الكاشاني) وهو الرأي الذي نرتأيه أيضاً وهو أن الغناء على قسمين: فتارة يكون مضمونه من الباطل فهو محرم لأنه يثير الفرائز والشهوات أو يتضمن تأييداً لكافر أو تأييداً لطاغية أو يشتمل على الكفر فهذا حرام. وتارة يكون الغناء مناجاة لله وفي مدح النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام أو يكون فيه حنين للأهل والوطن، أو لإثارة الحزن في النفس أو الغناء الحماسي الذي يركّز على القضايا السياسية والجهادية التي تخدم الأمة، فهذا غناء حلال مع مراعاة أن لا تغلب الموسيقى على المضمون بحيث ينسى المستمع المضمون وينشغل بالموسيقى فهذه تسمّى الحان أهل الفسوق وهي الموسيقى التي فيها جانب لهوي شهوي فهي محرّمة، وهذا هو رأينا في الموسيقى والغناء.

استقبال أخ الزوج بغيا به :

□ إذا حضر أخي إلى البيت ولم أكن موجوداً، وكانت زوجتي في البيت لوحدها، فهل يمكنها أن تستقبله علماً أنه عندما يأتي لا يجد مكاناً يقضي فيه ليلته إلا عندي؟

■ إنّ خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية - وزوجتك أجنبية على أخيك - لا تجوز مع خوف الفتنة والوقوع في الحرام، فقد يكون الشيطان ثالثهما، ولكن في الحالات التي تكون فيها بعض الضوابط والتي يأمن فيها الإنسان على زوجته وعلى أخيه فيجوز.

حدود الحرج في المصافحة:

□ ما هي حدود الحرج عند المصافحة بين الرجل والمرأة؟ أي متى يكون الوضع محرّجاً في بيئة لا يلتزم فيها الناس بحرمة المصافحة بين الرجل والمرأة، بل ويعتبرون عدمها عيباً وقلة أدب؟

■ معنى الحرج هو المشقة الشديدة التي لا تتحمل عادة، وهي تختلف بحسب اختلاف الظروف والأشخاص «بَلْ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۖ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ»^(٣).

لعبة البيكمون:

□ ما رأيكم في جواز ((لعبة البيكمون))؟

■ لم يثبت عندي حرمتها، فإذا كان البعض يقول إن هذه تؤدي إلى أن الأطفال يعتقدون بنظرية داروين أو أن فيها كلمات يهودية، فلقد ناقشت هذا الموضوع مناقشة علمية بعد دراسته، ولكننا لا ننصح بها من ناحية تربوية، كما لا ننصح بكثير من الألعاب التي قد تثير العنف وتعلمه الأطفال وما إلى ذلك.

تغسيل الميت:

□ في تغسيل الميت هل يشترط وحدة المذهب بين الميت وبين من يتولى غسله؟ أم أنه يكفي كونه مسلماً ووفقاً للشرائع؟

■ الظاهر أنه يكفي الإسلام.

الالتحاق بالحوزة بموافقة الوالدين:

□ هل يجوز الالتحاق بالحوزة دون رضا الوالدين؟

■ يجوز ذلك من حيث المبدأ، لكننا ننصح بالتفاهم معهما بالتالي هي أحسن، فهو أفضل للجميع.

صبغ اللحية:

□ هل يجوز للرجل أن يصبغ لحيته وشعره ليبدو أصغر سناً من أجل الزواج؟

■ إذا لم يغش المرأة التي يريد أن يتزوج بها فيجوز.

مسيح مخطئ:

□ هل يجوز للرجل المسلم السباحة في مسبح مختلط؟

■ لا يجوز ذلك لأنه مظنة الفتنة والفساد .

ما يحرم كشفه من الرجل:

□ ما هي الأجزاء الواجب على الرجل سترها من بدنه أمام المرأة الأجنبية؟

■ العورة وهي القبل والدبر، وينبغي للإنسان أن يتحفّظ في عرض جسده

أمام المرأة مما هو عليه واقع الأدب الاجتماعي، والذي قد يريد الإسلام للإنسان أن يلتزم به بشكل وبآخر .

□ هل يجب على الرجل ستر الأجزاء المذكورة أمام الرجل أيضاً؟

■ ما يحرم عليه كشفه للنساء - وهو العورتان - يجب عليه ستره على

الرجل والمرأة معاً .

العمل المستقل:

□ يعمل والدي في مشغل وأنا أعمل معه بإخلاص، ولكن معاملته مع

الزبائن غير صحيحة، وهذا يتنافى مع الشرع، وقد وعدني أن يفتح لي محلاً ولم

يف بوعده، وأنا الآن أريد العمل في شركة بعيداً عن والدي، فبم تنصحنى؟

■ من حقك أن تكون لك حياتك الخاصة، ولكن عليك أن تضع والدك أمام

الأمر الواقع، وأن تحدّثه عن ظروفك، وأنت لا تستطيع أن تكمل طريقك معه،

لأنك بحاجة إلى أن تؤمّن مستقبلك، كما أمّن مستقبله مع أبيه .. حدّث والدك عن

ذلك واترك الآخرين يحدثونه أيضاً، فإذا لم يستجب لك فإنّ الله لا يفرض عليك

الاستجابة له فيما يفسد أمرك أو لا يصلحه .

وأما ما ذكرت من تعامله بخلاف الشرع وعدم وفائه بالوعد فينبغي أن

تلفت نظره إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن تصاحبه في الدنيا معروفاً .

تشغيل الأطفال:

□ هل يجوز تشغيل الأطفال دون سن العاشرة في الأعمال المرهقة بالنسبة

اليهم؟

■ لا يجوز ذلك، إلا إذا كانت لهم مصلحة في ذلك، وكان العمل لا يضرهم

جسدياً ولا يرهقهم، لأنّ الأب ليس مسلطاً على ولده إلا بما يصلح أمره، أمّا بما

يضرّه فلا يجوز ذلك، وإذا رأى الحاكم الشرعي أنّ وجود الولد في عهدة والده

يسيء إليه فيمكن أن يأخذه منه ويعطيه لمن يقوم على رعايته بعد أن ينذره أولاً، ولا بد من الالتفات إلى أنه لا يجوز تشغيل الأطفال مطلقاً بدون إذن أوليائهم، كما أنه لا بد من ملاحظة الظروف الموضوعية التي قد تجبر الآباء على تشغيل أطفالهم لإعالتهم لأنهم لا يملكون القدرة على ذلك ولكن لا بد في هذه الصورة من مراعاة قدرتهم العادية على العمل بما لا يثقلهم.

طلب نجدة:

□ قامت مجموعة من أشخاص بضرب رفيق لي، وجاء إلى بيتي بعد أن شفي واستنجد بي من منطلق عرقي للأخذ بثأره من خصومه، فهل انجده؟ أم امتنع عن مساعدته فأكون جباناً؟

■ في أثناء الاعتداء عليه يمكن أن تنجده، ولكن إذا أراد أن يثأر بعد ذلك فلا دخل لك في ثأره، فالإمام الحسين عليه السلام يقول:

الموت خير من ركوب العار والعار أولى من دخول النار

فأن يكون عدم المساهمة في أخذ الثأر عاراً عليك أهون من أن تأثم، لأنه لا يجوز لك شرعاً أن تفعل ذلك، فالعار عار الآخرة وليس عار الدنيا، ويقال إن النبي صلى الله عليه وآله في آخر أيامه قال ((فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة)).

بيع الوردة للعاصين:

□ نحن في بلد أوروبي ويعمل بعض إخواننا في بيع الورود في أماكن اللهو وللمخمورين من مرتادي هذه الأماكن، فهل يجوز ذلك حيث يتعرض بعض هؤلاء للاستهزاء والسخرية؟ وهل يحرم ذلك بهذا العنوان؟

■ يجوز للإنسان أن يبيع ما يحلّ بيعه للعاصين وللمطيعين ولأصحاب اللهو ولغيرهم. نعم إذا كان الاستهزاء والسخرية يؤديان إلى هتك حرمة المؤمن فلا يجوز للمؤمن أن يعرض نفسه إلى هتك حرمة.

الفرق بين العادة والسنة:

□ كيف نميز بين العادة وبين السنة، فمثلاً كانت عادة العرب لبس العمامة فهل نعتبرها الآن من السنة؟

■ لا ليست سنّة، فلقد كانت عادة وما زالت عادة، فالعمامة زيّ من الأزياء لجماعة من الناس كما أنّ اللباس الآخر سواء البنطال أو غيره هو زيّ من الأزياء. فهذه عادة وليست سنّة، ذلك أنّ السنّة هي عبارة عن ما جاء الشرع باستحبابه، إمّا بالعنوان الأولي أو العنوان الثانوي.

القيود المفروضة على اللاجئ:

□ تفرض الحكومات الغربية على المهاجرين إليها قوانين وتشريعات يقبل بها المهاجر حتى يحصل على الحقوق والامتيازات التي تعطى له، فهل هذا عهد؟
■ اللجوء هو عهد بينه وبين أية دولة يلتجأ إليها، ولذلك لا بدّ له أن يفي بعهده إلّا فيما كان مخالفاً للشرع.

الوفاء أثناء عملية جراحية:

□ ما هو رأي الإسلام في مريض أجريت له عملية جراحية وتوفي أثناءها، هل تقع المسؤولية على الطبيب في ذلك؟
■ لا بدّ من دراسة المسألة دراسة وافية لنعرف هل أنّ الطبيب قصّر في ذلك أم لا؟ وهل كانت وفاته نتيجة خطأ الطبيب فيتحمّل مسؤوليته؟ أم أنّها قضاء وقدر والطبيب قد عمل كلّ ما بوسعه إلا أنّ المريض توفي نتيجة أن الدواء أو أنّ العملية لم تفلح في إنقاذه؟

استنساخ الأشرطة:

□ هل يجوز استنساخ الأشرطة من دون استئذان أصحابها؟ وهل هناك فرق بين أن يكون ذلك للتجارة أو للانتفاع الشخصي؟
■ لا يجوز لك أن تتصرف بالأشرطة المستعارة حتى للاستنساخ، نعم إذا فرضنا أنك أخذتها من ميكرفون أو جهات ليست ملك أصحابها فيجوز لمجرد الانتفاع الشخصي. أمّا استنساخها لغرض المتاجرة بها فلا يجوز إذا كان لها ثمن.

هل اللولب جائز؟

□ لقد قلتم بعدم جواز الاجهاض منذ تلقيح البويضة، ومن وسائل منع الحمل اللولب وهو يمنع تعشيش البويضة أي بعد الإلقاح، فهل إن هذه الوسيلة

جائزة شرعاً؟

■ لا يجوز إسقاط النطفة بعد استقرارها، واللؤلؤ يمنع استقرارها، فقبل استقرارها لا مانع من ذلك، ولكن لا يجوز الإسقاط بعد استقرارها، وهذا هو رأينا الفقهي من خلال دلالة الأدلة.

الكماليات والمشروبات الغازية الأمريكية:

□ لديكم فتوى بتحريم شراء البضائع الكمالية الأمريكية، فهل يحرم شراء المشروبات الغازية التي تنتجها الشركات الموجودة في الدول الإسلامية والعاملة بامتياز من الشركات الأمريكية مثل الكوكاكولا؟

■ إن مرادي من هذه الفتوى هو أن نحترم أنفسنا ونجعل العالم يحترمنا، فأمريكا كما ترون هي إسرائيلية أكثر من إسرائيل نفسها، فانظروا مثلاً أنه عندما جاء بوش هلك العرب وقالوا إنه ليس لليهود عليه جميل لأن اليهود كلهم انتخبوا (آل غور) لكنه حينما وصل إلى الحكم وقف بكل قواه مع إسرائيل وقال لشارون خذ فرصتك، وأخذ شارون فرصة ١٠٠ يوم من أجل أن يسقط الانتفاضة ولم يستطع فبعثوا مبعوثاً أقرب إلى الإسرائيليين منه إلى الفلسطينيين، وامتدت الانتفاضة وبدأ شارون يهتز في المجتمع الإسرائيلي لأن المستوطنين رأوا أنه لم يعمل لهم شيئاً ولم يوفر لهم الأمن، فبعثوا مندوباً من المخابرات المركزية الأمريكية لينقذ إسرائيل ولم ينفعهم بشيء. والآن يريدون بحسب ما نشر في الصحف إرسال وزير الخارجية (باول) من أجل أن يفرض وقف إطلاق النار على عرفات. فكل خطوات الإدارة الأميركية إذاً هي لحساب إسرائيل، ومع كل هذا الضرب وهذا القصف يريدون الآن أن يبيعوا إسرائيل (٥٠) طائرة فانتوم، و(الجماعة) يقفون مع إسرائيل التي تقتل كل الفلسطينيين وأطفالهم ونسائهم في كل يوم، ونحن رغم ذلك كله نبقى نشتهي (الكولا) و(السفن آب) وهذه البضاعة الأمريكية أو تلك، ولدينا من مشروباتنا الطبيعية ومنتجاتنا ما يعوّض ذلك، فلنكن أمة تحترم نفسها.

فالفتوى إنما صدرت في مقاطعة البضائع الأمريكية لأننا أردنا من خلالها أن نلحق ولو خسارة جزئية بأمريكا التي تتسبب في خسائر جسيمة بالنسبة

للمسلمين، فلو أن كل مسلم تسبب في خسارة أميركا ولو سنتاً واحداً لرأيتكم كيف تتضرر الشركات الأمريكية، لأن سياسة الإدارة الأمريكية بل العالم كله اقتصادية. وانظروا إلى موقف اليهود فإذا فرضنا انهم رأوا جريدة من جرائد أوروبا أو أمريكا اتخذت موقفاً حيادياً بينهم وبين العرب فانهم يقطعون كل أعانتهم عنها إلى أن تفلس الجريدة وتغلق أبوابها.

وقد سبق أن قلت لكم أن البعض يخرج في مظاهرة يردد (الموت لأمريكا) وهو يدخن (المالبورو) ويهتف (الموت لأمريكا) وهو يشرب (السفن آب) فليس الموضوع موضوع تحریم أو تحليل بل احترام امتك واحترام قضايك. ولكن مزاجنا للأسف أعظم من أمتنا وأعظم من حاضرتنا ومستقبلنا، ثم نقول لماذا انهزمتنا؟ ولماذا انتصرت اسرائيل؟.

التسمية بصفات الله:

□ هل يجوز شرعاً أن نسمي أسماء الأفراد والأشخاص بصفات الله مثل الحق والرحمن؟

■ الرحمن ليس اسماً مختصاً بل هو من صفات الله، ولكن لا يجوز التسمية بالأسماء المختصة بالله.

العمل في معامل مكدونالد:

□ هل يجوز العمل في (مطاعم مكدونالد) علماً أنها تقدم لحم الخنزير وهي أمريكية حيث أن المفروض بأن حكم المقاطعة يشملها؟

■ لقد قلنا إنه يجب - مهما أمكن - مقاطعة البضائع الأمريكية بالنسبة إلى من يبيع لحم الخنزير، ولكن الفتوى هي للعمال وليست للتجار الذين يبيعون لحم الخنزير لمن يستحلونه. فالجواز للعمال إذا كان هناك حرج عليهم، إما إذا لم يكن هناك حرج فعلياً - تجاراً وعمالاً - اتباع حكم المقاطعة.

في الطف بالله:

□ يعتاد الناس على الحلف بالله كثيراً ويشكل عضوي، فهل يترتب الأثر على هذا الحلف؟

■ إذا كان الحلف مجرد كلمة تدور على اللسان فهذا ليس يميناُ لأنه ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٤). ومع ذلك ينبغي على الإنسان أن يحارب هذه العادة السيئة في نفسه.

التدخين والتبويض:

□ هل صحيح أن هناك تغييراً في رأيكم عن التبويض بالنسبة للمدخنين من مقلديكم؟

■ ليس بهذه الدقة ولكنني أحببت النصيحة في ذلك، فأنا أريد أن أعين الإنسان المدخن على نفسه وذلك من خلال دراستنا للتقارير الطبية في العالم والتي خلاصتها أن التدخين يعرض الإنسان إلى التهلكة ولو في المستقبل، أي أنه قد يهيأ الرئة والحنجرة والفم للإصابة بالسرطان، حتى أن العالم يتجه لتحريم التدخين الآن في الأماكن العامة وفي الدوائر وفي الطائرات. والعلماء الذين يفتون بحلية التدخين لمجرد الضرر العادي يقولون إذا فرضنا أن الإنسان عرف بأنه سوف يكون معرضاً للإصابة بالسرطان ولو بعد عشر سنين فلا يجوز له أن يدخن ﴿وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٥) والتقارير الطبية تقول إن احتمال الإصابة بالسرطان ٥٠٪ فمع هذا الاحتمال يحرم التدخين ويصبح من إلقاء النفس في التهلكة، ليس أن تلقيها فعلاً بل أن تعرضها للتهلكة، وقد طلبت مني بعض وكالات الأنباء العالمية التعليق على موضوع التدخين فقلت لهم إن بعض الناس يقدم مزاجه على حياته فإذا قلت للمدخن أنك إذا دخنت فانك سوف تموت فإنه يقول لك: دعني أدخن ولأمت بعد ذلك. ومعنى ذلك هو عبودية العادة التي يقال إن من بين فوائد الصوم هو التحرر منها.

اليمين غير الراجح:

□ حلف رجل بالقرآن الكريم أن لا يعاشر زوجته لمدة عشرة أيام، فهل يعتبر حائثاً لو عاشرها قبل الانقضاء؟

(٤) البقرة: ٢٥٥.

(٥) البقرة: ١٩٥.

■ لو حلف بالله أنه يهمل زوجته فإنه يجوز أن يعاشرها ولا كفارة عليه لأنَّ اليمين لا بدَّ أن يكون راجحاً ويمينه أن يقاطع زوجته مع حاجتها إلى ذلك أو مع حاجته هو إلى ذلك ليس راجحاً، ولذا فلا قيمة ليمينه.

عدسات الزينة:

□ هل يعتبر استعمال المرأة العدسات الطبية زينة؟ وهل يعتبر استعمالها تبديلاً لخلق الله؟

■ ليس في ذلك تبديلاً لخلق الله، ولكن إذا كان يؤدي إلى عنصر الإثارة ويُطمع الذي في قلبه مرض فلا ينبغي لها ذلك. أمّا معنى تبديل خلق الله فالظاهر هو تبديل فطرة التوحيد ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾^(٦).

العمل في صناعة الكحول:

□ لي صديق يعمل في معمل لصنع الكحول ويدّعي أن لا فرصة أخرى له للعمل، فهل يجوز مزاولته مثل هذا العمل لاسيما وأن الذين يعرفونه لا يتعاملون معه؟

■ لا ترخيص في العمل بصناعة الخمر، ومن المستبعد أن تنعدم الفرص بحيث تنحصر في هذا العمل دون غيره، فلو بحث لوجد ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٧).

لبس المرأة للبنطال:

□ هل صحيح أنكم تجوزون لبس البنطال للنساء بشكل مطلق حتى لو كان مظهراً لمفاتنها؟

■ من قال إنّي قلت بذلك؟ فلقد قلت من هذا المنبر وفي الرسالة العملية وفي أجوبة الاستفتاءات إنني لا أستطيع أن أقول للمرأة أن تلبس البنطال أو لا تلبسه، وإنما أطرح القاعدة العامة وهي أن كلّ لباس مثير يصدق عليه ﴿فَيُطْمَعُ

(٦) الروم: ٣٠.

(٧) الطلاق: ٢-٣.

الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ^(٨). حرام ولا يجوز. وقد يكون البنطال في بعض البلدان مثيراً كما في الشرق ولكنه في الغرب قد لا يكون مثيراً، وحتى الثوب الذي يسمّى فستاناً قد تكون فيه صور وألوان زاهية وبتفصيل معين بحيث يصبح مثيراً في مكان وقد لا يكون في مكان آخر كذلك. فلا يمكن أن نضع لهذه المسألة خطوطاً تفصيلية، وإنما يرجع فيها للعرف العام، والقاعدة هي أن المرأة لا تخرج إلى الشارع أو إلى المجتمع المختلط كأنثى لتبرز مفاتها الأنثوية بل تخرج كإنسانة، كما أن على الرجل أن يخرج كإنسان لا يوحي إلا بالمعنى الإنساني فلا نريده أن يتخنّث ويخرج بطريقة مثيرة.

قطف الورد من الأشجار:

□ هل يحرم عليّ قطف وردة من الأشجار العامة الموجودة في الشوارع أو الأشجار التي يملكها الناس قرب منازلهم؟

■ أنت تسيء بذلك إلى الجمال، فليست المسألة مسألة حرام أو حلال فقد يكون ذلك حلالاً إذا كان من حق المرأة أن يأكلوا من ثمار الأشجار، فيمكن أن تشمّ الورد من دون أن تقطفه وأن تترك الشارع جميلاً.

الحدّ الشرعي للحية:

□ ما هو الحد الشرعي لطول اللحية، لأننا نرى بعض المشايخ لا يحلقون اللحية أبداً؟

■ ما زاد عن القبضة فهو في النار.

الزيادة في اللحية:

□ قرأت في (بيّنات) إذا زاد طول اللحية عن قبضة اليد فصاحبها في النار، فهل هذا صحيح؟

■ لا بل الزائد من شعر اللحية في النار وليس صاحبها.

هبة أعضاء الجسم:

□ هل يجوز هبة أعضاء الجسم بعد الموت؟

■ نعم يجوز بإيضاء الإنسان وذلك بأن يوصي بهبة أعضائه بعد الموت.

العمل في مستشفى مسيحي:

□ ما هو حكم العمل في مستشفى أمريكي خاص في إحدى دول الخليج، حيث توجد فيه كنيسة وأنجيل للتوزيع، ونحن لا نعلم أين تذهب أرباحه، وأما سبب العمل فيه فهو صعوبة إيجاد العمل؟

■ لا مانع من العمل فيه.

تذكية المسيحي:

□ هل يجوز للمسلم تناول اللحوم المشتراة من رجل مسيحي يتولى بنفسه عملية الذبح مع تعهده بذكر التسمية؟

■ المشهور بين علمائنا انه لا بد من أن يكون الذابح مسلماً حتى لو سُمّي، ولكن هناك رأياً آخر نستقره انه إذا ذبح على أصول الذبح وسمّي وعلمنا بالتسمية منه فذبحه صحيح، وإن كان الأحوط الترك.

لبس الرجل للقلادة:

□ ما رأيكم في لبس بعض الرجال للقلادة علماً أن بعضها يحمل بعض الآيات؟

■ ليس محرماً ولكن ليس مألوفاً.

توليد الطبيب:

□ هل يجوز للمرأة أن تلد عند طبيب في حالة عدم وجود طبية وكانت في حالة سيئة يخشى عليها؟

■ يجوز ذلك إذا كان الرجل أرفق بعلاجها من النساء.

الطاعة في الحجاب:

□ ماذا افعل في امرأة لا تطيعني في الحجاب؟ هل يجوز لي أن أطلقها؟ وكيف إذا كانت مسلمة أو كتابية؟

■ لا يجب عليك طلاقها، ولكن عليك أن تحاول بمختلف الوسائل أن تجعلها تلتزم بالحجاب. ولكننا ننصح المؤمنين عندما يقدمون على الزواج أن

يدرسوا الحالة بالطريقة الواقعية والموضوعية، فالزواج - كما ذكرنا أكثر من مرة - ثلاثة أرباعه عقل وربعه عاطفة.

مساعدة أب مدمن بشراء الدخان:

□ والذي يدخن ويأبى الترك بل ويطلب مني مبلغاً ليشتري به الدخان وإذا لم أعطه يغضب عليّ، فهل يجوز لي ذلك لكسب رضاه؟

■ يجوز لك أن تعطيه المال لهذا الغرض. ويبدو أن السائل يتحدث عن ذلك باعتبار أننا نفتي بحرمة التدخين لأنه مضرّ وكلّ ما يضرّ الجسد فهو حرام، بل إنّ تقارير الأطباء توحى بأنّ التدخين يعرّض الإنسان للتهلكة لأنّه يهيء الجسم للسرطان. ولقد قرأت أنّ الأطباء اكتشفوا أنّ التدخين يعطل طاقة الإنجاب عند المرأة خاصة الحوامل «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا»^(٩). فالتدخين ضرره أكثر من نفعه وهو حرام أمّا أن تعطي لأبيك مالاً ليشتري دخاناً فقد يكون مقلداً لمن يرى حليّة التدخين فلا إشكال في ذلك.

التدخين والتبويض:

□ هل صحيح أنكم تجوزون التبويض بالنسبة لفتواكم في حرمة التدخين؟

■ لا ننصح بذلك، خصوصاً أنّ العلماء المراجع لو اطلعوا على ما يقرره الأطباء في العالم لأفتوا بحرمة لأنه يعرّض الإنسان للتهلكة.

اليانصيب ليس قماراً:

□ ما هي وجهة النظر الشرعية في بطاقات اليانصيب في الدول الغربية؟

■ هناك من العلماء من يحرمون اليانصيب ويعتبرونه نوعاً من القمار، لكننا وفاقاً لبعض العلماء الآخرين لا نراه من القمار وإنّما نراه نوعاً من القرعة ولا نفتي بحرّمته.

هل الأوروبي كافر حربي؟

□ هل بالامكان اعتبار الدول الأوروبية والإنسان الأوروبي كضاراً حربيين؟

■ يمكن اعتبارهم كفاراً ولكن ليسوا حربيين، فلقد أعطوكم لجوءاً ومالاً وحماية، لقد احتضنوكم على أحسن ما يرام فأية دولة عربية مستعدة أن تعطىكم لجوءاً؟ بل أية دولة إسلامية مستعدة أن تعطىكم لجوءاً، كما يفعلون؟ واللّه سبحانه وتعالى يقول وهو أصدق القائلين «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»^(١٠). أي يجب أن تحسن إليه وأن تعدل ومن العدل أن لا تأكل ماله، ولذا نقول كما أنّ مال المسلم حرام على المسلم فكذلك مال المسالم الكافر حرام على المسلم. وأمّا هذه الفتاوى التي تكفر هؤلاء وتعتبر أموالهم ودمائهم حلالاً، فهذا ليس من القرآن ولا من السنّة في شيء، فهناك من يصدر الفتاوى ليجعل المهاجرين حرامية شرعيين.

نحن نرى أن الله سبحانه وتعالى قد ذم اليهود بخيانتهم للأمانة «وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَيْدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ»^(١١). والأُمِّي عندهم غير اليهودي، فكل من ليس يهودياً فإنّ دمه وماله وعرضه حلال وكذلك الحال عند البعض من المهاجرين.

وإذا كنّا نستحل أموال غير المسلمين فما الفرق بيننا وبينهم؟

السخرية من الحجاب:

□ أعيش في دولة أجنبية وزوجتي تطلب مني العمل لمساعدة أهلها أو

لمساعدة وضعنا الاقتصادي ولكنني أرفض ذلك بسبب الوضع الاجتماعي لذلك المجتمع الذي يسخر من المرأة العاملة المحجّبة، فماذا أفعل؟

(١٠) الممتحنة: ٨.

(١١) آل عمران: ٧٥.

■ إذا لم يكن هناك ما يتنافى مع حجابها ودينها فلا مانع، وإذا وجد العمل المناسب فلا يحرم الاستجابة لها في ذلك.

التبرع بأحد الأعضاء قبل الوفاة:

□ هل يجوز لشخص أن يعطي أحد أجزاء جسده قبل الوفاة بلحظات؟
 ■ يجوز له أن يوصي بذلك قبل الوفاة، فإذا كان المراد من الوفاة توقّف نبضات القلب مع موت الدماغ فيجوز التبرع قبل الموت، إلا إذا كان هذا العضو حيويًا بحيث يؤدي إلى الوفاة فلا يجوز.

الشك في أشرطة:

□ أرجو بيان رأيكم بخصوص بعض الأشرطة التي تباع في المحلات وهي عبارة عن أناشيد ولكن طريقة تسجيلها هي نفس الطريقة المغناة؟
 ■ إذا كان غناء محرّمًا فلا يجوز، أمّا إذا كان غناء محللاً أي إذا كان مضمونه حقاً وكان لا يثير الغرائز فلا مانع.

الحد الشرعي لستر الوجه:

□ ما هو الحد الشرعي لستر الوجه بالنسبة للمرأة، هل بمقدار المساحة لغسلها بالوضوء أم مقدار أكبر وخصوصاً في منطقة الذقن؟
 ■ الحدّ بمقدار المساحة الواجبة وعدم دخول ما زاد على ذلك من الذقن تحت الرقبة.

مسابقة المليون والعاء الشباب:

□ بخصوص فتوى المفتي في مصر حول مسابقة (من سيربح المليون) وتحريمها، ألا يمكن التحريم من الباب الثانوي باعتبار أنّها ملهاة للشباب عن دينهم كما في لعبة كرة القدم؟

■ هذه المسابقة - وربما لها نظائر - فيها فائدة للناس لمعرفة الكثير من الأشياء وليس فيها شيء مضرّ أو محرّم، وحتى كرة القدم فهي ليست لإشغال الشباب بل فيها فائدة جسدية كما في كلّ أنواع الرياضات، وقد ورد في الحديث ((رُوحُوا الْقُلُوبَ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ)) نعم إذا استغرقت وقت الإنسان كلّهُ وانفق

عليها أمواله كلّها فسيكون هناك عنوان ثانوي.

الطعام المشكوك به:

□ هل يجوز أكل الطعام المشكوك باحتوائه على دهن حيواني غير مذكّى، وهل يجب السؤال والتحقيق من ذلك مثل البيتزا والبوظة والحلوى؟
■ كلّ شيء لك حلال حتى تعلم أنه حرام بعينه فتدعه، نعم، إذا صار عند الإنسان طمأنينة بالحرمة فلا يجوز مع الشك.

وضع الورود على القبور:

□ هل وضع الورود على القبور جائز أم حرام؟
■ ليس محرماً، ولكن ليس ضرورياً، لكن إذا كان ذلك مظهر تكريم أو مظهر عاطفة فليس محرماً ولا مانع فيه.

العمل مع اليهود:

□ نحن المغتربون في أوروبا نجد صعوبة في العمل مما يضطر البعض منا العمل عند أرباب العمل الذين أكثرهم من الطائفة اليهودية، فهل في هذا إشكال شرعي؟

■ في حالات الضرورة القصوى يجوز ذلك ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(١٢). لكن الأفضل للإنسان أن يطلب العمل في غير هذه الأماكن.

العمل بعكس الاستخارة:

□ استخرت الله مرتين واضطرت للعمل بعكسها نزولاً عند إلحاح زوجتي، فما حكم من يعمل بعكس الاستخارة، وهل عليه كفارة؟
■ ليس في الاستخارة حلال وحرام، فليس معنى أن مخالفة الخيرة إذا كانت جيدة حرام، فالاستخارة نصيحة، فأنت تستصحب الله تعالى، وقد يقول لك إن فيما تريده شراً أو خيراً وذلك مثل نصيحة الطبيب، ولا كفارة فيها.

مخالفة القوانين العامة:

□ المعروف أنه لا يجوز مخالفة القوانين العامة، فهل أن قانون المرور لا يجوز مخالفته؟ وبما أن قانون السرعة التابع لقوانين المرور يجوز لي مثلاً أن أسوق في الشارع بسرعة (٧٠-٨٠) كم في الساعة، فهل يمكن أن أزيد من سرعتي؟

■ هذه القضايا يراد تنظيمها من جهة حفظ النفوس، فإذا قننت السرعة بـ (٧٠-٨٠) كم في الساعة فربما إذا زدت من سرعتك تصطدم بإنسان أو سيارة أخرى، ولذلك فالغاية التي تتصل بحفظ أرواح الناس وبالسلامة العامة لا بد من التقيّد بها.

إنجام الطلبة بالغش:

□ أدرّس في القطاع الحكومي والقطاع الخاص الأهلي، وفي هذا القطاع تكون نسبة النجاح ٧٥٪ والمفروض أن تكون صفراً وسبب اضطرارنا إلى إنجاح الطلبة هو أن إدارة المعهد تريد ذلك حتى أبقى معهم في العمل مما يضطرني إلى تنجيج كل الطلبة عن طريق الغش والخداع، فهل هذا جائز؟

■ لا يجوز ذلك لأنك تسيء بذلك إلى الطلاب وإلى الناس وإلى حرمة مهنة التعليم.

العدول والتدخين:

□ أودّ العدول وتقليدكم ولكن هناك عقبة فأنا ادخن، فهل يجوز ذلك عندكم؟

■ لا يجوز ذلك عندي، ولكن مع نصيحتي أن لا تدخن تقدر أن تبقى على تقليد من كنت مقلداً له في هذه المسألة ولا أنصح بذلك. لأن التدخين يدور الأمر فيه بين أن تحافظ على مزاجك أو حياتك. فبعض الناس يبلغ إدمانه للتدخين درجة غير معقولة، فقد سأل أحدهم الطبيب إذا دخنت فكم سأعيش؟ قال له: تعيش ستة أشهر، فقال له: إذا لم أدخن؟ قال: سنة. قال: لا أريد ستة أشهر بدون تدخين! فهل هذا معقول؟ إن هناك إجماعاً لدى أطباء العالم أن التدخين مسؤول عن سرطان الرئة وسرطان الفم والحنجرة، وهو نوع من إلقاء النفس بالتهلكة.

فرض الرأي على البالغة الرشيدة:

□ ما هي حدود فرض الأبوين لرأيهما على الفتاة البالغة العاقلة الرشيدة، وهل يجوز مخالفتها في أي أمر يتعلق بها؟

■ قلنا دائماً إن الواجب هو الإحسان إلى الوالدين وليس إطاعة الوالدين، وهذا أيضاً هو رأي السيد الخوئي رحمته الله تعالى يقول «وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» ^(١٣). ثم أن الوالد والوالدة ليسا مشرّعين ولكن ينبغي التعامل معهما بالحسنى «إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا» ^(١٤).

تقديم البضائع الأميركية:

□ حرّمتم شراء البضائع الأميركية فلو قدّم لنا صديق بعضاً من تلك البضائع، فهل يجوز الأكل أو الشرب منها؟

■ هذا غير مشمول بالمقاطعة، ولكن علينا أن ننكر على هذا الصديق ذلك بأن نعمل على توعيته سياسياً واقتصادياً على طريقة «وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ» ^(١٥).

العمل في شركة أميركية:

□ أعمل في شركة أميركية في بريطانيا في الهواتف النقالة، فهل في عملي هذا أي دعم لأمريكا؟

■ إذا كنت محتاجاً لهذا العمل، وكان تركك له يؤدي إلى حرج في حياتك فلا مانع من بقائك فيه.

القرعة والاستخارة:

□ جاء في كتابكم (من وحي القرآن) أن القرعة عبادة وابتهاال، فما هو الفرق بينها وبين الاستخارة؟

(١٣) البقرة: ٨٣.

(١٤) الإسراء: ٢٣.

(١٥) العصر: ٣.

■ في القرعة حينما يكون هناك اكثر من خيار يرجع الأمر إلى الله ويطلب منه سبحانه وتعالى أن يختار له ما فيه صلاحه، والاستخارة تقريباً مثل القرعة ولكن طريقتها تختلف.

الغاية من دخول الحوزة:

□ أريد الدخول إلى الحوزة وفي نيتي بالدرجة الأولى الراتب الشهري وفي الدرجة الثانية دراسة علوم أهل البيت ﷺ فما هو الحكم الشرعي في ذلك؟

■ إنَّ الحوزة ليست للعاطلين عن العمل من أجل أن يحصلوا على الراتب بل الحوزة لمن يكون همّه بالدرجة الأولى الدراسة. ثم بعد ذلك قد يحصل على المساعدات وقد لا يحصل.

حضور الأعراس التي فيها محرمات:

□ في إطار العلاقات الاجتماعية الواجب علينا التأثر بها إيجاباً، هل من الأفضل حضور إخواننا وأقربائنا في الأعراس التي تُشرب فيها المسكرات ويستمعون فيها إلى الغناء، أم الأفضل الاعتذار؟

■ عليكم أن تعتذروا عن الحضور، وإذا أمكن أن تأمروهم بالمعروف فهو أفضل، فالعلاقات الاجتماعية تبنى في غير معصية الله.

خدمات أجنبيات في بيوت المسلمين:

□ هل يجوز لنا إدخال خدمات أجنبيات إلى بيوت المسلمين؟

■ هذا يختلف بحسب اختلاف التقليد، فالخادمة إذا كانت كتابية وكنت تقلّد شخصاً يقول بطهارة الكتابي والناس الذين يدخلون إلى بيتك يأكلون من يدها وهم يقلدون من يقول بطهارة أهل الكتاب، وإذا كنت كذلك لا تخاف على أولادك وعلى بيتك من الناحية الأخلاقية، فلا مشكلة. أمّا إذا كنت تقلّد من يقول بنجاسة الكتابي فأنت تأتي بالنجاسة نجاسة العين إلى بيتك، والناس الذين يدخلون إلى بيتك يقولون أيضاً بالنجاسة فلا يجوز أن تقدّم لهم شيئاً من يدها، فعلى الانسان ان يدرس الموضوع جيداً قبل الاقدام عليه.

تعاطي المخدرات:

□ مسلم شيعي في أوروبا ملتزم بدينه من كل النواحي ولكنه يعاني من مرض تدخين نوع من أنواع المخدرات أثناء الليل ويتركها تارة ويرجع تارة، فماذا تقولون له؟

■ يحرم استعمال المخدرات بكل أشكالها، ولذلك يجب عليه أن يتركها ويستعمل إرادته من ناحيتين: أولاً، من ناحية حرمتها في ذاتها، وثانياً، من ناحية النتائج السلبية على صحته وعلى حياته.

ما يجوز إظهاره من الوجه:

□ ما هي حدود الوجه الذي يجوز للمرأة ان تظهره؟
■ الوجه الطبيعي الذي يغسل بالوضوء.

استخدام العلكة التي فيها نيكوتين:

□ تحرّمون التدخين ولكن ما رأيكم باستخدام اللبان أي العلكة التي تحتوي على نيكوتين سبيلاً للإقلاع عن التدخين؟

■ إذا كانت هذه العلكة مضرّة كضرر التدخين فهي محرّمة، فنحن إنّما حرّمنا التدخين لضرره «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا»^(١٦). وهذه قاعدة فقهية، فكلّ ما كان ضرره أكبر من نفعه فهو حرام. وقد لا يكون الضرر آنياً بل ربّما يتبين بعد خمس سنين، وقد يضعف مناعتك وربما تصاب بالسرطان والمضرّ مضرّ بحسب طبيعته حتى في بعض الحالات، فربّما تكون عندك مناعة في بعض الأوقات لكنّ هذه المناعة تضعف الى ان تذوب. وهناك بيت من الشعر يقول:

لا تقطعن ذنب الأفعى وتتركها إن كنت شهماً فألحق رأسها الذنبا
فإذا كانت عنده إرادة قوية فليقلع عن ذلك.

قصة الشعر الرجالية للمرأة:

□ هل يجوز للمرأة أن تقصّ شعرها مثل الرجل؟

■ لا مانع من ذلك فليس محرماً في ذاته وهذا لا يسمّى تشبهاً بالرجال، كما يجوز أن يطيل بعض الشباب شعرهم فليس محرماً في ذاته.

التشبه أثناء التمثيل:

□ نحن مجموعة من النساء نقوم في يوم الأربعاء بعمل تمثيلية في مجلس يزيد ومع وضع الماكياج نلبس لباساً نبدو فيه كالرجال وهذا للتمثيل، ولكن بعض الأخوات يقلن إن هذا حرام، فهل هذا صحيح؟

■ ليس محرماً فالمحرّم هو التشبه بالرجال إذا كان لباساً طبيعياً، وأمّا إذا فرضنا أن ذلك من أجل التمثيل في حالة معينة، أو كانت هناك مصلحة فلا مانع من ذلك، كذلك الأمر بالنسبة للرجل فلو فرضنا أنه يريد أن يمثل دور امرأة ولا توجد امرأة ويحتاج إلى رجل فانه يمكن أن يلبس ثياب امرأة ويتحرك حركة المرأة.

منع الأب لابنته عن الإنجاب:

□ هل من الممكن أن يمنع الأب ابنته من الإنجاب لخلاف بين الأب والزوج؟

■ لا سلطة للأب على ابنته إذا كانت بالغة رشيدة لا قبل الزواج ولا بعده فالواجب على الابنة الإحسان للأب، أمّا طاعة الأب خصوصاً في هذه المسألة فغير واجبة بل يحرم على الأب أن يضغط على ابنته في الامتناع عن الإنجاب مهما كانت الأسباب فلقد صارت زوجة لإنسان تتشاطر معه المسؤولية في ذلك، أما مسؤولية الأب عن ابنته بحسب العلاقة الشرعية الجديدة فإنه كمن يمنع بنت الجيران من أن تتجب من زوجها، ففي هذه الحالة لا سلطة للأب على ابنته.

أمّا الخلاف بين الأب والزوج فيمكن حلّه بطرق أخرى غير هذه.

ارتداء الخمار:

□ أنا أعيش في بلد يرتدي الخمار فارتديته احتراماً للعرف السائد في ذلك البلد، فهل يجوز أن أخلع الخمار عند الذهاب إلى بلد آخر؟

■ إن أغلب فتاوى المراجع المعاصرين - بما فيها رأينا الفقهي - ترى أنّ للمرأة أن تظهر وجهها وكفيها سواء في بلدها أو غيره. فلها أن تخلع الخمار على

أساس ذلك عندما تزول الموانع الاجتماعية مع الالتزام بالحدود الشرعية.

ارتكاب الحرام بعد القسم:

- شخص عمل عملاً حراماً وهو يعرف بأنه حرام وأقسم على أن لا يعود إلى ذلك العمل ولكنه عاد له بعد القسم الشرعي، فما هو العمل؟
- عليه أن يدفع كفارة، وأن يستغفر الله، ويتوب من ذلك.

الحكم بين متخاصمين:

- عندما يطلب من عالم أن يحكم بين اثنين، وكان أحد هذين المتخاصمين ثقة عند ذلك العالم، فهل يكفي للشخص الذي يحكم بين هذين المتخاصمين القول بأن فلاناً خصمك هو ثقة عندي ولا أصدق كلامك، أم في الحكم لابد من القضاء؟
- لا علاقة للثقة في ذلك فلا بد أن تقضي بالبينات والأيمان، أي يجب أن يسمع الحاكم البينة أو اليمين حتى لو كان الخصم من أفضل الناس والخصم الآخر من أشقى الناس، فالقضية تخضع لوسائل الإثبات في الحكم وليس للمزاج أو المحسوبيات والمنسوبيات.

تسمية مطعم باسم أميركي:

- أعيش في أميركا وأود أن أعرف هل يجوز شراء مطعم يحمل اسم شركة أميركية كبيرة تملك أكثر من (١٨٠) مطعمًا لنفس النوع، علماً أنهم يأخذون نسبة من الأرباح حفاظاً على الاسم ومن أجل الدعاية للمطعم بشكل مستمر، كما أن المطعم يبيع مختلف الأغذية بما في ذلك لحم الخنزير، فهل يجوز شراء المطعم وبعد ذلك نحذف بيع لحم الخنزير من القائمة؟
- في أميركا تختلف الأمور، لأنّ البضائع هناك كلّها أميركية، والكلام في مقاطعة البضاعة الأميركية خارج أميركا، أمّا بالنسبة إلى لحم الخنزير فقد قلنا إنّّه يجوز بيعه لمن يستحلّه - على رأينا - لكنّ شراءه محل إشكال عندنا.

شجار حول الغناء:

- زوج يطلب من زوجته سماع الأغاني ومشاهدة التلفاز وهي تعلم أنّ هذا حرام وتريد قراءة الكتب الدينية وهو دائم الشجار معها لهذا السبب، فما هو

واجبها؟

■ لا يجب عليها إطاعة زوجها في هذا الأمر ((لا يطاع الله من حيث يعصى))^(١٧) لكن عليها أن ترى بعض الأفلام التي ليس فيها محرّمات أو ما أشبه ذلك، أو تستمع إلى بعض الموسيقى التي ليس فيها حرام، وتحاول أن تواجه ظروفها بطريقة لا تعصي الله فيها وتستطيع أن تعيش من خلالها بسلام مع زوجها.

إعالة أولاد الخال:

□ أنا شاب ولي أولاد خال قصّر، هل تجب عليّ إعالتهم إذ لا أحد لهم

غيري؟

■ لا يجب عليك ذلك، ولكن يستحب ذلك، لأنّه من صلة الرحم.

قراءة الروايات الضعيفة:

□ بعض الكتب تحتوي على روايات ضعيفة، هل يجوز تداولها؟

■ نعم يجوز ذلك، إلّا إذا كانت تصل إلى حدّ التضليل بشكل خطر.

التبرّج حرام مطلقاً:

□ سبق أن ذكرتم بأنّ للعرف دخلاً في تحديد موضوع الحكم الشرعي،

فالمرأة المتبرّجة في مكان قد لا تعتبر متبرّجة في مكان آخر نظراً لاختلاف الأعراف بين المنطقتين، فكيف ذلك؟

■ لم أقل ذلك، إنّما قلت بعض اللباس قد يُعتبر تبرّجاً في مكان ولا يُعتبر تبرّجاً في مكان آخر، فالتبرّج واحد في حدود ما رسمه الشارع ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(١٨)، فيحرم التبرّج في أي مكان. نعم هناك ما ليس واجباً كما في بعض أنواع الحجاب، فقد يكون للعُرف نظر في اعتبار هذا أو ذاك حجاباً كاملاً أو لا، لكن هذا أمر آخر، وقد قلنا إنّ كلّ ما يُعدّ من الملابس المثيرة فهو من التبرّج، ولو كان ساتراً للبدن والجسد.

(١٧) البحار. ج. ٤. ص ٢٣٤. ب. ٢٣. ح. ٩.

(١٨) الأحزاب: ٣٣.

مخالطة غير المسلم:

□ إلى أي حد يمكن مشاركة غير المسلم إذا كان من الجيران في السكن، خصوصاً إذا كان ذا عيال، هل يجوز الأكل معهم أو أكل طعامهم؟

■ إذا قلنا بطهارة غير المسلم مطلقاً، فإنه يجوز الأكل معهم إذا لم يشتمل طعامهم على محرّم كلحم الخنزير أو الميتة، وقد يُعدُّ من الإحسان إلى الجيران، ما لم يؤدَّ إلى الضلال والانحراف.

وجوب حفظ النظام:

□ تفتنون كثيراً بناءً على قاعدة (وجوب حفظ النظام العام)، فهل حماية البيئة هي مما يتعلّق بوجوب حفظ النظام العام للمجتمع، فتصبح واجبة شرعاً، وألا تعتبر قاعدة (وجوب حفظ النظام العام) قاعدة مطاطة قابلة لتعدد التفسيرات والتساؤلات، فيصعب عند ذلك التأسيس الفقهي عليها؟

■ نعم، لا يجوز الإخلال بالبيئة، لأنّ ذلك مما يوجب الإضرار بالآخرين على مستوى الصحة أو بما يلحق الإضرار بالأموال الخاصة، أو الأملاك العامة كذلك. ولذلك لا يسوغ حرق الدواليب مثلاً بعنوان الاحتجاج مجرداً، أو إلصاق الإعلانات على أملاك الغير بدون إذنه، أو إلقاء الأوساخ مما يعرّض الصحة العامة للنّاس إلى الخطر، أو إلقاء السموم في الأنهار أو البحار وغير ذلك، أو الصيد في أوقات تكاثر الحيوانات والأسماك.

وأما دعوى أنّ قاعدة حفظ النظام مرنة تخضع لتعدد التفسيرات، فذلك لا يمنع من الرجوع إليها، لأنّ تحديد ذلك من الأمور التي يتوقف عليها حفظ النظام أو لا، مما يرجع إلى أهل الخبرة.

الدُّعاء لأمر دنيوي:

□ نحن نعلم أنّ المؤمن عندما يدعو ربّه في الدُّنيا إمّا أن يُستجاب له في الدُّنيا أو لا يُستجاب له في الدُّنيا، فإنّ الله سبحانه وتعالى يستجيب له في الآخرة، فكيف إذا كان الدُّعاء لأمر دنيوي؟

■ أنت عليك أن تدعو ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١٩) ولكن بشرطها وشروطها كما يُقال. ومن شروط الدعاء التوفر على العناصر الروحية المطلوبة، من خلال الإخلاص والانقطاع إلى الله، فلا تكون قراءة الدعاء مجرد طقس نريد الانتهاء والفراغ منه كيفما كان وبأسرع وقت. كما نقرأ دعاء كميل مثلاً. ونحن نعدُّ صفحاته لنرى متى ينتهي ..!!

ومن شروط الدعاء أن تكون صادقاً مطيعاً لله تعالى، فليس من المعقول أن تدعو الله بلسان تعصي الله فيه بفحش وسبّ وشتم وتطاول على الآخرين. هذا فضلاً عن أن يكون الدعاء منسجماً مع القوانين والسنن الكونية، فلا يعقل أن يرزقك الله بولد في ليلة أو يوم، إلا أن يكون ذلك من باب المعجزة، وهذا مما يرجع إلى الله تعالى.

جهاد المرأة:

□ ما هي المواقع المشروعة للجهاد بالنسبة للمرأة جهاداً بالنفس؟
 ■ من حيث المبدأ لا يجب الجهاد بالنفس على المرأة في الحالات الطبيعية، ولكن مع ذلك فقد كانت النساء يخرجن مع رسول الله ﷺ ليداوين الجرحى وليسقين العطشى، ولكن قد يجب عليهن الجهاد بالنفس وحمل السلاح في حالات النفير العام والدفاع عن الإسلام وعن الحرمات.

كشف السرّ للطبيب:

□ ارتكبت ذنباً وأدّى بي في طول الوقت لأضرار جسدية ونفسية، وأنا الآن قد تبت، فهل يحقّ لي كشف ذلك السرّ للطبيب وإخباره عن سبب المرض الذي يرجع إلى الذنب؟

■ إذا كانت معرفة الطبيب للمرض متوقفة على ذلك فيجوز كشفه للطبيب.

ارتداء المانتو:

□ ارتداء (المانتو) مع ستر الرأس والرقبة هل يعتبر حجاباً كاملاً؟
 ■ إذا كان بحسب لونه وتفصيله لا يخلق عنصر إثارة فهو حجاب ولا

يسعنا أن نميز هذه الأمور بل يرجع فيها للعرف العام، وقلنا مراراً إن هناك حجاباً مادياً وهو ستر الجسد، وحجاباً معنوياً وهو أن لا يشتمل اللباس على عنصر الإثارة ((فيطمع الذي في قلبه مرض)).

المكياج والتبرج:

- استعمال المكياج هل يعتبر من التبرج؟ وماذا لو كان غير واضح؟
- نعم هو من التبرج إذا كان واضحاً بحيث يظهر على وجه المرأة، وأما إذا كان غير واضح للمرأة فليس من التبرج.

النظر للجنسين:

- هل يحرم مطلق النظر بالنسبة لنظر الرجل للمرأة وبالعكس؟ أو يحرم النظر بالشهوة وبالتأمل؟
- النظر إلى غير الوجه والكفين من المرأة أو غير ما اعتيد كشفه للرجال حرام، وأما الوجه والكفين من المرأة أو ما اعتاد الرجال كشفه فإنه يجوز النظر إليه بشرط عدم الشهوة.

التعرض لصديق:

- إذا احتجت إلى مال وطلبته من أحد الأصدقاء فلم يستجب لي، وقد دعاني ذلك إلى القول فيه بمكروه هل علي ذنب، خاصة وأنه لا يجب عليه مساعدتي؟
- نعم عليك ذنب، لأنه قد لا يملك المال، أو لأنه لا يثق بأنك تفي الدين، فعلى أي أساس تتكلم عليه.

نذر الولد:

- هل يجب على كل شاب أن يطلب الإذن من والده إذا أراد أن ينذر نذراً؟
- لا يجب ذلك.

الاكل من المنذور:

- نذرت نذراً وقلت في نيتي إذا تم هذا الأمر فالنذر لأهل الله هل يجوز

لي أن آكل من هذا النذر؟

■ جواز الأكل وعدمه يرتبط بالنية، فإذا كنت نويت جواز الأكل لنفسك جاز مثلاً ذلك، بمعنى أنك مشمول بالنذر، وإلا فلا.

الفهرس

سابعاً: المسؤولية السياسية..... ٨٣
جدول إحصائي بمحاضرات ومسائل (ج) ٩٧

باب المحاضرات

المحاضرة الأولى:

في عيد الغدير علي ؑ الإسلام كله . ٩٩

- ١٠١..... علي ؑ الإسلام كله
- ١٠٢..... علي ؑ السبّاق دوماً
- ١٠٣..... علي ؑ الحق كله
- ١٠٣..... علي ؑ إنسان الله
- ١٠٥..... علي ؑ نفس رسول الله ؑ
- ١٠٦..... علي ؑ الإخلاص كله
- ١٠٨..... علي ؑ الروح السمحاء
- ١١٠..... علي ؑ مائى المرحلة
- ١١١..... رائد الوحدة الإسلامية

المحاضرة الثانية:

مشكلة التقليد ١١٣

- ١١٥..... مشكلة التقليد
- ١١٦..... البحث عن الاستقلالية
- ١١٧..... تقليد المترفين
- ١١٨..... إتباع الظن
- ١١٨..... التبعية كما وردت في الأحاديث
- ١٢٠..... تبعية العوام
- ١٢٢..... خداع الظاهر
- ١٢٣..... التحرر من التبعية

المحاضرة الثالثة:

في ذكرى وفاة الإمام الحسن ؑ :

أسلوب التعامل مع الخصم ١٢٧

- ١٢٩..... ذكرى وفاة الإمام الحسن ؑ

المقدمة

(موقع السياسة من الندوة) ٥

- ٨..... أولاً: الثقافة السياسية
- ٨..... ١. الدروس المستفادة من معركة الخندق
- ٨..... ٢. منهج الإمام علي ؑ السياسي
- ١٢..... ٣. الواقعية السياسية
- ١٣..... ٤. العلاقات السياسية
- ١٦..... ٥. المعيار في نجاح وفشل الثورات
- ١٦..... ٦. الإسلام و(الإرهاب)
- ٢٧..... ثانياً: الواقع السياسي الإسلامي
- ٢٧..... ١. نظرة داخل الواقع الإسلامي
- ٣٢..... ٢. إخفاء نقاط الضعف وعدم الاعتراف بها
- ٣٣..... ٣. واقع القيادات السياسية
- ٣٥..... ٤. مأساة الشعب العراقي
- ٤٠..... ثالثاً: القضية الفلسطينية
- ٤٠..... أ. الصراع العربي - الصهيوني
- ٤٣..... ب. الصلح مع الصهاينة
- ٤٦..... ج. المقاومة الإسلامية في لبنان
- ٤٩..... د. الانتفاضة الفلسطينية
- ٥٩..... رابعاً: الصحوة الإسلامية
- ٦٢..... عراقيل في طرق الصحوة
- ٦٣..... وسائل المحافظة على الصحوة
- ٦٦..... خامساً: الاستكبار العالمي
- ٦٦..... ١. نظرة في السياسة العالمية
- ٦٨..... ٢. مشاريع العالم المستكبر
- ٦٩..... ٣. المكر الاستكباري
- ٧٣..... ٤. التحديات الكبرى
- ٧٥..... سادساً: المشاكل السياسية
- ٧٥..... ١. مشكلة الحياد
- ٧٨..... ٢. مشكلة الاستضعاف
- ٨٠..... ٣. مشكلة العزل السياسي

الإيمان والصلاة.....	١٧١
الإيمان والإنفاق.....	١٧٢
الإيمان والصدق.....	١٧٣
الإيمان والعلاقة بالآخرين.....	١٧٣

المحاضرة السابعة:

عناصر الإيمان في شخصية المؤمن ١٧٧

الالتزام بأوامر القيادة الشرعية.....	١٧٩
الصبر على الأذى.....	١٨٠
المنافقون كطابور خامس.....	١٨٢
الإيمان التزام كله.....	١٨٣
طاعة الرسول ﷺ.....	١٨٥
الاحتكام إلى الرسول ﷺ في المنازعات.....	١٨٦
الإيمان والحرية.....	١٨٦

المحاضرة الثامنة:

فني ذكرى مولد الرسول ﷺ:

علي ﷺ يعرف بالنبي ﷺ ١٩١

تجربة الطفولة الأولى.....	١٩٣
الرسول ﷺ قبل البعثة.....	١٩٥
من معجزات النبي ﷺ.....	١٩٧
في بعثة النبي ﷺ.....	١٩٨
الداعية الدائب الحركة.....	١٩٩
الصلاة على النبي ﷺ.....	٢٠٠
زهد النبي ﷺ.....	٢٠٢
أصحاب الرسول ﷺ.....	٢٠٥
مثل آل محمد ﷺ.....	٢٠٧
علي ﷺ المؤهل للخلافة.....	٢٠٨

المحاضرة التاسعة:

فني مدرسة الإمام علي ﷺ (١)

مسؤولية الحفاظ على التوازن الاجتماعي ٢٠٩

حفظ التوازن الاجتماعي.....	٢١١
الغدر في الأحاديث الشريفة.....	٢١٢
الوفاء بالعهد.....	٢١٤
لا يجوز الغدر حتى بغير المسلمين.....	٢١٥

الشخصيتان الحسينية والحسينية.....	١٢٩
كتاب الحسن ﷺ إلى معاوية.....	١٣٠
السلام على المنحرفين.....	١٣٠
إقامة الحجّة.....	١٣١
إيجابيات الخصم.....	١٣٣
الإمساك عن النزاع.....	١٣٤
نقد معاوية.....	١٣٥
الخلافة عند آل البيت ﷺ.....	١٣٧

المحاضرة الرابعة:

شروط الانتماء إلى الإسلام ١٣٩

الانتماء إلى الإسلام.....	١٤١
نفي الانتماء.....	١٤٢
الانتماء محاسبة.....	١٤٢
الانتماء ضبط النفس عند الغضب.....	١٤٣
الانتماء صحة حسنة.....	١٤٦
الانتماء أخلاق.....	١٤٧
الانتماء مرافقة وجوار.....	١٤٧
الانتماء مسؤولية اجتماعية.....	١٤٨

المحاضرة الخامسة:

المفهوم الأصيل للإيمان ١٥١

تتمة البحث.....	١٥٣
الإسلام باللسان.....	١٥٣
إحصاء العثرات.....	١٥٤
خيانة الأمانة.....	١٥٦
الغش.....	١٥٨
التقدير على العيال.....	١٦٠
الجار الجائع.....	١٦١
الإضرار بالآخرين.....	١٦١
الدعوة إلى عصبية.....	١٦١
الوقعية بين الزوجين.....	١٦٢

المحاضرة السادسة:

من هم المؤمنون؟ ١٦٥

تعظيم الله.....	١٦٧
التوحيد في الحب.....	١٦٨
الإيمان والتوكل.....	١٧٠

٢٤٧.....	انظر إلى من فضلت عليه
٢٤٨.....	اشهد الجمعة
٢٤٨.....	طاعة الله في كل شيء
٢٤٨.....	المخادعة في العبادة
٢٤٩.....	النهي عن مصاحبة الفساق
٢٥٠.....	إحذر الغضب

المحاضرة الثانية عشرة

(٤)	في مدرسة الإمام علي عليه السلام
٢٥٣.....	الموقف من المعارضة
٢٥٥.....	في مدرسة علي عليه السلام
٢٥٥.....	التجربة الصعبة
٢٥٧.....	موقف المعارضة
٢٥٩.....	موقف علي عليه السلام من الخوارج
٢٦١.....	الاحتجاج على من شهد صفين

المحاضرة الثالثة عشرة

(٥)	في مدرسة الإمام علي عليه السلام
٢٦٥.....	الحوار مع المعارضة
٢٦٧.....	الحوار مع الخوارج
٢٦٨.....	تحكيم القرآن
٢٦٩.....	الرد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم
٢٦٩.....	تأجيل التحكيم
٢٧٠.....	أفضل الناس
٢٧٢.....	الاحتجاج على تجاوزات الخوارج
٢٧٤.....	الموقف من علي عليه السلام
٢٧٥.....	شكوى علي عليه السلام المريرة
٢٧٧.....	مناقشة (لا حكم إلا لله)
٢٧٨.....	وعى الشعار
٢٨٠.....	الدقة في التشخيص

المحاضرة الرابعة عشرة

(٦)	في مدرسة الإمام علي عليه السلام
٢٨٣.....	أسلوب الحكم
٢٨٥.....	علي عليه السلام المؤهل لخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٨٧.....	إدارة الخلافة في خط المعارضة
٢٨٩.....	خطابه لقادة الجيوش

٢١٦.....	إفشاء السر غدر
٢١٨.....	علي عليه السلام وكراهة الغدر
٢٢٠.....	الغدر في موضعه وفاء
٢٢١.....	إجتنب الغدر في الحياة الاجتماعية

المحاضرة العاشرة

في مدرسة الإمام علي عليه السلام (٢) كتابه إلى الحارث الهمداني (١)..... ٢٢٣

٢٢٥.....	مسؤولية علي عليه السلام
٢٢٦.....	كتاب علي عليه السلام إلى الحارث الهمداني
٢٢٦.....	التمسك بالقرآن
٢٢٧.....	التصديق بالحق
٢٢٨.....	الإعتبار بالماضي
٢٢٩.....	تعظيم لفظ الجلالة
٢٣٠.....	الإكثار من ذكر الموت
٢٣١.....	إجعل نفسك ميزانا
٢٣٢.....	حاذر من الأعمال المخجلة
٢٣٢.....	صن عرضك
٢٣٢.....	لا تحدث بكل ما تسمع
٢٣٣.....	تكذيب كل السموعات جهل
٢٣٣.....	كظم الغيظ
٢٣٤.....	التجاوز عند المقدرة
٢٣٤.....	الحلم عند الغضب
٢٣٤.....	الصفح عن موقع السلطة
٢٣٤.....	استصلاح النعم

المحاضرة الحادية عشرة

في مدرسة الإمام علي عليه السلام (٣) كتابه إلى الحارث الهمداني (٢)..... ٢٣٧

٢٣٩.....	الفصل الثاني من كتابه إلى الهمداني
٢٤١.....	العناية بالأمل
٢٤٢.....	تقديم المال
٢٤٣.....	إعرفوا أهل البيت عليه السلام
٢٤٤.....	مواصفات الصالحة الصالحة
٢٤٥.....	أي المساكن أفضل؟
٢٤٦.....	لا تتدخل في شؤون الآخرين
٢٤٧.....	التحذير من الجلوس في الأسواق

مشورة علي ؑ لعمر بن الخطاب ٣٤٣

المحاضرة التاسعة عشرة

في مدرسة الإمام علي ؑ (١١)
شخصية الصحابي الجليل
(أبو ذر الغفاري) ٣٤٧

ملاح شخصية أبي ذر الغفاري ٣٤٩

الوصايا السبع ٣٥٠

تقويم علي ؑ لأبي ذر ٣٥٣

أبو ذر المعارض ٣٥٤

وداع علي ؑ ٣٥٧

وداع الآخرين ٣٥٧

تعقيب أبي ذر ٣٥٨

خط الإسلام ٣٥٩

المحاضرة العشرون

في مدرسة الإمام علي ؑ (١٢)
(مالك الأشتر) تلميذ علي ؑ البلر ٣٦١

شخصية مالك الأشتر ٣٦٣

سيف الله ٣٦٦

عهد علي ؑ إلى مالك الأشتر ٣٦٧

موقف الأشتر من رفع المصاحف ٣٦٨

تقويم الأشتر لعلي ؑ ٣٧١

تقيم علي ؑ للأشتر ٣٧٢

الأشتر وأبو ذر ٣٧٣

الفرض من دراسة هذه الشخصيات ٣٧٤

المحاضرة الحادية والعشرون

في ذكرى ولادة الزهراء ؑ بين (مريم بن
عمران) و(فاطمة بنت محمد) ٣٧٧

مقارنة الزهراء ؑ بمريم ؑ ٣٧٩

الزهراء ؑ السمو الروحي ٣٨٠

حياتها المتحركة ٣٨١

حركتها في المدينة ٣٨٢

علاقة فاطمة ؑ بالنبي ؑ ٣٨٣

الدفاع عن الولاية ٣٨٣

أسلوب خطابي جديد ٣٨٥

أين نحن من علي ؑ ٢٩٢

المحاضرة الخامسة عشرة

في مدرسة الإمام علي ؑ (٧)
أسلوب التعامل مع الحكومة ٢٩٥

مع كتب علي ؑ ورسائله ٢٩٧

إلى عماله على الخراج ٢٩٧

الافتتاح بالموعظة ٢٩٩

إنصاف الناس ٣٠١

كتابه إلى طلحة والزبير ٣٠٢

كتابه إلى أهل الكوفة ٣٠٤

المحاضرة السادسة عشرة

في مدرسة الإمام علي ؑ (٨)
ما هو الهدف من الحياة؟ ٣٠٧

كتابه في معنى الزهد ٣٠٩

هدف الحياة ٣١١

كتابه في التحذير من الدنيا ٣١٣

كتابه في أسلوب الحوار ٣١٥

كتابه في الاستقامة ٣١٧

في رئاسة للزهراء ؑ ٣١٨

المحاضرة السابعة عشرة

في مدرسة الإمام علي ؑ (٩)
خطاب افتتاح العهد بالخلافة ٣٢١

خطاب الافتتاح ٣٢٣

حرمة المسلم ٣٢٥

أسلوب الحكم على الناس ٣٢٩

المحاضرة الثامنة عشرة

في مدرسة الإمام علي ؑ (١٠)
قراءة القرآن في الواقع ٣٣٣

ثلاثة نصوص ٣٣٥

حديث القرآن ٣٣٦

أطلب النصيحة من الله ٣٤٠

التواضع لله ٣٤١

قراءة القرآن في الحياة ٣٤٢

٤٣٤.....	اساتذية متوارثة
٤٣٨.....	علامات الإمامة
٤٣٩.....	كلمات مضيئة
٤٤١.....	تقسيم الوقت
٤٤٣.....	أم الوصايا

المحاضرة السادسة والعشرون

في ذكرى المبعث النبوي والإسراء والمعراج (١)	
٤٤٥.....	العمل على توسيع رقعة الإسلام
٤٤٧.....	صورة النبي ﷺ في القرآن
٤٤٩.....	الرسالة حياة النبي ﷺ كلها
٤٥٣.....	تنوع التجربة النبوية
٤٥٦.....	مسؤوليتنا في ذكرى المبعث

المحاضرة السابعة والعشرون

في ذكرى المبعث النبوي والإسراء والمعراج (٢)	
مواجهة الأحداث من وجهة نظر إسلامية	
٤٥٩.....	إسلامية
٤٦١.....	ذكرى المبعث النبوي
٤٦٢.....	الظاهرة التجزئية
٤٦٣.....	الأحداث الأخيرة في أميركا
٤٦٥.....	وجهة نظر مختلفة
٤٦٩.....	ليست دعوة للتجمد

المحاضرة الثامنة والعشرون

في مدرسة الإمام علي ﷺ (١٦)	
٤٧٣.....	رابطة الحب الإنسانية
٤٧٥.....	الاستهداء بعلي ﷺ
٤٧٧.....	إشاعة المحبة والألفة
٤٧٨.....	دروس في المخالطة
٤٨٥.....	علي ﷺ منهج الحياة

المحاضرة التاسعة والعشرون

في مدرسة الإمام علي ﷺ (١٧)	
٤٨٧.....	موقع الفكر في حياتنا
٤٨٩.....	التفكير مفتاح المعرفة
٤٩١.....	التاريخ مصدر فكر

٣٨٨.....	الاقتداء بالزهراء ﷺ
----------	---------------------

المحاضرة الثانية والعشرون

في مدرسة الإمام علي ﷺ (١٣)	
٣٨٩.....	خصال فريقين من الناس (١)
٣٩١.....	في رحاب أمير المؤمنين ﷺ
٣٩٣.....	أحباء الله
٣٩٥.....	مصباح الهدى
٣٩٨.....	التذكير بالنعم الإلهية
٤٠٠.....	الصبر على تحمل المشقات

المحاضرة الثالثة والعشرون

في مدرسة الإمام علي ﷺ (١٤)	
٤٠١.....	خصال فريقين من الناس (٢)
٤٠٣.....	فريقان من الناس
٤٠٤.....	هم الآخرة أولا
٤٠٦.....	الدليل إلى الهدى
٤٠٨.....	المؤمن مصباح الدنيا

المحاضرة الرابعة والعشرون

في مدرسة الإمام علي ﷺ (١٥)	
٤١٣.....	خصال فريقين من الناس (٣)
٤١٥.....	مقتضيات الوثاقة
٤١٧.....	تجنيد الدين للابتزاز
٤١٩.....	المظاهر الزائفة
٤٢١.....	الأئمة ﷺ أعلام الدين
٤٢٢.....	الأئمة ﷺ أحياء ما بقي الزمن
٤٢٤.....	كشف الحساب
٤٢٦.....	عاشق الله

المحاضرة الخامسة والعشرون

في ذكرى وفاة الإمام الكاظم ﷺ	
إضاءات في سيرته وكلماته ووصاياه	
٤٣١.....	حدود فذك
٤٣٢.....	برنامج الإمام الكاظم ﷺ
٤٣٣.....	تراث الإمام ﷺ
٤٣٣.....	بواكير حياته

٥٣٣.....	إكراه الفتيات على البغاء
٥٣٣.....	الاعتداء بالمثل والدفع بالتي هي أحسن
٥٣٤.....	وقود النار
٥٣٤.....	المخلصون
٥٣٤.....	المسلم والمؤمن
٥٣٥.....	عقدة من لساني
٥٣٥.....	وانفسنا وانفسكم
٥٣٦.....	حمل الأوزار
٥٣٦.....	الأمن الاقتصادي والسياسي
٥٣٧.....	أمة واحدة
٥٣٧.....	دلالة التأمل في الكواكب
٥٣٨.....	يهدي من يشاء
٥٣٨.....	الإكمال والتبليغ
٥٣٩.....	ماذا شربت مريم ؟
٥٣٩.....	ويمنعون الماعون
٥٣٩.....	فأين تذهبون ؟
٥٣٩.....	هل الدعوة نخبوية
٥٤٠.....	نفخ في الصور
٥٤٠.....	معنى التطهير
٥٤١.....	كل يوم هو في شان
٥٤١.....	للمطلقات متاع
٥٤١.....	أحسن الخالقين
٥٤٢.....	التفسير العلمي للقرآن
٥٤٤.....	كفر الشياطين
٥٤٤.....	معنى الأزلام
٥٤٤.....	التفسير بالمأثور
٥٤٥.....	لا تأخذ سنة ولا نوم
٥٤٥.....	الفساد الأول والثاني
٥٤٦.....	سبع طرائق
٥٤٦.....	يا أيها النبي اتق الله
٥٤٦.....	معنى (متوفيك)
٥٤٧.....	ألهاكم التكاثر
٥٤٨.....	رددناه أسفل سافلين
٥٤٩.....	يصوركم في الأرحام
٥٤٩.....	رفع عيسى
٥٥٠.....	مجمع الفضائل
٥٥١.....	معنى الظلمات

٤٩٤.....	مع علي في رحابة علمه
٤٩٧.....	الفكر عبادة

المحاضرة الثلاثون

في مدرسة الإمام علي (ع) (١٨) مصادر الفكر والمعرفة..... ٥٠١

٥٠٣.....	جولة في مصادر التفكير
٥٠٤.....	دور الفكر على المستوى الروحي
٥٠٨.....	الفكر والاعتبار
٥١٣.....	قيمة التجربة

باب المسائل

الفصل الأول: المسائل القرآنية أولاً: مسائل التفسير..... ٥٢١

٥٢١.....	إحياء آية التبليغ
٥٢١.....	معنى الكوثر
٥٢٢.....	معنى (الجعل)
٥٢٢.....	أين النقل الجوي ؟
٥٢٣.....	لها ما كسبت
٥٢٤.....	كتابا موقوتا
٥٢٤.....	إلا وهم مشركون
٥٢٥.....	إنما المؤمنون اخوة
٥٢٥.....	سبب النصر
٥٢٦.....	مفهوم الأمة
٥٢٧.....	تفسير القرآن على عهد الرسول
٥٢٧.....	يضل ويهدي من يشاء
٥٢٨.....	اقترب للناس حسابهم
٥٢٨.....	ونفس وما سواها
٥٢٨.....	ما غرك بريك الكريم
٥٢٩.....	يهدي للتي هي أقوم
٥٢٩.....	فرقوا دينهم وكانوا شيعا
٥٣٠.....	متوفيك ورافعك
٥٣٠.....	التحديث بالنعمة والإسراف
٥٣١.....	وراثة الأنبياء
٥٣٢.....	لا إكراه في الدين
٥٣٢.....	الظاهر والباطن
٥٣٢.....	قتل الإنسان ما أكفره

الفصل الثاني: المسائل العقيدية ٥٧١

- مسؤولية العلماء العقائدية ٥٧٣
 معرفة الله والخوف منه ٥٧٣
 نسبة الأعمال ٥٧٤
 العمل الصالح والشفاعة ٥٧٤
 الإيمان بالأنبياء ﷺ ٥٧٤
 عقوبة الخلود في النار ٥٧٥
 في الجبر والتفويض ٥٧٦
 القسمة والنصيب في الزواج ٥٧٦
 البلاء الذي يصاب به المؤمن ٥٧٧
 قدسية الحجر الأسود ٥٧٧
 شدة أحكام المرتد ٥٧٨
 خلق الكافر ٥٧٨
 الأقوام التي لا يصلها نذير ٥٧٨
 التقية في زماننا ٥٧٨
 من وصله الإسلام بشكل خاطئ ٥٧٩
 صفة العدل كاستثناء ٥٧٩
 محاسبة الله الناس على قدر عقولهم ٥٨٠
 العصمة لا تتجزأ ٥٨٠
 عوام الكفار وعلماؤهم ٥٨١
 أهل السماء لا يبقون ٥٨١
 حضور الله في زحمة القوانين ٥٨٢
 فائدة العروج إلى السماء ٥٨٢
 الأحاديث الضعيفة عند السنة والشيعة ٥٨٣
 علل الأحكام ٥٨٣
 سقوط الذنوب ٥٨٤
 قتل النفس لا ينافي العصمة ٥٨٤
 الشعور الديني ٥٨٤
 العلماء و الحجود ٥٨٥
 التخلف عن الطاعة ٥٨٥
 الغيب والتحليل ٥٨٥
 التفكير في الله ٥٨٦
 هل السوء من طبع الإنسان ؟ ٥٨٦
 أصناف الشيعة ٥٨٧
الفصل الثالث: مسائل السيرة ٥٨٩
أ - الرسول الأكرم ﷺ ٥٩١
 شريعة النبي (ص) قبل بعثته ٥٩١

- أهل الذكر من هم ؟ ٥٥١
 النبي ﷺ لا يشك ٥٥٢
 معنى أحسن الخالقين ٥٥٢
 الاستغفار للكافرين ٥٥٣
 هل كان المؤمنون في ظلمات ٥٥٣
 من هم الأهل ؟ ٥٥٤
 وظائف الداعية ٥٥٤
 تدبير النبي يوسف ﷺ لأخوته ٥٥٥
 حملة الأسفار بلا وعي ٥٥٧
 هل الجنة للمتقين فقط ؟ ٥٥٧
 التنافي بين آية ورواية ٥٥٨
 أمر النبي بالتقوى ٥٥٨
 من هم الصادقون ؟ ٥٥٩
 من هو الهادي ؟ ٥٥٩
 خشية العلماء ٥٦٠
 ذنب النبي ﷺ ٥٦٠
 بكاء السماء والأرض ٥٦١
 طغيان الإنسان واستغناؤه ٥٦١
 التوبة في سن الأربعين ٥٦١
 تبلى السرائر ٥٦٢
 معنى الظن بالقرآن ٥٦٢
 أمنية النبي ﷺ ٥٦٣
 معنى شهود الشهر ٥٦٣
 التعبير بالجمع ٥٦٣

ثانيا: مسائل عامة ٥٦٥

- شبهات حول القرآن ٥٦٥
 علم الأولين والآخرين ٥٦٥
 الاقتصار على القرآن كمرجع ٥٦٦
 الآيات القرآنية في غرفة النوم ٥٦٦
 مس المجنب لقرص فيه القرآن ٥٦٧
 نسخ الحديث لبعض الآيات ٥٦٧
 الوفاء بنذر قراءة القرآن للحائض ٥٦٧
 قراءة القرآن بدون وضوء ٥٦٨
 تكرار القصة في القرآن ٥٦٨
 أسماء الأنبياء في القرآن ٥٦٨
 هل القرآن من وضع النبي (ص) ؟ ٥٦٨
 تلاوة آية السجود تكرارا ٥٦٩

عصر ظهور الإمام	٦١٣
علامات الظهور	٦١٤
نحن في ظل غيبة الإمام المهدي	٦١٥
الفصل الرابع: المسائل الفكرية	٦١٧
موقف الإسلام من الحظ	٦١٩
إنتاج الحضارة	٦١٩
عدم تقبل العنوان الإسلامي	٦٢٠
أسلوب الحوار القديم والجديد	٦٢١
الافتخار بالقومية	٦٢٢
تمجيد ماضي العرب وحاضرهم	٦٢٢
الحوار المذهبي	٦٢٣
تشويه سمعة الدين	٦٢٥
معالجة القضايا الإسلامية	٦٢٥
ضوابط الحوار مع المسيحيين	٦٢٦
المشورة والمخالفة	٦٢٦
الانفتاح الفكري	٦٢٨
تقييم الوضع الثقافي	٦٢٨
ركائز بناء الشخصية	٦٢٨
الموت والعلم	٦٢٨
العلوم العقلية	٦٢٨
موقع للوحدة الإسلامية	٦٢٩
تسمية الديانات	٦٢٩
تلبية دعوات القنوات الفضائية	٦٢٩
الإسلام ومجتمع الجزيرة العربية	٦٣٠
مقومات الحضارة الإسلامية	٦٣٢
دور الشباب	٦٣٢
الحياة في الكواكب	٦٣٣
مراتب الجهاد	٦٣٣
موقع الفكر الإسلامي	٦٣٤
تمثيل الإسلام	٦٣٤
قيمة صندوق الاقتراع	٦٣٦
مدى حرية المرأة	٦٣٦
دور الشعب الأمريكي سياسيا	٦٣٧
تراجع المعرفة الفكرية	٦٣٧
مسلمات الإسلاميين	٦٣٨
أزمة النموذج	٦٣٩
الجيل المميز	٦٤٠

تفضيل النبي الأمي	٥٩١
معنى الرسالة المحمدية	٥٩٢
السهو في الموضوعات الخارجية	٥٩٢
التبليغ السابق على الغدير	٥٩٢
صحة دعاء	٥٩٣
روايات (ميزان الحكمة)	٥٩٣
ب - الإمام علي	٥٩٣
علم الإمام	٥٩٣
بنو هاشم والخلافة	٥٩٤
مقام الإمامة	٥٩٤
هدم الآبار	٥٩٥
منازلة عمرو	٥٩٥
كيف نعيش مع علي	٥٩٦
دورنا في غياب الإمام علي	٥٩٦
فهم الواقع الحاضر لعلي	٥٩٧
صحة خطب نهج البلاغة	٥٩٨
نسبة حديث إلى الإمام علي	٥٩٩
ج - فاطمة الزهراء	٥٩٩
العصمة الاجتماعية	٥٩٩
د - الإمام الحسن	٥٩٩
قاما أو قعدا	٥٩٩
الفتنة التي زرعتها معاوية في جيش الحسن	٦٠٠
هل كان الحسن مزواجا	٦٠١
هـ - الإمام الحسين	٦٠٢
الانتماء العاطفي للحسين	٦٠٢
تفريغ النهضة الحسينية من محتواها	٦٠٣
تطوير أداء الشعائر الحسينية	٦٠٤
الاقتراء بسيرة الحسين	٦٠٥
عدم التحاق الصحابة بركب الحسين	٦٠٧
وصية في الأربعين	٦٠٧
ثورة الحسين	٦٠٩
ليلة باسم زينب	٦١١
و - الإمام الصادق	٦١٣
الصادق وإقبال الدنيا	٦١٣
ز - الإمام المهدي	٦١٣

٦٥٩.....	ذكر الموتى بالخير
٦٥٩.....	أخلاق جيلين
٦٥٩.....	التقصير في التربية
٦٥٩.....	إقبال القلوب وإدبارها
٦٦٠.....	المغفرة للميت بإحسان صديق
٦٦٠.....	الظن والاتهام
٦٦١.....	استثناء من الجهر بالسوء
٦٦١.....	الحشمة من شروط الحجاب
٦٦١.....	غضب والذتي
٦٦٢.....	بين اعتزال المجتمع والاندماج به
٦٦٣.....	تعليم الدين من الصغر
٦٦٣.....	ردع بصوت عال
٦٦٤.....	البغض والحقد القديم
٦٦٤.....	التقاعس عن الأمر بالمعروف
٦٦٤.....	التبعض
٦٦٥.....	الدعاء للتعبئة الروحية
٦٦٥.....	الإسلام والعنف
٦٦٦.....	تعدد زوجات النبي ﷺ
٦٦٦.....	التقييم والغيبة
٦٦٦.....	كفارة الكذب
٦٦٧.....	براءة الذمة
٦٦٧.....	القسوة على اليتيم
٦٦٧.....	الشكر العملي
٦٦٧.....	نية القرية
٦٦٩.....	الفصل السادس: المسائل الفقهية
٦٧١.....	أولاً: المرجعية والتقليد
٦٧١.....	تحريف الفتوى
٦٧١.....	العنوان الثانوي
٦٧٢.....	الخلاف بين المقلدين
٦٧٣.....	إجازة الرجوع إلى مرجع آخر
٦٧٤.....	صلاحية أهل الخبرة في الحكم
٦٧٤.....	هل يتأثر المجتهد بالبيئة؟
٦٧٤.....	في الاجتهاد
٦٧٤.....	منطقة الفراغ
٦٧٥.....	لوح الواقع
٦٧٥.....	حيرة في مسألة التقليد
٦٧٥.....	إدعاء الفقيه العلمية

٦٤١.....	الموثوقية المطلقة
٦٤٢.....	الصالح المقدسة
٦٤٣.....	الفصل الخامس: المسائل التربوية
٦٤٥.....	التبرج والتظاهر بالفسق
٦٤٥.....	العاصية بعدم الالتزام بالحجاب
٦٤٥.....	والصلاة
٦٤٥.....	رد السلام
٦٤٥.....	العولة والأخلاق
٦٤٦.....	هذا من الإسراف
٦٤٧.....	الاخلاف بالوعد
٦٤٧.....	إجزاء السلام
٦٤٧.....	السكوت على الغيبة
٦٤٧.....	الحق المقدس
٦٤٨.....	من مقتضيات الإيمان
٦٤٩.....	الصفاء وما يكدره
٦٥٠.....	سب الآخرين
٦٥٠.....	غير المستطيع أداء صلاة الليل
٦٥١.....	التعهد بعدم ضرب الزوجة
٦٥٢.....	صلاة من لم ينته عن الفحشاء
٦٥٢.....	إغتيال المتجاهر بالسيئات
٦٥٢.....	صالحة ولكن لا تصلي
٦٥٣.....	لا يستطيع ترك التدخين
٦٥٤.....	براءة ذمة المستغيب
٦٥٤.....	الحلف كذباً
٦٥٤.....	حدود النقد للآخر
٦٥٥.....	متى يجوز التشهير؟
٦٥٥.....	مواضع العفو والمسامحة
٦٥٦.....	خيانة إفشاء السر
٦٥٦.....	الكذب لصالح المظلوم
٦٥٦.....	الكذب على الزوجة
٦٥٦.....	الخطأ بعد التوبة
٦٥٧.....	تأديب الأم للطفل
٦٥٧.....	لا حياء في الدين
٦٥٧.....	مقاطعة المنافق
٦٥٨.....	انفعال الزوجة
٦٥٨.....	التخلق بأخلاق الله
٦٥٨.....	عدم تطبيق التعليمات

٦٨٨.....	بيع المتنجس.....
٦٨٨.....	الحشرات في أماكن النجاسة.....
٦٨٨.....	منشأ الاحتياط في لحم الأرنب.....
٦٨٩.....	المتجنس الثاني.....
٦٨٩.....	الدم في البيضة.....
٦٨٩.....	غسل مس الميت.....
٦٩٠.....	ثالثاً: الوضوء والصلاة
٦٩٠.....	الإلتزام بمن لا يحسن القراءة.....
٦٩٠.....	الجمعة مع غير مذهبنا.....
٦٩٠.....	المنع من الصلاة معهم.....
٦٩٠.....	صلاة المتابعة.....
٦٩٠.....	سجدتا السهو قبل تسليم الإمام.....
٦٩١.....	الصلاة إلى غير القبلة.....
٦٩١.....	المعذرتان في الصلاة.....
٦٩١.....	إظهار المرأة للقدمين في الصلاة.....
٦٩١.....	تأخير الصلاة.....
٦٩٢.....	هل هذا استحاضة؟.....
٦٩٢.....	الصلاة في بيوت عبادة غير المسلمين.....
٦٩٢.....	الحركة أثناء الصلاة.....
٦٩٢.....	تعارض الدوام والجمعة.....
٦٩٣.....	صلاة النساء بين الزوار.....
٦٩٣.....	التخليل في مسح القدم.....
٦٩٣.....	بين الجهر والإخفات.....
٦٩٣.....	الغفلة عن خطبة الجمعة.....
٦٩٣.....	إخفائية أم جهرية؟.....
٦٩٤.....	قضاء ما في الذمة.....
٦٩٤.....	الصلاة بحجاب ناقص.....
٦٩٤.....	سبق الإمام.....
٦٩٤.....	معرفة الإمام.....
٦٩٤.....	الفرادى والجماعة.....
٦٩٥.....	قصراً أم تماماً؟.....
٦٩٥.....	قراءة العزائم أثناء الصلاة.....
٦٩٥.....	صوت الإمام عبر المكبر.....
٦٩٦.....	قضاء فترة الارتداد.....
٦٩٦.....	تغير النية.....
٦٩٦.....	صلاة الوتر.....
٦٩٧.....	الزيادة في التشهد.....

٦٧٥.....	رسالة عملية باللغة الأجنبية.....
٦٧٦.....	الطبيب وفتوى التدخين.....
٦٧٦.....	فتاوى حرمة المسابقات.....
٦٧٧.....	مصادر استنباط الحكم الشرعي.....
٦٧٧.....	حق وكيل المرجع.....
٦٧٧.....	خطأ في التشخيص.....
٦٧٧.....	تحريم العمل الإستشهادي.....
٦٧٩.....	قياس درجة الاجتهاد.....
٦٧٩.....	شرط الأعلمية والحياة.....
٦٨٠.....	الرجوع إلى الميت في العدول.....
٦٨٠.....	إيضاح حول الاستسناخ.....
٦٨٠.....	المنهج الأصولي الأخباري.....
٦٨١.....	هل الفقهاء أطباء نفسانيون؟.....
٦٨١.....	الأعلمية السياسية.....
٦٨١.....	إحراز عدالة الإمام.....
٦٨٢.....	فتوى اسيء فهمها.....
٦٨٢.....	ثبات الحدود وتغيرها.....
٦٨٢.....	العدول في موارد الاحتياط.....
٦٨٢.....	مهام الأنبياء والعلماء.....
٦٨٣.....	التبعيض في التقليد.....
٦٨٣.....	تقليد الأعلام.....
٦٨٣.....	مسائل التبعيض اجتهادية.....
٦٨٥.....	ثانياً: النجاسات والطهارات
٦٨٥.....	دخول الحائض للمرقد المقدس.....
٦٨٥.....	كفارة دخول الحائض إلى المسجد.....
٦٨٥.....	إحراق جثث الموتى.....
٦٨٥.....	البيرة وتعليب لحم الخنزير.....
٦٨٦.....	غسل الجنابة من حرام.....
٦٨٦.....	مياه المجاري في مزرعة.....
٦٨٦.....	الأغسال والترتيب.....
٦٨٦.....	غسل دم الميت.....
٦٨٦.....	دم ماذا؟.....
٦٨٧.....	الماء المضاف.....
٦٨٧.....	تطهير السجاد.....
٦٨٧.....	هل الحائض تنجس؟.....
٦٨٧.....	حكم دم.....
٦٨٧.....	تذكية غير المسلم.....

٧٠٥.....	الصلاة الماضية
٧٠٥.....	الجماعة بدلا من الجمعة
٧٠٥.....	قطع الاتصال بالإمام
٧٠٥.....	غسل أكثر من حد العضو
٧٠٥.....	في كيفية الغسل
٧٠٦.....	البنطلون كحجاب في الصلاة
٧٠٦.....	قراءة السورة الكاملة
٧٠٦.....	فوات صلاة الفجر بالنوم
٧٠٦.....	اقتداء الأولاد بالأُم جماعة
٧٠٦.....	التطوع بالعبادة
٧٠٧.....	خلل الوضوء وتأثيره على الصلاة
٧٠٧.....	العجز عن بعض التكليف
٧٠٧.....	شكل صلاة الجماعة
٧٠٧.....	عدم إعادة السجدة إلى محلها
٧٠٨.....	الأمراض العدية والصلاة جماعة
٧٠٨.....	فوات الخشوع في الصلاة
٧٠٨.....	غسل أعضاء الوضوء
٧٠٨.....	قراءة الأحاديث في القنوت
٧٠٨.....	الجهر والإخفات في التكبيرة
٧٠٩.....	صلاة الغفيلة
٧٠٩.....	ترك صلاة الصبح
٧٠٩.....	الصلاة في غير موارد القصر
٧٠٩.....	صلاة الجمعة
٧٠٩.....	التخلف عن صلاة الجمعة
٧١٠.....	إمام الجماعة يصلي بالنيابة
٧١٠.....	النية في الصلاة
٧١٠.....	الجمع بين الصلاتين
٧١١.....	التساهل في صلاة الجمعة
٧١١.....	وقت صلاة الفجر
٧١١.....	حكم دمشق وريفها
٧١٣.....	رابعاً: الصيام والكفارات
٧١٣.....	الصوم في بلد يستمر النهار فيه شهراً
٧١٣.....	انقطاع عن الصوم بسبب الربو
٧١٣.....	من لم يدفع زكاة الفطر
٧١٣.....	التدخين والصيام
٧١٣.....	اليوم الأول من الشهر القمري
٧١٤.....	صيام نذر

٦٩٧.....	المعرفة المتأخرة بعدم عدالة الإمام
٦٩٧.....	التقدم إلى الإمام في الجماعة
٦٩٧.....	ماء جديد في الوضوء
٦٩٧.....	في صلاة الجماعة
٦٩٨.....	عدالة الإمام
٦٩٨.....	تحديد الغروب
٦٩٨.....	سبق المأموم للإمام
٦٩٨.....	القيء أثناء الصلاة
٦٩٨.....	الصلاة أثناء العمل
٦٩٩.....	المأموم أثناء الإخفائية
٦٩٩.....	تفوتها الصلاة في الجامعة
٦٩٩.....	التبعض في الصلاة
٦٩٩.....	السجود على السجادة الصناعية
٧٠٠.....	في التسبيحات
٧٠٠.....	ثواب صلاة القضاء
٧٠٠.....	الصلاة بساعة مطلية بالذهب
٧٠٠.....	الصلاة على النبي ﷺ أثناء الصلاة
٧٠١.....	صلاة الخرساء
٧٠١.....	العمل أثناء الجمعة
٧٠١.....	الدم والوضوء
٧٠١.....	ترك الصلاة لعدة سنين
٧٠١.....	القصر من حين السفر
٧٠٢.....	قضاء الغفيلة
٧٠٢.....	السجود على الأحجار الكريمة
٧٠٢.....	صلاة المرأة بدون حجاب
٧٠٢.....	الصلاة الخاطئة
٧٠٢.....	الصلاة في المنزل أم في الحرم؟
٧٠٢.....	قضاء ٢٠ سنة صلاة
٧٠٣.....	الخطأ في تعيين القبلة
٧٠٣.....	الحركة أثناء الصلاة
٧٠٣.....	إظهار القدمين في الصلاة
٧٠٣.....	المرور أمام المصلين
٧٠٣.....	دم أثناء الوضوء
٧٠٤.....	السرعة في الصلاة
٧٠٤.....	الكلام أثناء خطبة الجمعة
٧٠٤.....	الإنتمام بإمام يصلي قصراً
٧٠٤.....	ملازمة النساء

٧٢٤.....التخمين في الخمس

٧٢٤.....خمس الزوجة

٧٢٤.....خمس الديون

٧٢٦.....سادسا: الحج والعمرة

٧٢٦.....الغيبة أثناء الحج

٧٢٦.....غير المستطيع

٧٢٦.....كفارة التظليل

٧٢٦.....مصرف كفارة التظليل

٧٢٧.....قيمة كفارة التظليل

٧٢٧.....أكل النائب من لحم الكفارة

٧٢٧.....لحم الأضحية

٧٢٧.....الطواف في الاتجاه المعاكس

٧٢٧.....إيتاء عمرتين في شهر واحد

٧٢٧.....الظن بعدم إتيان طواف النساء

٧٢٨.....في الطواف

٧٢٨.....مقدمات الحج

٧٢٨.....طواف بوضوء باطل

٧٢٨.....وجوب الحج

٧٢٩.....الحج نيابة عن الغير

٧٣٠.....سابعا: الزواج والطلاق

٧٣٠.....الزوجة دائمة التنفير

٧٣٠.....الإنفاق على الزوجة

٧٣٠.....حرمة غير مؤبدة

٧٣٠.....تدخل الأب في اختيار زوجة لولده

٧٣٠.....قصد الظهار

٧٣١.....تعارض الزوجين في الإنجاب

٧٣١.....الزواج أم الإعالة؟

٧٣١.....حضانة الطفل

٧٣٢.....الجمع بين المرأة وعمتها

٧٣٢.....حضانة الأم والأب

٧٣٢.....تطبيق الحاكم الشرعي

٧٣٣.....الزواج الثاني

٧٣٣.....غياب الزوج لستين

٧٣٣.....خيار الطلاق

٧٣٣.....عدة اليانسة

٧٣٤.....هل العاقر يائسة؟

٧٣٤.....مهر غير المدخول بها

٧١٤.....إمكان الرؤية

٧١٤.....الاجتزاء بولادة الهلال

٧١٤.....الإفطار المتعمد

٧١٥.....أثر النسيان على الصوم

٧١٥.....خروج الدم من فم الصائم

٧١٥.....الإمساك للصوم قبل الأذان

٧١٦.....تعطر الصائمة

٧١٧.....خامسا: الخمس والزكاة

٧١٧.....المسؤول عن إخراج الخمس

٧١٧.....خمس الزائد عن المؤنة

٧١٧.....صرف سهم الإمام (ع)

٧١٧.....في تخميس مبلغ

٧١٨.....فائض الراتب

٧١٨.....مصرف الخمس

٧١٨.....دفع الخمس للزوجة العلوية

٧١٨.....كيفية احتساب الخمس

٧١٩.....نقل الأخماس

٧١٩.....سهم السادة

٧١٩.....المصالحة على الخمس

٧١٩.....شراء كتب إسلامية بأموال الخمس

٧٢٠.....أخذ الخمس من الأسرى

٧٢٠.....خمس ذهب محمد

٧٢٠.....خمس المدين

٧٢٠.....دليل الخمس في القرآن

٧٢١.....خمس الكفن المشتري

٧٢١.....تخميس أثاث محل تجاري

٧٢١.....تخميس الأرض أم البناء؟

٧٢١.....هل في ذلك خمس؟

٧٢٢.....خمس المال المدخر للضرورات

٧٢٢.....حق التصرف بالخمس

٧٢٢.....خمس مبلغ مودع في البنك

٧٢٢.....تقسيم الخمس

٧٢٣.....خمس بيت

٧٢٣.....مسؤولية ابن من لم يخمس

٧٢٣.....خمس الهبات المالية

٧٢٤.....خمس في الذمة

٧٢٤.....الخمس في المال المزكى

٧٤٦.....	الهدايا أثناء عقد الزواج.....
٧٤٧.....	الزواج بأخت الأخت من الإرضاع.....
٧٤٧.....	الطلاق بغير شهود.....
٧٤٧.....	الطلاق بثلاث.....
٧٤٨.....	عدة الطلاق.....
٧٤٨.....	مصاحبة الأجنبي أثناء العدة.....
٧٤٨.....	انقطاع عدة الوفاة.....
٧٤٨.....	الطلاق بالثلاث.....
٧٤٩.....	ثمننا: أموال وبنوك.....
٧٤٩.....	دفع الصدقة.....
٧٤٩.....	رهن بدل الإيجار.....
٧٤٩.....	تسجيل الوقف.....
٧٤٩.....	الدية غير التبرع.....
٧٤٩.....	أخذ مال من شركة تأمين.....
٧٥٠.....	التصرف بالسهمين.....
٧٥١.....	الحسم في البيع الحاضر.....
٧٥١.....	لقطة.....
٧٥١.....	العثور على ساعة.....
٧٥٢.....	معاملة ربوية.....
٧٥٢.....	سافر وترك ملابسه.....
٧٥٢.....	التنازل عن حصة الإرث.....
٧٥٢.....	إشتراط عدم الاشتراك بالخسارة.....
٧٥٣.....	هل هذا ربا؟.....
٧٥٣.....	تشغيل المال.....
٧٥٣.....	بيع الخنازير.....
٧٥٤.....	إستعمال الوقوف.....
٧٥٤.....	استثمار خدمة.....
٧٥٤.....	هدايا البضائع.....
٧٥٤.....	نسبة الربح.....
٧٥٥.....	أسعار السوق السوداء.....
٧٥٥.....	التراضي حول السعر.....
٧٥٥.....	شرط عدم الخسارة.....
٧٥٦.....	جنس النقود.....
٧٥٦.....	الوفاء ببضاعة.....
٧٥٦.....	حصة الزوجة من الأرض.....
٧٥٧.....	هل هذا من الغدر؟.....
٧٥٧.....	المطالبة بالمال ممن يتسبب في حادث.....

٧٣٥.....	طلاق الوكيل.....
٧٣٥.....	الزواج العرفي.....
٧٣٥.....	زواج المسلمة بالكتابي.....
٧٣٦.....	حول مسألة دفع نصف المهر.....
٧٣٦.....	بين نزع الحجاب والطلاق.....
٧٣٧.....	الزواج من مسيحية كتابية.....
٧٣٧.....	إيقاع الطلاق.....
٧٣٧.....	منع الحمل منذ بداية الزواج.....
٧٣٧.....	في التعقيم.....
٧٣٨.....	إسقاط الجنين من علاقة غير شرعية.....
٧٣٨.....	هل هذا من التدليس؟.....
٧٣٩.....	الرجوع في الطلاق الخلعي.....
٧٣٩.....	المهر ضمان المستقبل.....
٧٣٩.....	التبني العرفي.....
٧٣٩.....	عدة من رفعت الرحم.....
٧٤٠.....	إطالة أمد الخطبة.....
٧٤٠.....	الأذن بزواج البكر.....
٧٤٠.....	الطلاق الوهمي.....
٧٤١.....	تعذر إرسال نفقة.....
٧٤١.....	التعرف قبل الزفاف.....
٧٤٢.....	خضوع المتعة للضوابط.....
٧٤٢.....	تعطيل العمل بالمتعة.....
٧٤٢.....	الزواج من الغربيات.....
٧٤٢.....	الأم صاحبة البويضة.....
٧٤٣.....	الزواج من بنت الزنا.....
٧٤٣.....	وراثه الولد من زواج المتعة.....
٧٤٣.....	حكم المستنسخ من خلية الأم.....
٧٤٤.....	إسقاط جنين عمره شهر.....
٧٤٤.....	البقاء على دين الزوجة الكتابية.....
٧٤٤.....	الشاهدان في الزواج.....
٧٤٤.....	شرعية الزواج المدني.....
٧٤٥.....	الزواج بكتابية غير مؤمنة.....
٧٤٥.....	حياة الجنين.....
٧٤٦.....	زواج في العدة.....
٧٤٦.....	ولي الزوجة.....
٧٤٦.....	الزواج بالإكراه.....
٧٤٦.....	عدة الطلاق.....

أموال الزوج من الحرام ٧٦٧

البيع بواسطة الماكينات ٧٦٧

التأمين ٧٦٧

تاسعا: السلوك والمعاملات: ٧٦٩

دليل حرمة مصافحة النساء ٧٦٩

مقاطعة البضائع الأمريكية ٧٦٩

حمل الخمر جهلاً ٧٦٩

الهجرة وإلقاء النفس بالتهلكة ٧٧٠

إبلاغ السلام ٧٧٠

زرق المرأة للرجل بالحقنة ٧٧٠

مطعم يحمل اسم شركة أمريكية ٧٧٠

استرجاع حق مغتصب بالقوة ٧٧٠

سن تحجب الفتاة ٧٧١

استقلال الابن والبنت ٧٧١

هل الدعاء للمجاهدين يكفي؟ ٧٧١

موت السمك في الماء ٧٧٢

حسم مسألة الأغاني ٧٧٣

استقبال أخ الزوج بغيبابه ٧٧٣

حدود الحرج في المصافحة ٧٧٣

لعبة البيكمون ٧٧٤

تغسيل الميت ٧٧٤

الالتحاق بالحوزة بموافقة الوالدين ٧٧٤

صبغ اللحية ٧٧٤

مسبح مختلط ٧٧٤

ما يحرم كشفه من الرجل ٧٧٥

العمل المستقل ٧٧٥

تشغيل الأطفال ٧٧٥

طلب نجدة ٧٧٦

بيع الورد للعاصين ٧٧٦

الفرق بين العادة والسنة ٧٧٦

القيود المفروضة على اللاجئ ٧٧٧

الوفاة أثناء عملية جراحية ٧٧٧

استنساخ الأشرطة ٧٧٧

هل اللولب جائز؟ ٧٧٧

الكماليات والمشروبات الغازية الأمريكية ٧٧٨

التسمية بصفات الله ٧٧٩

العمل في معامل مك دونالد ٧٧٩

حلية التأمين ٧٥٧

التصرف بالأمانة ٧٥٨

التسويق خارج الوظيفة ٧٥٨

بيع وتأجير الأفلام الأجنبية ٧٥٨

أقسام التأمين على الحياة ٧٥٨

نسبة على إرسال الزبائن ٧٥٨

بنوك إسلامية ٧٥٩

الأكل في بيت موارد محرمة ٧٥٩

التلاعب على الزبون ٧٥٩

التنازل عن الميراث ٧٥٩

الصدقة على السادة ٧٦٠

المقايضة ٧٦٠

مال الشخص مجهول العنوان ٧٦٠

التسهيلات المصرفية ٧٦٠

التعامل مع البضائع الأميركية ٧٦٠

أسواق تخصص ربعها لليهود ٧٦١

إبقاء الأمانة مصنونة ٧٦١

مرور عشر سنوات على أمانة ٧٦٢

استحصال الدين ٧٦٢

في تحصيل الرزق ٧٦٢

سرقة حاجيات ٧٦٢

الفائدة للصغار ٧٦٣

البنك الإسلامي... مشاكل وتحديات ٧٦٣

سرقة الهواتف ٧٦٣

هل يجب الإقراض ٧٦٣

الوديعة ببنك غير إسلامي ٧٦٤

شراء سندات الخزينة ٧٦٤

زراعة (الحشيشة) ٧٦٤

توزيع الأملاك قبل الموت ٧٦٤

البيع بأسعار مختلفة ٧٦٥

حرمان بعض الورثة ٧٦٥

وماذا عن البيع بشرط عدم التصرف؟ ٧٦٥

بيع الوقف ٧٦٥

رواتب التقاعد من الفوائد ٧٦٦

أرض موقوفة لمسجد ٧٦٦

تحديد سعر الوفاء ٧٦٦

مندوب شركة ٧٦٧

٧٨٩.....	تقديم البضائع الأميركية
٧٨٩.....	العمل في شركة أميركية
٧٨٩.....	القرعة والاستخارة
٧٨٩.....	الغاية من دخول الحوزة
٧٩٠.....	حضور الأعراس التي فيها محرمات
٧٩٠.....	خادمت أجنيات في بيوت المسلمين
٧٩١.....	تعاطي المخدرات
٧٩١.....	ما يجوز إظهاره من الوجه
٧٩١.....	استخدام العلكة التي فيها نيكوتين
٧٩١.....	قصة الشعر الرجالية للمرأة
٧٩٢.....	التشبه أثناء التمثيل
٧٩٢.....	منع الأب لابنته عن الإنجاب
٧٩٢.....	ارتداء الخمار
٧٩٣.....	ارتكاب الحرام بعد القسم
٧٩٣.....	الحكم بين متخاصمين
٧٩٣.....	تسمية مطعم باسم أميركي
٧٩٣.....	شجار حول الغناء
٧٩٤.....	إعالة أولاد الخال
٧٩٤.....	قراءة الروايات الضعيفة
٧٩٤.....	التبرج حرام مطلقاً
٧٩٥.....	مخالطة غير المسلم
٧٩٥.....	وجوب حفظ النظام
٧٩٥.....	الدعاء لأمر دنيوي
٧٩٦.....	جهاد المرأة
٧٩٦.....	كشف السر للطبيب
٧٩٦.....	ارتداء المانتو
٧٩٧.....	الماكياج والتبرج
٧٩٧.....	النظر للجنسين
٧٩٧.....	التعرض لصديق
٧٩٧.....	نذر الولد
٧٩٧.....	الأكل من المندور
٧٩٩.....	الفهرس

٧٧٩.....	في الحلف بالله
٧٨٠.....	التدخين والتبويض
٧٨٠.....	اليمين غير الراجع
٧٨١.....	عدسات الزينة
٧٨١.....	العمل في صناعة الكحول
٧٨١.....	لبس المرأة للبنطال
٧٨٢.....	قطف الورد من الأشجار
٧٨٢.....	الحد الشرعي للحية
٧٨٢.....	الزيادة في اللحية
٧٨٢.....	هبة أعضاء الجسم
٧٨٣.....	العمل في مستشفى مسيحي
٧٨٣.....	تذكية المسيحي
٧٨٣.....	لبس الرجل للقلادة
٧٨٣.....	توليد الطبيب
٧٨٣.....	الطاعة في الحجاب
٧٨٤.....	مساعدة أب مدمن بشراء الدخان
٧٨٤.....	التدخين والتبويض
٧٨٤.....	الليانصيب ليس قماراً
٧٨٥.....	هل الأوروبي كافر حربي؟
٧٨٥.....	السخرية من الحجاب
٧٨٦.....	التبرع بأحد الأعضاء قبل الوفاة
٧٨٦.....	الشك في أشرطة
٧٨٦.....	الحد الشرعي لستر الوجه
٧٨٦.....	مسابقة المليون والهاء الشباب
٧٨٧.....	الطعام المشكوك به
٧٨٧.....	وضع الورود على القبور
٧٨٧.....	العمل مع اليهود
٧٨٧.....	العمل بعكس الاستخارة
٧٨٨.....	مخالفة القوانين العامة
٧٨٨.....	إنجاح الطلبة بالغش
٧٨٨.....	العدول والتدخين
٧٨٩.....	فرض الرأي على البالغة الرشيدة

